الدكتور أسْعد محمُود حَوْمَد



دَعـوَةُ الإيمانِ

وَصِرَاعُ المَصيرِ



الدكتور أسعد محمود حومد

دعوة الإيمان

وصراع المصير

إلى روح الصديق الأخ المرحوم الدكتور
موفق الدين الكزبري رحمه الله

كان من المفروض أن يصدر هذا الكتاب حاملاً اسمه واسمي، فقد فكرنا معاً في موضوعاته وفي ترتيب فصوله وأبوابه، ولكننا قبل أن نباشر الكتابة ألم به مرض تطاول عليه، فطلب مني أن أمضي به لوحدي، ودعا لي بالتوفيق.

فإلى روحه الطاهرة أهدى هذا العمل لأن له شركة أدبية فيه، أجزل الله ثوابه، وأكرم مثواه.

دمشق في الأول من شهر تموز (يوليو) ١٩٩٩
الثامن عشر من ربيع الأول ١٤٢٠

اسعد محمود حومد

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد الأمين

يظن من يرغبون في الصلح مع إسرائيل أن توقيع معاهدة الصلح سينهي أساس المشكلة التي قام حولها الصراع بين العرب واليهود حتى يومنا هذا. ويظنون أن هذا الصلح سيخلق جوا من الود والألفة بين العرب واليهود في فلسطين وما حولها، وسينسى الجميع الأحقاد والأطماع القديمة مع مرور الأيام، وستلتئم الجراحات، وسيصبح بالإمكان خلق جو من الثقة والإخاء الإنساني بين الجانبين.

ولكن هذه الظنون إنما هي من قبيل الأوهام لأن مطامع اليهود في تحقيق دولة إسرائيل الكبرى لن تقف عند حد، وإسرائيل الكبرى يجب أن تشمل ـ على قول المعتدلين ـ البلاد الواقعة بين النيل والفرات. ويجب أن تشمل ـ على قول المتشددين ـ قسماً كبيراً من الجزيرة العربية حتى خيبر والمدينة المنورة، والكويت وأجزاء كبيرة من العراق وجميع سوريا ولبنان، وقسماً كبيراً من أراضي تركيا حتى بحيرة وان، وجزيرة قبرص. ويقولون إنهم يجدون ذلك مكتوباً في كتبهم وإنهم يسعون إلى تحقيقه لأنه إرادة الله.

وقد شجعهم على الجد في تحقيق أطماعهم ما حققوه من نجاح في اغتصاب أكثر أراضي فلسطين، وفي تمهيد الإقامة لآلاف كثيرة من اليهود في أراضي القسم العربي من فلسطين وفي الجولان، حتى أصبح ساستهم لا يتحرجون من المجاهرة بأطماعهم التاريخية في اغتصاب الأرض العربية، وأصبح المعتدلون منهم يصرحون بإصرار أنه لا عودة إلى حدود عام ١٩٦٧، ولا تقسيم للقدس ولا حل لمشكلة اللاجئين.

والذي زاد في جرأة اليهود على المجاهرة بباطلهم هو خضوع أكثر

الساسة في البلاد الغربية لأطماع اليهود، وانجرار الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي إلى الدخول إلى حلبة الصراع العربي اليهودي مؤيدين لمطامع اليهود، وناشطين في الترويج لباطلهم.

وبلغ من خضوع بعض الجهات الكنسية المسيحية حد الجرأة على الله فقد أعلنت هذه الجهات أنها تبرئ اليهود من دم المسيح، كما برأت اليهود من اللعنة التي صبها الله تعالى على أسلافهم، وقالت إن يهود اليوم لا مسؤولية عليهم فيما اقترفه أسلافهم من الكفر والقتل وتحريف كلام الله وكلام أنبيائه ورسله الكرام. وبرروا لليهود جرمهم في احتلال الأرض العربية في فلسطين وما حولها على أنه قدر من قدر الله لابد لله من أن يحققه كما وعد اليهود في كتبهم. وقالوا إن الله وعد اليهود بإقامة دولة لهم في أرض فلسطين قبل قيام الساعة، وها هو يحقق وعده لهم.

وما زال سيل المفاجئات مستمراً في الظهور والانكشاف حيناً بعد حين، وكلها تصب في خانة اليهود وتدعم باطلهم، وتنكر على العرب والمسلمين حقهم التاريخي.

وتزعم الجهات الكنسية أنها تؤيد اليهود، وتنحاز إليهم لأن كتب اليهود وما جاء فيها من وعود إلهية لليهود هي كتب المسيحيين أيضاً، والإلزام الذي يظهر فيها ملزم للمسيحيين واليهود على سواء، ولذلك فإنها تنشط في خدمة تحقيق كلمة الله. وقد قال بعض الكتاب المسيحيين العرب إن المقولات التي جاءت في كتب بني إسرائيل قد تجذرت في نفوس المسيحيين العرب وغير العرب حتى أصبح من العسير جداً اجتثاثها.

ولكن الحقيقة هي أن كتب اليهود ليست هي كتب المسيحيين لأن لليهود تفسيراً خاصاً بهم لا يتفق أبداً والمعاني التي يفهمها المسيحيون عند قراءتهم هذه الكتب، واليهود يأخذون بأحكام مختلفة عن الأحكام التي يفهمها المسيحيون ويأخذون بها حينما يقرؤون كتب اليهود.

ولذلك فإن كتب اليهود ليست هي كتب الله ولا كتب أنبيائه، وليس

مفهومها ومعانيها لدى الجانبين واحداً، فالمسيحيون لا مشاركة لهم لليهود في شيء من الكتب. ومن يقرأ ما كتبه (إسرائيل شاحاك في كتابه ـ الديانة اليهودية ـ التاريخ اليهودي ..)، يجد أن لليهود مفاهيم لكتب الله لا تتصل بسبب ولا نسب بما يفهم منها حينما يقرؤها أناس من غير اليهود...

ونحن لا نرى وسيلة نستطيع بها محاولة فك التلاحم المذهبي بين المسيحيين واليهود إلا باللجوء إلى دعوة الإيمان التي تؤلف القاسم المشترك بين الديانات السماوية الثلاث. وبلجوئنا إلى دعوة الإيمان نستطيع أن نحقق الكثير وأن نفتح العيون على الأخطاء الجسيمة التي ترتكبها الكنائس المسيحية في مظاهرتها اليهود على العرب والمسلمين، وفي تأييدها إياهم في مواجهة الحق العربي الصراح.

ودعوة الإيمان هي الدعوة الأساس التي جاءت من عند الله كاملة مع كل نبي أو رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، ولكنها كانت تتشوه بفعل البشر بعد تقادم العهد بينهم وبين الأنبياء، وبفعل تباعدهم في المواطن بعد تكاثرهم وتشتتهم في الأرض.

وحينما كانت تتشوه دعوة الإيمان كان الله يرسل نبياً أو رسولاً آخر ليعيد إليها صفاءها، ويجدد ما رث من حبالها. وقد عرضنا في كتابنا (دعوة الإيمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب) إلى تفصيل هذه الدعوة، وقلنا إن القرآن جاء بها كاملة، وحفظها من أن تشوبها شائبة من شرك أو انحراف أو تبديل، لأن محمداً هو آخر أنبياء الله إلى أهل الأرض، وأن القرآن هو آخر كتاب ينزله الله إلى الخلق. فاقتضت إرادته أن تكون دعوة الإيمان مفصلة مع رسالة محمد تفصيلاً لا يترك في نفس مخلوق شكاً في شيء منها، لأنه لن يأتي بعد محمد وبعد القرآن من يعود إلى عرضها مرة أخرى. وذلك لكيلا يبقى للناس حجة على الله إذا هم أهملوا الإيمان بدعوة الله.

تقول دعوة الإيمان إن الله واحد لا ولد ولا والدة ولا صاحبة له..، وهو وحده الخالق البارئ للكون وما فيه ومن فيه، وهو السيد المطلق ذو

الكلمة النافذة المطاعة الذي لا يعارض ولا يمانع ولا يقاوم، وليس للخلق شيء من تصريف أمر الوجود، فهم عبيده، وعليهم طاعته وعليهم الامتناع عن الاعتراض على شيء مما قضاه. فإذا قرر الله في كتبه، وعلى لسان أنبيائه أنه لعن اليهود، وطردهم من رحمته وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة لكفرهم وتحريفهم كلمات ربهم، فليس لأحد من خلق الله أن يدعي أنه قادر على التدخل في الأمر لرفع اللعنة عنهم، ولا يملك أحد في الحقيقة والواقع شيئاً من السلطان يستطيع به رفع اللعنة التي قضاها الله. وكل ما يفعله بنو البشر في هذا الباب باطل ولا قيمة له في ميزان الله. وعلى هذا تكون تبرئة الكنائس المسيحية اليهود من دم المسيح باطلة مطلقاً، لأنهم ليس لهم شيء من تصريف أمر الكون.

ثم إنهم يزعمون أن المسيح ابن الله الوحيد، فإقدام اليهود ـ كما يقولون هم ـ على صلبه وقتله وتعذيبه.. هو من أخص الخصائص التي تتعلق بذات الله العظيم، فكيف يجيز بشر ـ مهما علت مناصبهم الدينية ـ لأنفسهم أن يتدخلوا في عقاب الله لمن آذى نبيه وحاول قتله على قولنا، وصلبه وهو ابن الله على قولهم...؟

إن هذا التدخل في أمر الله لا يمكن أن يقبله مؤمن عاقل.

وتقول دعوة الإيمان إن الأبناء لا يحملون شيئاً من وزر الآباء لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، كما أنهم لا ينتفعون بشيء من أعمالهم الصالحة إذا لم يكونوا هم مؤمنين صادقين في إيمانهم وإخلاصهم العبادة لله.

ولكن دعوة الإيمان ـ تقول من جهة أخرى ـ إن الأبناء يحملون شيئاً من وزر الآباء إذا هم وقفوا على كفر الآباء، وتصرفاتهم الذميمة، وقبلوا بها، وعملوا بتصرفاتهم الذميمة المنافية لشريعة الله، ولم يستنكروها ويتبرؤوا منها.

فإذا لعن الله اليهود ـ الأبناء والآباء ـ لكفر الآباء برسالة الله، وتحريفهم كلماته عن معانيها، وقبول الأبناء بمسلك آبائهم، ورفضهم استنكاره والإقلاع عنه. وسلكوا مسلك هؤلاء الآباء فإنه لا يستطيع أحد من

خلق الله مهما علا منصبه الديني أن يدعي لنفسه الحق والقدرة على إبطال ما قضاه الله، وإلا كان غير مؤمن ولن يكون لما قرره هو نفاذ في شيء مما قضاه الله، ويكون جميع ما فعله ويفعله في هذا الباب باطلاً ولا قيمة له في حساب الله، وسيجد عند الله المقت والغضب على جرأته على الله وادعائه القدرة على إبطال شيء من التصرفات التي قضاها الله..

قال القرآن وقالت كتب بني إسرائيل إن اليهود كفروا بالله منذ فجر تاريخهم، حينما كانوا يصاحبون الأنبياء، وخالفوا عن أمر ربهم، وعبدوا الأصنام، وشاركوا أقوام المنطقة في عبادة أصنامهم وأوثانهم، وبلغ الأمر بحكام السامرة حد إقدامهم على صنع أصنام ونصبها لشعبهم لعبادتها والانصراف عن عبادة الله، وذلك لكيلا يكون لشعبهم في السامرة وما حولها حنين ديني إلى القدس وهيكلها ومعبدها.

وقد حرف الزعماء الدينيون كلام الله عن المعنى الذي أراده منزل الكتاب، وأولوا معانيه على وجه يخالف إرادة الله، وقتلوا الأنبياء والصالحين من قومهم لأنهم كانوا يلحون عليهم بالعودة إلى شرع الله، وينهونهم عما يرتكبونه من كفر ومعاص وفساد وإفساد في الأرض، وعبادة للأصنام، وخروج عن شريعة الله، وأكل لأموال الناس بالباطل بتأويلات محرفة لكتبهم.. فقرر الله في القرآن وفي كتب بني إسرائيل أنه غضب عليهم غضباً شديداً، وأعلن لهم وللناس جميعاً ـ وهو مالم يفعله مع شعب آخر من شعوب الأرض ـ أنهم سيلقون في حياتهم تسلط الأقوام عليهم، وتدمير حضارتهم وتشتيتهم في الأرض، وقتلهم وسبيهم، ونقلهم إلى بلاد بعيدة غريبة عنهم، وسيلاقون الذل والمهانة وسيقتلون ويذبحون.. ويستمر ذلك العذاب نازلاً بهم حتى تقوم الساعة ويرجع الخلق إلى الله... ولكنه أعلنهم بأنه سيهيء لهم فترات قليلة يرفع الذل والمهانة والعذاب عنهم، لينظر هل أقلعوا عما هم عليه من الكفر والفساد والضلال، أم أنهم مازالوا مقيمين على ما كانوا عليه من الكفر والباطل؟ ثم يجد الله أنهم ما زالوا مقيمين على الفساد والإفساد فيعيد ضرب الذلة والمهانة

عليهم، ويسلط عليهم الأقوام تذيقهم مرَّ العذاب.. وسيستمر ذلك نازلاً بهم حتى تقع الواقعة بينهم وبين المسلمين - قبل أن تقوم الساعة - فيذيقهم المسلمون بأس الله الشديد، ويدمرون كيانهم تدميراً لا جبر له، وهذا ما تقوله الآيات الأولى من سورة الإسراء، وقد خصصنا في هذا الكتاب فصلاً مستقلاً لمستقبل العلاقات بين العرب واليهود.

ومما أشار إليه القرآن وأحاديث الرسول محمد عليه السلام، وأشارت إليه بعض كتب أهل الكتاب، أنه ستكون بين المسلمين واليهود معركة مصير قبل قيام الساعة، سيقتل فيها المسلمون اليهود قتلاً ذريعاً، ولكن اليهود - كعادتهم فيما لا يوافق هواهم - حرفوا في النصوص ليجعلوا أنفسهم المنتصرين في هذه المعركة، وليجعلوا عدد من يخرج من اليهود سالماً من معركة المصير هذه ١٤٤ ألف إنسان من كل سبط من أسباط إسرائيل ١٢ ألفاً. وعلى هذا فسيكون مصير اليهود الآخرين من غير نسل إسرائيل الإبادة التامة.. واليهود يعتقدون أن القرآن لم يأت بشيء أبداً إلا وتحقق بتمامه.

وتقول دعوة الإيمان أيضاً - وجاء شيء منها في القرآن وفي كتب اليهود - إن الكفرة أعداء الله لا شيء لهم من ميراث الأنبياء، لأنهم أبطلوا بكفرهم ومخالفتهم أمر ربهم حقهم في هذا الميراث.

وبنو إسرائيل - واليهود عامة - كانوا قديماً وما زالوا حتى يومنا هذا - كفرة عبدة أصنام وأوثان وآلهة متعددين، وهم اليوم اشد كفراً وعتواً من أسلافهم، وأبعد عن شريعة الله، فهم اليوم يعبدون آلهة متعددين، ويعبدون الشيطان والملائكة.. وهم أشد إيذاء لخلق الله من أسلافهم، وابعد عن الرحمة بالضعفاء والمساكين والعجزة والأطفال، كما يؤيد ذلك إسرائيل شاحاك...

وبسبب هذا الكفر المستمر فقد أبعدهم الله عن فلسطين منذ ألفي سنة، وشتتهم في الأرض، وحرمهم من ميراث إبراهيم، وجعل ملكية فلسطين للعرب أحفاد ابنه البكر إسماعيل، ولو كان لهم شيء عند الله من ملكية

فلسطين لما حدث انقطاع في وجودهم فيها يقارب الألفي سنة، بينما لم يتجاوز عمر دولتيهم فيها سنوات قليلة.

بقي أن نقول للمسيحيين إن هذه الخطوة المبالغ فيها جداً في الكرم من قبل الكنائس المسيحية التي تتعلق بتبرئة اليهود من دم المسيح وبرفع اللعنة التي فرضها الله عليهم لن تقابل من اليهود بغير الهزء والسخرية لأنهم:

- من جهة لا يعتقدون أن المسيح الذي قتلوه وصلبوه هو نبي الله عيسى عليه السلام، وإنما يعتقدون أنهم قتلوا إنساناً ممخرقاً جاءهم بما يخالف عقائدهم، وقد نعتوه في تلمودهم بأقبح النعوت وأقذرها هو وأمه. وما زالوا يعلمون أطفالهم، منذ نعومة أظافرهم، كره المسيح والمسيحيين، ويطلبون إليهم لعنهم وطلب العذاب لهم من الله..

- ثم إنهم من جهة أخرى لا يعتقدون بصحة ما عليه الكنائس المسيحية اليوم، وبالتالي فإنهم لا يعتقدون بأن لها شيئاً من المنزلة الكريمة عند الله تخولها حق التصرف عن الله في أمر من أخص الأمور المتعلقة بذاته العلية ولكنهم يسكتون على ما لا يعتقدونه حقاً لأنه يخدم مصالحهم ويكرس سلطانهم على أعلى السلطات الدينية في العالم المسيحي.

ولن نطيل الحديث في هذه المقدمة عما يحويه الكتاب من موضوعات فهو بين يدي القراء الكرام وهم القادرون على الحكم له أو عليه.

ونسأل الله أخيراً السداد والرشاد والتوفيق لخدمة قضايا العرب والمسلمين إنه سميع مجيب.

دمشق في الأول من شهر تموز (يوليو) ١٩٩٩
الثامن عشر من ربيع الأول ١٤٢٠

اسعد محمود حومد

تمهيد

الصراع بين العرب واليهود حول أرض فلسطين هو في أساسه صراع عقائدي يقوم بين مقولات اليهود التي ينسبونها إلى ما جاء في كتبهم، وبين مقولات العرب والمسلمين كما جاءت في قرآنهم وشريعتهم وحقهم التاريخي في أرض فلسطين التي سكنوها منذ أقدم العصور وعمروها وأقاموا فيها بدون انقطاع، واستنقذوها من أيدي الفرس والروم والقبط لينشروا فيها دعوة الإيمان.

فاليهود يقولون إن الله وعدهم - كما جاء في كتبهم - بسكنى أرض فلسطين (الأرض المقدسة) وإنه أعطاها ملكاً خاصاً لإبراهيم، ثم عاد فأعطاها من بعده لابنه الأصغر إسحاق، ثم عاد فأعطاها من بعده لابنه الأصغر يعقوب، ثم من بعده لأنساله بني إسرائيل، الذين يؤلفون اليوم قسماً ضئيلاً جداً من اليهود الموجودين في الأرض، وذلك لأنهم أبناء الله وأحباؤه، ولأنهم شعب الله المختار، اختاره الله من بين شعوب الأرض قاطبة ليكون لهم رباً، وليكونوا له شعباً، وجعل لهم الجنة خالصة من دون بني البشر جميعاً لا يشركهم فيها أحد من خلق الله تعالى.

أما مقولات العرب فإنها مستمدة من دعوة الإيمان، كما جاءت في القرآن والسنة، وما تبقى منها سليماً في كتب بني إسرائيل.. كما أنها مستمدة من حقهم التاريخي المتمثل بملكية أرض فلسطين وسكناهم فيها منذ أقدم العصور، بدون انقطاع وبقيامهم بنشر دعوة الإيمان فيها - وهو ما عجز عنه بنو إسرائيل - وبإعمارها وبإقامة العدل والمساواة فيها بين البشر.

تقول دعوة الإيمان إن الله وعد إبراهيم بأن يسكنه أرض فلسطين

لينشر فيها هو والمؤمنون من أنساله دعوة الله الخالدة دعوة الإيمان، وهذا أمر لا يجادل فيه بنو إسرائيل، كما لا يجادل فيه المسيحيون؛ وميراث إبراهيم يجب أن ينتقل من بعده إلى ابنه البكر إسماعيل، وفقاً لقانون الوراثة الذي كان يأخذ به إبراهيم وبنوه من بعده، وما زال مسطوراً في كتب بني إسرائيل. وينص قانون الوراثة هذا ـ كما جاء في كتب بني إسرائيل ـ على ما يلي:

«إذا كان لرجل امرأتان، إحداهما محبوبة، والأخرى مكروهة، فولدتا له المحبوبة والمكروهة فإن كان الابن البكر للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر، بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه أول قوته له حق البكورية»[1].

وتقول دعوة الإيمان – وهذا لا يجادل فيه اليهود أيضاً ـ كما بقي ظلها في كتب بني إسرائيل، وبقيت صريحة واضحة في القرآن، إن الكفرة أعداء الله لا شيء لهم عند الله، ولا إمامة لهم في الأرض، ولا ميراث لهم في شيء من تركة الأنبياء، لأنهم اسقطوا بكفرهم وعصيانهم أوامر ربهم حقهم في ميراث رسل الله وأنبيائه الكرام.

وبنو إسرائيل ـ وفقاً لما جاء في كتبهم التي هي بين أيدي الناس اليوم، –كفروا بالله، وعبدوا الأصنام وأفسدوا في الأرض، وحرفوا في التوراة، وتقوَّلوا على الله، ولم يقوموا بواجبهم في نشر دعوة الله في الأرض كما أمر، وتصدوا بالكفر والمقاومة والمعاندة والدس لدعوة الله التي جاء بها عيسى بن مريم،ومن بعده محمد صلوات الله عليهما، وقتلوا أنبياء الله من قومهم الذين جاؤوا يحثونهم على العودة إلى دين الله والأخذ به أخذا كاملاً، وحاولوا إطفاء نور الله في الأرض، وصرف قومهم والناس من غيرهم عن الإيمان الخالص، فلعنهم الله، وغضب عليهم، وتأذن بأنه

(١) الاصحاح ٢١ من سفر تثنية الاشتراع

سيمزقهم في الأرض كل ممزق، وتأذن بأنه سيسلط عليهم أناساً من خلقه يسومونهم سوء العذاب إلى يوم القيامة[1].

وكذبهم القرآن في مقالتهم إنهم أبناء الله وأحباؤه أكثر من مرة، كما كذبهم الله في كتبهم هم. وقال لهم القرآن إنهم بشر ممن خلق الله لا ميزة لهم على أحد من خلق الله مطلقاً، من آمن منهم حق الإيمان، وأخلص العبادة والطاعة والعمل الصالح... أحسن الله إليه، ومن كفر منهم وأساء العمل، وكذَّب بكلمات الله .. عاقبه الله بعدله المطلق. وقال الله لهم وللناس جميعاً:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2].

فالناسَ جميعاً أبناء رجلٍ واحد وامرأة واحدة، ولا ميزة لأحد منهم على أحد عند الله إلا بالإيمان والعمل الصالح، ولا أهمية مطلقاً لانتساب بعض يهود اليوم (من بقي منهم من أنسال يعقوب- إسرائيل) إلى أنبياء الله، فالناس جميعاً أبناء آدم نبي الله الأول، ثم أبناء نوح نبي الله الثاني.

وتكذب كتب بني إسرائيل نفسها مقالة اليهود اليوم من أن لهم امتيازاً وحظوة عند الله لأنهم أبناء الأنبياء (إبراهيم وإسحاق ويعقوب... الخ). ونجد في التوراة كثيراً من النصوص المؤيدة لصحة ما نقول. (وسنبسط ذلك بكثير من التفصيل في هذه الدراسة).

ونجد في كتب بني إسرائيل كلاماً كثيراً جداً يوبخ الله به نسل إسرائيل بسبب كفرهم وعصيانهم أوامر ربهم، وتبديلهم كتابه وشريعته التي أنزلها على أنبيائه الكرام، وطغيانهم في الأرض، وإفسادهم فيها، وإعراضهم عن اتباع كلمة الله التي جاء بها أنبياؤه جميعاً من آدم حتى محمد صلوات الله عليهم. وقد هددهم الله تهديداً شديداً مرعباً بسبب إقامتهم على الكفر،

---

(١) ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الآية ١٦٧ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

وعبادة الأصنام، وتعطيل شريعة الله، وفعلهم الشر، وتعاملهم بالربا وقد حرَّمه عليهم، وأكلهم مال الناس بالباطل وقتلهم أنبياء الله والصالحين من عباده بغير حقٍّ. ونجد في كتبهم كشفاً لمستقبلهم في الأرض وما سيلاقونه من تشتت وذبح وتشريد وسبي، وإذلال... ويقع كل ذلك بهم بسبب كفرهم وعبادتهم الأصنام وأفعالهم الذميمة وكرههم لخلق الله. وعلى هذا فإن اليهود اليوم، سواء منهم من بقي من نسل إسرائيل - وهم قلة اقل من قليلة - أو من كان منهم ممن دان باليهودية من غير بني إسرائيل كالخزر وغيرهم ...، هم بشر ممن خلق الله، ولا ميزة لهم على أحد من خلقه.

صحيح إن الله أشار في القرآن وفي كتب بني إسرائيل إلى أنه فضل أهل الإيمان منهم الذين حملوا رسالة الله، وعملوا على تطبيقها في مجتمعهم، وعلى نشرها بين الأمم الكافرة من غيرهم.. وأنهم كان لهم تكريم عند الله، [وهو تكريم يخص الله به كل من أخلص الإيمان والعمل من عباد الله من أي عنصر كانوا، ومن أي لون وقوم، ولا يختص به بني إسرائيل وحدهم]، وذلك لأنهم كانوا واحة الإيمان في تلك العصور السحيقة. وقد قطع الله الموالاة بين الأنبياء وبين الكفرة من أنسالهم وأزواجهم لأن قرابة الدم لا قيمة لها عند الله، والقرابة الحقة عند الله هي قرابة الإيمان، والأخوة في الله.

فقال الله لنوح إن ابنه الكافر ليس من أهله وإنه غرق مع الكفرة بالطوفان لأنه لا ميزة لكافر على كافر[1] وحينما أعلم الله إبراهيم بأنه جعله في الأرض إماماً للهدى والتقى ليهدي الناس إلى الله، سأل إبراهيم ربه أن يجعل الإمامة في ذريته، فرد الله تعالى قائلاً إن الكفرة لا يمكن أن

---

(١) ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الآيتان ٤٥ و ٤٦ من سورة هود)

تكون لهم إمامة في الأرض أبداً، ولو كانوا من نسل إبراهيم[1].

ومن يرجع إلى كتب بني إسرائيل يجد أنها تقول قريباً مما يقوله القرآن في موضوع الإمامة في الأرض أي إنها لا تكون إلا في المؤمنين المخلصين الصالحين، ولا إمامة ولا ميراث للكفرة في شيء مما وعد الله به المؤمنين، ويجد الإنسان في كتبهم أشياء كثيرة تؤكد أن بني إسرائيل كانوا قبل موسى في مصر كفرة عبدة أوثان وأصنام وعبدة شخص فرعون، وكانوا مع موسى كفرة في أكثرهم يعبدون الأصنام والأوثان ويعاندون الرب، وكانوا بعد موسى وحتى آخر ما سطر في كتبهم عن تاريخهم كفرة يعبدون الأصنام، ويقبلون بما حرفه كهنتهم من كتاب الله، وكلام أنبيائه.... ويقتلون الأنبياء والصالحين بغير حق.

أما ما لفقه كتبتهم في كتبهم، وزوروه من أن الله فضل إسحاق الأصغر على أخيه البكر إسماعيل، لأنه ابن الجارية، وأنه جدد الوعد بالأرض لإسحاق، وأنه تعالى فضل يعقوب على أخيه البكر عيسو وخصه بوعد آخر بالأرض... فهو من جملة تلفيقاتهم في كتبهم، وقد كشفنا كثيراً منها، وعرضنا لهذا الموضوع بالذات، فقلنا إن ميراث إبراهيم ينصرف بعده لابنه إسماعيل. أما أن يكون إسماعيل ابن جارية فذلك لا قيمة له في ميزان الله، وقد كان من بين أبناء يعقوب الإثني عشر أربعة من أبناء الجواري وهم (دانا ونفتالي وجادا واشير)[2] ولم يقل بنو إسرائيل إن الله فضل من ابناء يعقوب أبناء الحرائر على أبناء الجواري، ويسكتون عن هذه المسألة، لأنهم لا مصلحة لهم في إثارتها.

وأما ما قالته كتبهم من أن يعقوب وأمه احتالا على إسحاق ليفوز يعقوب الصغير ببركة إسحاق بدلاً من عيسو البكر، فقد قلنا عنه إنه اسوأ

---

(١) ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (الآية ١٢٤ من سورة البقرة)

(٢) سفر التكوين اصحاح ٣٠.

ما يمكن أن يقال من التحريف مما يتعارض ودعوة الإيمان وذلك لأن البركات لا يمنحها إسحاق وإبراهيم وإنما يمنحها الله تعالى لمن يعلم أنهم أهل لها، وما كان الله ليقبل بأن يفوز ببركته محتال ابن محتالة. ونحن نجل أنبياء الله عن الوقوع في أمثال هذه الدنايا، وهم أعرف الناس بعظمة ربهم، وسلطانه في الخلق، فلا يمكن أن يتصرفوا تصرفاً منافياً ومعارضاً لإرادة الله.. ولو كان الله يريد تقديم يعقوب على أخيه عيسو لجعل ولادته الأسبق، ولا يعجزه ذلك، ولفاز حينئذ بميراث إسحاق، وببركاته الحقة بصورة طبيعة، ولا يحتاج الأمر إلى التحريف والتلفيق والمماحكة الفاضحة.. المتعارضة مع منطق الإيمان ومع المنطق السليم.

أما ما قالته كتبهم من أن الله عاد فجدد الوعد الذي قطعه لإبراهيم بالأرض، فجعله عهداً لإسحاق، ثم عاد فجدد العهد فجعله ليعقوب.. فذلك مما لا يقبله المنطق السليم. فحين وعد الله إبراهيم بالأرض قبل بأن تكون الأرض بعد إبراهيم ميراثاً بين أبنائه المؤمنين وفق قانون الوراثة، وقانون الوراثة الذي يأخذ به بنو إسرائيل ويقبلون به يجعل الميراث لإسماعيل البكر، وليس لإسحاق الولد الثاني، ولا يملك إبراهيم أن يخالف أمر ربه بتقديم ولد الحرة الأصغر على ولد الجارية البكر فكلتاهما من خلق الله، ولا تتفاضلان لديه إلا بالتقوى.

أما فيما يتعلق بخلافة الله في الأرض فقد جاء عنها في كتب بني إسرائيل نصان صريحان:

الأول وجاء فيه ـ (لا تقل في قلبك من أجل بِرِّي أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض، بل لأجل إثم هذه الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك، لأنك شعب صلب الرقبة [1].

والثاني وجاء فيه ـ يا ابن آدم إن الساكنين في هذه الخرب من أرض إسرائيل قائلين إن إبراهيم كان واحداً وقد ورث الأرض، ونحن كثيرون

---

(١) الاصحاح ٩ من سفر التثنية.

ولنا أعطيت الأرض ميراثاً. لذلك قل لهم : تأكلون بالدم، وترفعون أعينكم إلى أصنامكم، وتسفكون الدم أفترثون الأرض؟ وقفتم على سيفكم، فعلتم الرجس، وكل منكم نجس امرأة صاحبه أفترثون الأرض؟[1] وهذا نفي من الله صريح بأن يكون جعل أرض فلسطين ميراثاً لبني إسرائيل الكفرة كما ينفي أنه أعاد الوعد فجعله لإسحاق ثم جعله ليعقوب؛ ولو كان الأمر كذلك لقالوا إن يعقوب ورث الأرض .. إلخ ولم يقولوا إن إبراهيم ورث الأرض.

أما بالنسبة لكفر بني إسرائيل منذ فجر تاريخهم، وإلى أن توقف انبياؤهم عن تسجيل نبؤاتهم عنهم فإن كتبهم طافحة بذلك، ويكاد الإنسان أن لايجد نصاً ليس فيه شكوى من كفرهم، وعنادهم وإطاعتهم البغاة من كهنتهم، وخروجهم عن طاعة الله، وعبادتهم الأصنام، وأكلهم أموال الناس بالباطل وسفكهم الدماء البريئة بغير حقها، وقتلهم الأنبياء والصالحين، وقد أفردنا لذلك فصلاً مطولاً.

وقد تسلم العرب من رسولهم الكريم دعوة الإيمان، وقاموا بعبء نشرها في الأرض كما أمرهم الله، وأوصلوها إلى أقاصي الأرض، وما زالوا يحملون لواءها، ويحفظونها من أن تتعرض للتشوه والتحريف والتبديل؛ وأعلمهم الله ربهم بأنه سيحفظها بعنايته وحفظه سليمة كاملة واضحة حتى يرجع الخلق إلى الله، لكي تبقى بين يدي البشر كاملة صحيحة، ليهتدي بها من كتب الله له الهداية، ولكيلا يكون للكفرة حجة على الله يحتجون بها يوم القيامة بأنهم لو عرفوا دعوة الله الحقة لاتبعوها، وهذا وعد من الله حق، ولا يخلف الله وعده أبداً.[2]

ولذلك كان العرب أحق الناس بوراثة الأرض، وقد ورثوها فعلاً،

---

(١) الاصحاح ٣٣ من سفر حزقيال.

(٢) ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية ٩ سورة الحجر

وسكنوا أرض فلسطين منذ زمن أبيهم إسماعيل، ولم يخرجوا منها أبداً وجاهدوا الغزاة الطامعين في احتلالها، جهاداً لا هوادة فيه.

أهمية التعرض لهذا الموضوع بالدراسة

لقد وقعت جهات كنسية مسيحية - عن علم أو عن جهل - في حبائل الدعاية الصهيونية، وأخذت بما جاء في كتب بني إسرائيل دون تمحيص ولا إعمال فكر، واندفعت بعواطفها المعادية للإسلام تردد ما تقوله الدعاية الصهيونية من حتمية عودة اليهود إلى فلسطين قبل أن ينتهي عمر الدنيا وتقوم الساعة. حتى إن الفاتيكان نفسه وقع في حبائل هذه الدعاية، ففي شهر حزيران (يونيو) من عام ١٩٨٥ صدر عن الفاتيكان تصريح يلفت نظر العالم المسيحي إلى ما جاء في الكتاب المقدس (يعني كتب بني إسرائيل) من وعد الله لليهود بإقامة حكم لهم في أرض فلسطين، وجاء في هذا التصريح (أنه على المؤمنين أن يعتقدوا بوجوب تحقيق ما وعد الله به اليهود[١]).

وواضح أن هذا التصريح يتضمن حثاً للعالم المسيحي على وجوب دعم اليهود، وتقديم العون لهم في مسعاهم لتحقيق حلمهم الباطل في اغتصاب أرض فلسطين من أصحابها العرب مسلمين ومسيحيين، ومؤازرتهم لترسيخ أقدامهم وحكمهم في أرضها لأن المسيحيين يكونون بذلك قد تصرفوا وفق مشيئة الله ..

وتتالت خطوات الفاتيكان نحو تدعيم اليهود في مواجهة العرب، ومنذ وقت غير بعيد اصدر الفاتيكان قراراً يبرئ به اليهود من دم المسيح عليه السلام.

وتتناقل وسائل الإعلام اليوم أن الفاتيكان يدرس مشروع قرار حول الإعلان عن مسؤولية الكنيسة الكاثوليكية عن الكره العنصري الذي

---

(١) النبؤة والسياسة ترجمة الدكتور محمد السماك

يتعرض له اليهود في العالم، وهو المعروف باسم معاداة السامية، واليهود يلحون على الفاتيكان ليصدر هذا القرار.

وكل هذه القرارات دعم لمزاعم الصهيونية الباطلة في مواجهة الحق العربي الصراح.

وقد قامت منذ فترة من الزمان حركة نشطة في الولايات المتحدة وانكلترا خاصة، انضم إليها عدد من كبار المسؤولين منهم ريغان وبوش، وقد يكون كلنتون منهم أيضاً، ومنهم نواب وشيوخ وحكام مقاطعات، وكتاب ورجال دين.

وتعتقد هذه الحركة بصدق ما جاء في كتب بني إسرائيل من أن اليهود لا بد لهم من العودة، حسب وعد الله، إلى فلسطين قبل أن تقوم الساعة، ولذلك رأينا ريغان يبذل جهداً محموماً لنقل يهود الفلاشا من إثيوبيا إلى إسرائيل، ثم قام بوش بجهد مماثل، لنقل ما تبقى منهم إلى إسرائيل، وقد صرح بعد إتمام العملية بأنه قضى ثلاثة أيام لم ينم خلالها، وهو يراقب سير العملية، وأن نجاحها كان أسعد أيام حياته...

وقد لعبت الكنيسة البروتستنانتية دوراً فعالاً وهاماً في قيام دولة إسرائيل عن طريق حشد الرأي العام الغربي، والمؤسسات الحكومية الرسمية إلى جانب الصهيونيين، وجمعت لهم الأموال، وشجعتهم على الهجرة إلى فلسطين، وهربت إليهم الأسلحة ليتفوقوا على العرب، وتتالت مظاهر العون الكنسي المؤيد للصهيونية، ففي عام ١٩٦١ انعقد مجلس الكنائس العالمي (الذي يضم كنائس بروتستانتية وأرثوذكسية) في نيودلهي وأصدر في نهاية اجتماعاته بياناً جاء فيه:

(العداء للسامية خطيئة ضد الله وضد الإنسان، وعلينا أن لا نلقي في تعليمنا المسيحي الأحداث التاريخية التي أدت إلى صلب المسيح على عاتق الشعب اليهودي، فالمسؤولية تقع على إنسانيتنا المشتركة، وليست محصورة في جماعة معينة).

(وإنه وإن كانت سلطات اليهود هي التي حرضت على قتل المسيح فلا

يمكن أن يعزى ما اقترف في أثناء آلامه إلى كل اليهود الذين يعيشون آنذاك دون تمييز، ولا إلى يهود العالم.. ويجب أن لا ننظر إلى اليهود كمن رذلهم الله ولعنهم كما لو كان ذلك ناتجاً من الكتاب المقدس..).

وفي شهر آذار ١٩٨٢ اصدر الفاتيكان وثيقة حول القضية الفلسطينية جاء فيها:

(إن تاريخ بني إسرائيل هو تاريخ متواصل، وإن انتشار إسرائيل في الأرض شهادة تاريخية بطولية لثقتها بالرب، وهي تحتفظ دائماً بقلبها بذكرى الأحرار، وإن وجود الدولة الإسرائيلية أمر تاريخي في اتجاه واضح للرب)...ومنذ أيام أعلن الفاتيكان أنه سيحتفل مع اليهود بذكرى حرق النازيين لبعض اليهود ولسنا ندري ما يحمله لنا المستقبل من مفاجآت.

وهكذا نجد أن اليهود قد استطاعوا حشد جانب هام من الرأي العام المسيحي في العالم، وأن هذا الرأي العام وصل إلى أعلى المستويات الدينية والسياسية.. وقد لمسنا أثر تأييد هذا الرأي العام لليهود في السنوات الأخيرة في قضايا أُمتنا المطروحة عالمياً.

وقد أصبح على العرب خاصة، وعلى المسلمين عامة، أن يستشعروا هذا الخطر المهدد، وأن يحشدوا قواهم لمجابهته والرد عليه، بما يمليه العقل الرصين المثقف، والحكمة التي تتفهم الواقع وتتصرف بحسب مقتضياته، ليستطيعوا إقناع من يؤديدون اليهود بأنهم مخطئون في فهم قضايا دينهم ومستلزماته أولاً، ثم في فهم كتب بني إسرائيل التي يعتبرونها جزءاً من تراثهم الديني ثانياً. وأخيرا نقول إنهم مخطؤون أكثر في معاداة العرب والإسلام، لأن الإسلام هو دين الله الحق، وهو شريعة الله في الأرض، وهو دعوة الإيمان الخالدة التي أنزلها الله مع آدم أبي البشر يوم أهبطه وزوجه إلى الأرض، وهي دعوة موسى ودعوة عيسى بن مريم، وما زالت هي دعوته تجددت مع كل نبي أرسله الله إلى أهل الأرض جميعاً وبدون استثناء، وستبقى كذلك إلى أن تقوم الساعة ويرجع الخلق إلى الله.

وقد أشار إلى الأثر الديني للكتب اليهودية في المسيحيين اليوم

أكثر من كاتب عربي، ومنهم كتاب مسيحيون مرموقون مثل جورجي كنعان، وقد أصدر هذا الكاتب أكثر من كتاب كانت كلها تفيض حماسة للفكرة القائلة بضرورة تصدي العرب للدعاية الصهيونية، وقيام العرب بواجبهم في إزالة الغشاوة عن أعين المسيحيين في الغرب لنجعلهم يتخلون عن تقديم العون لليهود. ولكنه لم يقدم لنا حلاً مرضياً مقبولاً يمكن أن نتخذه وسيلة ومنهجاً للعمل، فالحماسة وحدها لا تكفي، والعبارات التي تفيض بالقوة والتحريض لا تكفي وحدها لإقناع الناس بالتخلي عما توارثوه من الاعتقاد، إذا لم يقم ذلك على سند متين لا يرقي إليه الشك. وقد أورد هذا الكاتب مقاطع مما يتناقله المسيحيون في الشرق وفي العالم اليوم (العرب وغير العرب) عن الواجب الذي يراه المسيحيون عليهم في فهم الحركة الصهيونية، وفهم اندفاعتها المحمومة في ترسيخ أقدامها في أرض فلسطين، ونقتطف مما يقوله في هذا المجال المقاطع التالية[1]

(هل تعلم أن كتاب العهد القديم (أي كتب بني إسرائيل) قد رسخ جذور الصهيونية في عقول المسيحيين قبل اليهود (وثيقة الصهيونية في العهد القديم - ص٧)

(وبفعل ربط التوراة بالإنجيل رسخ في الأذهان تقريباً في الشرق والغرب أن عودة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة لهم، وإعادة بناء الهيكل.. إنما هو حق ديني، وإرادة إلّهية) (نفس المرجع ص١٢)

(مؤلم أن ننكر الحقيقة، فالتوراة في كل بيت مسيحي وفي كل كنيسة وكل مجمع وكل مدرسة وكل ناد ... والفكر الديني متأصل في ذواتنا) (نفس المرجع ص ١٣)

(... فكيان إسرائيل الديني كان ولا يزال متجذراً في صدور المسيحيين

---

(١) وثيقة الصهيونية الجديدة

الغربيين للعلاقة القائمة بين التوراة وبين الإنجيل، وأخذ هذا الكيان ينمو ويكبر مع نشوء القوميات في القرن التاسع عشر حتى صار كياناً سياسياً عملت انكلترا على زرعه في فلسطين، وجاءت أميركا تسقيه وترويه من عيون أبنائها ومن دمائهم (نفس المرجع ص١٤).

يقول وايزمن رئيس دولة إسرائيل :

(من حقك أن تسأل عن أسباب حماسة الإنكليز لمساعدة اليهود، وشدة عطفهم على أمانيهم في فلسطين، والجواب إن الإنكليز، لا سيما أصحاب المدرسة القديمة منهم، هم أشد الناس تأثرا بالتوراة، وتدين الإنكليز هو الذي ساعدنا في تحقيق آمالنا لأن الإنكليزي المتدين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود إلى فلسطين، وقد قدمت الكنيسة الإنكليزية من هذه الناحية أكبر المساعدات) (مذكرات وايزمن ص١٨ — كنعان ص١٥)

ويخلص كنعان من سرد المقاطع التي تثبت تجذر الدعوة الصهيونية في الفكر المسيحي في الشرق والغرب إلى الفكرة الوحيدة الهامة في كتابه فيقول:

(وإزالة الكيان السياسي لا تتم قبل إزالة الكيان الديني من عقول الغربيين ومن عواطفهم، لأن الدول الكبرى مؤمنة بهذا الكيان.. ويصعب على الدول العربية مقارعة هذه الدول.. فلا يبقى غير عملية غسل الدماغ الغربي من الأباطيل التي حشتها فيه اليهودية المتصهينة التي أفسدها اليهود (نفس المرجع ص١٥).

(وقضية تنقية العواطف من فساد التوراة، وتنوير العقول المظلمة بالوعي والحق والمعرفة، وفتح العيون الكليلة على حقيقة التوراة ليست بالأمر السهل.. لأن هذه التوراة متجذرة في نفوس ٩٩٪ من العالم المسيحي، وأقول بتحفظ في نفوس العالم الإسلامي (نفس المرجع ص١٥)...

وإذاً فالمؤلف يعترف بأن ٩٩٪ من المسيحيين في العالم ـ ومنهم طبعاً

مسيحيو البلاد العربية ـ يؤمنون بكتب اليهود كما يؤمن اليهود بها، ولذلك فإنهم يتبنون وجهة نظرهم في احتلال أرض فلسطين لأن الله وعدهم بها...

ويتابع مؤلف الكتاب بحثه فيما يظنه القارئ عملية غسل دماغ الإنسان المسيحي في الشرق والغرب.. ولكنه لا يفعل شيئاً، سوى التكذيب بصدق النبوات التي جاءت من عند الله إلى أهل الأرض فيكذب النبوة من أساسها ثم يكذب نبوة إبراهيم وأحفاده.. ثم نبوة موسى.. ثم يحاول قطع الصلة بين نبوة المسيح ونبوة من سبقه من الأنبياء، وبصورة خاصة أنبياء بني إسرائيل... ويفعل ذلك التكذيب لينفي أن الله وعد إبراهيم بشيء، ولينفي أن الله وعد إبراهيم وأنساله من بعده بالإمامة في الأرض ومنها أرض فلسطين..

ثم يطلق المؤلف بين حين وآخر تساؤلات متشككة لا تزود القارئ بمعلومات جازمة تنير سبيله، وترفع الغشاوة عن عينيه، وإنما تزيده ضلالاً وضياعاً، وتوصله إلى الخروج عن حظيرة الإيمان الحق...

وسنورد مقاطع مما أورده المؤلف في كتابه مما يظنه جهداً ومحاولة سليمة لغسل دماغ الإنسان المسيحي:

(هل سألت نفسك لماذا أراد (يهوه) (إلَه التوراة) تأسيس مملكة له في أرض معينة فلسطين وأراد أن يعمر بيته في جبل صهيون، وأراد للأمم كل الأمم أن تأتي إليه تقدم الطاعة والخضوع؟ وهل تعتقد أن مملكة إلَه تكون في الأرض (نفس المرجع ص ٩).

(ولماذا اختار الله اليهود من بين سائر الأمم، وكان إلَهاً خاصاً بهم؟ ولماذا اصطفى فلسطين وطناً لهم وموطناً لبنيه وسكناه) (نفس المرجع ص٩و١٠)

(ولماذا لم تتم عبادة الله إلا على جبل الزيتون ؟ ولماذا لا يجد اليهودي إلَهه إلا في فلسطين، وفي هيكل أورشليم وعلى جبل صهيون؟ (نفس المرجع ص١٢).

(وسرت هذه الأضاليل في نفوس المسيحيين فإذا هم يعتبرون

مسيحهم يهودياً، وأن المسيحية هي استمرار لليهودية وإكمال لها؟ وكانت الآية الواردة في إنجيل متى (١٧/٥): لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس، ما جئت لأنقض بل لأكمل) حجة وبرهاناً على أن المسيح جاء يكمل شريعة موسى وأنبياء بني إسرائيل.. وبسبب هذه الأضاليل التي ضمنوها التوراة وأوهموا الشعب بقدسيتها وصلاحها راح العالم يمد يد المساعدة والعون لهذا الشعب المشتت في العودة إلى أرض الميعاد)(ص٢٠).

(لماذا اختار الله شعباً خاصاً من دون سائر الشعوب؟ أليست بقية الشعوب من خلق الله؟)

ولماذا اصطفى فلسطين وطناً لهم وموطناً لبنيه وسكناه، وقصر همه على قطعة أرض ينزوي في بيت صغير فيها يغذي شعبه الخاص روح الحقد والانتقام والختل والخيانة والغدر والذريعة؟

(لماذا اختار الله إبراهيم؟ ألأنه كان يؤمن بالتوحيد.؟ التوراة نفسها تنقض هذا الإدعاء في قولها إن عشيرة إبراهيم عبدت آلهةً أخرى؟ (يشوع ٢/٢٤) في وقت كان شعب كنعان قد عرف الإله الواحد قبل إبراهيم بآلاف السنين؟ أم أن الله أراد اختياره فطلب منه أن يؤمن بإله واحد؟ فنزل إبراهيم عند رغبة ربه وآمن؟

(ولماذا أراد الله اختياره؟ ولماذا انتقته الإرادة الإلهية من بين سائر البشر؟ هل تميز إرادة الله بين هذا وذاك؟ وكيف؟ أمن العدل أن يختار الله واحداً من البشر، ويصطفي سلالته شعباً مختاراً؟؟؟.

أم أن القضية لا تعدو أن تكون حظاً ونصيباً عن رفعة شأن واحد من الناس، واتضاع آخر؟

(يقول كتاب العهد القديم إن إبراهيم قد خرج على تقاليد قومه. ونسأل كتاب هذا العهد، وجميع المؤمنين به هل الخروج على التقاليد يحتم الخروج من الأرض؟ ولماذا لم يقم شعائر العبادة في أرض الكلدانيين حيث تكشف له الله وأراد إقامتها في أرض كنعان؟ وهل تكون عبادة الله أو

الاتصال به محصورة في أرض خاصة، وفي بقعة معينة؟ (ذات المرجع ص٣٠ - ٣٥).

فلا يبدو هناك أي داع يدفع الرب إلى اختيار (ابرام - إبراهيم)، ولأي سبب يبرر قطعه العهد معه... وإنما هو المنطق التبريري الذي يؤمن بالنتيجة، ثم يرتد مفتشاً عن الأسباب والأعذار التي تؤدي إلى هذه النتيجة (ص٣٣)

(هنا يتبادر إلى ذهنك سؤال: لماذا انحصرت الذرية في إسحاق، واستبعد إسماعيل؟ ولماذا حيكت الحيل والمؤامرات لحصرها أيضاً في يعقوب واستبعاد عيسو؟ لماذا أعطيت البركة لهذا ومنعت عن ذاك؟ ما القاعدة.. وما المبررات في إعطاء أحد وحرمان آخر.. من يدري هي مقاصد الله، كما يقول العامة، وعلماء الدين واللاهوت..؟ (ص٣٥ و٣٦).

(عاد موسى إلى مصر لتحرير الإسرائيليين المستعبدين، فقد عمل الفرعون على تسخيرهم في بناء المعابد وإقامة القلاع وشق الطرق... فثاروا عليه فحاول الفرعون إذلالهم وإخضاعهم حتى يذعنوا بالطاعة. وعندما وصل موسى إلى مصر كان عقل هذه الثورة وقلبها، وحين صار لكلامه فعل السحر في نفوسهم قادهم تحت جنح الظلام هرباً من مصر، وبقي يتبدى في صحراء سيناء مدة أربعين سنة مشيعاً بين أتباعه - بطريقة الفرض والإقناع - أن للسماء إلهاً أقوى من آلهة المصريين، وأن هذا الإله سيخلص القبائل العبرية من العبودية ويدخلها أرض فلسطين؟

(ووجد أن خير الصفات التي تكون لهذا الإله هي الغضب والحقد والاغتباط بسفك الدماء، وإشعال نار الحرب، ونصر شعب أو جيش على آخر، والانتشاء برائحة المحرقات .. وسحق كل الشعوب المعارضة لحكمه ... طبيعي بقوته الإلهية، ويكون بينه وبين أتباعه نوع من المنفعة المتبادلة، فهم يعبدونه ويقدمون له الذبائح والقرابين، وهو ينصرهم في الحروب، ويملكهم أرض الأمم..

(وهذه الصفات هي في الغالب صفات موسى أعطاها لربه، وقاد بها أتباعه.. (ذات المرجع ص٤٢ و٤٣)

(ومن هو يهوه؟ ويكفي أن نعلم أنه إلّه حرب إقليمي قبلي، مثله مثل آلهة القبائل أو الممالك الأخرى المنتشرة في الشرق القديم، اتخذه موسى إلّهاً، وجعله ينطق بما يشاء، ويضع الأوامر والأحكام على لسانه لتكتسب صفة المقدس، وفرض عبادته على قومه بني إسرائيل بالإرهاب المصحوب بالقتل والذبح) (ص٤٣)

هذا بعض ما أراد جورج كنعان أن يغسل به دماغ الأوربي والمسيحي والغربي، لكيلا يؤمنوا بما يؤمن به اليهود، وليكفوا عن مساعدة اليهود...؟!

وقد تابع جورج كنعان، كما سبقه، أكثر من كاتب ينحو هذا المنحى العجيب في محاولة الاقناع.. وهو كما يبدو واضحاً أنه لا يقنع حتى قائليه أنفسهم، فكيف يقنع من ترسخت في نفوسهم مقولات كتب بني إسرائيل؟ ومما كتبه كاتب في العام (١٩٩٣) في مجلة العربي مقالان عن اليهود تبع فيهما خط كنعان وأحمد سوسة، ليصل به تخبطه في البحث إلى نتيجتين عجيبتين لأنهما تتنافيان ومقولات القرآن الكريم، كما تتعارضان مع المنطق السليم، ولم يستند فيهما إلى حجة قاطعة مقبولة.

المقولة الأولى ـ إن التوحيد في الأرض لم يعرف إلا مع إبراهيم، أما قبل إبراهيم فإن الأرض لم تعرف التوحيد ولا شيئاً عن وحدانية الله.

وأما المقولة الثانية ـ التي جاء بها كاتب المقال فتقول إن بني إسرائيل انقرضوا بعد المسيح نتيجة للذبح الذي قام به القائد الروماني تيطوس (عام ٧٠ م) وللسبي والتشرد في الأرض، ولم تبق لهم بقية في الأرض. أما اليهود الذين وجدوا بعد ذلك فكانوا بقايا من تهود من الأمم الأخرى من غير بني إسرائيل ...

وقد سطرنا رسالة إلى رئيس تحرير المجلة نلفت نظره إلى هذا الخطأ الفاحش، وبينا له أن القرآن يكذب هاتين المقولتين وقد أحلناه إلى ما جاء

به القرآن على لسان أنبياء الله الذين سبقوا إبراهيم: نوح وصالح وهود ويونس من كلام عن وحدانية الله، وعن دعوة صريحة خالصة للإيمان بالله وحده لا شريك له، وتهديد الأقوام بعقاب شديد من الله إن هم أقاموا على كفرهم وضلالهم، ومعاندة رسل ربهم فيما جاؤوهم به من عنده.. وهو كلام كثير تكرر في القرآن حتى أصبح صعباً على أي مؤمن أن ينساه:

﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (الآيات ٣٦ وما بعدها من سورة هود)

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ... وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ... إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (الآيات ٥٠ وما بعدها من سورة هود)

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (الآيات ٦١ وما بعدها من سورة هود)

وأما بالنسبة إلى وجود أناس من بني إسرائيل في الأرض قبل المسيح وبعده فالقرآن قاطع في ذلك إذ أنه كان يخاطب - في زمن بعثة محمد ﷺ اليهود الذين كانوا في المدينة (يثرب) وخيبر وتيماء طوراً بكلمة اليهود، وطوراً بكلمة بني إسرائيل على أنهما تعنيان شيئاً واحداً...

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ. وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ (الآيتان ٤٠ و ٤١ البقرة)

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ (المائدة ١٨)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾ (المائدة ٥١).

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ (المائدة ٦٤)

ولكن المجلة الرصينة لم تشر إلى الكلمة التي أرسلتها كما تقتضيه الأمانة العلمية، وحرية الكلمة، ولم تصحح في المقالين شيئاً في الأعداد اللاحقة، وكأنها آمنت بصحة ما جاء في المقالين من كلام غير صحيح وغير منطقي ولم تردّ عليَّ لتصحيح كلامي إذا كانت تعتقد أنني علي غير حق، وكأنها لا تريد لأحد أن يمس قناعتها، ولا أن يبدل فيها شيئاً...

ونحن إذا عدنا إلى الكتب الكثيرة التي بين أيدينا والتي تدعي أنها تتصدى للدعوى الصهيونية بحق اليهود في أرض فلسطين، لما وجدناها تأتي بنص مقنع للعرب قبل الأجانب الذين (تجذَّرت في نفوسهم وصدورهم عقيدة الإيمان بصدق ما جاء في كتب اليهود ـ كما يقولون هم)

وإذا قبلنا نحن العرب والمسلمين بهذه المقولات فمعنى ذلك أنه يتوجب علينا أن نتخلى عن الأخذ بصحة المعلومات التي جاء بها القرآن، وأن نكفر بالإسلام وبالقرآن كنتيجة حتمية لتخلينا عن تصديق القرآن فيما جاء به، ولا نكون قد أفدنا شيئاً من مقولات هؤلاء الكتاب في تحويل العالم المسيحي عن الإيمان بصدق كتب بني إسرائيل، وبالتالي تخلي المسيحيين عن عون اليهود في مطالبهم الباطلة في امتلاك أرض فلسطين، وعودتهم إليها قبل قيام الساعة، لأن هؤلاء الكتاب لم يأتوا بفكرة رصينة واحدة تستند إلى أساس علمي أو ديني متين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ليقبل الناس التحول على أساسه من عقيدة لا تستند إلى أساس منطقي سليم، إلى عقيدة أخرى تستند إلى العلم والمنطق وإلى قول يفرض نفسه.

وستكون النتيجة الحتمية للأخذ بمقترحات هؤلاء الكتاب ومقولاتهم أننا لن نكسب أحداً في العالم المسيحي لا في الشرق ولا في الغرب لأنهم لم يأتوا بشيء مقنع، وسنخسر العالم الإسلامي الذي يرانا نتنكر لحقائق القرآن القاطعة، ونقدم عليها أقوالاً مهلهلة لا تقوم على سند متين، ولا تتفق مع المنطق السليم.

وهكذا نكون قد خرجنا من هذه المباراة بخسارة الدين والدنيا والسند الإسلامي العظيم على طول امتداد الأرض الإسلامية في العالم وهو عون لا ينبغي لأحد أن يستهين به.

إننا نعتقد أن على العرب أن يلجؤ إلى استعمال نفس السلاح الذي يستعمله أعداؤهم ألا وهو سلاح الدين الذي يستطيع وحده أن يقتلع من العقول والقلوب ما استقر فيها عبر عشرات القرون باسم الدين، فكما أنهم استطاعوا أن يجمعوا على عونهم أعداءهم المسيحيين، باسم وحدة الدين، واستناداً إلى مقولات وردت في كتبهم منها ما هو الصحيح ومنها ما هو الملفق، كذلك علينا أن نلجأ إلى السلاح الديني لنرفع الغشاوة عن عيون الواعين المنصفين من اليهود ومن المسيحيين على سواء، فهؤلاء المنصفون والواعون هم عدتنا في حربنا، وإذا استطعنا أن نكسبهم نكون قد حققنا مكسباً عظيماً، وإذا لم نستطع أن نكسبهم إلى جانبنا بالكلية، فقد نكون قد أثرنا فيهم وحملناهم على اتخاذ موقف الحياد بيننا وبين اليهود، وهو مكسب كبير أيضاً يجب أن لا نستهين به.

وستكون دعوة الإيمان التي هي أساس دعوة الله في الأرض التي جاء بها رسل الله وأنبياؤه جميعاً هي سلاحنا لأنها الدعوة المشتركة الواضحة التي يتفقون معنا عليها من حيث المبدأ، ولا يستطيعون مخالفتنا فيها.

ومنها نأمل أن نصل إلى القلوب والعقول، لنغرس فيها اليقين وننتزع منها الباطل، ونصل بها إلى إبطال أسباب القرب الذي يدفع المسيحيين إلى الانحياز إلى اليهود، كما نصل بها إلى إبطال المقولات الصهيونية من أن الله تعالى وعد اليهود بأن يجعل لهم فلسطين ملكاً خالصاً من دون سائر بني البشر.

وقد نصل، ونحن نريد الوصول إلى القلوب المنصفة من المسيحيين إلى قلوب منصفين من اليهود، لم يطلعوا على دعوة الإسلام إطلاعاً كافياً فنصرفهم عن معاداتنا إذا لم نستطع كسبهم بالكلية إلى جانب حقنا.

وما دام المسيحيون وما دام اليهود البسطاء قد قبلوا بما جاء في كتب

بني إسرائيل فلا بد لنا - إذا أردنا التصدي لهم بنجاح - من أن نحاول أن نثبت لهم بطلان ما جاء في هذه الكتب، ونكشف حقيقة المقصود من نصوصها، ونكشف ما دس فيها من تلفيق، وتزوير وتحريف، ليوظف كل ذلك في مصلحة دعاوى الصهيونية اليوم، وهذا لا يكون إلا إذا عمدنا إلى دفع مقولاتهم وهدم أسسها باللجوء إلى عرضها على دعوة الإيمان التي هي دعوة الله الخالدة في الأرض التي جاء بها أنبياء الله ورسله جميعاً إلى أهل الأرض، ولم يأت أحد بغيرها أبداً فهم لا يستطيعون أن يرفضوا الاحتكام إليها، ولا الادعاء بأن المسلمين لفقوها وابتدعوها من عند أنفسهم، لأنها ما زالت آثارها في كتبهم برغم ما جرت من محاولات لتشويهها وتحريفها ... وليس هناك غير دعوة الإيمان سلاح ناجع نستطيع أن نلجأ إليه في محاولاتنا لفصم عرى التحالف المصيري بين المسيحيين في العالم واليهود، وليس غيرها سلاح نستطيع به فتح عيون البسطاء من اليهود والمسيحيين على حقيقة ما جاء في كتبهم عن تسلسل دعوة الإيمان في الأرض إلى أن تجسدت في دعوة الإسلام التي يحملها العرب والمسلمون اليوم ويسعون إلى الحفاظ عليها ونشرها في الأرض كما أمر الله.

المستخلص من تسلسل سير دعوة الإيمان في الأرض يؤدي بنا إلى القول إن دعوة الإيمان. تقول إن الله أنزل شريعته مع آدم لتبقى في الأرض ولكن كان طول العهد على الناس، وتباعد منازلهم يحدث تشوها في عقائدهم، فصارت كل جماعة تفهم دعوة الإيمان بصورة مخالفة لما تفهمها الجماعات الأخرى، فاقتضت إرادة الله أن يرسل من حين إلى آخر رسلاً وأنبياء ليجددوا للناس دعوة الإيمان وليرشدوهم إلى الدعوة الحق لعلهم يهتدون إلى الصراط المستقيم.

وتتابع الرسل وكلما جاء رسول كان يبذل جهده لإعادة الناس إلى حظيرة الإيمان ... وحينما تشوهت دعوة موسى بفعل بعض الأحبار والكهنة من بني إسرائيل، وبعد أن تطاول العهد على الناس أرسل الله المسيح إليهم ليصحح مسار الدعوة، وليهديهم إلى الدعوة الحق.. فقاومه

اليهود وتآمروا عليه؛ ولكن دعوة عيسى تشوهت كما تشوهت دعوة موسى، وصار الإنجيل أناجيل مختلفة ويجد الانسان فيها نصوصاً متعارضة في كثير من الأحياء ويجد في بعضها أشياء ولا يجد مثيلاً لها في الأناجيل الأخرى. وأحرقت الكنيسة مالا يتفق في نصوصه مع عقيدة التثليث التي أخذت بها في مؤتمر نيقة عام ٣٢٥ فأرسل الله محمدا.، كآخر نبي إلى أهل الأرض لتبقى دعوة الإيمان التي جاء بها سليمة لا يداخلها تخليط ولا تشوه، ولتستمر في الأرض حتى يرجع الخلق إلى الله.

وقد أشار الله إلى أنه كان يستحفظ رجال الدين على شريعة الله، فكان تقادم العهد يؤدي بالضرورة إلى تباعد الناس في الموطن، وهذا يؤدي إلى تشوه صفاء دعوة الإيمان في أفهام الناس..

أما دعوة الإيمان التي أنزلها الله في القرآن فقد أعلن تعالى أنه سيحفظها هو ولن يكل حفظها إلى أحد من الخلق.

وبما أن محمداً هو آخر الرسل فقد أراد الله أن تحفظ شريعته، فقام محمد ومن بعده بتسجيل جميع القرآن فور نزوله، وتم جمعه وترتيبه فحفظ من ذلك الحين من أن يتعرض لشيء من التبديل والتحريف؛ ومنذ ١٤٠٠ سنة وحتى يومنا هذا لم يتبدل من القرآن شيء وسجل المسلمون في القرن الثاني للهجرة أحكام السنة كما عرفها أصحاب رسول الله وطبقوها في عهده، وهي تفاصيل أحكام الدين الإسلامي وما جاء في القرآن.. فأصبحت الديانة الإسلامية متكاملة الأحكام مفصلتها، وأصبح بإمكان كل واحد من خلق الله أن يعرفها ويعيها ويفهمها. وهذا دليل على أن محمداً هو آخر الأنبياء إلى أهل الأرض.

أما كيف ستوصلنا دعوة الإيمان إلى ما نرمي إليه من كشف الحقائق للرأي العام الغربي، فذلك ما نبذل جهدنا لنوضحه في هذا الكتاب.

ونستطيع أن نقول منذ الآن إن دعوة الإيمان هي دعوة الله الخالدة في الأرض منذ أن أهبط آدم وزوجه إليها، وأمر الله الخلق بأن يأخذوا بها أخذاً كاملاً بدون تراخ ولا توسع، ليعرفوا ما يريد خالقهم منهم أن

يفعلوه في حياتهم، ليرضى عنهم، فلا يؤاخذ أحداً منهم عن فعل لم يكن يعلم أن الله لا يريده، وذلك بدون شك رحمة منه بخلقه، ليهتدي الناس بهدى الله، أما من ضل فإنما يضل على نفسه، وبفعله هو، فلا يبقى له عذر يعتذر به أمام الله يوم الحساب في الآخرة، فيقول إنني لم أكن أعلم أن ذلك مما يغضب الله، أو أن ذلك من الأشياء التي حرمها الله. وقد فصلت دعوة الإيمان التي جاء بها الأنبياء والرسل الأمر للناس تفصيلاً كافياً لكيلا يضلوا بعدها أبداً. أما من ضل، وقد توضحت له الأمور، فيكون قد تعمد الضلالة، وعليه أن يتحمل مسؤولية عمله يوم القيامة أمام ربه.

وكانت دعوة الإيمان تتعرض خلال مسيرة الحياة الإنسانية إلى بعض التشوه بفعل الناس، ولكن الله برحمته لعباده كان يرسل بين حين وحين نبياً أو رسولاً ليعرِّف الناس بدعوة الله، وليدعوهم إلى الإقلاع عما هم فيه من الضلالة والخروج عن جادة الهدي التي أرادها الله لعباده.

وتتالى رسل الله وأنبياؤه منذ نوح حتى عيسى عليهم السلام، ومن يرجع إلى كتب أهل الكتاب التي هي بين أيدي الناس اليوم يجد أن دعوة الله قد تشوهت تشوهاً كبيراً، وابتعدت عن الخط المستقيم الذي أنزله الله، وقد جاء عيسى ليصحح المسار، وليعيد بني إسرائيل إلى جادة الهدى وحظيرة شرع الله، فلم يقبلوا وتآمروا عليه ليقتلوه. ويقول الحواري برنابا في إنجيله عبارة معبرة نقلها عما كان يقوله كهنة اليهود والكتبة والزعامات الدينية اليهودية، إذ قالوا فيما بينهم "إنهم يستطيعون خداع الله، وستر عيوبهم ومخالفاتهم عنه، ثم إنهم يستطيعون غش الله بالتظاهر بالتوبة والصلاح فيرضى عنهم، ويكفر عنهم خطاياهم. أما المسيح فإنه إذا تمكنت دعوته في الأرض، وتابعه الناس، فإنه لن يقبل منهم إلا بالعودة إلى شريعة الله التي جاء بها موسى كما أنزلها الله، والأخذ بها أخذاً كاملاً. وهو شيء لا يناسب الزعامات الدينية ولا عامة الناس..."

والتسلسل المنطقي ـ وهو ما يصرح به القرآن ـ يشير إلى أن دعوة

الإيمان يجب أن تبقى في الأرض سليمة من كل شائبة لكي يعرفها الناس على حقيقتها إلى أن يرجعوا إلى الله. وهذا يقضي بأن يأتي آخر نبي بهذه الشريعة التي سيحفظها الله، وتبقى صالحة للعمل بها ما دام للبشر وجود على الأرض؛ وبما أن جميع الدعوات السابقة لدعوة محمد قد خالطها ـ وباعتراف أهلها أنفسهم ـ التشوه والتحريف والتبديل، وكان الأنبياء يأتون بعد أن تحرَّف الشريعة ويشعر الناس بالضياع ليصححوا المسار.

والدعوة الوحيدة التي صانها الله وحفظها كما نزلت قبل أربعة عشر قرناً هي الدعوة التي جاء بها محمدﷺ فقد دون القرآن فور نزوله، ورتبت سوره وآياته بوحي من الله في حياة محمد، وبقي كذلك إلى يومنا هذا وسيبقى ـ نظراً لوعد الله بذلك ـ لا ينقص منه حرف ولا يزاد عليه حرف.

كما دونت السنة والتطبيقات العملية لشريعة الله كما بينها الرسول وأصحابه من بعده في جيل التابعين الأول، وقد نقلوا ذلك عن الصحابة الذين أُخذوا عن الرسول مباشرة.

وهكذا فإن جميع تفاصيل دعوة الله التي أنزلها على محمد ﷺ قد حفظت ودونت، فلم يداخلها تحريف ولا تبديل. وهكذا يقتضي منطق تسلسل دعوة الإيمان في الأرض أن يكون محمد آخر نبي يبعثه الله، وأن تكون شريعته آخر شرائع الله إلى أهل الأرض، وهذا ما قاله القرآن الكريم. وإشارة القرآن هذه يمكن أن تتخذ دليلاً على صدق رسالة محمد، لأنه لا يستطيع أحد من البشر أن يدعي أن شريعته لن يقع فيها تبديل بعد وفاته، أو بعد أن يتطاول العهد على تعامل الناس بها في المستقبل القريب أو البعيد، كما حدث في الشرائع القديمة كلها مما استدعى أن يرسل الله الرسل تترى إلى أهل الأرض، ولا يستطيع ذلك إلا الله، الذي وسع كل شيء علماً. وتقول دعوة الإيمان إن الله واحد لا شريك له ولا ند ولا صاحبة ولا والد ولا ولد، وإن الخلق جميعهم خلقه وعبيده. وعليهم أن يدينوا له بالطاعة والعبادة. وإن الله يرسل الرسل والأنبياء، مع كتب

تتضمن دعوة الإيمان ليقوم الرسل والأنبياء بالاهتداء بها في دعوة الناس إلى الله. وقد أمر الله أتباع الرسل والأنبياء السابقين بأن يتبعوا النبي المرسل الجديد(١) وأن يأخذوا بما جاء به من شرع قد تكون فيه تفاصيل للعبادات تختلف عن العبادات التي جاء بها من تقدمه من الرسل والأنبياء، وذلك تمشياً مع ضرورات العصر، ومناسبة لعقلية القوم وحالهم في مجتمعهم، وهكذا فإنه ينبغي على أهل الديانات السابقة أن يتبعوا آخر نبي أو رسول أرسله الله إلى أهل الأرض لتبقى دعوة الله واحدة في الأرض، في كل زمان ومكان فلا يكون هناك دينان متعارضان. وهذا ما أشار إليه الحواري برنابا في إنجيله من أن كهنة اليهود وزعماءهم الدينيين تواطأوا على المسيح للتخلص منه ومن دعوته لأنهم لا يريدون التخلي عن الشرع المشوه الذي كانوا يأخذون به يوم بعث السيد المسيح، لأن هذا التشوه إنما حدث بفعل الكهنة والزعامات الدينية التي اتخذت الدين وسيلة للكسب والسيطرة في المجتمع، وتأمين العيش الرغيد على حساب الشعب المسكين ... واليهود والمسيحيون يقرون بذلك ولا ينكرونه.. فجاء السيد المسيح ليعيد الناس إلى الأخذ بشريعة الله، وجاء قبله رسل وأنبياء آخرون كانت تلك مهمة رسالتهم... فحينما يداخل التشوه شريعة الله بفعل الكهنة والزعامات الدينية، يرسل الله نبياً آخر ليذكر الناس بدعوته الخالدة ويدلهم على أساسها الصحيح، ولكن رسالة الله ما تلبث أن يخالطها التشوه مرة أخرى...

وكانت رسالة محمد آخر رسالات الله إلى أهل الأرض(٢) فأعادت صياغة دعوة الله من جديد، وأبرزتها بتفاصيلها حتى لا يبقى في نفس مخلوق من البشر شك في شيء منها، وأعلن الله نبيه والمؤمنين من بعده والناس جميعاً، أنه سيحفظ دعوة الإيمان التي تضمنها كتابه القرآن، لتبقى

---

(١) سورة المائدة آية ١٢.

(٢) ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب ٤٠)

سليمة في الأرض حتى تقوم الساعة. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

وقد صدق الله فيما قال، فهذه دعوة الإسلام وكتاب الله القرآن محفوظان بحفظ الله ورعايته منذ ١٤٢٥ سنة، وسيبقيان كذلك بحفظ الله إلى أن تقوم الساعة ويرجع الخلق إلى الله.

وهكذا اقتضت الضرورة أن تكون رسالة محمد حقاً وصدقاً، وأن يكون القرآن الذي اشتمل على دعوة الإيمان حقاً وصدقاً، وأن الله لن يبعث نبياً بعد محمد لأن دعوة الله أصبحت سليمة واضحة صريحة يعرفها الناس بجميع تفاصيلها. وهذا ما تؤدي إليه دعوة الإيمان بالاستقراء والتسلسل المنطقي.

ودعوة الإيمان تقول إن الله حق، وإن وعده حق، وقد وعد إبراهيم بأن يسكنه أرض فلسطين لينشر فيها هو وأنساله دعوة الله بين شعوبها التي انحرفت عن دعوة الله، وعبدت الأصنام والأوثان. وتعترف كتب بني إسرائيل بأن الله وعد إبراهيم، ولا يرجع الله في وعد قطعه على نفسه، ولا يعطل ما وعد به، ولذلك فإن الوعد لإبراهيم لا يمكن أن يتكرر لإسحاق، ولا يمكن أن يتكرر من بعد إسحاق ليعقوب، وإنما يسير وعد الله لإبراهيم في طريقه التي سنها الله بحسب قوانينه التي عرفها أنبياء الله، ومنها قانون الوراثة الذي حرم على الأب تقديم أحد أبنائه على البكر من أبنائه، إذا كان يحبُّ أم الابن المقدم، ويكره أم البكر...... وأنبياء الله لا يمكن أن يخالفوا أمر ربهم.

ثم إن كتب بني إسرائيل تقول إن يعقوب تواطأ مع أمه على أبيه إسحاق ليفوز ببركته، ويحرم منها أخاه الأكبر عيسو صاحب الحق في ولاية عهد أبيه.. ودعوة الإيمان تقول إن أنبياء الله معصومون عن الوقوع في الدنايا، ولا يحتالون ولا يغشون، ولا

---

(١) الحجر الآية ٩

يتآمرون على تعطيل شيء مما قضاه الله، بل يأخذون به، ويسلمون باحترامه تسليماً مطلقاً.

ثم إن البركات لا يمنحها إبراهيم ولا إسحاق ولا يعقوب، وإنما تأتي البركات من الله، فمن باركه الله فهو المبارك ولا يستطيع مخلوق أن يمنح بركة لمخلوق آخر.. ثم إن الله لا يمكن أن يقبل بأن يفرض عليه البشر أمراً واقعاً حسب مشيئتهم وأهوائهم، ولذلك فإنه لا يقبل بأن يكون أنبياؤه محتالين متآمرين، يعملون عن عمد على تبديل ما قضاه الله في الكون.. فإذا كان قانون الوراثة الذي كان يعمل به إبراهيم وأنساله يقضي بأن تذهب زعامة البيت إلى الابن البكر، فمعنى ذلك أن يتقدم إسماعيل على إسحاق، وأن يتقدم عيسو على يعقوب..ولا يعقل أن يعمل إبراهيم أو سارة أو إسحاق أو زوجة إسحاق على تبديل شيء مما قضاه الله...

وتقول دعوة الإيمان إن الله خلق الناس جميعاً من ذكر وأنثى فهم متساوون في الخلق، ولا يتفاضلون لديه إلا بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، أما ما سوى ذلك من عروض الدنيا فليس له حساب في ميزان الله. وعلى هذا فليس لأبناء يعقوب ميزة على أحد من خلق الله، بسبب قرابتهم من الأنبياء، إذا كانوا هم غير مؤمنين وغير صالحين. وإن أي مؤمن مخلص، أبيض أو أسود، من أي جنس كان، فإنه يجد الكرامة والزلفى عند الله أكثر ممن انتسب إلى نسل الأنبياء والصالحين، إذا كان هو غير مؤمن، وغير صالح.

ومن يرجع إلى كتب بني إسرائيل يجد أن الكفر والفساد والشر أصبح كل ذلك طبيعة لليهود، وخلقاً من أخلاقهم وهم اليوم أسوأ حالاً، وأكثر كفراً وفساداً وكرهاً لخلق الله من أسلافهم الأوائل الذين أتت كتبهم على ذكرهم فكيف يجدون الكرامة والرضا عند الله؟ وكيف يكونون أكرم على الله من المؤمنين؟ وكيف يختارهم الله على أهل الإيمان الخالص؟ تلك أماني باطلة يتمنونها.

وتقول دعوة الإيمان إن الله هو وحده صاحب السلطان المطلق في الوجود كله، لا يشركه في حكمه أحد من خلقه، ولا معقب على حكمه، ولا يستطيع أحد في الوجود أن يبدل شيئاً مما قضاه.

وإذا عدنا إلى ما قرره الفاتيكان من تبرئة اليهود من دم المسيح (ابن الله كما يقولون هم ورسول الله عند الموحدين من النصارى والمسلمين) الذي قال اليهود إنهم صلبوه واقر بذلك المسيحيون... نجد أن قرار الفاتيكان جرأة بالغة على الله، وتصرف في أمر عظيم قضاه الله بدون إذنه ورضاه، وهو أمر لا يقبله الله ولا يرضاه، ولا يسمح به، وبالتالي فإنه لا مفعول له عند الله، ولا نفاذ له لديه، فإذا لعن الله اليهود بسبب كفرهم برسالة ربهم، وتواطؤهم على قتل رسوله الكريم، فإن أحداً من خلق الله لا يستطيع - مهما علت مرتبته - أن يعطل ما قضاه الله. والمسيحيون يقولون إن المسيح ابن الله، ولذلك فانتقام الله من قتلة ابنه هو من أخص الأمور اللاصقة به، فكيف أجاز الفاتيكان لنفسه بأن يتصرف عن الله، ويلغي لعناً قضاه الله على اليهود...؟!

وتقول دعوة الإيمان إن الإنسان مؤاخذ بعمل نفسه ولا يحمل شيئاً من عمل غيره، ولكن إذا قبل الإنسان بعمل سيئ قام به أسلافه، وتصرف على أساس الرضا بما تم، ولم يستنكر فعل أسلافه، فإنه يكون كمن شارك أسلافه في عملهم السيء، وبالتالي يصيبه ما يصيبهم من عقاب. فاليهود الذين جاؤوا بعد المسيح - وحتى يومنا هذا - قبلوا بما قيل من قتلهم المسيح، وصلبه وتعذيبه والكفر برسالته، وهم حتى يومنا هذا يلقنون أبناءهم منذ نعومة أظافرهم كره المسيح والمسيحيين، فيشبون والكفر برسالة المسيح متمكن من قلوبهم، وكره المسيح والمسيحيين متأصل فيهم وبالتالي فإنهم يكونون قد قبلوا بما فعله أسلافهم من فعل معاد للمسيح رسول الله، ومسئ إليه.

ولذلك فإنه لا صحة لما قرره الفاتيكان من أن يهود اليوم لم يشاركوا في صلب المسيح، وإنما قام بذلك أسلافهم، ولذلك فإنه يبرئهم من دم

المسيح.. فاليهود قبلوا بذلك واعتقدوه، ورضوا به، والدليل على ذلك إقامتهم على الكفر برسالة المسيح، وإقامتهم على كره المسيح وشتمه.. وتلقينهم أبناءهم ذلك.

ودعوة الإيمان تقول إن الله لا يخلف وعده أبداً، فإذا أعطى شيئاً لأحد من خلقه فإنه لا يسلبه إياه إلا بسبب [1] فإذا كان الله وعد إبراهيم بالسكنى في أرض فلسطين، أو بمنحه أرض فلسطين ملكاً أبدياً، كما تقول كتب بني إسرائيل، فلا يمكن أن يعيد الله الوعد ويخصص الأرض لاسحاق، ثم أن يعيد الوعد بعد إسحاق ليخص يعقوب به...لأنه بعد الوعد الأول لم يبق شيء يعد الله به أحداً من أنسال إبراهيم، إسحاق ويعقوب، وإنما ينصرف وعد الله لإبراهيم في طريقه الطبيعي حسب قانون الوراثة فيخص به المؤمنين من بعده من أبنائه.. وبما أن إسماعيل هو الولد البكر لإبراهيم، وأن التوراة تنص على تفضيل البكر في الميراث على الأبناء الآخرين، وبما أن التوراة تعترف بأن الله أثنى على إسماعيل، كما فعل ذلك القرآن أيضا، ووعد الله بأنه سيجعله شعباً عظيماً، وليس في كتب بني إسرائيل، ولا في القرآن ولا في أي كتاب آخر، أن إسماعيل قصر في عبادة ربه، أو أن الله قد غضب عليه فسلبه حقه من ميراث أبيه إبراهيم، فمعنى ذلك أن النصوص الواردة في كتب بني إسرائيل عن تجديد العهد بالأرض لإسحاق ثم ليعقوب من بعده، ثم لينتقل الميراث بعد ذلك إلى أنسال يعقوب.. هي نصوص محرفة ومدسوسة، وليست هي من أصل التوراة في شيء. وسنجد في هذه الدراسة كثيراً من النصوص المحرفة. وقد أشارت كتب بني إسرائيل نفسها ـ على لسان أنبيائهم ـ إلى إقدام الكهنة ورجال الدين على التحريف في النصوص كيف شاءت لهم أهواؤهم.. وإن ما أدخله اليهود من نصوص محرفة لا يمكن أن تعطيهم حقاً في شيء من أرض فلسطين، لا سيما وأنهم كفروا جميعاً تقريباً بالله، وكذبوا رسله،

---

(١) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ (الآية ٥٣ الأنفال)

وعبدوا الأصنام والأوثان وأساؤوا العمل، وتعاملوا بالربا، وأكلوا الرشى، وتفشى فيهم الزنا واللواطة... وكل ذلك مما حرمه الله. ولم يقم الشعب اليهودي ولا عقلاؤه بجهد لوقف هذا الفساد المستشري، ولا عملوا على العودة إلى شرع الله الخالص.. وهذا واضح كل الوضوح في النصوص التي تخيرناها من كتبهم.. ولذلك فإن اليهود ليس لهم حق في شيء من أرض فلسطين.

ودعوة الإيمان تقول إن وعد الله حق، ووعيده حق، وإن ما قضاه الله سيقع ولا يملك أحد في الوجود أن يمنع وقوعه، فإذا قضى الله لإبراهيم بأرض فلسطين، فإن ذلك يعني أن تكون للمؤمنين المخلصين من أبنائه من بعده، ولا يستطيع أحد أن يحول دون تحقيق إرادة الله.. ولو كان اليهود أصحاب حق في شيء من أرض فلسطين - كما يدعون هم - لما زال حكمهم المحدود في بعض أجزائها منذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة، ولما زال كيانهم منها بالكلية منذ ١٩٠٠ سنة أي منذ أن قهرهم طيطيوس الروماني عام ٧٠ للميلاد، وسباهم وهدم مقدساتهم، وشتتهم في الأرض، ولم يعودوا إليها إلا في مطلع هذا القرن.. وهذا الانقطاع الطويل جداً، يعني أن اليهود لم يكن لهم شيء من وعد الله لإبراهيم بأرض فلسطين، ولا كرامة لهم لديه..

وبينما انقطعت صلة اليهود بأرض فلسطين منذ ألفي سنة أقام أنسال إسماعيل فيها، وعاشوا فيها وعمروها وجاء الإسلام فنشر العرب دعوة الله فيها، وبسطوا سلطانهم عليها، ثم لم تخرج من حكمهم ابداً، ولم يحدث في حكمهم انقطاع طويل يزيل صفة الديمومة عنها، وقد تعرضت أرض فلسطين لغزو صليبي قلص الحكم العربي الإسلامي فيها، ولكن بقي الشعب المسلم فيها، يتابع حياته وإعماره للأرض. ولم يشعر العرب ولا المسلمون أن انقطاع صلتهم بفلسطين كان انقطاعاً أبدياً ونهائياً وإنما كانوا يتطلعون إلى العودة إليها، ويلحون بالحروب على الغاصبين حتى ظفر بهم صلاح الدين في معركة حطين (بعد قرابة ٩٠ سنة من احتلالها)

فأخرجهم من أكثرها، وتطلع هو ومن خلفوه في الحكم دائماً إلى طرد الصليبيين من الشرق كله لا من فلسطين وحدها، فكان لهم ذلك بعد مئة سنة أخرى.

وهذا الواقع يؤكد دون حاجة إلى برهان آخر بأن الوعد بأرض فلسطين الذي زوره اليهود في كتبهم ليجعلوه لإسرائيل ونسله من بعده خالصاً لهم من دون الناس.. هو وعد مكذوب ولا أساس له من الصحة، وأن الصحيح هو إنه وعد لإسماعيل وأنساله لأنه الابن البكر لإبراهيم، وأنسال إسماعيل هم العرب، ومن تابعهم على دينهم من المسلمين..

وهكذا تكون دعوة الإيمان قد أوصلتنا بالحجة والمنطق إلى أن اليهود لم يكن لهم وعد من الله في أرض فلسطين وأن ما دسوه في كتبهم عن ذلك هو تلفيق من جملة تلفيقاتهم الكثيرة ولا يعطيهم حقاً أبداً. وأن أصحاب الحق هم العرب أنسال إسماعيل، ومن تابعهم على الإيمان برسالة الله إلى حفيده محمد ﷺ.

التحدي الخالد

سيقول قائل إنكم تحتجون في هذا البحث بما جاء في القرآن على بني إسرائيل، وهم لا يؤمنون به، ولا يقرون بأنه منزل من عند الله، ولو أقروا به لآمنوا به وبالرسول الذي أُنزل عليه، ثم إن هناك آخرين سيقرأون هذا البحث، وهم لا يؤمنون بالقرآن ولا يقرون بأنه منزل من عند الله، ولذلك فلا يمكن أن يكون ما جاء فيه عن بني إسرائيل حجة عليهم.

ولا شك في أن هذه الملاحظة وجيهة، وقد كانت نصب العين حين مواجهة هذا البحث. فنحن لم نستشهد بالقرآن لنقيم الحجة على بني إسرائيل إلا بعد أن تلافينا هذا النقد الوجيه. فهذا البحث هو فصل في دراسة مطولة أعددناها ونشرناها في كتاب مستقل تحت عنوان (دعوة الايمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب) وقد كان الهدف منها الوصول بالقارئ - بالحجة والدليل العقلي - إلى أن القرآن لا يمكن أن يكون من

كلام البشر. ولا يمكن أن يكون بصورة خاصة من كلام محمد الذي ولد في مكة يتيماً، وعاش فيها فقيراً أمياً. وكان مما أوردناه في هذه الدراسة الفقرات التالية .

ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً

تحدى القرآن كفار قريش، ومن خلفهم أهل الأرض جميعاً، أن يجدوا في القرآن اختلافاً وتناقضاً، في شيء مما جاء فيه.

فالقرآن على ضخامة الموضوعات التي تناولها لم يقع فيه تناقض، ولا تعارض، ولو كان من صنع محمد وتأليفه وإملائه على من حوله من كتاب الوحي، خلال ثلاث وعشرين سنة، لوجب بالضرورة أن يقع تناقض وتعارض بين بعض فصوله وبعض موضوعاته ولوجب أن يعود عليه بالتعديل والتصحيح من حين لآخر، ليوفق بين الأقوال المتعارضة، ويزيل التناقض الذي يظهر لا سيما وأن القرآن نوَّع القول في بعض الموضوعات أكثر من مرة ليقربها إلى الأفهام. وذلك من طبيعة عمل البشر. وقد تحدى الله البشر أن يجدوا في القرآن تعارضاً وتناقضاً واختلافاً فقال:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

(الآية ٨٢ من سورة النساء)

ولم يستطع أحد من خلق الله أن يجد في القرآن شيئاً من التعارض منذ ١٤٠٠ سنة حتى يومنا هذا، ولن يجدوا شيئاً مما يبحثون عنه حتى تقوم الساعة لأن المتحدي هو الله.

قل إن كنتم في ريب... فأتوه بسورة من مثله

وتحدى القرآن العرب، ومن خلفهم أهل الأرض جميعاً، أن يأتوا بسورة من مثل ما جاء في القرآن، وقال لهم إنهم لن يستطيعوا ذلك، ولو أشركوا معهم الأنس والجن في العمل. وقد بدأ القرآن بالتحدي فطلب من كفار قريش أن يأتوا بمثل القرآن؛ ثم لما بان عجزهم طلب إليهم أن يأتوا بعشر

سور من مثله يقولونها هم؛ ثم زاد في تحديه إياهم فطلب إليهم أن يأتوا بسورة واحدة، فعجزوا. فقال لهم إنهم أعجز من أن يستطيعوا شيئاً من ذلك ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الآية ٨٨ الإسراء).

ثم قال لهم إن القرآن هو كلام الله، ولن يستطيع بشر أن يفتري مثله، ويدعي أنه من كلام الله، لأن الله أعلم رسوله والناس أجمعين، أنه تعهد بأن يحفظ القرآن، ويصونه من التبديل والتحريف، ولن يكون حظ القرآن كحظ الكتب الأخرى التي نزلت على الأنبياء السابقين، لأن القرآن هو آخر كتب الله إلى أهل الأرض، فوجب أن يبقى سليماً مصوناً لا يطرأ عليه تحريف، أو تشويه لتبقى شريعة الله بين الناس سليمة حتى يرجع الخلق إلى خالقهم.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (يونس ٣٧)

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر ٩).

تحدث القرآن عن أشياء مستقبله بصيغة الجزم

وتحدث القرآن-وهو يحاول اقناع الكفرة بصدق رسالة محمد- فقال إن الكتاب الذي ينزل عليه ليس من قول محمد، وإنما هو قول رب العالمين. وقد تعرض القرآن لأشياء بصيغة الجزم، وهي من الأشياء المستقبلية التي لا يستطيع بشر، مهما أوتي من القوة والسلطان، أن يضمن وقوعها بالصورة التي قال القرآن عنها إنها ستقع فيها؛ وسنعرض فيما يلي بإيجاز كبير إلى حالات قليلة من تلك الحالات التي أشرنا إليها:

والله يعصمك من الناس

أمر الله رسوله بالقيام بواجباته في إبلاغ دعوة الله إلى أهل الأرض، وضمن له أنه لن يصيبه أذى من مخلوق في الأرض. ووثق محمد بوعد ربه، فقال لمن كان يحرسه من أصحابه: لا حاجة لي بحراستكم بعد اليوم فقد عصمني الله من أن تصل إلى يد بأذى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ... وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (الآية ٦٧ المائدة)

وأمضى رسول الله بقية حياته - بعد نزول هذه الآية - دون أن يقوم أحد من أصحابه بحراسته، ولم تصل إليه يد بشر بسوء، مع كثرة من كانوا يتحرقون غيظاً منه، ويتمنون أن تصل إليه أيديهم بشر. وإنزال هذا القول على الرسول قبل موته بمدة طويلة، ثم تحققه بتمامه، يدل على أنه لا يمكن أن يصدر عن بشر، لا محمد ولا غير محمد، مهما علت مرتبته، وعظم سلطانه في الأرض؛ وأصبح من الواجب بالضرورة أن نعترف بأن هذا القول لا يقوله إلا رب العالمين، ذو العظمة والجلال والسلطان.

أشار إلى أشخاص قال إنهم سيموتون على الكفر

أعلم الله رسوله محمداً ﷺ أن أناساً عينهم له بأسمائهم سيموتون على كفرهم؛ وقد تحقق ذلك بتمامه ولم يشذ أحد منهم عن أمر الله وقضائه، مع أنه كان هناك كثيرون غيرهم أشد منهم إيغالا في الكفر والتكذيب، آمنوا بعد ذلك برسالة محمد، وماتوا مؤمنين.

ونورد على ذلك الأمثلة التالية:

١ - كان للرسول عم يدعى أبا لهب، وكان هو وزوجه أروى بنت حرب (أم جميل) من أشد الناس عداء لرسول الله؛ وفي بدء الدعوة جمع رسول الله رجال قريش وقال لهم: لو قلت لكم إن خيلاً ستغير عليكم أكنتم تصدقونني؟ قالوا نعم فما جرَّبنا عليك قبل اليوم كذباً. فقال لهم إني رسول الله إليكم بين يدي عذاب أليم. فقال له أبو لهب: ألهذا دعوتنا تباً لك؟

فأنزل الله تعالى فيه سورة المسد ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾.

فكانت تلك السورة إيذاناً من الله لأبي لهب وامرأته بأنهما سيموتان

على كفرهما، وسيكون مصيرهما في نار جهنم. وكان الأمر كما قال الله تعالى، فقد ماتا بعد غزوة بدر على الكفر.

باع أحد المسلمين بضاعة لأجل إلى العاص بن وائل السهمي. وكان العاص من زعماء الضلالة والكفر، وكان كثير الإيذاء للرسول، والاستهزاء به. وحينما حل أجل الوفاء ذهب المسلم إلى العاص يطلب إليه الوفاء، فقال له العاص: والله لا أدفع إليك دينك حتى تكفر بمحمد. فقال له المسلم والله لا أكفر بمحمد حتى تموت وتبعث وتحشر إلى نار جهنم. فقال له العاص مستهزئاً بالحشر والحساب.. والله إذا أنا بعثت في ذلك اليوم وأتيتني ستجدني ذا مال وفير وبنين فأدفع لك مالك.. فأنزل الله فيه قوله الكريم:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا . أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا . كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا . وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (الآيات من ٧٧ إلى ٨٠ سورة مريم).

فكان ذلك إيذاناً من الله بأن العاص سيموت على كفره، وكان الأمر كما قاله الله تعالى، فمات العاص كافراً في مكة.

كان الوليد بن المغيرة المخزومي سيداً عظيماً من سادات قريش كثير المال، كثير الأولاد، عظيم الجاه، وكان يقال له الوحيد لعظم زعامته.. وقد سمع الوليد يوماً رسول الله وهو يقرأ القرآن في داره فوقف يستمع من خلف الجدار إلى ما يتلوه محمد من القرآن، ولما انتهى الرسول من تلاوته انصرف الوليد إلى نادى قومه وقال لهم: (لقد سمعت محمداً آنفاً يقول كلاما، ما هو من كلام الإنس، وما هو من كلام الجن، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمورق، وأسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه) فقالوا له فما هو إذا؟ فقال لا أدري. ثم انصرف إلى منزله وهو يتفكر فيما سمع ويتساءل عما يمكن أن يكون. وخاف ابن أخيه عمرو بن هشام (أبو جهل) أن يدخل الإسلام إلى قلب عمه فيجرّ كثيراً من زعماء قريش إلى الإسلام، فلحق به إلى بيته، وأخذ يحرضه على محمد،

وعلى الإسلام، ويحذره من الاستسلام لما يسمعه من محمد.. حتى بدل الوليد رأيه، وعاد إلى نادي قومه، فقال لهم إن ما يقوله ليس إلا سحراً، ألا ترون أنه يفرق به بين المرء وزوجه؟ فضج المجلس بالتقدير لقول الوليد هذا. فأنزل الله فيه قوله:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً . وَبَنِينَ شُهُوداً . وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً . سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ (الآيات ١١ - ٢٦ المدثر) وكان ذلك إيذاناً من الله بأن الوليد سيموت على كفره. وقد مات فعلاً على الكفر بعد أن أذله الله، وحطم السيف أنفه يوم بدر.

كان في قريش خمسة نفر من زعمائهم يستهزئون بالنبي كلما مر بهم وهم في مجالسهم فأعلم الله رسوله بأنه سيكفيه أمرهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الآية ٩٥ من سورة الحجر). ولم يلبث المستهزئون أن ماتوا من قريب جميعاً على الكفر. فكان ذلك تصديقاً لقول الله ووعده لرسوله الكريم.

ويبين من هذه الآيات أن القرآن قرر أن أناساً بأشخاصهم سيموتون على كفرهم، فكان الأمر كما قاله القرآن. ولا يستطيع بشر مهما عظم سلطانه، واتسع علمه، وحسن تقديره - إلا إذا كان ذلك بوحي من الله - أن يقرر سلفاً أن أشخاصاً معينين سوف يموتون على الكفر. والذي يستطيع قول ذلك هو الله وحده، لأنه وحده الذي يعلم من يموت على الكفر، ومن يموت على الإيمان؛ والقرآن نزل والأشخاص الذين سماهم القرآن كانوا أحياء، وقد اثبت نص الآيات من قبل كتاب الوحي، وحفظها المسلمون، واعتقدوا بأنها حق وصدق، واخذوا ينتظرون أن ينزل الموت بهؤلاء الكفرة، وهم يعلمون أن القرآن لا يقول إلا حقاً، فكان الأمر كما اعتقدوا..

في زمن يوسف كان يحكم مصر ملك وفي زمن موسى كان الحاكم فرعون

ومن الأشياء الهامة التي تفرد القرآن بقولها (ووجدنا اليوم فقط تفسيراً لها) أن القرآن كان يقول وهو يقص قصة يوسف إن ملكاً كان يحكم مصر. وقد تكررت اللفظة مراراً، بينما نجده يتحدث في قصة موسى عن فرعون يحكم مصر، ولا يأتي على ذكر كلمة ملك مطلقاً. بينما أوردت كتب بني إسرائيل لفظتي ملك وفرعون في قصة يوسف، فمرة تقول الملك ومرة تقول فرعون. ولم يستطع البشر أن يعرفوا السر من وراء استعمال القرآن للفظه ملك في قصة يوسف. وكان الناس يعلمون أن القبط كانوا يطلقون على ملكهم لقب فرعون. واستمر الأمر كذلك إلى أن تم في أوائل هذا القرن اكتشاف حجر رشيد، الذي بيَّن أن مصر كان يحكمها في زمن يوسف الهكسوس (الملوك الرعاة) وهم من العماليق العرب (ويقول ابن الأثير إن الملك في زمن يوسف يدعى الوليد بن الريان[1]). ولم يكن الهكسوس يطلقون على ملكهم في مصر لقب فرعون بل كانوا يسمونه ملكاً. أما في زمن موسى فقد كان القبط قد طردوا الهكسوس من أرضهم، وعادوا إلى إطلاق لقب فرعون على ملوكهم، وهذا الأمر لم يكن يعرفه أحد من قبل لأن بني إسرائيل ذوي العلاقة بتاريخ الحقبتين يذكرون في كتبهم تارة اسم ملك، وتارة اسم فرعون. وطبعاً فإن محمداً لم يكن ليعرف هذه الحقيقة لو لم ينزلها عليه ربه وحياً.

ما جعل الله لرجل من قلبين في صدره

ومما يجري مجرى التحدي للخلق أن الله قال في سورة الأحزاب إنه ما جعل لرجل من قلبين في صدره منذ أن أوجد الله الخلق على الأرض، وسيستمر ذلك قائماً إلى أن تقوم الساعة، فهل يستطيعون أن يدلونا على مخلوق من البشر وجد وله قلبان في صدره؟

---

(١) ابن الأثير الجزء ١ ص١٤٥

الم غلبت الروم... وهم من بعد غلبهم سيغلبون

في أوائل ايام البعثة، وقبل الهجرة، وقعت حرب عظيمة بين الفرس والروم انتصر فيها الفرس انتصاراً كبيراً، وأجلوا الروم عن سوريا، وفلسطين وعن قسم من الجزيرة والأناضول، وحزن المسلمون المستضعفون من أصحاب رسول الله لانكسار أهل الكتاب ونصر المجوس الفرس عبدة النيران، وفرح المشركون بنصر إخوانهم المجوس، وتحدوا المسلمين قائلين: لقد انتصر إخواننا المشركون الفرس على إخوانكم أهل الكتاب، وإننا سننتصر عليكم. ونقل المسلمون مقالة مشركي مكة إلى رسول الله، فأنزل الله على رسوله الكريم الآيات الأولى من سورة الروم ونصها كالآتي:

﴿الم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ﴾

(البضع تستعمل في اللغة العربية لما بين الثلاثة والتسعة، وأكثر ما تستعمل للسبعة). وفرح المسلمون المستضعفون في مكة لهذه الآيات، واستبشروا بقرب انتصار أهل الكتاب على المشركين المجوس. وعلم مشركو مكة بما نزل من قرآن حول قرب نصر محتمل للروم على الفرس فسخروا من المسلمين، ومن توقعاتهم المستقبلة. وتحدي أبي بن خلف الجمحي من زعماء المشركين في قريش صديقه القديم أبا بكر الصديق، الذي آمن برسالة محمد وصدق بالقرآن، أن يجعل بينهما رهاناً على خمسين ناقة. فإن انتصر الروم على الفرس خلال سبع سنوات (كما يفيده معنى بضع) دفع أبي بن خلف لأبي بكر خمسين ناقة. وإن مضت السنون السبع ولم ينتصروا دفع أبو بكر لأبي خمسين ناقة.

وذهب أبو بكر يحدث رسول الله عن الرهان الذي أجراه مع أبي ثقة منه بالقرآن وما يقول، فقال له رسول الله عد إلى أبي وزد في الرهان وزد في الأجل واجعله تسع سنين بدلاً من سبع. وعاد أبو بكر إلى أبي يطلب إليه جعل الأجل لتسع سنين والرهان على مائة ناقة. فقبل أبي الرهان.

وبعد سنوات قليلة هاجر المسلمون إلى المدينة، وهناك وفي السنة

التاسعة لرهان أبي بكر مع أبي، وقعت حرب عظيمة بين الدولتين فانتصر الروم على الفرس انتصاراً باهراً، وأجلوهم عن سوريا وفلسطين وما احتلوه من أراضي الروم في الجزيرة والأناضول... ونكل الروم باليهود تنكيلاً شديداً لما كان لهم من مواقف مخزية من النصارى أهل الكتاب، ومن مذابح تقشعر لها الأبدان.. واعترف أبي بن خلف بخسرانه الرهان وأرسل إلى أبي بكر بمئة ناقة.

ولا يستطيع أحد غير الله ـ لا محمد ولا غير محمد ـ أن يجزم بأن الله سينصر الروم على الفرس خلال تسع سنوات، فقد كانت هزيمة الروم ساحقة أمام الفرس، وما كان أحد يتوقع أن تستطيع دولة الروم أن تقف على قدميها خلال هذا الوقت القصير.. ولكن الله الذي يعلم غيب السموات والأرض، علم بأن الروم سينتصرون على الفرس، فكان الأمر كما قرره هو.

الفصل الأول

معالم معبرة في مسيرة تاريخ اليهود

حكم الفكر الإنساني عبر مسيرة التاريخ الطويلة، مبدأ هام هو أن الإنسان أخ للإنسان وإن اختلف الأصل واللون والعرق والموطن والدين واللغة، فتعايشت الأقوام والأمم في رحاب الوطن تعايشاً أخوياً، وأصبحوا بعد فترات من الزمان، شعباً واحداً تشده المصالح ورابطة الأرض، والحياة المشتركة، وتناسي الناس مع مرور الأيام الأحقاد القديمة والترات، وساد الناس في المجتمع إخاء إنساني.

هجرات إنسانية اندمجت بشعوب الأرض:

لقد نزحت عبر قرون طويلة من التاريخ جماعات كثيرة من أرضها إلى أراض أخرى، ونزلت بين جماعات وأقوام لا ينتمون إليها عرقاً، ولا أصلاً ولا ديناً ولا لوناً .. فتعايشت مع سكان الأرض، واندمجت بهم، وأصبح الجميع شعباً واحداً. حدث ذلك في الماضي في الشرق، وحدث ذلك في الغرب، ومازال يحدث كل يوم في أمكنة كثيرة من العالم.

وتتجلى أبرز مظاهره اليوم في كندا، والولايات المتحدة، وأميركا اللاتينية، واسترالية. ولم يشذ عن هذا المبدأ الإنساني غير اليهود الذين تقوقعوا في جميع المجتمعات التي عاشوا فيها، وظلوا على هامش الحياة الاجتماعية، وكأنهم غرباء يترفعون عن الاختلاط بالجماعات من حولهم، ويأبون الامتزاج بها، وكونوا لأنفسهم، في كل مجتمع، مجتمعاً مصغراً مغلقاً ومعادياً لمن حولهم.

اليهود شعب عادي جميع من حوله في المجتمع:

ويلاحظ المتتبعون لسير تاريخ هذا الشعب في الأرض، أنه شعب كرهته الجماعات من حوله، في كل مجتمع وجد فيه، وحاربته حرباً لا هوادة فيها، وخصته بمعاملة فريدة لم تعامل بها أية جماعةٍ أُخرى تقيم بين أظهرها.

ولو كان ما وقع لليهود اقتصر حدوثه على عصر أو قطر، أو حدث من قبل جماعات عرقية معينة، لما صعب علينا أن نجد لذلك تفسيراً يقوم على إشراك الفئتين في حدوث الخلل في العلاقات، أو يقوم على إلقاء مسؤولية الخطأ على الجماعات الأخرى، ويدفعنا إلى البحث عن السبب في طبيعتها أو في طبيعة أرضها وبيئتها، أو عزو مسؤولية الخلافات إلى سوء تفهم الأقوام عقلية اليهود.

بدأ تاريخهم بالكذب والقتل:

ولكننا في الحقيقة نجد أن تاريخ بني إسرائيل كان سلسلة طويلة من القسوة والإجرام، ومن المآسي والقتل والذبح والتشريد والسبي، والعداء لبني البشر جميعاً.

لقد بدأ تاريخ بني إسرائيل بتآمر أبناء إسرائيل «نبي الله يعقوب» العشرة الكبار على أخويهم الصغيرين يوسف وبنيامين، لأن أباهم إسرائيل - وهو الشيخ الطاعن في السن - كان يحب ابنيه الطفلين يوسف وبنيامين حباً شديداً، وكأنه يريد أن يعوضهما العطف والحنان اللذين سيفتقدانهما إن هو عاجلته منيته وهما صغيران، بحنان وعطف عاجل يضاعفه لهما. ولم يكن يعقوب بدعاً في الناس في ذلك. فجميع من يرزقون الأبناء في شيخوختهم يشعرون بمثل شعور يعقوب، وهو شعور لا يعاب عليهم، ولا يُستنكر، ولا يستهزأ به.

وكان من المفروض في أبناء يعقوب الرجال العشرة الكبار أن يتفهموا شعور أبيهم الشيخ وأن يحترموا عاطفته نحو ابنيه الطفلين، لا أن يحقدوا

عليه وعليهما؛ ومن الغريب العجيب أن يصل بهم الحقد حد التفكير في قتل يوسف أحب الطفلين إلى أبيهم لولا أن تدخلت إرادة الله فألهمت أخاهم الأكبر ليقترح على إخوته صرف النظر عن قتل يوسف والاكتفاء بإبعاده عن أبيهم عن طريق إلقائه في بئر في البرية، فتمر قافلة عابرة تخرجه منه وتحمله إلى أرض بعيدة تبيعه فيها فلا يعرف أحد مكانه بعد ذلك. وينقطع خبره عن أبيه. وهكذا نفذت إرادة الله تعالى، فنجا يوسف من القتل، وتهيأت له الظروف المواتية والأسباب ليصل إلى كرسي الوزارة في مصر وليضطر إخوته العشرة، الذين بالغوا في كرهه وكره أخيه، إلى السجود له احتراماً وخضوعاً وتكفيراً عن جرائمهم بحقه وحق أخيه وحق أبيهم الشيخ.

وإذا كان أجداد بني إسرائيل فكروا في قتل أخيهم الصغير غير مبالين بسفك دمه، وغير متأثرين بما يمكن أن يجره ذلك على أبيهم الشيخ من حزن وعذاب وألم، ثم اتبعوا ذلك بالكذب على أبيهم فزعموا أن ذئباً افترسه وهم يتسابقون في البرية.. إذا كان الأجداد أبناء نبي الله وورثته، فعلوا ذلك فلا يستغرب أن يقوم أحفادهم بعد ذلك بأزمان طويلة، بما هو أدهى وأمر، وأن يرتكبوا كل منكر ليصلوا إلى بغيتهم، وليؤمنوا مصالحهم..

لقد نزل البلاء ببني إسرائيل منذ فجر تاريخهم، وما زال نازلاً بهم حتى يومنا هذا. وسيرافقهم أبد الدهر وحتى تقوم الساعة ويرجع الخلق إلى الله.

وهذا الذي نقوله ليس من قبيل التكهن والرجم بالغيب، ولا هو مظهر لحماس انفعالي وإنما هو اعتقاد منا بصدق ما جاء في كتب بني إسرائيل على لسان أنبيائهم الكرام، وما زال بعضه مثبتاً في كتبهم التي بين أيدي الناس اليوم، برغم ما أحدثه كهانهم فيها من تحريف وحذف لإزالة كل ما لا يتفق وأهواءهم وأمزجتهم.

وقد تأيد ما قاله أنبياء بني إسرائيل عما سيلاقيه هذا الشعب المنكود

بما جاء عنه في القرآن الكريم على لسان محمد رسول الله ﷺ:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[1]

وبما أن وعد الله حق، ووعيده لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يستطيع الخلق أن يبدلوا شيئاً فيما قضاه الله، فإن بني إسرائيل سيحل العذاب بهم أبد الدهر، وحتى تقوم الساعة. وهكذا فإنه كلما اجتمع بنو إسرائيل في أرض، وظنوا أن الحياة صفت لهم، ثار بهم من حولهم من الأقوام والجماعات، وأوقعوا بهم، واضطروهم إلى النزوح والتشرد، فيعودون إلى ما كانوا عليه من الضياع والتفرق والتشتت في أطراف الأرض، ويعاودون البحث عن ذاتهم، وجمع كلمتهم، وتأمين الأمن والاستقرار لأنفسهم.

الإخاء الإنساني هو الأصل والكره والعداء هما الشواذ:

قلنا إن بني البشر عرفوا سبيلاً واحداً للتربية الإنسانية هو تربية النفوس على حب الخير، والإحسان، والمحبة، والإخاء الإنساني، والرحمة بالضعفاء، والمساكين والأطفال، والعجزة، من أي عنصر كانوا، ولأي دين انتسبوا، ومن أي لون خلقوا. كانوا كذلك في الماضي، وهم اليوم عليه، وسيبقون عليه حتى يعود الخلق إلى بارئهم بعد أن يفنى الوجود.

وسنسرد هنا بإيجاز قصتين تؤيدان صحة ما ذهبنا إليه من أن روح الإخاء الإنساني هي التي سادت دائماً العلاقات بين بني البشر، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا اليهود ‹بنو إسرائيل›.

المثل الأول قصة يرويها أسامة بن منقذ إبان الحروب الصليبية:

في آخر القرن الحادي عشر الميلادي ‹أواخر القرن الخامس الهجري› تدفقت على الشرق أعداد هائلة من المحاربين الذين دفعت بهم الكنيسة الكاثوليكية من أوروبا للقضاء على الإسلام وأهله، ولاستنقاذ القبر

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٦٧.

المقدس «قبر المسيح عليه السلام» من أيدي المسلمين. وجرت معارك طاحنة بين الصليبيين الزاحفين على الشرق، وهم يشتعلون حقداً وكراهية للإسلام وأهله، وبين أمم الإسلام التي اندفعت تذود القطعان الزاحفة عليهم. انتصر الصليبيون في بعض المعارك فنكلوا بالمسلمين أبشع تنكيل، وارتكبوا من الفظائع ما تقشعر له الأبدان: في الأناضول وفي انطاكية وفي المعرة والبارة والقدس.

وانتصر المسلمون في معارك أخرى على الغزاة فأذاقوهم بأس المسلمين الشديد ونكلوا بهم تنكيلاً شديداً. واستقر الصليبيون في الشرق، وأقاموا لهم إمارات وممالك، وتطلعوا إلى المناطق الداخلية في سورية يريدون احتلالها ليتخلصوا من الخطر الذي كان يمثله المسلمون فيها على كياناتهم المقامة.

واستمرت الحروب طويلة شاقة، ولكن فترات من السلم كانت تسود بين الجانبين في بعض الأحيان فكان الناس من الجانبين ينتقلون بأمن وسلام إلى مناطق جيرانهم الأعداء لقضاء مصالحهم، والاتجار أو للزيارة والتعرف على حياة هؤلاء الأعداء في مواطنهم.

وكانت شيزر قلعة من حصون المسلمين تقع على صخرة عالية شمالي مدينة حماة على ضفاف نهر العاصي. وكان بنو منقذ الكنانيون يقيمون لهم إمارة مستقلة فيها، تعادي الصليبيين وتنازلهم. وكان أسامة بن منقذ - ابن أخ الأمير الحاكم - أميراً من أمراء البيت وكان فارساً مشهوراً من فرسان المسلمين. وقد أبلى أسامة في مجاهدة الصليبيين أحسن البلاء. ووضع أسامة - بعد أن اعتزل الحياة العامة - كتباً كثيرة، كان من أهمها «كتاب الاعتبار» الذي ضمنه ذكرياته عن حياته العامة والخاصة. وكان من بين ما قصه أسامة في كتابه الاعتبار القصة الطريفة التالية عن بسطاء الفرنج ونظرتهم الإنسانية.

مثل من إنسانية بسطائهم في الطب

قال أسامة:

ومن عجيب طبهم أنه كان عندنا في شيزر صانع يقال له أبو الفتح له ولد قد طلع في رقبته خنازير (نوع من الدمامل)، وكلما ختم موضع فتح موضع، فدخل أنطاكية في شغل له وابنه معه. فرآه رجل إفرنجي فسأله عنه فقال هو ولدي. قال «الإفرنجي»: تحلف لي بدينك إن وصفت لك دواء يبرئه لا تأخذ من أحد تداويه به أجراً حتى أصف لك دواء يبرئه؟ فحلف له «أي أبو الفتح». فقال له: تأخذ أشناناً «نوع من النبات له خاصة التنظيف» غير مطحون، تحرقه وتُربه بالزيت والخل الحاذق، وتداويه به حتى يأكل الموضع ثم خذ الرصاص المحروق وربه بالسمن، ثم داوه به فهو يبرئه، فداواه «أي أبو الفتح» بذلك فبرئ، وختمت تلك الجراح، وعاد الولد إلى ما كان عليه من الصحة. وقد داويت بهذا الدواء من طلع فيه هذا الداء فنفعه، وأزال ما كان يشكوه[1].

والمثل الثاني حديث وقع في عام ١٩٨٩:

في يوم من أيار عام ١٩٨٩ عرضت شاشات التلفزيون - عبر الأقمار الصناعية - عملية جراحية أجراها الطبيب العربي مجدي يعقوب في لندن لرجل هندي، في حوالي الخامسة والستين من عمره، لاستبدال قلب جديد بقلبه المريض. وجاء دور الرجل في إجراء العملية، وباتوا ينتظرون الحصول على قلب. وسنحت الفرصة للحصول عل قلب حينما قتل شاب انكليزي في حادث سير، فتبرع أهله بقلبه لمن يمكن أن يفيد منه. وأعلنت إدارة المستشفى عن موعد إجراء العملية للرجل الهندي، وطلبت من الناس الذين تتفق زمرة دمهم مع زمرة دم المريض التبرع بدمائهم، لتوفير ما يحتاجه المريض من الدم. فتقاطر الناس على المستشفى بالعشرات يعلنون استعدادهم للتبرع بدمائهم، ويسجلون أسماءهم في قائمة المستعدين

---

(١) كتاب الاعتبار ص ٢٣٢.

للتبرع، ووقفوا ساعات خارج المستشفى تاركين أعمالهم بانتظار إجراء العملية للاطمئنان على نجاحها من جهة، ولتقديم الدماء إذا احتاج الأمر إلى مزيد منها، ولمؤانسة المرأة الغريبة التي كانت تقف وحيدة في غرفة الانتظار في هذه الساعات البالغة الحرج في حياتها، وهي ساعات تمر على من كانوا في مثل حالها وكأنها دهور طويلة مرهقة.

وجرت العملية، ولكن الرجل المسن لم يحتمل القلب الجديد فمات بعد ساعات. ولا أهمية لموت رجل أو حياته، فالناس لابد وأن يموتوا، وإنما تكمن العبرة في التصرف النبيل الذي تصرَّفَه الشعب الإنكليزي حينما وضعته الضرورات الإنسانية في مواجهة القضايا الإنسانية التي تبين فيها أصالة الشعوب وحضارتها وإنسانيتها.

لقد كان تصرف الشعب الإنكليزي رائعاً حقاً من مأساة أسرة هندية غريبة عنه لوناً ووطناً وديناً وأرضاً وعنصراً.. وربما كان بين الذين تقاطروا على المستشفى ليعلنوا استعدادهم للتبرع بدمائهم لهذا الهندي المريض، ووقفوا ساعات طويلة.. أناس يستشعرون عادة الترفع والاستعلاء على أبناء الشعوب الأخرى، ولكن ذلك الشعور ما كان ليمنعهم من أن يقوموا بواجب إنساني نبيل في إنقاذ حياة رجل مريض، فذلك الشعور شئ والدواعي الإنسانية شئ آخر.

تصرف إنساني ينكره اليهود:

وتصرف الشعب الإنكليزي العفوي هذا نجد مثيلاً له لدى جميع شعوب الأرض حينما تضعها الظروف أمام مسؤولياتها الإنسانية، فتسارع لتقديم العون لمن هم في حاجة إليه من بني البشر بدون تمييز ولا استثناء. والشعب الوحيد الذي شذ عن هذا المبدأ الإنساني، وتنكر له، وسخر منه، هو الشعب اليهودي «أو بنو إسرائيل» فهم الشعب الوحيد بين شعوب الأرض الذي كره بني البشر، وتنكر لهم، وأضمر لهم الحقد والعداوة، ولقن أبناءه هذا الكره منذ نعومة أظفارهم، وسن لهم قتل أبناء

الأمم الأخرى، وشرع لهم شرب دمائهم، وأحل لهم استصفاء أموالهم، وهتك أعراضهم، لا انتقاماً منهم لجرم أسلفوه نحو اليهود، ولا شفاء لحقد أو أحقاد أرثتها إساءات سلفت من تلك الشعوب نحو اليهود، وإنما هو شئ فرضه الكهنة عليهم ليقوموا به ابتداء نحو جميع بني البشر، لأنهم جميعاً - كما لقنوهم - أعداء طبيعيون لبني إسرائيل، ولأنهم كان من المفترض فيهم - أي في هؤلاء البشر- أن يكونوا عبيداً في ملك اليهود، يتصرفون بهم تصرف الملاك في أملاكهم، وإذ لم يحدث ذلك، فإن كهان بني إسرائيل أقنعوهم بأنهم يكونون آثمين إذا لم يسعوا إلى تحقيقه بجميع الوسائل التي تخطر لهم على بال، دون تقيد بمبادئ الأخلاق، أو بقواعد الشرائع السماوية، وقد أباحوا لهم أن يلجؤوا إلى جمع الطرق والأساليب التي يمكن أن تخطر على بالهم: نهب سرقة، قتل غش خداع، ربا احتيال...الخ المهم أن يتوصلوا إلى السطو على أموال البشر وإبادتهم من الوجود، وإخضاع من يتبقى منهم حياً لسلطان اليهود.

الكهنة اليهود يغرسون الكره والحقد والعداوة لبني البشر في نفوس أتباعهم

وقد تولى كهان بني إسرائيل السهر على أمر غرس الحقد والكراهية وروح الاستعلاء والنقمة في النفوس الغضة، وتعهدوها باستمرار بالتعليم والتدريب، والممارسة العملية حتى إذا شب الصغار من اليهود، وبلغوا مبلغ التمييز لم يجدوا في نفوسهم مكاناً يتسع لشيء من الرحمة والشفقة، وفعل الخير نحو بني البشر، ولا يجدون في نفوسهم غير الأحقاد والكراهية التي ترسخت في أعماق النفوس حتى ملأتها، ولم تترك فيها مكاناً يتسع لشيء من الخير والإحسان والرحمة.

تحريف النصوص الدينية للوصول إلى الغاية

واستعان كهان بني إسرائيل، للوصول بأتباعهم إلى هذه الغاية الهدف الأساس بما ادخلوه من تحريف على شريعة الله السمحة، وعلى ما جاء به

أنبياؤه الكرام من تعاليم تفرض على المؤمنين التعامل مع الناس بالإحسان والمودة والرحمة والتسامح والعفو، وتأمين العائذ الخائف، وإغاثة الملهوف، وحب الخير وفعله، فجعلوا التعامل بالتعاليم السماوية مقتصراً على اليهود في تعاملهم فيما بينهم أما في حالات تعاملهم مع الأمم الأخرى فإنهم شرعوا لهم شرعاً آخر بعيداً كل البعد عن شرع الله، وشرع أنبيائه الكرام ونسوا أن الخلق جميعهم خلق الله وعياله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله.

التلمود يفرض على اليهود كره البشر

ووضع كهان بني إسرائيل لقومهم «التلمود»، وهو كتاب ضمنوه القواعد التي يرى الكهان أن تكون أساساً للتعامل بين اليهود وبين بني البشر، وقالوا لهم إن القواعد التي تضمنها التلمود هي نوع من تفسير أحكام الديانة اليهودية، وتوضيح لما جاء فيها من تعاليم حسبما استخلصه الكهان المتعاقبون من خفاياها.

وقد جعل الكهنة همهم في هذه القواعد أن يكرسوا فرض سلطانهم على بني قومهم دون مناقشة ولا مجادلة، ولا إعمال رأي، حتى ولو ظهر لذوي العقول المستنيرة التناقض الواضح الفاضح في أقوالهم، وحتى ولو ظهر فساد رأيهم لكل ذي رأي سليم.

ومن القواعد التي فرضوها على العامة تكريساً لسلطانهم:

أولاً– الكهنة اليهود معصومون من الوقوع في الخطأ. وتمتد عصمة الحاخام إلى حماره ومتعلقاته، فحماره -في رأيهم- لا يأكل أشياء نجسة. وكلام الحاخام هو من كلام الله ولو تناقض مع أحكام الديانة وقواعدها. وحتى ولو تناقض مع أقوال حاخام آخر، وحتى ولو تناقض مع أقوال سابقة للحاخام نفسه في قضية أخرى فجميع ما يقوله الحاخام هو من كلام الله، وهو مقدم على أحكام التوراة؟!

ثانياً– على اليهود أن يأخذوا بما يقوله الحاخام أخذاً كاملاً بدون مناقشة، ولا إعمال فكر لأنهم لا يستطيعون أن يفهموا الحكمة الحقيقية

من وراء التناقض في الأقوال الذي يظهر في كلام الحاخام[1].

وعلى اليهود أن ينفذوا أوامر الحاخامات دون مناقشة، ودون تردد، ولو تبين فساد رأي الحاخام. ومن أمتنع عن تنفيذ أمر الحاخام جاز قتله لتمرده على إرادة الله تعالى[2].

ثالثاً– لم يحترم الحاخامات قدسية نصوص التوراة، ولا أحكام الشريعة التي جاء بها الأنبياء الكرام، وإنما أجازوا لأنفسهم التصرف بها جميعاً بالحذف والإضافة والإلغاء والتبديل والتعديل، وأخضعوها جميعاً لأهوائهم، وما تمليه عليهم مصالحهم، وأقنعوا العامة أن ما يقولونه ويقضون به هو الشريعة الحق التي يجب على الناس الأخذ بها[3]

رابعاً– أقنع الحاخامات العامة أن تعاليم التلمود التي وضعها الحاخامات عبر السنين الطويلة، يجب أن تقدم على ما جاء في التوراة من عند الله ومن عند أنبيائه الكرام، وزعموا لهم أن الله تعالى قد يحلف في بعض الأحيان أيماناً وهو في حالة من الانفعال والتسرع، «تعالى الله عن هذا القول الباطل»، ثم يبدو له أن يتراجع وأن لا يمضي هذه الأيمان ويريد الله أن يجد أحداً يحلله من أيمانه المحنوث بها. وقد عين له الحاخامات (فيما يزعمون) واحداً منهم ليقوم بمهمة تحليل الله من الأيمان التي يريد الحنث بها. «تنزه الله وتعالى عن باطلهم[4] وهكذا زينوا للعامة أن الحاخامات إذا كان لهم سلطان لتحليل الله من الأيمان التي يريد الحنث بها أفلا يكون لهم سلطان للتصرف بأمور الشريعة وما جاء به الأنبياء؟

ثم زعم الحاخامات لأتباعهم أن الله تعالى يمضي ساعات من اليوم في

---

(١) قواعد التلمود ص ١٠٧.

(٢) قواعد التلمود ص ٤٦.

(٣) قواعد التلمود ص ٤٧.

(٤) قواعد التلمود ص ٤٧.

دراسة التلمود الذي وضعه الحاخامات...[1] وطبعاً فإنه تعالى حينما يدرس التلمود فإنه يفعل ذلك ليتعلم الأحكام منه... تعالى الله عن هذا الكفر الصراح».

وسنرى في هذه الدراسة كثيراً من الأمثلة على تحريف العقائد، الذي قام به الكهنة اليهود، ليصلوا إلى غايتهم الأساس ألا وهي فرض سلطانهم على أتباعهم بصورة مطلقة ليبقوا في قبضتهم وتحت أمرهم، لا يخرجون عن إرادتهم. وقد أقنعوهم أن جميع بني البشر يكرهون اليهود ويضمرون لهم الحقد والعداوة والكراهية. وأن على اليهود أن يدافعوا عن أنفسهم، ويباشروا الآخرين بالعداء والإيذاء لينتقموا منهم.

معالم هامة في تاريخ بني إسرائيل:

إذا استعرضنا بعض الأحداث الهامة والملفتة للنظر في تاريخ بني إسرائيل، وما صدر عنهم من غدر وخيانة وجرائم، وما تعرضوا له من البلاء العظيم فقد نتوصل إلى كشف الأسباب الكامنة وراء كره الناس لليهود، وكره اليهود للناس.

أولاد يعقوب يفكرون في قتل أخيهم يوسف

لقد بدأ تاريخ بني إسرائيل أشأم بداية وأكرهها إلى النفوس الرحيمة الكريمة، فقد ذكرنا فيما تقدم كيف تآمر الإخوة العشرة الكبار على أخيهم الطفل يوسف لينتزعوه من أحضان أبيه ليقتلوه أولاً، ثم عدلوا عن القتل إلى الإلقاء في البئر لتحمله إحدى القوافل بعيداً عن منازل يعقوب وبنيه، فلا يعرف له أثر، وقد فعلوا ذلك حسداً وحقداً وكراهة أن ينازعهم أخوهم الطفل في حب أبيهم يعقوب، وشعب هذه بدايته لا بد وأن يكون تاريخه سلسلة من الإيذاء للناس والإجرام، والقتل والقسوة.

---

(١) قواعد التلمود ص ٤٩.

ما لاقاه بنو إسرائيل في مصر من القبط

دخل بنو إسرائيل مصر في عهد يوسف عليه السلام وكان حكم مصر في تلك الحقبة في يد الغزاة الرعاة «الهكسوس» وقيل إنهم كانوا من العرب القادمين من الجزيرة العربية ويذكر ابن الأثير أن ملك الرعاة في مصر في عهد يوسف اسمه الوليد بن الريان من العماليق[1] ولم يكن بنو إسرائيل قد أصبحوا شعباً إذ كانوا أسرة واحدة مؤلفة من يعقوب وبنيه الاثني عشر وزوجاتهم وأبنائهم وأحفادهم وكان عدد من دخلوا مصر - على ما تقوله التوراة -[2] سبعين شخصاً. وقد أحسن حكام مصر وشعبها استقبالهم. وبعد عدد من السنين أقاموها في مصر بعد يوسف طرد القبط الغزاة الرعاة، وتسلموا حكم بلادهم بأنفسهم. وانقلب القبط على بني إسرائيل حكاماً وشعباً، وأظهروا لهم العداء والكراهية، وفرضوا عليهم القيام بأخس الأعمال وأشقها. ولا تذكر كتب التاريخ شيئاً عن تفاصيل تصرفات بني إسرائيل في مصر تحت حكم الملوك الرعاة من العماليق ولكن المنطق السليم يسمح للإنسان بأن يستقرئ ذلك ويستخلصه من خلال عبارات قليلة متناثرة في كتب بني إسرائيل، ومن مجرى الأحداث اللاحقة، وما فرضه القبط على بني إسرائيل من معاملة بالغة القسوة، وصلت إلى حد قتل الذكور من مواليد بني إسرائيل جميعاً، ثم خفف الأمر بعد ذلك فأصبح يقضي بقتل الذكور عاماً وإبقائهم أحياء عاماً آخر. ولا تشير كتب التاريخ إلى أن الشعب القبطي أخضع غير اليهود لمثل هذه المعاملة غير المألوفة في التعامل الإنساني. وقد كانت في مصر أقليات عرقية كثيرة لم ينزل القبط بإحداها شيئاً مما أنزلوه ببني إسرائيل أو قريباً منه وهذا بلا شك يحمل على الظن أن بني إسرائيل كانت لهم مواقف بالغة السوء بحق جيرانهم ومضيفيهم القبط شعب مصر، أيام

---

(١) ابن الأثير - الكامل في التاريخ الجزء الأول ص١٤١.

(٢) سفر التكوين إصحاح ٤٧

الملوك الغزاة الرعاة، وأنهم أسرفوا في الإساءة إلى الشعب الذي أحسن استقبالهم أيام يوسف، يوم أتوه جائعين عراة، فأكرم وفادتهم، وأحسن استقبالهم وأشبع جوعهم، وستر عريهم. وقد خلف سوء معاملة بني إسرائيل للقبط أيام الملوك الرعاة أثاراً بالغة السوء في نفوس القبط، وقد يكونون تطلعوا إلى الاستفادة من حكم الرعاة ليفرضوا أنفسهم في أرض مصر، وليطردوا منها شعبها القبط، ليصبح البلد خالصاً لهم، حتى إذا ذهب الغزاة استقلوا هم بحكم مصر.

وليس هذا القول عن تطلع اليهود إلى مغالبة القبط في أرضهم وموطنهم، للقفز بعد ذلك إلى حكم مصر، والاستقلال به، وإخراج القبط من أرضهم.. هو من قبيل التكهن والتخمين الذي لا يقوم على سند، وإنما هو استقراء للحوادث، وتفسير لها تفسيراً يتفق مع منطق الأشياء، وأخذ ببعض ما جاء في كتب بني إسرائيل، وتصديق لما جاء في القرآن الكريم عن بني إسرائيل أيام موسى.

فقد ذكر القرآن الكريم وهو في معرض تفصيل دعوة موسى لفرعون وملئه القبط أن فرعون قال لموسى إنك جئتنا بسحرك هذا لتغالبنا على أرضنا، ولتكون لك ولقومك السيادة في أرض مصر لتخرجنا من أرضنا وتتملكها أنت وقومك: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ (١)

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

فقد أشار القرآن إشارة صريحة إلى تخوف فرعون وقومه من تطلعات بني إسرائيل إلى تملك مصر، وإخراج شعبها القبط منها، إذا تمكنوا من ذلك. وقد كان ذلك أيام موسى، حينما كان البلاء نازلاً بهم في أقصى صوره.

---

(١) الآية ٥٧ من سورة طه.

(٢) الآية ٧٨ من سورة يونس.

وإذا تطلع بنو إسرائيل إلى السيادة والسيطرة على مصر في عهد ملوكها القبط، فلا بد وأن تكون تطلعاتهم إلى ذلك أكبر في أيام الملوك الغزاة الغرباء، الذين كانوا يحتلون مصر في أيام يوسف وبعده.

ولا بد من أن يكون الشعب المصري قد عانى الكثير الكثير من تصرفات بني إسرائيل أيام حكم الرعاة، فأسخطه ذلك على هؤلاء الأغراب الناكرين للجميل أشد السخط، لأنه كان يتوقع منهم أن يقابلوا وده في لقائهم، وإحسانه معاملتهم بالشكران والعرفان والوقوف جانب الشعب في محنته، ونضاله لطرد الغزاة المتسلطين على أرضه.

ولكن الشعب المصري فوجئ بسوء معاملة ضيوفهم، وبوضع بني إسرائيل أنفسهم في خدمة الغزاة لقهر شعب مصر، والتغلب على مقاومته؛ فلما دالت دولة الغزاة، وعاد الحكم لشعب مصر عاقب بني إسرائيل بما يستحقون.

ولا شك في أن سوء المعاملة الذي قابل به الشعب المصري بني إسرائيل لم يكن كله على وتيرة واحدة من القسوة والشدة من أول يوم، وإنما كان متدرجاً في شدته بما يتفق مع تصرفات بني إسرائيل وإساءتهم، فكلما وجد القبط من بني إسرائيل حركة للثورة والخروج على القانون، والتطلع إلى انتزاع السلطة من أيدي القبط زادوا في سوء معاملتهم حتى وصل درجة متطورة جداً قبل ولادة موسى، إذ قضى القبط بأن يقتل الذكور من مواليد بني إسرائيل جميعاً فور ولادتهم،إذ أمر الفراعنة القوابل اللاتي يولدن نساء بني إسرائيل بضرورة إبلاغ السلطة الحاكمة عن ولادة كل مولود ذكر لبني إسرائيل ليأتي بعد ذلك أفراد الجهاز المكلف بتنفيذ أمر فرعون القاضي بذبح الذكور ليقوموا بتنفيذ الأمر.

ولما مضت سنون طويلة على ذلك الأمر البالغ القسوة – يمكن أن نقدرها بحوالي أربعين سنة – بدأ القبط يشعرون بقلق مخافة انقراض اليد العاملة الإسرائيلية المتخصصة في القيام بأَشَقِّ الأعمال وأقساها وأقذرها في مصر، لأن الصبية الذين كانوا في سن الطفولة يوم صدور الأمر بذبح

الذكور من المواليد أصبحوا في سن الكهولة، ولم يعد يصل سوق اليد العاملة الإسرائيلية قادمون جدد يعوضون عن خروج كثير من الأيدي العاملة من سوق العمالة، بسبب العجز، والموت، والأمراض، فقد كانت ظروف الطبيعة في مصر، وقسوة الحياة التي تحياها اليد العاملة فيها، وطبيعة الأعمال التي كان يقوم بها بنو إسرائيل.. كل ذلك يؤثر تأثيراً كبيراً على قدرة الناس على متابعة العمل، ويلحق بهم العجز في سن مبكرة.

ومن البديهي أن يشعر القبط بالقلق من انقراض اليد العاملة الإسرائيلية، لأن الأعمال التي كانت تقوم بها هذه اليد لا يقوم بها القبط عادة، لذلك درس الأقباط المسؤولون هذا الموضوع دراسة مستفيضة، وانتهوا إلى حل وسط يكفل استمرار وجود يد عاملة إسرائيلية في مصر، كما يكفل أن لا يزيد عدد بني إسرائيل زيادة مهددة، تعرض أمن القبط في أرضهم وموطنهم إلى الخطر الشديد، نتيجة لمكاثرة الإسرائيليين الأقباط، ولطموحاتهم الدائمة أن تكون لهم الغلبة في مصر للسيادة على أرضها، وقلب الموازين القائمة، وطرد القبط من بلدهم مصر، فقرروا ذبح الذكور من المواليد سنة، وتركهم أحياء سنة أخرى.

بنو إسرائيل يستحلون أكل أموال الناس بالباطل:

واستمر الحال كذلك حتى جاء موسى وقارع فرعون بالحجة، وسار ببني إسرائيل إلى سيناء. وتروي كتب بني إسرائيل نموذجاً لعقلية هذا الشعب، واستحلاله أكل أموال الناس بالباطل، ولنفسيته الجشعة التي لا ترعى حرمة لعهد ولا ميثاق.. فقد كتم الإسرائيليون عن جيرانهم القبط ما قرروه من الرحيل جميعاً من أرض مصر في ليلة واحدة، فأخذوا قبل الرحيل بأيام قليلة يستعيرون من نساء القبط من جيرانهم، ما يستطيعون استعارته من الحلي والأواني والمواد الغذائية..الخ، حتى إذا اجتمع لديهم شيء كثير من هذه العاريات، خرجوا من أرض مصر في الموعد المحدد

لرحيلهم، وحملوا معهم جميع ما تمكنوا من استعارته من القبط، مع أن الله أمر المؤمنين برد الأمانات إلى أهلها. ولما أصبح الصباح وعرف القبط أن بني إسرائيل قد ارتحلوا من أرض مصر، رفعوا شكواهم إلى فرعون، فاستاء من ذلك أشد الاستياء، وأخذ بجمع قواته ليلحق ببني إسرائيل، ويعاقبهم على خروجهم بغير إذنه، وعلى سرقتهم ما استعاروه من القبط.

ثم كانت نجاة بني إسرائيل وغرق فرعون وجيشه بأمر الله تعالى.

تمرد بني إسرائيل على أنبياء الله:

تقبل بنو إسرائيل حياة الذل والخنوع التي فرضها عليهم القبط عقاباً لهم على كفرهم بالأيدي التي امتدت إليهم بالعون لإنقاذهم من الجوع والتشرد، ولمحاولاتهم المتكررة وتطلعاتهم للوثوب إلى السلطة وإخراج القبط من أرضهم، واحتملوا البلاء النازل بهم بصبر عجيب. وقد لاقى موسى وهارون عناء شديداً وعنتاً من كهول بني إسرائيل وشيوخهم، حينما عرضا عليهم دعوة الله، وتمردوا عليهما، وطلبوا إليهما الكف عن دعوة قومهما إلى التمرد على حكم القبط، وما ينزلونه بهم من شديد العذاب، والإقلاع عن طلب الخروج معهما من أرض مصر إلى الأرض المقدسة التي سيجعل الله لهم فيها سكناً آمناً يتمكنون فيه من عبادة ربهم الله دون خوف من عقاب طاغ، أو ظلم متكبر جبار.

كفر الكهول وإيمان الأحداث:

ورفض الكهول والشيوخ الإيمان برسالة موسى وهارون، وأعلنوا لهما كفرهم بها، وقد أشار القرآن الكريم إلى أنه لم يؤمن برسالة موسى وهارون غيرُ جماعة من شبان بني إسرائيل وأحداثهم في السن، أعلنوا لهما أنهم يؤمنون برسالة الله، ودعوة نبييه الكريمين، وأعلنوا لهما عن استعدادهم لمتابعتهما إذا سارا من أرض مصر:

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١)

وبعد أن استعصى كهول بني إسرائيل وشيوخهم على الإيمان بدعوة موسى وهارون وأرهقوهما بالعناد والمخالفة توجه موسى إلى ربه الكريم بالدعاء سائلاً إياه أن يفرق بينه وبين قومه الفاسقين الذين يرفضون الاستجابة لدعوة النبيين الكريمين:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢)

أما التوارة فتضطرب روايتها في مسألة إيمان بني إسرائيل بدعوة موسى وهارون(٣)، فتقول أولاً إن الشعب آمن كله لموسى وهارون، ثم تعود فتقول إنهم لم يؤمنوا لهما(٤) فتوجه موسى إلى ربه بالدعاء وسأله أن ينزل عن كاهله ثقل هذا الشعب الصلب الرقبة(٥).

الآيات العظام لا تلين صلابة أعناق هذا الشعب الجاحد:

ورأى بنو إسرائيل بأم أعينهم من لطف الله بهم وبنبييه الكريمين، ومن آياته العظام التي تدل على عظمة الله وجبروته، وقوة سلطانه، وقدرته على فعل كل شيء يخضع أعتى الجبابرة، ويذل أكثر النفوس كبراً، واستعلاء في الأرض، ولكن بني إسرائيل لم تخشع قلوبهم لجميع الآيات التي رأوها، ولم تلن صلابة أعناقهم، بل زادهم ذلك كفراً وعتواً، وتجبراً.

لقد رأى بنو إسرائيل بأمِّ أعينهم تغلب موسى بعصاه علي فرعون وسحرته وهم جموع عظيمة، ورأوا الآيات الأخرى التي قدر الله حدوثها على يدي موسى وأخيه من إرسال الجراد والدم والضفادع..الخ، مما حير

---

(١) الآية ٨٣ من سورة يونس.

(٢) الآية ٢٥ من سورة المائدة.

(٣) سفر الخروج الإصحاح ٤.

(٤) سفر الخروج الإصحاح ٦.

(٥) سفر الخروج الإصحاح ٣٣.

القبط، وأذل فرعون، فلم يجرؤ على التفكير بإيذاء موسى وهارون؛ ثم شق الله تعالى لهم البحر ليسلكوا فيه طريقاً يبساً لا يخافون أن يدركهم فرعون وجنوده ولا يخافون أن يغرقهم الماء.

وأغرق الله تعالى، أمام أعين بني إسرائيل، فرعون وجيشه حينما اقتحموا الطريق التي سلكها بنو إسرائيل، بين فرقتي البحر التي شقها الله ليسلكها بنو إسرائيل، وهم ينظرون إلى هذه المعجزة العظيمة مع أنهم كانوا لا يشكون في أن فرعون سيدركهم، وسيقعون جميعاً في قبضته فيوقع بهم العقاب الأليم الذي أوعدهم به.

ولما تشكك الكفرة المكابرون من بني إسرائيل في حقيقة موت فرعون، لأن كثيراً منهم شاركوا القبط في عبادة شخص فرعون، فأرجفوا بأن فرعون غاب في البحر بقدرته هو، وسيعود لينتقم من بني إسرائيل ومن أعدائه.. فأمر الله تعالى البحر فقذف بجثة فرعون على الساحل هامدة لا حراك فيها، فبطل إرجاف المرجفين.

ووصل بنو إسرائيل إلى سيناء وكان الحر فيها شديداً فاشتكوا لموسى شدة الحر، فأرسل الله غيوماً بيضاً غطت السماء فاستشعر بنو إسرائيل راحة البرودة.

ثم عطشوا فضرب موسى - بوحي من الله تعالى - بعصاه حجراً من أحجار الصحراء فانفجرت المياه تتدفق من الحجر، فشرب بنو إسرائيل وارتووا.

ولم يكن معهم طعام فأرسل الله إليهم المنَّ والسلوى فأكلوا منهما حتى الشبع.

لقد رأى بنو إسرائيل كل هذه المعجزات العظيمة بأمِّ أعينهم، وهي معجزات كما قلنا من شأنها أن تضطر أكثر القلوب كبراً وتجبراً إلى الإيمان اضطراراً، ولكن بني إسرائيل كانوا شيئاً آخر يختلف عن بقية مخلوقات الله.

حنين بني إسرائيل إلى عبادة الأصنام:

يقول القرآن الكريم إن بني إسرائيل مروا بقوم يعبدون الأصنام، فحنوا إلى ما كانوا يعبدونه منها في مصر، فسألوا موسى أن يجعل لهم أصناماً يعبدونها كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها، فتألم موسى أشد الألم، كيف يسيطر الجهل على عقول هؤلاء الرجال العتاة، الذين شاهدوا بأعينهم من قريب آيات الله العظام، ولطفه بهم، وعونه إياهم في الخروج من مصر، وكيف لم يفهموا أن عليهم أن يعبدوا الله الخالق وحده لا شريك له، ولا معين، وأن الأصنام لا يمكن أن تكون آلهة تضر البشر وتنفعهم، وأن عبادة غير الله كفر صُراح، وبغي وخروج عن طاعة الله. فانتهرهم موسى ووبخهم توبيخاً شديدا، وقال لهم إن ربهم هو الله وحده، وهو الجدير بالعبادة لأنه قادر على فعل ما يريد، وهو القادر على تدبير أمر الكون ومن فيه من المخلوقات، أما الآلهة الأخرى التي يعبدها الجاهلون فهي حجارة عاجزة لا تستطيع شيئاً. وظن موسى أن القوم قد اقتنعوا بما قاله لهم عن وحدانية الله في الألوهية. وأمر الله تعالى موسى أن يأتي إلى ميقات ربه إلى جبل الطور، فأناب موسى أخاه هارون في إدارة شؤون الجماعة مدة غيابه، ولما تأخرت عودة موسى، وكان مع بني إسرائيل رجل سامري خرج معهم من مصر، وكان قومه يعبدون البقر، فزين لبني إسرائيل محاسن صنع صنم على هيئة العجل ليعبدوه، حتى يرجع إليهم موسى. وقال لهم إن موسى مات ولن يرجع، فمن الواجب صنع صنم على هيئة عجل يعبدونه ليسيروا وراءه، إلى وجهتهم التي هم سائرون إليها لكيلا يبقوا بدون إله يحميهم ويهديهم. فاستجاب الجهلة من بني إسرائيل لإغراء السامري، وقدموا له حليهم التي استعاروها من القبط فأذابها وصنع لهم تمثالاً على صورة عجل، جوفه مفرغ فكان الهواء إذا هب ودخل جوف العجل أحدث صوتاً يشبه صوت خوار العجل، فافتتن الجهلة من بني إسرائيل بهذا العجل، وصاروا يعبدونه ويطوفون به، ويسجدون له حينما يصدر عنه صوت الخوار. ويقول بنو إسرائيل في

كتبهم المحرفة إن هارون هو الذي قام بصناعة العجل، ولكن الأنبياء الكرام يجلون عن مثل هذه الجريمة الفظيعة. والقرآن بين من قام بهذا العمل وهو السامري.

وأعلم الله تعالى موسى، وهو يناجيه، بما أحدثه قومه من تبديل في ديانتهم، وأنهم صنعوا عجلاً أخذوا يعبدونه، فعاد إليهم موسى غضبان أسفاً. ولام موسى أخاه هارون لما ظن أنه قصر في ردع بني إسرائيل عن طريق الغواية التي سلكوها، وأخذ برأس أخيه ولحيته يجرهما إليه، فتلطف هارون بموسى حتى سكن عنه الغضب، فأعلمه أن القوم هددوه بالقتل إن هو عارضهم فخاف أن يقوم بردعهم بالقوة فتحدث فتنة فيلومه موسى لما أحدثه من انشقاق في صفوف الشعب، فوبخهم موسى توبيخاً شديداً، وحطم الصنم، وأحرقه وذراه في الماء.. وأمر الله موسى أن يقوم من لم يدنسوا أنفسهم بعبادة العجل بقتل من عبدوه، ليغفر الله للشعب خطيئته، ففعلوا وكانت مذبحة كبرى. ثم أمر الله موسى وهارون بأن يكف الناس عن قتل المذنبين.

تكرر تمرد بن إسرائيل على أوامر الله وأوامر نبيه.

فقضى عليهم بالتيه أربعين عاماً في صحراء سيناء

وتكررت أعمال التمرد والتذمر الصادرة عن الجهلة من بني إسرائيل، ففي كل يوم كانوا يحدثون أمراً، ويثيرون مشكلة يجعلونها موضوعاً للتمرد والتذمر والتفكير بالانفصال عن موسى وهارون، والعودة إلى مصر، إلى حياة الذل والعبودية تحت حكم القبط، فذلك – في رأيهم – خير لهم من الموت جوعاً وعطشاً في البرية فتأكل الوحوش أجسادهم.

وتتالت تصرفات بني إسرائيل المشعرة بالسخط وعدم الرضا بما أمر به الله، فكان الله تعالى ينزل بهم العقاب تلو العقاب، فيلجؤون إلى موسى ليرجو ربه أن يرفع عنهم العذاب لأنهم قرروا التوبة والإقبال على الإيمان وعدم الرجوع فيه أبداً. فيفعل ولكنهم ما يلبثون أن يعودوا إلى ما كانوا

عليه، حتى تمنى موسى على ربه أن يفرق بينه وبين القوم الفاسقين[1].

ثم أمر الله موسى بأن يسير بقومه ليدخلوا بلاد أرض فلسطين على أهلها الكفرة فخافوا وجبنوا وجزعوا، وقالوا لموسى إنهم لن يحاربوا هذه الأقوام الضخام الأبدان الساكنين في مدن حصينة، ويتحصنون خلف أسوار منيعة.. لا قبل لهم باقتحامها.. فشجعهم موسى وهارون والمؤمنون معهما من القوم، وقالوا لهم إن النصر من عند الله لا بكثرة عدد ولا بعدة، فلم يقبلوا هذا القول، وبلغت بهم الوقاحة حدَّ الطلب إلى موسى أن يذهب مع ربه ليحاربا القوم الجبارين حتى إذا انتصرا عليهم وأخليا المدن منهم أمكنهم دخولها.. وكان الكيل قد طفح بموسى، ولم يعد يحتمل عناد هذا الشعب وفساده أكثر من ذلك فسأل ربه أن يفرق بينه وبينهم لأنه لم تعد له طاقة بهم. فأعلمه الله تعالى أنه حرم على بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة خلال أربعين سنة يبقون خلالها في صحراء سيناء يتهيون في أطرافها[2]، ويترددون في أرجائها حتى يكون الجيل الخانع الذليل قد انقرض، وخرج جيل جديد يصاحب الأنبياء ويأخذ عنهم، ويطيع أمر الله.. فكان ذلك.

وكتب بني إسرائيل مليئة بالمرارة التي كانت تنضح بها أقوال الأنبياء الذين تعاقبوا عليهم وكلهم يتنبأ لهذا الشعب الغليظ الرقبة (كما تسميه كتب بني إسرائيل) بما سيلاقيه من عذاب وتشريد وأسر وسبي، جزاء لهم على كفرهم بآيات ربهم وكلماته، وتمردهم على أنبيائه الكرام، وتكذيبهم إياهم، ورفضهم الامتثال لأوامر الله وأوامر أنبيائه، ورفضهم الأخذ بنصحية ناصحيهم من الأنبياء والمصلحين الذين كانوا يحثونهم علي الإقلاع عن العناد والفساد والكفر، ويطلبون إليهم الامتثال لأوامر الله وشريعته وأوامر أنبيائه.

---

(١) الآية ٢٥ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٢٦ من سورة المائدة.

وقد قتلوا بعض أنبياء الله، وقتلوا كثيراً من أهل الصلاح الذين كانوا يأمرونهم بالخير والإحسان وبالتمسك بكتاب ربهم، وبشريعته.

قسوة لم يعرف الناس لها مثيلاً من قبل:

وحينما دخلوا أول بلدة احتلوها من أرض فلسطين ارتكبوا مجازر رهيبة تقشعر لهولها الأبدان، إذ قتلوا الرضع والحوامل والأطفال والنساء والشيوخ والعجزة.. لم يبقوا على أحد من البشر حياً[1]، فقد كان في نفوسهم حقد مكبوت على بني البشر جميعاً تأصل في نفوسهم يوم كانوا في أرض مصر، يوم كانوا يقاسون مر العذاب من القبط، وقسوة عقابهم لبني إسرائيل، على ما كان منهم من ذميم الفعال، فنفس بنو إسرائيل عن حقدهم المكبوت هذا بالمجازر التي ارتكبوها.

ومثل هذه الأعمال الوحشية لم تعرفها أمم المنطقة قبلاً، إذ كان في الناس شهامة وعفة عن قتل العجزة والرضع والأطفال والشيوخ والنساء.. فجاءهم بنو إسرائيل بنمط جديد من التعامل بين بني البشر، فحقدت عليهم أقوام الأرض حقداً شديداً، وأخذت ترد على همجيتهم المفرطة بالتنكيل بهم كلما ظفرت بهم في ساحة الحرب.

والمجازر الرهيبة التي اقترفها بنو إسرائيل تدل على مدى الحقد الذي ملأ الكهنة صدورهم به على الناس جميعاً دون تمييز بين شعب وشعب.

انتهازية غريبة تصل حد صرف الناس عن الإيمان:

ثم أقام بنو إسرائيل لأنفسهم دويلة على بعض أرض فلسطين، فألحت عليهم شعوب المنطقة بالحروب المستمرة المتلاحقة تريد اقتلاع هذا العنصر الغريب البغيض الذي جاء يحمل إلى المنطقة أسلوباً غريباً في التعامل بين بني البشر حتى ذلك الحين.

ثم انقسمت دولة بني إسرائيل التي جعل سليمان عاصمتها القدس إلى

---

(١) الإصحاح ٦ من سفر يشوع.

دولتين إحداهما بقي مركزها القدس، أما الأخرى فاتخذت من السامرة في الشمال عاصمة لها.

وقد ساءت العلاقات بين الدولتين سوءاً كبيراً، وتصرفت دولة السامرة تصرفاً غريباً سيكون نموذجاً لعقلية القوم الانتهازية في حياتهم وتعاملهم مع الآخرين حينما يُقَدِّرون أن مصالحهم الخاصة تقتضيهم مثل ذلك التصرف.

لقد كان لإسرائيل وبنيه دين هو دين التوحيد، دين إبراهيم وأبنائه، دين الإخلاص لله تعالى في العبادة وحده لا شريك له. ثم ابتعد القوم في مصر عن ذلك الدين ابتعاداً كبيراً، حتى أصبحت لهم أديان لا صلة لها بالتوحيد مطلقاً فعبدوا فرعون وعبدوا الأصنام والأوثان والشمس..الخ، ثم جاء موسى فجدد الدعوة لدين الله، وأنزل الله تعالى عليه التوارة، وفيها أحكام واضحة محددة، وشرح واضح جلي، وأمر موسى بني إسرائيل بالأخذ بالشريعة أخذاً كاملاً.

وحينما قامت دولة السامرة خاف ملوكها أن يؤدي تعلق شعبهم بالإيمان، وبالحنين إلى الهيكل الذي بناه سليمان في القدس، إلى إضعاف حكمهم لشعبهم، والى توجه شعبهم بالولاء الديني إلى مملكة القدس منافستهم، وعدوتهم فأخذ ملوك السامرة وحكامها ينحرفون عن عمد بالشعب عن دعوة الإيمان الخالصة، وأقاموا له الأصنام والمحارق فوق المرتفعات - كما كانت تفعل شعوب المنطقة في عبادتهم لأصنامهم - لِيُنسُوه دعوة الإيمان، وليصرفوه عن عبادة الله التي تمارسها دولة القدس، فخالط الكفر معتقدات القوم، وتسرب إليهم كثير من المعتقدات التي كانت تأخذ بها الأقوام المجاورة لهم. وأخذت الانحرافات تتزايد في معتقدات يهود السامرة، حتى ضاعت دعوة الإيمان بينهم بالكلية[1].

وستكون هذه الروح الانتهازية هي الطابع المميز لهذا الشعب المتقلب،

---

(١) سفر الملوك الأول الأصحاحان ٢١ و ٢٢. وسفر حزقيال الاصحاح ٨ .

فما ظنه مصلحة خاصة له أقدم عليه غير مبال بدين ولا مبال بإيمان ولا قيم.

وسنرى في هذه الدراسة أن الكهنة والأحبار كانوا أكثر الناس فساداً، وسعياً وراء إفساد شعبهم إرضاء للزعامات السياسية، ووصولاً إلى تحقيق غايات خاصة، ومنافع دنيوية.

الآشوريون والكلدانيون يحطمون دولتي بني إسرائيل ويسبونهم إلى بلاد ما بين النهرين:

وجاء الآشوريون فدمروا الكيان المحدود الذي أقامه بعض أفخاذ بني إسرائيل شرقي نهر الأردن، وسبوا من كان هناك من بني إسرائيل، ونقلوهم إلى بلاد ما بين النهرين. ثم دمر الأشوريون بعد ذلك مملكة السامرة تدميراً كاملاً في عام ٧٢١ ق.م. فقتلوا منهم من قتلوا، وسبوا من بقي منهم حياً، ونقلوهم إلى بلاد ما بين النهرين.

ثم ألح الكلدانيون بقيادة ملكهم المظفر بخت نصر على مملكة القدس حتى أسقطوها، فقتلوا ألوفاً لا تحصى، وسبوا الباقين، ونقلوهم إلى بلاد ما بين النهرين، ودمروا القدس وهدموا الهيكل، ونقلوا معهم كتب بني إسرائيل، أو ما تبقى منها بعد الإحراق والإتلاف. (عام ٥٨٨ ق.م)

وتروي كتب بني إسرائيل (سفر استير) الشيء الكثير عن الفساد الذي ظهر من بني إسرائيل، وهم في المنفى وكيف كانت الشخصيات السياسية في مملكة فارس تكرههم أشد الكره، وتتآمر عليهم تريد إفناءهم إفناءً تاماً. واستمر ذلك حتى تمكن أحد رجالهم من تدريب أبنة أخيه (استير)، وتعهد جمالها بالعناية والطيوب، وقربها من مخدع الملك فنالت عنده حظوة. ثم عمل عن طريقها لدفع الملك إلى عدم الاستجابة لمطالب وزيره الملحة بضرورة إفناء بني إسرائيل في كل مكان وجدوا فيه من مملكة فارس

وأخيراً، تمكنت هذه الفاتنة من السيطرة على الملك بجمالها ودلالها وفتنتها فكانت السبب في مقتل الوزير العدو لليهود. وعد اليهود هذا

النصر عيداً كبيراً لهم، وأضافوا قصة استير إلى كتبهم الدينية على أنها قصة مقدسة[1].

وهذه القصة توضح بما لا يقبل الشك أنهم تابعوا وهم في منفاهم سيرتهم في الدسِّ والسعي إلى السيطرة على المجتمعات التي يعيشون فيها، تمهيداً لإقامة سلطان لهم، والانتقام ممن حولهم من بني البشر، فاستشعر الكلدانيون والآشوريون والفرس الخشية منهم ونكلوا بهم.

اليهود يتابعون خططهم في الإيذاء

ساق بختنصر كثيراً من اليهود إلى المنفى، وهناك تابع اليهود خططهم الرامية إلى إيذاء من حولهم من البشر، والى التآمر. ففي أواخر الدولة البابلية بدأت الأمم المغلوبة تتحرك، وتقوم بثورات. وكان من بين من تحركوا (كورش) الفارسي. فثار وعظم أمره، وانتصر على الجيوش البابلية، وتوجه إلى بابل يحاصرها. ودام حصاره لها من عام ٥٤٧ إلى عام ٥٣٩ ق.م، وهنا بدأ يظهر دور اليهود الخياني، إذ بدؤوا يتصلون بكورش خارج الأسوار سراً، وينسقون معه المواقف. وشرعوا في بث حملة من الشائعات الانهزامية في المدينة المحاصرة، ويكثرون الدسائس، ويشيعون بين الناس أخباراً ملفقة، فانهارت عزائم الناس، ودخل كورش بابل عنوة عام ٥٣٩ ق.م وكافأ اليهود على موقفهم الخياني بأن كلفهم بالإشراف على الشعب البابلي، وهكذا أسهم اليهود في تدمير بابل[2] .

انقلاب اليهود على الفرس وتآمرهم عليهم:

أعاد كورش فئات من فقراء اليهود إلى فلسطين، وظل الأغنياء في بابل، وقد غلبت عليهم نزعة الغدر والخيانة والتآمر والكيد للناس جميعاً، فانقلبوا على الفرس وأخذوا يتآمرون عليهم مع البابليين، في عهد الملك ارتحشتا، فشعر وزيره هامان بمكائدهم، وأمر رجاله بتشديد الرقابة

---

(١) سفر استير

(٢) المفسدون في الأرض - سليمان ناجي ص ٧٨.

عليهم، ولكن اليهود دسوا إليه واحدة من نسائهم هي (استير) فتمكنت من السيطرة على قلب الملك، فحولت عداءه لليهود إلى عداء لوزيره هامان، ورجاله، فأمر بقتل هامان وكبار معاونيه. وبعد قتل هامان اشتدت شوكة اليهود في الدولة الفارسية.

وفي عهد خسرو الأول أثار اليهود أهل بابل ضد الفرس، فقام خسروا بقمع الثورة بعنف بالغ، وقتل ألوفاً لا تحصى من البابليين، فكانوا وقوداً لفتنة أثارها اليهود[١] .

اليهود يعودون إلى التآمر على فارس:

ولما بدأ الضعف يدب إلى الدولة الفارسية بادر اليهود إلى الاتصال بالاسكندر المقدوني، واتفقوا معه سراً على أن يكيدوا للدولة الفارسية، ولما انتصر الاسكندر استقبله اليهود في القدس استقبالاً حافلاً وأوهموه أن أنبياءهم سبق لهم أن تنبؤا بنصره على الفرس[٢] .

ويعلق (لودس) على استقبال اليهود للاسكندر كاشفاً نفسية اليهود، وطبيعة الغدر والخيانة فيهم فيقول:

(المعروف عن اليهود في تلك الحقبة أنهم كانوا ينظرون إلى الدولة المحيطة بهم نظرة حقد وكراهية، كما كانوا يعتبرون جميع الشعوب المحيطة بهم كافرة وملحدة، وقد اعتادوا أن ينظروا إلى المغلوب نظرة شماتة، والى الغالب نظرة حقد وحسد ويتمنون أن يروه مغلوباً في يوم من الأيام ليشمتوا به)[٣] .

وفي عام ٢٢٦ ق.م تآمر اليهود على ملك الفرس سابور الثاني، وناصروا الدولة الرومانية عليه.

---

(١) نفس المرجع ص ٧٩.

(٢) نفس المرجع ص ٨٠.

(٣) نفس المرجع ص ٨٢ ولودس ص ٢٢٥.

اليهود في ظل الحكم اليوناني:

استقبل اليهود الاسكندر المقدوني في القدس عام ٣٣٢ ق.م بعد انتصاره على دارا ملك الفرس استقبالاً حافلاً، وقدموا له ولاءهم. وقد عامل اليونانيون اليهود على قدم المساواة مع أبناء قومهم ومنحوهم جميع الحقوق والميزات التي يتمتع بها المكدونيون، فأصبح لهم شأن عظيم[1].

اليهود يتآمرون على اليونانيين:

وحينما بدأ الرومان يظهرون كقوة مؤثرة، أخذ اليهود يتصلون بهم، وقد تآمروا معهم في مصر إبان الغزو الروماني لمصر في عهد انطيوخوس، وساعدوا الرومان.

وخشي انطيوخوس أن يعمد يهود فلسطين إلى خيانته بدورهم، كما فعل يهود مصر، فقرر صهرهم في البوتقة اليونانية ليضمن ولاءهم. ولما تمرد اليهود على هذا التدبير قام أنطيوخوس بحملة لتأديبهم وفي العام التالي قام اليهود في فلسطين بثورة على أنطيوخوس فزحف إليهم وقمع ثورتهم، وأسرف في معاقبتهم، فقتل جميع الذين حملوا السلاح ضده، ونهب الهيكل، وأقام على مدخله تمثالاً للإله (زيوس) واجبر اليهود في القدس على عبادته وتقديم الذبائح إليه، إمعاناً في إذلالهم[2].

اليهود تحت الحكم الروماني:

أقام الرومان ملكاً على اليهود من غيرهم (هيرود)، وكان رجلاً شديد الإخلاص لروما. ولما مات اقتسم أولاده الثلاثة تركته، فطلب اليهود من روما أن تدار مملكتهم من قبل روما مباشرة، فكان لهم ذلك. فأصبح حكام المناطق اليهودية نواباً لروما، (ويسمون بالوكلاء) وكانوا يحتفظون بثياب الكهنة الدينية لديهم لكيلا يقيم كهنة اليهود احتفالات دينية سراً بدون موافقتهم.

---

(١) المفسدون في الأرض ص ٨٢.

(٢) نفس المرجع ص ٨٢.

وكـان النـواب حكـام المنـاطق يميلـون إلى حسـن معاملـة اليهـود، ولكن اليهود لم يشعروا أبداً بـالحب والإخـلاص لرومـا.

وتابعوا نشاطهم التخريبي في الدس والتشويش ضد الحكم الروماني.

ولما ألزمهم الحاكم الروماني بدفع ما عليهم من الضرائب ثـاروا وقتلوا حامية أحد الحصون جميعاً.

وأعلنوا رفضهم لإقامة الشعائر الدينية الرومانية في هيكلهم، ودامت ثورتهم أربعة أعوام.

وأرسل الإمبراطور (فسبسيان) ابنه تيطوس إلى فلسطين عام ٧٠م لقمع ثورتهم؛ فحاصر تيطوس القدس، وكان يريد أن يستسلم اليهود الثائرون إليه ليعفو عنهم إكراماً للأميرة ابنة ملك القدس التي كـان يعشـقها، ولكنهم رفضوا الدعوة إلى الاستسلام، فشدد الحصار عليهم حتى أضناهم الجوع؟ ثم عاد فدعاهم إلى الاستسلام فرفض الثائرون ذلك فشن هجوماً عاماً على المدنية ودخلها عنوة عام ٧٠ م ودمرها بما فيها، وأحرق الهيكل اليهودي، وسبى أهلها وباعهم في سوق النخاسة، وحرم على اليهود دخول القدس(١) .

اليهود يثورون ويرتكبون فظائع لا مثيل لها:

استكان اليهود بعد هزيمتهم أمام تيطوس حيناً من الدهر، إذ أمرهم خلالها مجلسهم الديني الأعلى بالتخلي عن العنف، واللجوء إلى الدس والتشكيك، ونشر الشائعات، والتآمر سراً على الدولة الرومانية.

وفي عام ١٣٠م عادوا إلى الثورة في جميع المناطق التي توجد لهم فيها تجمعات، من الفرات حتى ليبيا، وباغتوا الحاميات الرومانية، والقرى والتجمعات السكانية غير اليهودية، واعملوا في الناس جميعاً القتل والذبح والتدمير، وبلغت وحشيتهم خلال هذه الثورة الذروة في الإيذاء والتعذيب وارتكاب الفظائع، وتفننوا في تعذيب ضحاياهم والتمثيل بهم. وتقول

---

(١) نفس المرجع ص ٩٠ - ٩٤.

المصادر الرومانية إن يهود ليبيا كانوا ينتزعون قلوب ضحاياهم ويأكلونها كالوحوش الضارية، وكانوا يتخذون من آذان الناس وأمعائهم قلائد يتزينون بها إمعاناً في التشفي. وتقول هذه المصادر إن عدد من قتلهم اليهود في هذه الثور بلغ ٢٥٠ ألفاً، ودامت ثورتهم ثلاث سنوات فأمر الإمبراطور تراجان جيوشه بقمع الثورة فقامت بذلك[1] .

اليهود يعودون إلى الثورة فتقمع روما ثورتهم:

وأخذ الكهنة اليهود يحرضون اتباعهم على الرومان، ويدعونهم إلى العمل على طردهم، فبدأت الاضطرابات، وعمت الفوضى والثورات، وانتشرت الشائعات، فأرسل الإمبراطور أدريان أعظم قواده (جوليوس سيفير) فأخمد الثورة التي دامت ثلاث سنوات، ارتكب اليهود خلالها فظائع تقشعر لها الأبدان بحق جميع من هم من غير اليهود.

وبادر جوليوس بمحو كل أثر للهيكل وللقدس، وأقام مكانها مدينة جديدة أسماها (أوليا كابتولينا)[2] .

اليهود يسكنون ظاهرياً:

وبعد هذه (الثورة) المدمرة في نتائجها على الشعوب من حول اليهود، وعلى اليهود أنفسهم، نصح المجلس الكهنوتي اليهودي الأعلى أتباعه باللجوء إلى الملاينة ظاهرياً، وبمتابعة العمل في الدس ونشر الشائعات، وبالتملق للرومان، وباستخدام نسائهم في حل الأمور المستعصية.. وبدؤوا في التقرب من الأباطرة الرومان وأجهزة الدولة، وأصبح منهم مستشارون، وأصحاب نفوذ. وكان هدفهم من ذلك هو توجيه همهم إلى محاربة النصرانية بعد أن شعروا بخطرها عليهم[3] .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٩٦ ، ودبون كاسيوس - التاريخ الروماني ص ١٤٠.

(٢) نفس المرجع ٩٧ وتارود (طريق إسرائيل).

(٣) نفس المرجع ص ٩٨.

اليهود بين الفرس والروم:

ولما تغلب الفرس على الكلدانيين، سمح قورش ملك الفرس (وأمه من سبي بني إسرائيل) لمن شاء من بني إسرائيل بالعودة إلى القدس، فعادت أعداد منهم قليلة، وعمروا أسوار القدس. وفي القرن الأول الميلادي تكاثر عدد اليهود في فلسطين، وأصبح لهم شبه كيان في القدس تحت إشراف السلطة الرومانية التي احتلت المنطقة وطردت منها الفرس.

وهكذا عاد اليهود إلى التطلع إلى الإساءة إلى من حولهم من بني البشر، والى الإفساد في الأرض. وكان السيد المسيح قد جاء يدعوهم إلى العودة إلى الأخذ بدينهم الحق، والى الكف عن الإفساد في الأرض، وعن الإساءة إلى خلق الله، فحاربوه وكذبوه وتقولوا عليه وعلى أمه الطاهرة البتول، ورموها بالفاحشة، وحرضوا عليه وعلى أتباعه الحاكم الرومانيَّ لينتقم منهم وهو رجل وثني، والمسيح جاء ليجدد دعوة الله. وتمكنوا أخيراً من مطاردة المسيحيين وتشتيتهم في الأرض، ولاحقوهم في كل مكان لجؤوا إليه يغرون الحكام بقتلهم والانتقام منهم.

انتقام الرومان من اليهود:

ثم أعلن اليهود الثورة على الحكم الروماني، فسار إليهم فسبسيان وابنه تيطوس وأوقعا باليهود، ودمرا القدس والهيكل ومعابد بني إسرائيل، وقتلا ألوفاً لا تحصى منهم، وشردا الباقين وأجبراهم على النزوح عن المنطقة متشتتين في أصقاع الأرض. (عام ٧٠ م)

المسيحيون ألدُّ خصوم اليهود:

وبعد أن ظهرت دعوة المسيح عليه السلام جعل اليهود محاربتها والقضاء عليها ومنع انتشارها.. همهم الأول، فصبوا حقدهم الدفين كله على المسيحيين في كل مكان محاولين إبادتهم إبادة تامة، وخنق دعوتهم. وكانوا كلما زاد الله دعوة المسيح علواً وانتشاراً في الأرض زاد ذلك اليهود حقداً وكراهية وضغينة وتصميماً على القضاء عليها وعليهم،

فانطلقوا كالوحوش المسعورة يبحثون في كل مكان عن المسيحيين لإيذائهم، وتحريض الحكام الوثنيين عليهم.

اليهود يحرقون أصحاب الأخدود:

وفي اليمن حرض اليهود بعض المتهودين من إقيال اليمن - وهم الذين تهودوا أيام ملكتهم بلقيس - على إجبار النصارى الموجودين في اليمن على الارتداد عن دينهم؛ ولما أصر المسيحيون على التمسك بدينهم، اقترح اليهود على جماعتهم الحكام المتهودين حفر خندق عظيم (أخدود) في الأرض يملؤونه حطباً، ثم يطلقون النار فيه حتى إذا تأجج وأصبح ناراً عظيمة أتوا بالمسيحيين، ووقفوهم على النار، وعرضوا عليهم الارتداد عن المسيحية فإذا قبل أحدهم الارتداد أطلقوه، وإذا رفض وأصر على التمسك بدينه قذفوه في النار. ورفض المسيحيون جميعاً الارتداد عما اعتقدوه حقاً، ووقفوا بجرأة المؤمنين يتحدون اليهود والحكام المتهودين، فقذف بهم الطغاة جميعاً في النار، فكانت جريمة من أفظع ما ارتكبه اليهود من الجرائم.

والغريب في موقف اليهود هذا هو أن أهل المنطقة العرب كانوا جميعاً من الوثنيين الذين يعبدون الأصنام والأوثان، ولم يكن بينهم من يعبد الله تعالى. وكان عدد اليهود بينهم قليلاً. ولم يكن اليهود يطلبون من النصارى أن يتركوا دينهم النصرانية ليعودوا إلى اليهودية، وإنما كان همهم منصباً على القضاء على المسيحية، وعودة أتباعها إلى دينهم الأول عبادة الأصنام والأوثان، أو إلى أي دين شاؤوا، ولا حرج عليهم في ذلك، فالمهم أن لا يكون هناك مسيحيون ينافسونهم في الأرض في حمل رسالة السماء.

وقد وبخَّ القرآن الكريم اليهود توبيخاً شديداً على مسلكهم المتنافي مع فكرة الإيمان التي يدعون كذباً أنهم حملتها في الأرض، وعلى الجريمة الفظيعة التي ارتكبوها بحق أناس أبرياء مع أن الله حرم قتل الأنفس إلا

بحقها: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[2]

وقص القرآن قصة أصحاب الأخدود في سورة البروج [3].

اليهود يحرضون الرومان على إبادة النصارى:

وكان من بين اليهود الذين وصلوا إلى مراكز رفيعة في الدولة الرومانية (جحودا) الذي أصبح مستشاراً للإمبراطور (انتونان) فأقنعه بأن سبب وقوع الطاعون في أهل روما يعود إلى وجود الناصريين، وحرضه على إفنائهم، فاستجاب الإمبراطور له، وأمر بقتل جميع النصارى عام ١٥٥م.

وساهم القيافا (المستشارون) اليهود في قتل النصارى عام ١٧٧م في عهد الإمبراطور مارك أوريل[4] .

وقد أكد سفر (حارودوت) اليهودي وقوع الحوادث كما روتها المصادر غير اليهودية.

ويروي سفر (جوساشن) اليهودي أن الإمبراطور دوكلينيان أقدم على إعدام أعداد كبيرة من النصارى من بينهم البابا (كايوس) والبابا (مارسيلو توس) بتحريض من بطانته من اليهود[5] ..

دور اليهود الخسيس إبان الحرب الفارسية الرومانية:

ثم أخذ اليهود يعودون إلى أرض فلسطين من جديد حتى أصبح عددهم في القدس مهماً إبان الحروب الفارسية الرومانية في أوائل القرن السابع الميلادي. ومع أن الفرس وثنيون وعباد نار، والرومان

---

(١) الآية ٩٣ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٣٢ من سورة المائدة.

(٣) الآيات ٤-١٠ من سورة البروج.

(٤) نفس المرجع ص ٩٨.

(٥) المفسدون في الرض ص ٩٩ (وهيبس) الثورة الجديدة ص ٢٢٥.

(البيزنطيون) دولة مسيحية تؤمن بالله، ويؤمن رعاياها بأنبياء بني إسرائيل، ويعتقدون أن كتب بني إسرائيل هي جزء من تراثهم الديني، فإن اليهود الذين كانوا يعيشون في فلسطين في كنف الدولة المسيحية بإخاء ظاهر مع جيرانهم المسيحيين، تطلعوا إلى شفاء أحقادهم القديمة المكبوتة والمتوارثة على المسيحيين، فأسرعوا إلى الفرس يتصلون بهم، ويضعون أنفسهم في خدمتهم، وخدمة حربهم مع الرومان، وبعد أن تغلب الفرس على الجيش البيزنطي، اتجهوا إلى القدس يحاصرونها، فأبدى المسيحيون بسالة في محاربة محاصريهم، وصمموا على الموت دفاعاً عن مقدساتهم ودينهم وأعراضهم، وكراماتهم. وقاتلوا الغزاة قتالاً عنيداً. وردوا هجماتهم المتكررة على الأسوار.

وحينئذ ظهر الدور الخسيس لليهود الموجودين داخل القدس فأخذوا يتصلون بالفرس، وينسقون معهم المواقف، ويرسمون معهم الخطط ليمكنوا الفرس من دخول البلد. وكان الشرط الوحيد الذي اشترطه اليهود على الفرس لقاء هذا العون الثمين، هو أن يمكنهم الفرس من شفاء أحقادهم من المسيحيين بالطريقة التي يرونها هم أنفسهم دون تدخل من الفرس في الأمر، مهما وجدوا الطريقة التي يتبعها اليهود في الانتقام قاسية وغير إنسانية. وقبل الفرس الشرط إذ كان همهم دخول القدس، والقضاء على المقاومة البيزنطية فيها للتفرغ لما هو أهم في نظرهم.

وتحرك اليهود داخل المدينة ففتحوا الأبواب للفرس فتدفقت جحافلهم إلى المدينة وحينئذ استسلم اليهود إلى انتقام فظيع من جيرانهم المسيحيين، فقتلوا ألوفاً لا تحصى وأحرقوا ألوفاً غير هؤلاء، وتفننوا في الإيذاء تفنناً غريباً وكأنهم وحوش لم تعرف الرحمة إلى قلوبهم سبيلاً في يوم من الأيام.

وتروي كتب التاريخ أن عدد من قتلهم اليهود وحدهم من المسيحيين بلغ نحواً من ستين ألف شخص ما بين رجل وامرأة وطفل وحامل وعاجز وفتاة. لقد شنوها حرب إبادة على المسيحيين، وفي ظنهم أن الفرس

سيكون نصرهم نصراً نهائياً لا تقوم بعده قائمة للروم في أرض الشام وفلسطين.

وحينما عمت المسيحية أوروبا، استكان اليهود، وأدركوا أنهم لا قبل لهم بمجابهة المسيحية والمسيحيين والكنيسة، فأمروا اتباعهم بمتابعة العمل السري، والتخريب، ومحاولة تهديم المجتمعات المسيحية من الداخل، وكان من خططهم أن يتحول أناس منهم إلى المسيحية ظاهرياً ليستطيعوا العمل بحرية تامة في خدمة المخططات اليهودية. وكان من خطتهم أيضاً – ليمنعوا أتباعهم من الانحلال في المجتمعات المسيحية – أن يلقنوهم التعاليم – ومنذ نعومة أظفارهم – لكره المسيحية، وكل ما هو مسيحي، وبصورة خاصة لكره الكنيسة والدول المسيحية قاطبة، وأقنعوهم بأنه من أقرب القربات إلى الله أن يفتك اليهودي بإنسان مسيحي صغيراً كان أو كبيراً، إذا كان يقدر أن قتله لن يجر كارثة على اليهود. ووصل بهم الأمر أنهم جعلوا من مستلزمات الاحتفال (بعيد الفطير) أن يضيفوا إلى عجين الفطير – وبمعرفة كبير حاخاماتهم – شيئاً من دم إنسان مسيحي، وقد سجلت المجتمعات الأوروبية في العصور الخالية حوادث كثيرة اقدم فيها اليهود على خطف أطفال من المسيحيين، ذبحوهم واستصفوا دماءهم عن طريق الاستنزاف.. وفي سوريا سجل عام ١٨٤٠م حادثاً رهيباً إذ استدرج اليهود في دمشق قسيساً مسيحياً من أصل إيطالي نذر نفسه لعمل الخير للناس إلى أحد البيوت اليهودية بحجة أن لديهم طفلاً مصاباً بالجدري، وهم يريدون من القس أن يعاينه ويصف له دواء. ولم يرتب القسيس في شيء من مسلكهم، لأنه كان من عادته فعل الخير في الناس جميعاً، فأسرع يستجيب لطلبهم. ولكن القسيس ما إن دخل البيت حتى أمسك به عدد كبير من اليهود كانوا فيه، وشدوا وثاقه وذبحوه، وجمعوا دمه بحضور اثنين من الحاخامات، اللذين حملا دمه في زجاجتين كبيرتين إلى كبير الحاخامات ليتصرف به في صنع خبز الفطير في ذلك العيد الذي قارب حلوله.

واستطاعت التحقيقات كشف الحقيقة، ومثل المجرمون الجريمة.. وحكم على اليهود ـ بعد محاولات محمومة وفاشلة لرشوة أعضاء هذه المحكمة – بالموت. ولكن اليهود الذين استعانوا بيهود فرانسا، وكان منهم وزير فيها، استطاعوا شراء ذمة على باشا في مصر (علماً بأن سوريا كانت تحت حكم ابنه إبراهيم باشا بعد أن هزم جيوش الدولة العثمانية..) فحصلوا من الباشا على إلغاء الحكم والجريمة وتم إطلاق سراح المعتقلين..

وفي العصر الحديث سجل الكتاب الأوروبيون كثيراً من النقد لمسلك اليهود الإجرامي الشائن، ولمحاولاتهم الدنيئة لحل المجتمعات الأوروبية عن طريق نشر الفساد والانحلال الأخلاقي.. وقد نقل الأستاذ سليمان ناجي في كتابه (المفسدون في الأرض) شيئاً كثيراً من ذلك نقتطف منه فقرات محيلين من شاء المزيد إلى الرجوع إلى هذا الكتاب القيم:

(إذا أردت معرفة أسباب النكبات التي تعرض، أو التي سيتعرض لها العالم، والتي أسفرت وستسفر عن مذابح رهيبة، ونكبات اقتصادية عامة، وعمليات تخريب مقلقة للنظم والأفكار الاجتماعية..، فوجب علينا أن نتعلم البحث عن مدى ما في ظاهرها ونتائجها من الطابع ومن الأثر في المبادهة اليهودية، ومقدار توافقها مع الأغراض الصهيونية.. وإذا أردنا تجنب التعرض لمثيلاتها في المستقبل لوجب علينا أن نتقن أصول الكشف عن ألوان الأساليب والأضاليل التي تعتمدها اليهودية والماسونية التي تتخلل جميع شؤوننا اليومية.. لذا كان لزاماً علينا أن نسبر اغوار الاشاعات والدسائس التي تهمس في آذاننا وأن لا نتسرع في الحكم لها أو عليها إلا بعد أن نتأكد من صحتها.. إذ ربما كان اليهودي الغادر يكمن خلفها، ويتربص بنا الدوائر. فهو الخصم الذي نراه ضعيفاً كدودة الأرض، وأخرى شرساً مثل أسد الغاب،

والذي يدفعه تعصبه العنصري الأعمى لافتعال الكوارث والمصائب لينزلها على البشرية جمعاء)[1] .

(كان اليهود يرون في النصارى خوارج وكفاراً وأعداء يستحقون أشد العقوبات، وهذا ما كان يلقنهم إياه (المجلس الكهنوتي الأعلى) وهم أيضاً العدو التقليدي للكنيسة المسيحية[2])

(خلال حمى الفتح للعالم الجديد انتقل النشاط التجاري من موانئ البحر الأبيض المتوسط إلى الموانئ الإسبانية الأطلسية، فثارت الدول التي تضررت من ذلك التحول، وعادت إسبانيا، ووقعت حروب واضطرابات، وتضعضع الاقتصاد، وأوجبت الحروب فرض ضرائب جديدة لمواجهة النفقات، فارتفعت الأسعار، وقلت المواد الغذائية، وانتشرت البطالة، وسيق الفلاحون إلى ميدان الحرب فبارت الزراعة، فطرحت الدول سندات دين عام، وباعت أملاكها، ومالت الدول إلى الاقتراض من الأثرياء في البلاد وكان أكثرهم من اليهود الذين كانوا يراقبون الموقف، ويخططون للاستفادة منه.. وخلال ذلك انطلقت المبادئ الحديثة في البلاد المسيحية تطالب بالتخلي عن تعاليم الكنيسة، والانعتاق من التقاليد والمثل المسيحية، والعودة إلى العقائد الرومانية، والأدب الروماني والتخلي عن أسلوب المعيشة النصراني الداعي إلى الخضوع والتقشف.. وكان اليهودي وراء نشر هذه الأفكار ومالت النفوس إلى الأخذ بهذه الأفكار والمقولات.. ورحب اليهودي بها، كما رحب اليهود بلجوء الكنيسة والحكومات المسيحية إلى الاستدانة منهم، وأوعزوا إلى جماعتهم بالانضمام إلى الحركات الجديدة للسيطرة عليها، وتوجيهها من الداخل.. وأخذ اليهود يكيلون التهم للكنيسة، وينشرون ما يتهمونها به

---

(١) المفسدون في الأرض ص ١٢٧ - من أقوال الكاتب سولين نقلها عنه (هيس) في كتابه (لا نوفيل بيبل) ص ١٨٠.

(٢) نفس المرجع ص ١٣٨

بين المثقفين.. وهكذا أصبح اليهودي قيما على الكنيسة، وصار يعين أبناء قومه جباة لأموالها.. وعين في كل كنيسة أو أبرشية محاسباً من أتباعه، فخطب الملوك ود اليهودي، وقربوا مجلسه من مجالسهم، وهكذا دخل المجتمع الأوروبي من بابه الواسع..(١)

ثم قامت حركة لوثر التي شقت الكنيسة، وسمحت بتدخل أمراء الإقطاع الألمان في شؤون الدين، وسارع اليهود إلى وضع أموالهم تحت تصرف أمراء المقاطعات الألمان المناوئين للكنيسة، واندلعت نيران الحروب التي انتهت في عام ١٥٢٦م م باعتراف شارلكان باستقلال الإمارات الألمانية وكنائسها عن البابا.. ثم عمد اليهود إلى إذكاء نيران الفتن والحروب بين البروتستانت والكاثوليك فعادت الحروب واندلعت من جديد، ودامت إلى عام ١٥٥٥م..

ثم ظهر كالفن في فرانسا، وقامت مذابح فضعف نفوذ البابا في فرانسا، وأعلن هنري الثامن تمرده على البابا، فضعضع ذلك هيبة الكنسية في نفوس الناس.. (٢)

(جاء اليهودي إلى فرانسا عام ١٧٨٠م ينشد العون والحماية، وفي عهدي الثورة والإمبراطورية احتل كل مكان فيها، وتغلغل في كل مكان وميدان، ولما عادت الملكية استولى على أفخم قصورها وأبهاها. وفي عهد نابليون الثالث شارك الفرنسي فراشه الزوجي. أما في ظل الجمهورية فشرع بطرده من منزله ووطنه(٣)

وأتاحت الثورة الفرنسية لليهود الفرصة لكي يحصلوا من الجمعية الوطنية للثورة على قرار بمنحهم حق المساواة مع الفرنسيين، فقامت مظاهرات في فرانسا تطالب بالحد من تغلغل اليهود، فعمل اليهود على

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١٣٩-١٤٣

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٤٤

(٣) من أقوال ادوارد درومونت - مؤلف كتاب فرنسا اليهودية نقلاً عن كتاب المفسدون في الأرض ص١٤٦

دفع الحكومة إلى الضرب بيد من حديد على يدي مثيري هذه الحركة ضد اليهود، وتولي اليهودي (هربر) قيادة حملة التأديب ضد أعداء اليهود، فبطش بالناس بكل قسوة، ووقعت مذابح أيلول.

وكان مارا – الذي لقب خلال الثورة بجلاد الشعب – يهودياً وابن طبيب يهودي اعتنق أبوه في شبابه الكثلكة، ثم أصبح بروتستنتيا، وتزوج من يهودية سويسرية.[1]

وحاول اليهود الفوز برئاسة الجمعية الوطنية للثورة الفرنسية فرشحوا لها اليهودي (النائب كراديس)، ولكن الشعب لم يقبل يهودياً فانتقم اليهود من الشعب الفرنسي عن طريق الانتقام من الطفل لويس السابع عشر. ولي عهد فرانسا. ويقص المؤلف قصة تدل على الحقارة واللؤم اليهوديين اللذين تبديا في معاملة اليهودي الذي كلف بمراقبة هذا الطفل الصغير.. له وهو في سجنه.

ويعزو النقاد خضوع شبان فرانسا المثقفين لإرادة اليهود إلى أنهم كانوا من الانتهازيين المرتزقة، الذين لم يبالوا إلا بمصالحهم الخاصة، وأطلقوا أيدي اليهود في بلادهم مقابل الحصول على منافع شخصية دنيئة حصلوا عليها منهم.[2]

وكان أبطال المجازر التي ارتكبت في فرانسا خلال الثورة الفرنسية من اليهود والماسونيين، وكانوا يفاخرون بما يرتكبونه من فظائع.[3]

وقد ذكر القائد الألماني الكبير (مولتكه) في مذكراته أن رئاسة الأركان الألمانية لم تضع أي مخطط لعمليات حرب – ١٨٧٠ م إذ كانت تعتمد في عملياتها على ما يصلها من جواسيسها اليهود في

(١) هيس ص ١٧١ نقلاً عن المفسدون في الأرض ص ١٥٣

(٢) نفس المرجع ص ١٦٠

(٣) نفس المرجع ص ١٦٣

المنطقة الفرنسية.. وأننا نعترف بأن نصرنا على الجيش الفرنسي كان بفضل هؤلاء الجواسيس[1]

وكان وراء مشروع السماح بالطلاق الذي أقرته الجمعية الوطنية الفرنسية اليهودي (غامبيتا) وكانت الغاية منه توجيه طعنة قاتلة للكنيسة الكاثوليكية، وتجريدها من آخر أسلحتها.. ولم يجرؤ أحد في فرانسا منذ الثورة على أن يتهم اليهود ويفضحهم لأنهم كانوا جميعاً إما من الماسون أو من المهودين. [2]

ثم يتحدث المؤلف سليمان ناجي عن سيطرة اليهود على فرانسا عام ١٩٣٩ (عام اندلاع الحرب العالمية الثانية) فيقول:

تمكن اليهود وعملاؤهم الماسون من تجريد الشعب الفرنسي من قيمه الأخلاقية والدينية وعاداته الكريمة، فقد حولوه إلى عبد للشهوات، بفضل ما ساقه اليهود من كتب ومصادر أدبية ملحدة وإباحية..

ومن بين آلاف الكتب التي وضعها اليهود أو عملاؤهم كتاب وضعه اليهودي البلغاري الأصل ليون بلوم، الذي جاء إلى فرانسا ووصل إلى منصب رئيس الوزراء فيها إبان الحرب العالمية، ووضع كتاباً اسمه (الزواج) هو الغاية في الدعوة إلى الإباحية والانحلال الأخلاقي، ودوس القيم الدينية التي تعارفت عليها الأديان السماوية. وقد طبع من هذا الكتاب سبعة ملايين نسخة في فرنسا وحدها، وهو كتاب يقع في ٣٤٥ صفحة، وترجم إلى كثير من لغات العالم يفضل نشاط اليهود لنشره في البلاد المسيحية. ويقول الأستاذ ناجي إن الكتاب تشمئز منه النفوس الكريمة؛ ولا بأس في أن ننقل مقاطع منه ليطلع القارئ المنصف على حقارة هؤلاء الداعين إلى الإباحة في المجتمعات الإنسانية.

ومما يقوله ليون بلوم في كتابه القذر هذا:

---

(١) نفس المرجع ص ١٧٧ وهييس ص ١٨٢

(٢) نفس المرجع ص ١٧٩

(على الفتاة البالغة أن تنفق طاقاتها الجنسية في حينها، وتطلق لرغباتها العنان قبل الزواج، وأن لا تحرم نفسها من الاستفادة من المغامرات عندما تتوفر لها، لأن فرصة المراهقة هي فرصتها لاغتراف الملذات. وعليها أن تتعرف على أكبر عدد من الرجال لتطفئ شهوتها العارمة التي تتأجج في هذه الفترة في أعماقها. والفتاة الذكية هي التي تعرف كيف تنتقي الرجال الذين يمكن أن تتمرس على أيديهم.. وإلا أضاعت على نفسها أطيب ملذات العمر.. إن الفتاة المتزمتة التي تسعى لإرضاء ذويها على حساب ملذاتها هي فتاة خائبة.. الخ.

ثم ينقل المؤلف مقطعاً من كتاب بلوم هو الغاية في الانحلال الأخلاقي والديني والمثل الإنسانية.. فيقول: (لماذا نمنع الاتصال الجنسي بين الإخوة ؟ ما هو الغرض من التمسك بهذه السخافات. إنه من السخف، أن نفرض على شبابنا تقاليد وأعرافاً باطلة لا تعني شيئاً، ولا تسمن من جوع، فلنطلق لشهواتنا العنان انسجاماً مع الطبيعة..الخ. [1]

وما يقوله هذا اليهودي اللئيم، نسمع صداه منذ وقت في مجتمعات كثيرة يرهقها الطغيان والإرهاب الفكري، ويعضها الجوع بنابه نتيجة للفساد والفقر والضياع.

وهكذا نصل إلى نهاية هذا الفصل الذي كشف عداء اليهود لبني البشر جميعاً، فإذا شعروا بالقوة بطشوا بغيرهم بدون رحمة، ولغير ما سبب دافع إلى البطش، وإذا ما شعروا بالضعف والعجز استكانوا ولجؤوا إلى الدس والتخريب، ونشر الشائعات المدمرة، ولا يرون حرجاً عليهم في أن يدسوا أناساً منهم في المجتمعات يتظاهرون بالتخلي عن يهوديتهم، واعتناق دين الجماعة من

---

(١) نفس المرجع ص ١٨٩

حولهم، ليصلوا إلى غايتهم في تخريب المجتمعات والانتقام منها من الداخل، وقد دخلوا الكنائس، ووصلوا فيها إلى أعلى المناصب، وقد رأينا بعضاً مما استطاعوا تحقيقه لدى الكنيسة الكاثوليكية التي اتخذت قراراً برأت فيه يهود العصر من دم المسيح، ويتداولون الآن فيها مشروع قرار بالاعتراف بأن الكنيسة الكاثوليكية كانت من الأسباب التي نشرت عداء البشر لليهود (اللا سامية)، وقد يصدر مثل هذا القرار قريباً، لأن هناك رغبة ملحة في أوساط الكنيسة لإصداره..

وكلمة أخيرة نقولها لهؤلاء الذين يجرؤون على رفع ما قضاه الله من لعنة فرضها الله على اليهود إلى أن تقوم الساعة، إنهم أعجز من ذلك ولن يقبل الله أن يعترض أحد أو جماعة على تصرفه في الكون بشيء.. ومن يرجع إلى كتب اليهود، قبل غيرها من كتب الله، يجد أن الله غضب عليهم، ولعنهم لقتلهم الأنبياء والصالحين من البشر الذين كانوا يأمرونهم بالمعروف، وبالكف عن الفساد والإفساد في الأرض.. ومن يقتل نبياً أو رجلاً بريئاً، ويغضب الله عليه ويلعنه فلن يستطيع أحد أن يبرئه من لعنة الله وغضبه.. لأنه من جهة لا يملك شيئاً من قضاء الله، لأن الأمر كله لله وحده لا معقب على حكمه فيه، ومن جهة ثانية فإن اليهود الذين تابعوا أسلافهم على الكفر برسالة الله، وعلى القبول بما تصرفوه في حق الأنبياء والصالحين.. هم ملعونون مثلهم، ولا يرفع هذه اللعنة إلا الله وحده إذا أعلن الخلف تبرأه وشجبه لما قام به أسلافه، وعاد إلى شريعة الله وحكمه، وآمن برسالات الله التي جاءت بعد موسى (المسيحية والإسلام)، وإلا كانت توبته باطلة ولا قيمة لها. وكان ما قضاه بعض بني البشر من رفع اللعنة عن اليهود باطلاً ولا قيمة له في ميزان الله المتصرف الأوحد في الكون وأحداثه.

قصر نظر اليهود:

ومن سوء حظ اليهود أنهم قصيرو النظر، وأنهم حينما يرون فرصة مواتية لشفاء أحقادهم قد لاحت لهم، يقدمون على اغتنامها غير مفكرين فيما يمكن أن يأتي به الغد من عواقب وخيمة ومدمرة عليهم وعلى قومهم.

انتقام المسيحيين من اليهود:

لم يدم نصر الفرس على الروم المسيحيين إلا وقتاً قصيراً، تسع سنوات، كما حددها القرآن، ثم انتزع الروم النصر، وطردوا الفرس من المنطقة، وانتقموا من اليهود انتقاماً رهيباً في طول الدولة البيزنطية وعرضها. وثارت ثائرة المسيحيين في أوروبا على اليهود، فأخذوا ينتقمون منهم في كل مكان جاوروهم فيه.

ففي اسبانيا انتقم القوط من اليهود، وأجبروهم على التنصر، وسنوا لهم قوانين بالغة القسوة، حتى أنهم فكروا في أن يحرموا التزاوج بين اليهود، وأن ينتزعوا الأطفال اليهود من أحضان آبائهم ليتربوا في أحضان العائلات المسيحية لكيلا يعلم اليهود أبناءهم الدين اليهودي، وينفثوا في صدورهم وقلوبهم حقدهم وعداءهم للناس.. واستمرت نقمة المسيحيين على اليهود منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا. وقد عوقبوا أشد العقاب على أيدي الصليبيين حينما توجهت طلائعهم إلى الشرق لمحاربة المسلمين.

مواقف يهودية من الإسلام ودولته:

خلال المصائب التي نزلت باليهود في فلسطين على أيدي الرومان والآشوريين والكلدانيين والفرس والمصريين.. أخذت تنزح جماعات منهم إلى الجزيرة العربية، فأقام بعضهم في يثرب (المدينة)، وأقام بعضهم في خيبر وبعضهم أقام في فدك وتيماء.. وأصبح لهم مع مرور الأيام مركز متميز. فقد كان أهل يثرب من الأوس والخزرج من عرب اليمن الطارئين

على المنطقة بعد انهدام سد مأرب ولذلك لم يكن بين عرب المنطقة المحيطة بيثرب وبين الأوس والخزرج قرابة ولا نسب، فكان أهل يثرب يشعرون بالحذر من جيرانهم العرب المحيطين بهم.

وكانوا يخشون دائماً الاعتداء عليهم.. ثم إنه كان بين الأوس والخزرج عداء قديم، وحروب دامية لا تكاد تنتهي حرب حتى تبدأ حرب جديدة، فوجد اليهود فرصتهم الذهبية في هذا المجتمع المشبع بالخوف والحذر والترقب، فأقاموا في هذا المجتمع المنشغل عنهم بالعداء فيما بين أفراده، وبالعداء مع جيرانه العرب حول المدينة. ولم يكن يهم اليهود أنهم يعيشون في مجتمع يعبد أهله الأصنام والأوثان، وهم حملة رسالة الإيمان في الأرض، ولم يكن يهمهم أن يباشروا دعوة الناس إلى الأخذ بدعوة الإيمان، وإخراجهم من ظلمات الكفر والجهالة إلى نور الهدى والإيمان وعبادة الله تعالى وحده بدون شريك.. وإنما كان يهمهم أن يبقوا في هذا المجتمع متميزين عمن عداهم، وفي ظنهم أن الدين يمكن أن يكون احتكاراً وامتيازاً للتفاخر والمباهاة، وجر المنافع كما تحتكر الأموال والتجارات والجاه والنفوذ والسلطان.. الخ، فهم يريدون التفرد في كل شيء في الوجود لا يشركهم في شيء منه أحد من خلق الله.

وكان اليهود حريصين على إذكاء نيران الحقد والكراهية بين الأوس والخزرج لكيلا تنطفىء نيران الحرب أبداً بينهم.. ليبقى المجتمع من حولهم منشغلاً بهمومه الخاصة عنهم، وبمشاكله، وليبقوا هم في دور الحكم الذي يحتاج الفريقان إليه في وقت الشدة.

وهاجر الرسول ﷺ والمسلمون إلى يثرب، فكره اليهود مقدمهم إلى مدينتهم كما كانوا كرهوا بعثة نبي من العرب، مع أنهم كانوا يتوقعون بعثته، وكانوا يعلمون من كتبهم أن نبياً من ولد إسماعيل سيبعثه الله في أرض الحجاز (جبال فاران – جبال مكة). وكانوا يهددون عرب يثرب ببعثة النبي المنتظر، ويقولون لهم إنهم سيقاتلون الشرك وأهله تحت لوائه، وسيبيدون الشرك والمشركين من الأرض.. ولكنهم حينما بعث محمد

صلوات الله عليه، كرهوا ذلك أشد الكره، وأخذوا في الدسّ والوقيعة والكيد للرسول والمسلمين، ودأبوا على نشر الشائعات، وإثارة الشكوك لصرف المسلمين عن دينهم، ولصرف من أراد الدخول في الإسلام عن غايته.. وجعلوا همهم الأول محاربة دعوة الإيمان التي جاء محمد ليجدد ما رث من حبالها في الأرض..

وكانوا من الناحية النظرية والعددية والقدرة المادية على الحرب.. قادرين على مباشرة محمد وأصحابه بالحرب، ولكن الله أوقع في قلوبهم الرعب، فأجلى المسلمون بني قينقاع عن المدينة، ثم أجلوا بني النضير، بعد أن بدؤوا بمجاهرة الرسول ﷺ والمسلمين بالعداء. وحاولوا قتل رسول الله حينما جاء إلى محلتهم يسألهم إعانته في دفع دية توجبت على المسلمين، كما توجبه شروط العهد بين الجانبين.

ثم انطلق يهود بني النضير المخرجين من المدينة في تأليب العرب على محمد والمسلمين، فانطلقت جحافل الأحزاب في عشرة آلاف مقاتل تتجه إلى المدينة وهي مصممة على استئصال شأفة الإسلام والمسلمين من الأرض. ولكنهم حينما وصلوا إلى المدينة وجدوا حولها خندقاً حفره المسلمون استعداداً لمحاربة الأحزاب القادمين إليهم، فوقف الأحزاب بعيداً يناجزون المسلمين القتال عبر الخندق. ولم تستطع خيلهم اقتحام الخندق. وطال الأمر، ونفذ صبر الأحزاب وخاف زعماء اليهود الذين ألبوا الأحزاب على المسلمين أن ينصرف الناس عن المدينة خائبين خاسرين، فيفقدوا آخر أمل لهم في القضاء على الإسلام وأهله.. فتطلعوا إلى يهود بني قريظة - القبيلة الباقية من اليهود على ولائها لعهدها مع المسلمين،- وقدَّر زعيم بني النضير حيي بن أخطب، أن بني قريظة إذا نقضوا عهدهم مع المسلمين، وباشروا قتالهم من داخل المدينة فإن الخندق سيفقد قيمته الحربية، ويصبح المسلمون بين نارين..

ولم تكن قوة المسلمين كافية للقتال على جبهتين إذ كان كل ما استطاعوا جمعه وحشده من المقاتلين للمعركة هو ثلاثة آلاف مقاتل، بينهم

كثير من المنافقين الذين كانوا قوة على الإسلام لا قوة معه، بينما كان الأحزاب في عشرة آلاف مقاتل وبنو قريظة داخل المدينة لديهم حوالي ألف مقاتل، وهم محصنون في حصونهم المنيعة ولديهم أقوات وأسلحة وعدد وفيرة..

وباشر حيي بن أخطب محاولاته مع كعب بن أسد سيد بني قريظة لحمله على نقض عهده مع المسلمين، ومباشرة قتالهم منضماً إلى الأحزاب من داخل المدينة. وأعلن كعب بن أسد في بادىء الأمر أنه سيبقى محافظاً على عهده مع المسلمين، وأنه لن ينقضه أبداً لأنه لم ير من المسلمين إلاَّ وفاءً والتزاماً بالعهد.. ولكن حيي بن أخطب استطاع حمله في آخر الأمر على الرضوخ لرأيه، فأعلن بنو قريظة المسلمين بأنهم لا عهد لهم مع محمد ﷺ وجماعته.

فشل الأحزاب والقضاء على بني قريظة:

وكانت تلك الساعات من أحرج الساعات التي مرت في تاريخ الإسلام، ولكن الله سلم، فقذف الرعب في قلوب بني قريظة فلم يباشروا حرب المسلمين فوراً، وأخذوا يترددون. ثم جاء رجل من غطفان أسلم حديثاً ولم يعلم قومه بإسلامه - وكان قومه مع الأحزاب حول المدينة -واتصل برسول الله ﷺ فقال له إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا من استطعت فإن الحرب خدعة. فذهب الرجل إلى بني قريظة، وكان صاحباً لهم قبل ذلك، فأخذ في زرع الشك في صدورهم، وخوَّفهم من رحيل الأحزاب قبل أن يكملوا مهمتهم في القضاء على المسلمين، وحذَّرهم من مغبة ذلك العمل. لأنهم سيبقون وحيدين أمام قوة محمد، وليس لهم بها طاقة.

ولما سألوه الرأي قال لهم أرى أن لا تباشروا الحرب إلا إذا سلمكم قادة الأحزاب عدداً منهم يكونون رهائن لديكم على أنهم لن يرحلوا إلى

بلادهم إلا بعد انجاز مهمة القضاء على المسلمين، فأعجبتهم الفكرة. وأرسلوا بها إلى قادة الأحزاب خارج الخندق.

ثم ذهب ذلك الرجل المسلم إلى قادة الأحزاب يقول لهم إن بني قريظة راجعوا أنفسهم فوجدوا أنه من الأفضل لهم البقاء على عهدهم مع محمد، فراسلوا المسلمين في تجديد العهد على أن يسلموا إليهم من يقع في أيديهم من قادة الأحزاب رهائن ليضربوا أعناقهم..

وهكذا تمكن الشك من صدور الجانبين، وانتهى الأمر إلى فشل الأحزاب ورحيلهم دون أن يشترك بنو قريظة في القتال.

واتجه المسلمون إلى بني قريظة يعاقبونهم على خيانتهم وغدرهم ونكثهم بعهدهم مع المسلمين في أشد الساعات حرجاً.. وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم.

ثم قضى المسلمون بعد ذلك على تجمعات اليهود في خيبر وفدك وتيماء.. حتى لم يبق أحد منهم في الجزيرة العربية.

بطريرك القدس يخاف خيانة اليهود فيطلب تسليم القدس إلى عمر بن الخطاب:

تذكر كتب التاريخ أن المسلمين حينما حاصروا القدس في زمن عمر ابن الخطاب قاومتهم مقاومة شديدة، ولم يكن للعرب معرفة بأساليب حصار المدن، وقهر الأسوار، ولم تكن لديهم معدات تستطيع نقب الأسوار، وتهديمها.. فقرروا إخضاع المدينة بالجوع. فضربوا الحصار حولها.. ولما تأكد بطريرك القدس أن سوريا كلها أصبحت في أيدي المسلمين، وأن الروم لم تعد لهم قدرة على إنجاد القدس، خاف أن يتفق اليهود في القدس مع المسلمين، كما فعلوه قبل سنين قليلة حينما اتفقوا مع الفرس.. وأن يقوموا بحركة داخل المدينة يتمكنون بها من فتح الأبواب للمسلمين فيدخلونها عنوة. وخاف أن يحصل اليهود على شروط للعون تسمح لهم بالانتقام من المسيحيين، كما حصلوا عليه من الفرس..

لذلك أراد تجنب خيانة اليهود وآثارها المدمرة على المسيحيين فأعلن المسلمين أنه مستعد لتسليم القدس إلى الخليفة عمر بن الخطاب شخصياً دون غيره.. وفي ظنه أن خليفة المسلمين لا يمكن أن يخون عهده مع المسيحيين حين تسليم القدس، ولا يمكن أن يسمح لليهود بالتجاوز على المسيحيين والانتقام منهم. ثم إنه بإعلانه عن رغبته في تسليم المدينة يكون قد دخل في عهد من المسالمة مع المسلمين فلا يمكن أن يحدث بعد ذلك انتقام من المسلمين، ولا من اليهود.. كما لا يمكن أن يحدث اتفاق بين المسلمين وبين اليهود لفتح الأبواب لقاء منافع يجنونها..

وفي ظننا أن هذا الأمر كان في مقدمة الأسباب التي حملت بطريرك القدس على الإصرار على تسليم المدينة إلى الخليفة شخصياً، وكان قد ذاع اسمه في كل مكان من الجزيرة العربية ومن حولها على أنه الرجل المؤمن العادل الوفي بالعهود التي يقطعها المسلمون. كما كانت المواقف التي وقفتها الجيوش الإسلامية في الأراضي المفتتحة قد كشفت لشعوب الأرض حقيقة رسالة الإسلام الإنسانية الرفيعة.

اليهود يضعون أنفسهم في خدمة الفتح الإسلامي في الأندلس:

وفي الاندلس وضع اليهود أنفسهم في خدمة الفتح الإسلامي، فجمعوا قوات منهم جعلوها في كتائب عهد إليها المسلمون بالقيام بدور الحاميات والشرط، لحفظ الأمن في المدن المفتتحة تحت إشراف دقيق من المسلمين. ولم يكن ذلك منهم اعتقاداً بأن الإسلام يمكن أن يلتقي مع ديانة موسى في الخطوط العريضة لدعوة الإيمان، وإنما كان ذلك كرهاً بالقوط الذين نكلوا بهم منذ سنين قليلة، وأخضعوهم إلى تدابير في غاية القسوة والشدة انتقاماً منهم لخيانتهم المسيحيين في القدس أيام الغزو الفارسي لها. وطمعاً في أن يجدوا لدى العرب تسامحاً معهم في أن يستسلموا إلى انتقام من المسيحيين الاسبان..

ولكن اليهود لم يستطيعوا القيام بشفاء احقادهم من القوط والاسبان لأن العرب كانوا أصحاب رسالة إنسانية لا يسمحون معها لأنفسهم ولا لغيرهم في ظلهم أن يباشروا إزهاق الأرواح الإنسانية البريئة ظلماً وعدواناً وتشفياً، فقد كانت رسالة العرب رسالة سماوية غايتها نشر الإيمان في الأرض، ونشر المحبة والخير والإخاء الإنساني بين بني البشر. وإيصال دعوة الله إلى الناس جميعاً، ثم ترك الناس بعد ذلك أحراراً من شاء منهم اهتدى، وأخذ بالدعوة، ومن شاء منهم أقام على معتقده لا يعكر صفو حياته معكر، ما التزم بشروط العهد. ولم يلق أحد ممن أقاموا على أديانهم إرهاقاً ولا ضغطاً ولا انتقاماً في ظل دولة الإسلام.

ولو كان الداخلون الاندلس من غير العرب المسلمين لكان لليهود موقف آخر من الشعب الإسباني ومن القوط، وهم جيرانهم، وإخوانهم وأفراد مجتمعهم فقد فطر بنو إسرائيل على الحقد والكراهية للناس جميعاً، وعلى محبة إيذاء خلق الله تشفياً وانتقاماً..

المذابح الصليبية بحق اليهود في أوروبا:

استقرت جاليات يهودية في أوروبا منذ وقت بعيد، وظل هؤلاء اليهود على اتصال بإخوانهم في الدين في بيزنطة والبلاد العربية، وبذلك استطاعوا أن يقوموا بدور نشط وفعال في خدمة التجارة الدولية، ولا سيما في التجارة بين البلاد الإسلامية والمسيحية. وأفاد اليهود من الإقراض بالربا بسبب تحريم الربا في الديانة المسيحية. وبسبب تشدد الإمبراطورية البيزنطية في مراقبة عمليات الإقراض بالربا..

وقد نجح اليهود في تجنيب أنفسهم انتقام المسيحيين في بعض البلاد المسيحية بسبب ما كانوا يتمتعون به من مهارة فنية، وبسبب تعاطيهم مهناً لها علاقة بحياة الناس كالطب والكيمياء.

لم تكن من الوجهة الرسمية لليهود حقوق مدنية في أوروبا في القرون

الوسطى[1]، ولكن السلطتين المدنية والكنسية كانتا تريان لهم بعض النفع في المجتمع.. وهكذا شمل ملكا انكلترا وفرانسا اليهود بعطفهما، وبسطا عليهم حمايتهما، كما خصهم بالعطف والحماية رؤساء الأساقفة في المدن الكبرى في وادي الرين.

ولكن الفلاحين والفقراء في المدن الذين كانوا يعانون الضيق فيها من اليهود حينما كانوا يقرضونهم المال بفوائد مرتفعة، فقد كرهوهم أشد الكره.. ولم يكن اليهود أهل بصيره وحسن تقدير للأمور، فكانوا إذا ضمنوا رضا الحاكمين كانوا يوغلون في عسفهم واشتطاطهم في جني الأرباح، وتقاضي الفوائد المرتفعة مستغلين حاجة الناس للمال بدون رحمة..

وقد ازداد كره الناس لليهود في أوروبا كثيراً في القرن الحادي عشر نظراً لاشتداد حاجة الناس للاستقراض، والى إسراف اليهود في اشتطاطهم في طلب الفوائد العالية. وقد بلغت الكراهية أقصاها حينما أعلنت الدعوة إلى الحروب الصليبية إذ زادت حاجة الناس من المتطوعين في الحملة إلى المال لتجهيز أنفسهم للسير إلى الشرق. وكان المتطوعون يرون أن الحملة الصليبية هدفها إنقاذ قبر المسيح في القدس من أيدي المسلمين، ولكن بما أن اليهودي الذي صلب إجداده المسيح، ما زال مقيماً بأمان بين أظهرهم، ويستغلهم أبشع استغلال لذلك كان الأولى بهم أن يقوموا بالانتقام أولاً من قتلة المسيح قبل الذهاب إلى القدس لانقاذ القبر الذي دفن فيه المسيح.

وفي كانون الأول من عام ١٠٩٥م، أخذت تشيع بين اليهود في أوروبا أخبار النقمة التي تعم المحاربين الصليبيين على اليهود فأخذوا يبحثون عن الوسائل التي تكفل لهم الحماية فلجؤوا إلى رؤساء الأساقفه والى أمراء الإقطاع يبذلون لهم المال والهدايا الثمينة لحمايتهم مما ينتظرهم من نقمة

---

(١) - رونسمان الحروب الصليبية ج١ ص ٢٧.

الصليبيين عليهم.. وحاول الاساقفه والحكام بسط حمايتهم على اليهود، ولكن جموع الصليبيين لم تحفل بأحد، وانطلقت تنكل باليهود في كل مكان من بلاد الرين..

ففي ٣ أيار (مايو) ١٠٩٦م شنت فرقة من الصليبيين هجوماً على الجاليات اليهودية في (اشبير) فقتلوا بعضهم، ثم تدخل اسقف المدينة لحمايتهم بعد أن تلقى مبلغاً من المال من اليهود..

وفي ١٨ مايو (أيار) هاجمت الفرقة الصليبية بلدة (فورمز) فانضم أهل المدينة إلى الجيش الصليبي، وقاموا معاً بذبح اليهود في المدينة، وهرب اليهود إلى قصر الاسقف لحمايتهم فلاحقتهم الجموع واقتحمت القصر عليهم وذبحتهم عن آخرهم..

وفي ٢٠ أيار (مايو) وصلت الفرقة الصليبية إلى ما يانس فخاف اليهود وأرسلوا إلى رئيس الأساقفه ٢٠٠ قطعة فضية فأمر بإغلاق أبواب المدينة ولكن الجموع الهائجة في المدينة كرهاً باليهود قامت بفتح الأبواب للصليبيين، واجتمع الشعب مع القوات الصليبية على مطاردة اليهود، واقتحموا عليهم قصر رئيس الأساقفة، وذبحوهم عن آخرهم.

ثم اتجهت الجموع إلى قصر حاكم المدينة لذبح من كان فيه من اليهود، وحاول اليهود الدفاع عن أنفسهم، ولكنهم غلبوا وذبحوا جميعاً.

واستمرت المذابح في المدينة فأعلن بعض اليهود عن رغبتهم في التحول إلى النصرانية، فأنقذوا بذلك حياتهم من الهلاك.

ثم وقعت مذابح في كولونيا ومتز وتربيه من بلاد الرين، وسار الصليبيون على ضفاف نهر الرين يقتلون من يجدونه منهم في طريقهم..

وقامت الفرقة: الصليبية التي وصلت إلى براغ في طريقها إلى الشرق بذبح اليهود في المدينة (٣ حزيران - يونيو) ١٠٩٦م.

ودافع المجريون عن اليهود، وقاتلوا الصليبيين وأبعدوهم عن أماكن تجمع اليهود فنجوا من الموت..

الفصل الثاني

صفات اليهود في كتبهم
بعض ما جاء في كتب بني إسرائيل عن خصائصهم

نقتطف فيما يلي نبذاً مما جاء في كتب بني إسرائيل عن صفات هذا الشعب الغليظ الرقبة، الذي يعاند الرب، كما وصف الرب به هؤلاء القوم، وكما وصفهم به أنبياؤهم.

أولاً : ما جاء في سفر الخروج:

(فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب وقالوا لموسى: هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية. فقال موسى للشعب لا تخافوا، قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم.[1]

وأتى كل جماعة بني إسرائيل برية (سي) التي بين ايليم وسيناء.. فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية. وقال لهما بنو إسرائيل: ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً حتى الشبع فإنكما آخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع..[2]

---

(١) سفر الخروج ص ح ١٤

(٢) سفر الخروج اصحاح ١٦

ونزلوا في رفيديم ولم يكن ماء ليشرب الشعب، فخاصم الشعب موسى، وقالوا أعطونا ماء لنشرب. فقال لهم موسى: لماذا تخاصمونني؟ لماذا تجربون الرب؟ وعطش هناك الشعب إلى الماء وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش. فصرخ موسى إلى الرب: ماذا أصنع بهذا الشعب، بعد قليل يرجمونني؟[1]

ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة لتسير أمامنا لأن موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه، ونادى هارون غداً عيد للرب. فبكروا في الغد واصعدوا محرقات، وقدموا ذبائح سلامة، وجلس الشعب للأكل والشرب، ثم قاموا للعب..[2]

وكان الرب قال لموسى: قل لبني إسرائيل: أنتم شعب صلب الرقبة، وإن صعدت لحظة واحدة في وسطكم أفنيتكم.[3]

فأسرع موسى وخر إلى الأرض وسجد، وقال: إن وجدت نعمة في عينيك أيها السيد فليسر السيد في وسطنا، فإن الشعب صلب الرقبة[4] .

ثانياً- سفر اللاويين

إذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي، وعملتم بها، أعطي مطركم في حينه، وتعطي الأرض غلتها، وتعطي أشجار الحقل ثمارها، ويلحق

---

(١) سفر الخروج اصحاح ١٧

(٢) سفر الخروج اصحاح٣٢

(٣) سفر الخروج اصحاح ٣٣

(٤) سفر الخروج اصحاح٣٤

دراسكم بالقطاف فتأكلون خبزكم للشبع، وتسكنون أرضكم آمنين.. وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف.. يطرد خمسة منكم مئة، ومئة منكم يطردون ربوة..[1]

ولكن إذا لم تسمعوا إليّ، ولم تعملوا كل هذه الوصايا، وإن رفضتم فرائضي وكرهت أنفسكم أحكامي فما عملتم كل وصاياي، بل نكثتم ميثاقي فإني أعمل هذه بكم.. أسلط عليكم رعباً وسلاً وحمىً تفني العينين، وتتلف النفس، وتزرعون باطلاً زرعكم، فيأكله أعداؤكم، واجعل وجهي ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم، ويتسلط عليكم مبغضوكم، وتهربون وليس من يطردكم.. وإن كنتم لا تسمعون أيضاً أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم، فأحطم فخار عزكم، وأصير سماءكم كالحديد، وأرضكم كالنحاس، فتفرغ باطلاً قوتكم، وأرضكم لا تعطي غلتها، وأشجار الأرض لا تعطي ثمارها.. وإن لم تسمعوا لي أيضاً أزيد عليكم ضربات سبعة أضعاف حسب خطاياكم: أطلق عليكم وحوش البرية فتعدمكم الأولاد، وتقرض بهائمكم وتقللكم فتوحش طرقكم.. وإن كنتم لاتسمعون لي، بل سلكتم معي بالخلاف فأنا أسلك معكم بالخلاف ساخطاً وأؤدبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم، فتأكلون لحم بنيكم، ولحم بناتكم تأكلون، وأخرب مرتفعاتكم، وأقطع شمساتكم، وألقي جثثكم على جثث أصنامكم، وترذلكم نفسي، وأصير مدنكم خربة.. ومقادسكم موحشة.. وأذريكم بين الأمم، وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحشة، ومدنكم تصير خربة حينئذ تستوفي الأرض سبوتها.. وأنتم في أرض أعدائكم.. والباقون منكم ألقي الجبانة في قلوبهم في أراضي أعدائهم، فيهزمهم صوت ورقة مندفعة، كما يهربون من السيف، ويسقطون وليس طارد، ويعثر بعضهم ببعض وليس طارد.. فتهلكون بين الشعوب، وتأكلكم أرض أعدائكم.. وأيضاً بذنوب آبائهم

---

(١) سفر اللاويين اصحاح ٢٦

أيضاً يفنون.. ولكن إذا أقروا بذنوبهم، وذنوب آبائهم[1] ، في خيانتهم التي خانوني بها وسلكوا بالخلاف، وإني أنا أيضاً سلكت بالخلاف إلا أن تخضع قلوبهم الغلف ويستغفروا حينئذ عن ذنوبهم.. اذكر ميثاقي مع يعقوب واسحاق وإبراهيم، واذكر الأرض.. فأنا الرب إلههم..[2]

ثالثاً: سفر العدد:

وكان الشعب كأنهم يشتكون شراً في أذني الرب، وسمع الرب فحمي غضبه فاشتعلت فيهم نار الرب، وأحرقت في طرف المحلة. فصرخ الشعب إلى موسى فصلى موسى فخمدت النار.. واشتهى بنو إسرائيل السمك والقثاء والبطيخ والبصل والثوم.. وأخذوا يبكون فغضب الرب جداً، فقال موسى للرب لماذا أسأتَ إلى عبدك؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب عليَّ، ألعلي ولدته حتى تقول لي أحمله في حضنك.. فأرسل الرب إليهم السلوى.. فضربهم الرب ضربة شديدة جداً.[3]

وأبدى بنو إسرائيل تمرداً على دخول أرض فلسطين، ومقاتلة سكانها الجبابرة بني عناق، فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت، وبكى الشعب تلك الليلة وتذمر على موسى وهارون جميع بني إسرائيل، وقالوا لهما ليتنا متنا في أرض مصر، أو ليتنا متنا في القفر، ولماذا أتى الرب بنا إلى هنا لنسقط بالسيف، وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة، أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر.. فقال بعضهم نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر.. وتكلم موسى وهارون مشجعين.. ولكن قال كل الجماعة أن يُرْجَما بالحجارة.. فظهر مجد الرب في خيمة الاجتماع، وقال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا

---

(١) هذه إشارة إلى مسؤولية الأبناء عن جرائم الأباء إذا لم يستنكروها ويقروا بها، ويرفضوا الاقدام على مثلها، ويستغفروا ربهم عنها.

(٢) سغفر اللاويين اص ح ٢٦

(٣) سفر العدد اصحاح ١١

الشعب وحتى متى لا يصدق بجميع آياتي، إنـي أضربهـم بالوبـاء وأصيرك شعباً كبيراً..[1]

وكلم الرب موسى وهارون قائلاً حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشـريرة المتذمرة عليَّ؟ قل لهم إني سأفعل بهم كما تكلموا في أذنـي.. لـن تدخلـوا الأرض الموعـودة وستسـقط جثـث الذيـن تذمـروا في هـذه الأرض في (سيناء)[2]

وكلم الرب موسى وهارون قـائلاً: افترزا مـن بين هـذه الجماعـة فـإني أفنيهم في لحظة.

وتمرد بعض الناس على موسى وهارون، واستخفوا بهما، وقالوا لهمـا: كفاكما إن كل الجماعة مقدسة، وفي وسطها الرب فما بالكمـا ترتفعـان عـن جماعـة الـرب؟ فانشـقت الأرض وابتلعتهـم جميعـاً مـع أموالهـم وبيوتهم..[3]

وارتحلـوا مـن جبـل (هـور) في طريـق جرسـون ليـدوروا بـأرض (ادوم) فضاقت نفس الشعب في الطريـق، وتكلـم الشـعب علـى الله وعلـى موسـى قائلين لماذا أصعدتمانا من مصـر لنمـوت في البريـة.. لأنـه لا خبز ولا مـاء وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف.. فأرسـل الـرب الحيـات المحرقـة علـى الشعب تلسعه..[4]

وأقام إسرائيل في شطيم، وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب، فدعـون الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهـن، وتعلـق إسـرائيل (ببعل فغور) فحمي غضب الرب على إسرائيل، فأمر الرب موسى بوضـع رؤوس المتعلقين (ببعل فغور) في مواجهة الشمس ليرتد حمو غضب الرب،

---

(١) سفر العدد اصحاح١٤

(٢) سفر العدد اصحاح١٤

(٣) سفر العدد اصحاح١٦

(٤) سفر العدد اصحاح٢٥

فأمر موسى القضاة بالقيام بذلك، على أن يقتل كل واحد أبناء سبطه.. وجاء رجل إسرائيلي ومعه فتاة مديانية ودخل معها خيمة ليواقعها، فقام واحد من الإسرائيليين باقتحام الخيمة وقتلهما برمحه، فزال الوباء من بين بني إسرائيل.[١]

رابعاً: سفر التثنية:

يحفظكم الرب ما حفظتم عهده، ويكون معكم ما كنتم معه، وينصركم إن صدقتم الإيمان.. (وهنا يطيل شرح ما يعطيهم الله إن هم أطاعوا أوامره وعملوا بها، وما يؤدبهم به إن هم خالفوها).[٢]

فأعلم في قلبك أنه كما يؤدب الإنسان ابنه قد أدبك الرب إلهك.. وإذا نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى، وعبدتها، وسجدت لها، أشهد عليكم أنكم تبيدون لا محالة..[٣]

الرب إلهك يطرد أعداءك من أمامك ويبيدهم..

لا تقل في قلبك .. من أجل برى أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك.. لأنك شعب صلب الرقبة ..

اذكر لا تنس أنك أسخطت الرب إلهك في البرية، من اليوم الذي خرجت من أرض مصر حتى أتيتم إلى هذا المكان، كنتم تقاومون الرب. في حوريب (جبل الطور) أسخطتم الرب فغضب عليكم ليبيدكم..

غضب الرب عليهم لصناعتهم العجل وقال لموسى: رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة، أتركني فأبيدهم وأمحوا اسمهم من تحت السماء وأجعلك شعباً أعظم..[٤]

---

(١) سفر العدد اصحاح ٢٥

(٢) سفر التثنية اصحاح ٧

(٣) سفر التثنية اصحاح٩

(٤) سفر التثنية اصحاح٩

إذا عملوا بوصايا الرب جعلهم مستعلين على جميع قبائل الأرض، وتأتي عليهم البركات التي يعددها: مباركاً تكون في المدينة، ومباركاً في الحقل.. ومباركاً في سلتك ومعجنك، يجعل الرب إلهك أعداءك منهزمين أمامك. في طريق واحد يخرجون عليك وفي سبعة طرق يهربون أمامك. يبارك الرب خزائنك، وكل ما تمتد يدك إليه.

ولكن إذا لم تسمع لصوت الرب تأتي عليك هذه اللعنات.. تكون ملعوناً في المدينة وفي الحقل، وتلعن ثمرة بطنك، وتلعن ثمرة حقلك، يرسل عليك الرب الاضطراب واللعن والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله ختى تهلك، وتفنى من أجل سوء أفعالك.. إذا ترتكتني يبيدك الرب عن الأرض التي أنت داخل إليها.. وتكون سماؤك نحاساً والأرض التي تحت رجليك حديداً، ويجعل الرب مطر أرضك غباراً وتراباً ينزل من السماء، يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك.. في طريق واحد تخرج وفي سبعة طرق تهرب، وتكون جثتك طعاماً لطيور السماء، وتكون قلقاً في جميع ممالك الأرض. تكون لك ثمار ولكن لا تجني إلا الدود، يكون لك بنات وبنون ولكن إلى السبي يذهبون، الغريب في أرضك يستعلي عليك، وأنت تنحط متصاغراً..

وإذا لم تسمع لصوت الرب يجلب عليك الرب من بعيد أمة جافية الوجه تطير كما يطير النسر من إقصاء الأرض لا تهاب الشيخ، ولا تحن على الولد فتهلكون..

وإذا لم تعمل بجميع كلمات الرب يجعل الرب ضرباتك وضربات نسلك عجيبة وعظيمة.. فتبقون نفراً قليلاً بعدما كنتم كنجوم السماء، وكما فرح الرب في إحسانه إليكم يفرح لفنائكم وهلاككم فتستأصلون من الأرض التي أنتم داخلون إليها.. ويبددك في جميع شعوب الأرض من إقصاء الأرض إلى إقصائها،

وتعبد آلهة لم تعرفها أنت ولا آباؤك من خشب وحجر.. وهنا لا تطمئن ولا تستقر وتبقى هلعاً مرتجفاً وتبقى خائفاً ولا تأمن على حياتك. في الصباح تقول يا ليته المساء، وفي المساء تقول يا ليته الصباح من أتعاب قلبك...[1]

ودعا موسى القوم وخاطبهم قائلاً: لقد شاهدتم ما فعل الله بفرعون وقومه، والتجارب العظيمة التي أبصرتها عيونكم، تلك الآيات والعجائب العظيمة، ولكن لم يعطكم الرب قلوباً لتفهموا واعينا لتبصروا وآذانا لتسمعوا إلى هذا اليوم (ثم يحدثهم عن المعجزات التي وقعت أمامهم). وحذرهم أنهم إذا تمادوا في ضلالهم، وعبدوا آلهة أخرى، أن يصيبهم البلاء واللعنات.[2]

ثم قال لهم: ولكن إذا عادوا إلى الله بالتوبة والطاعة فإن الله يرحمهم، ويرد سبيهم ويعود فيجمع شتاتهم.. ويعيدك الرب، إلى أرض آبائك..[3]

وعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوارة في كتاب إلى تمامها، أمر موسى اللا ويين حاملي تابوت العهد بحمل الكتاب ووضعه بجانب تابوت العهد، ليكون هناك شاهداً عليهم، وقال لهم (لأني عارف تمردكم وصلابة رقابكم هو ذا وأنا حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي)؟[4]

فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته، وقال أحجب وجهي عنهم وانظر ماذا تكون آخرتهم؟ إنهم جيل متقلب، أولاد لا أمانة لهم، هم أغاروني بما ليس إلهاً، أغاظوني بأباطيلهم، فأنا أغيرهم بما ليس شعباً، بأمة غبية أغيظهم، إنه قد اشتعلت نار غضبي وبغضي فتتقد إلى الهاوية

(١) سفر التثنية اصحاح٢٨

(٢) سفر التثنية اصحاح٢٩

(٣) سفر التثنية اصحاح٣٠

(٤) سفر التثنية اصحاح٣١

السفلى، وتأكل الأرض وغلتها، وتحرق أسس الجبال، أجمع عليهم شروراً وأنفذ سهامي فيهم.[1]

خامساً: سفر العدد:

وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشيه التي اتخذها.. فقالا هل كلم الرب موسى وحده؟ ألم يكلمنا نحن أيضاً؟ فقال الرب لموسى وهارون ومريم: اخرجوا حالاً إلى خيمة الاجتماع فخرج الثلاثة فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة، ودعا هارون ومريم فخرجا فقال اسمعا كلامي إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا استعلن له، في الحلم أكلمه، وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي، فماً لفم أكلمه، وعيانا أتكلم معه، لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدى موسى؟ فحمي غضب الرب عليهما ومضى. فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة إذا مريم برصاء كالثلج (فرجا هارون موسى أن يشفع لها، فحدد الله برصها بسبعة أيام فقط)[2] .

سادساً: سفر القضاة:

وعبد الشعب الرب كل أيام يشوع، وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع الذين رأوا كل عمل الرب العظيم الذي عمل لإسرائيل. ومات يشوع.[3]

وقام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرب، ولا العمل الذي عمل لإسرائيل.. وفعل بنو إسرائيل الشرَّ في عيني الرب، وعبدوا البعليم (صنم) وتركوا الرب إله آبائهم وساروا وراء آلهة الشعوب من حولهم وسجدوا لها، وأغاظوا الرب.. تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت فحمي

---

(١) سفر التثنية اصحاح٣٢

(٢) سفر العدد اصحاح ١٢

(٣) سفر القضاة اصحاح ٣

غضب الرب عليهم فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم، وباعهم بيد أعدائهم.. لم يسمعوا لقضاتهم، بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها، حادوا سريعاً عن الطريق التي سار آباؤهم فيها..

وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضي، وخلصهم من أيدي أعدائهم كل أيام القاضي.. ولكن عند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها، لم يكفوا عن أفعالهم، وطريقهم القاسية، فحمي غضب الرب عليهم.(١)

فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين.. واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنيهم، وعبدوا آلهتهم، وعبدوا البعليم والسواري، فحمي غضب الرب على إسرائيل فباعهم بيد كوشان.. فعبد بنو إسرائيل كوشان.. ثماني سنوات..

وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فأقام لهم مخلصاً.. فانتصر على كوشان، وخلص قومه لمدة ٤٠ سنة.. وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب بعد موت مخلصهم (عثنيئيل) فشدد الرب عجلون ملك مؤاب على بني إسرائيل لأنهم عملوا الشر في عيني الرب.. فعبد بنو إسرائيل عجلون.. وتغلب الإسرائيليون على الموآبيين، وبقوا مرتاحين ٨٠ سنة.(٢)

ثم عاد بنو إسرائيل لفعل الشر في عيني الرب بعد موت إهود فباعهم بيد (بابين) ملك الكنعانيين، وكان لبني إسرائيل قاضية ونبيَّة اسمها (دبورة) فاستدعت باراق بن اينوعم وذهبت معه لضرب سيسرا قائد جيش الكنعانيين فانتصرا عليه وأبادا جيشه، وهرب سيسرا فقتلته امرأة وهو نائم.(٣)

---

(١) سفر القضاة اصحاح ٣

(٢) سفر القضاة اصحاح٣

(٣) سفر القضاة اصحاح ٤

ثم عمل بنو إسرائيل الشرفي عيني الرب فدفعهم بيد مديان سبع سنين.[١]

وبسبب تسلط المديانيين على بني إسرائيل عمل بنو إسرائيل لأنفسهم الكهوف في الجبال والمغاور والحصون، وكانت الأقوام المجاورة تصعد وتتلف غلة بني إسرائيل وينهبون مواشيهم.. فذل بنو إسرائيل جداً من قبل المديانيين، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فأرسل اليهم نبياً فقال لهم إن الرب يقول لكم إنه تعالى أنقذهم من ذل المصريين، وقلت لكم أنا الرب إلّـهكم لا تخافوا من آلهة الآموريين فلم تسمعوا لصوتي.. وجاء ملاك الرب وجدعون بن يوآش يخبط الحنطة ليهربها من أيدي المديانيين، وحدثه.. ليخلص إسرائيل.. فحدثه الرب، وأمره بأن يهدم مذبح البعل الذي أقامه أبوه، وأمره بأن يقطع السارية التي عنده وبأن يبني مذبحاً للرب إلّـهه عند هذا الحصن بترتيب.. فانتصر بنو إسرائيل على المديانيين وحلفائهم..[٢]

ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشرفي عيني الرب فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين ٤٠ سنة.[٣]

سابعاً: سفر صموئيل:

كان صموئيل غلاما عند عالي فدعاه الرب وقال له: هو ذا أنا فاعل أمراً في إسرائيل كل من سمعه تطن أذناه.. إنني سأقضي على بيت (عالي) إلى الأبد لأن بنيه قد فعلوا الشر وهو يعلم، فأوجبوا على أنفسهم اللعنة، ولم يردعهم.

واستدعى عالي صموئيل وسأله عما قاله له الرب، فأخبره به كله..

(١) سفر القصاة اصحاح٦

(٢) سفر القضاة اصحاح ٦

(٣) سفر القضاة اصحاح١٣

وكبر صموئيل وأصبح مؤتمناً على بيت الرب.[1]

خاف الفلسطينيون حينما استحضر العبرانيون تابوت العهد.. وجرت حرب هزم الفلسطينيون خلالها إسرائيل.. وقتل من اليهود ٣٠ ألفاً وأخذوا تابوت العهد ووضعوه في بيت داجون إله الفلسطينيين (الأشدوديين) فوجدوه في الغداة ساقطاً على وجهه.. وتكرر سقوط داجون على وجهه من تأثير تابوت العهد. فقرر الأشدوديون إرسال تابوت العهد إلى اليهود بعد أن ضربتهم البواسير.. وبقي تابوت العهد عند الفلسطينيين سبعة أشهر، وقرروا إرساله مع قربان إثم ليغفر لهم..؟؟[2]

ولما شاخ صموئيل جعل بنيه قضاة لإسرائيل، (وكان اثنان من أبنائه قاضيين في بئر السبع).. ولم يسر ولدا صموئيل على خطاه بل مالا إلى طريق المكسب، وأخذا الرشوة وعوجا القضاء، فجاء شيوخ القوم إلى صموئيل وقالوا له إن ابنيك لم يسيرا سيرتك فاجعل لنا ملكاً يقضي لنا.. فقال لهم إن ذلك خطير عليهم وله محاذيره.. ثم اختار لهم - بأمر الله- شاؤول (طالوت). وانتصر على الفلسطينيين.[3]

وقال الرب لصموئيل: ندمت على أني قد جعلت شاؤول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي. فاغتاظ صموئيل وصرخ إلى الرب الليل كله. وقال صموئيل لشاؤول: وأرسلك الرب وقال حرم الخطاة عماليق وحاربهم حتى يفنوا فلماذا لم تسمع لصوت الرب بل ثرت على الغنيمة وعملت الشر في عيني الرب؟ فقال شاؤول لصموئيل لقد سمعت لصوت الرب وذهبت في الطريق التي أرسلني فيها الرب وأتيت باجاج ملك عماليق، وحرمت عماليق.. فأخذ الشعب من الغنيمة غنماً وبقراً أوائل

---

(١) سفر صموئيل اصحاح ٣

(٢) سفر صموئيل اصحاح ٤

(٣) سفر صموئيل اصحاح ٨

الحرام لأجل الذبح للرب إلهك في الجلجال.. فقال صموئيل إن التمرد على قول الرب كرفض كلام الرب..[1]

وحارب الفلسطينيون إسرائيل فهرب إسرائيل من أمام الفلسطينيين، وسقطوا قتلى في جلبوع، ولاحق الفلسطينيون شاؤول، فقتل نفسه، وقتل بنوه الثلاثة وحامل سيفه.[2]

ثامناً: صموئيل الثاني:

يقصون فيه قصة اغتصاب داود زوجة أوريا الحثي، وتعريضه إياه للقتل ليتخذ زوجته زوجة له بعد أن حملت منه سفاحاً.. ثم تاب داود واغتسل وسجد لله.. ثم ولدت له ابنه سليمان.. [3]

وبعد أن انتصر داود على بني عمون أخرج الشعب الذي فيها، ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرّهم في الفرن الآجر.. وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون.[4]

(ابن داود يعتدي على أخته)

كان لابشالوم ابن داود أخت جميلة جداً اسمها ثامار فأحبها أمنون بن داود ولكنه لم يستطع أن يفعل معها شيئاً لأنها أخته. وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب ابن سمقي أخي داود. فسأل أمنون عن سبب ضعفه وهزاله، فقال له أمنون إنه يحب أخته تامار.. ونصحه بأن ينام على سريره فإذا جاء أبوه داود ليعوده يطلب إليه أن تأتي تامار لتطعمه.. فأرسل داود تامار إلى البيت فأخرج أمنون جميع من عنده، وطلب إلى أخته أن تأتي بالطعام إلى المخدع ليأكل من يدها.. فأمسكها وطلب إليها أن تضطجع معه، فقالت: يا أخي لا تذلني لأنه لا يفعل هكذا في

---

(١) سفر صموئيل اصحاح ١٥

(٢) سفر صموئيل اصحاح ٣١

(٣) سفر صموئيل الثاني اصحاح ١١

(٤) سفر صموئيل الثاني اصحاح ١١

إسرائيل.. لا تفعل هذه القباحة، وأما أنا فأين أذهب بعارى؟ ولكن كلم الملك فإنه لا يمنعني عنك، فأبى فضاجعها.. ثم أبغضها أمنون بغضاً شديداً وطردها.. وسمع داود وأخو الفتاة أبشالوم بما فعل أمنون فلم يكلماه بشيء.. فاجتمع أخوة أبشالوم، وسقوا أمنون الخمر وقتلوه.. وسمع داود بمقتل ابنه فمزق ثيابه.[1]

أبشالوم يثور على أبيه داود :

مال الشعب إلى أبشالوم لفعله الخير مع الناس وتواضعه .. واقترح رجل من رجال أبشالوم أن يسير وراء داود يضربه وهو متعب، فأعجب أبشالوم بذلك.. ولكن لم يأخذ أبشالوم بها ليهلكه الله. ثم قتل أبشالوم وبكى داود على ابنه القتيل.[2]

تاسعاً: سفر الملوك الأول:

وصاهر سليمان فرعون ملك مصر، وأخذ بنت فرعون، وأتى بها إلى مدينة داود (بيت لحم) وسار سليمان في فرائض الرب كأبيه داود، إلا أنه كان يذبح ويوقد في المرتفعات..[3]

وأخذ سليمان نساء غريبة كثيرة مع ابنة فرعون مؤآبيات وعمونيات وآدوميات وصيدونيات وحثيات.. من الأمم الذين نهى الرب بني إسرائيل عن الدخول إليهم لأنهم يميلون قلوبكم إلى إلهتهم.. وكان أن سليمان – زمان شيخوخته – أن نساء أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب كقلب أبيه داود، فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين، و(ملكولم) رجس العمونيين.. وعمل سليمان الشر في عيني الرب.. وحينئذ بنى سلميان مرتفعة (لكموش) رجس المؤآبين على الجبل تجاه أورشليم.. (ولمولك) رجس بني عمون، وكذلك

---

(١) سفر صموئيل الثاني اصحاح ١٢

(٢) سفر صموئيل الثاني اصحاح ١٥

(٣) سفر الملوك الأول اصحاح٣

فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب.. الذي تراءى له مرتين و أوصاه أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصاه به الرب.. لذلك قال الرب لسليمان لأنك لم تسمع لقولي فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً ولكن سيكون ذلك بعد موتك.. وأقام الرب خصماً لسليمان هو هدد الأدومي، الذي هرب إلى مصر مع بعض عبيده ورجاله بعد أن ذبح اليهود آباه ملك أدوم وقومه.. كما أقام له خصماً روزن بن اليداع ويربعام بن ناباط الافرايمي.. فانسحب يربعام مع عشرة أسباط إلى السامرة، وبقي سبط واحد مع سليمان لأنهم (كما قال الرب) تركوني وسجدوا لعشتروت إلـهة الصيدونيين ولكموش إلـه المؤابيين وللمكوم إلـه العمونيين ولم يسلكوا في طريقي وفرائضي في المستقيم كداود أبيه..

ولكن لا آخذ المملكة من يديه من أجل داود عبدي، بل آخذها من يدي ابنه.. وأراد سليمان قتل يربعام فهرب إلى شيشق ملك مصر، ثم عاد بعد موت سليمان فقابل من كانوا معه في مصر رحبعام بن سليمان وخليفته وسألوه أن يخفف الضغط على الشعب الذي فرضه سليمان، واستشار الشيوخ فأشاروا عليه بالموافقة ليكون الجميع عبيداً له. وذهب يستشير الشبان من أترابه فقالوا له رد عليهم أنك ستزيد في الضغط أضعاف ما كان عليه الحال زمن أبيه.. فانحازت الأسباط العشرة عنه، فجمع رحبعام جنده ٨٠ ألفاً ليردوا المملكة لرحبعام بن سليمان واتبعت الأسباط العشرة يربعام..(١)

حكام السامرة يدفعون شعبهم إلى عبادة الأصنام:

قال يربعام في قلبه الآن ترجع المملكة إلى بيت داود إن صعد هذا الشعب ليقربوا ذبائح في بيت الرب في أورشليم فاستشار الملك وعمل عجلي ذهب، وقال للناس كثير عليكم أن تصعدوا

---

(١) اللوك الأول اصحاح١١

إلى أورشليم؟ هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من مصر. ووضع واحداً في (بيت أيل)، وجعل الآخر في (دان) وبنى بيت المرتفعات، وصير كهنة من أطراف الشعب من غير بني لاوى. وعمل يربعام عيداً في الشهر الثامن في اليوم الخامس عشر من الشهر كالعيد الذي في يهودا. وأصعد على المذبح، وهكذا فعل في بيت ايل بذبحه للعجلين اللذين عملهما. وأوقف في بيت ايل كهنة المرتفعات التي عملها.. واصعد على المذبح الذي صنعه في بيت ايل عيدا لبني إسرائيل في المعبد الذي ابتدعه وصعد على المذبح ليوقد..

وجاء رجل الله من القدس، وتنبأ بخراب المذبح.. فحاول يربعام القبض عليه فيبست يده.. فرجا يربعام رجل الله أن يضرع إلى الله من أجل يده ففعل وردها الله عليه.. (ثم أكل أسد رجل الله في قصة طويلة لأنه خالف تعليمات الله).(١)

وبعد موت رجل الله لم يرجع يربعام عن طريقه الردية، بل عاد فعمل الشر في عيني الله، وعين من أطراف الناس كهنة للمرتفعات، وكان عمله هذا سبباً لإبادة بيت يربعام من وجه الأرض.(٢)

ومرض ابن ليربعام فأرسل زوجته متنكرة إلى آخيا النبي لتسأله عن مصير المريض، فقال لها – بأمر الله– لقد ساء عملك يا يربعام أكثر من عمل الذين كانوا قبلك جميعا ولذلك فإن الله سينزل بهم البلاء، ويبيدهم إبادة تامة، ومن مات ليربعام في المدينة تأكله الكلاب، ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء، لأن الرب تكلم.(٣)

ويضرب الرب إسرائيل كاهتزاز القصب في الماء، ويستأصل إسرائيل

---

(١) سفر الملوك الأول الأول اصحاح ١٢

(٢) سفر الملوك الأول الأول اصحاح ١٣

(٣) سفر الملوك الأول الأول اصحاح ١٤

من هـذه الأرض ويبيدهـم عبر النهر، لأنهـم عملـوا سـواريهم وأغـاظوا الرب.[1]

وعمل يهودا (السبط الباقي في القدس) تحت حكم رحبعام بن سليمان الشر في عيني الرب، وأغاروه أكثر من جميع ما عمل آباؤهم.. وبنوا هـم أيضاً لأنفسهم مرتفعات وأنصاباً وسواري على كل مرتفع، وتحت كل شجرة خضراء، وكان أيضاً مأبونون في الأرض فعلوا حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام إسرائيل..[2]

شيشق ملك مصر يضرب القدس

وفي السنة الخامسة لحكم رحبعام صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم، وأخذ خزائن بيت الرب، وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء وأتراس الذهب التي صنعها سليمان، وكانت حرب بين رحبعام ويربعام كل الأيام.. ومات رحبعام وملك ابنه آيام.[3]

وسار آيام على خطا أبيه، ولم يكن قلبه مع الرب كاملاً.. وحارب آيام يربعام ملك السامرة، وملك ابنه آسا بدلاً عنه ..

وملك آسا بن آيام على يهودا في السنة العشرين ليربعام ملك إسرائيل، ودام ملكه ٤١ سنة، وعمل آسا الخير والمستقيم، وأزال المأبونين ونزع جميع الأصنام التي عملها آباؤه. وخلع أمه معكه عن أن تكون ملكة، وحطم تمثالاً لها لأنها عملت تمثالاً لسارية ولكنه لم يزل المرتفعات إلا أن قلبه كان كاملاً مع الرب.[4]

وملك بعد يربعام ابنه ناداب.. وعمل الشر في عيني الرب، وتابع خطا أبيه في ارتكاب الخطايا، وثار بعشا بن آخيا على

---

(١) سفر الملوك الأول الأول اصحاح ١٤

(٢) سفر الملوك الأول الأول اصحاح ١٤

(٣) سفر الملوك الأول الأول اصحاح ١٥

(٤) سفر الملوك الأول الأول اصحاح ١٥

ناداب بن يربعام وضربه وقتله، وملك مكانه وتابع بيت يربعام فلم يبق منه أحداً حياً.(١)

وملك بغشا بعد ناداب على أسباط إسرائيل في السامرة ٢٤ سنة.

وعمل الشر في عيني الرب، وسار في طريق يربعام في الخطيئة التي جعلت إسرائيل يخطئ.(٢)

وملك آيلة بن بغشا على إسرائيل مدة سنتين ، فدخل عبده زمرى قائد المركبات وقتله، ثم ضرب كل بيت بغشا لم يبق منهم أحداً . ولما قتل زمرى الملك إ يله بن بغشا ملك سبعة أيام ، فملك على إسرائيل عمري رئيس الجيش وسار بالجيش يحاصر زمرى في ترصه، فدخل زمرى قصر الملك وأغلق الأبواب وأحرقه على نفسه، لأنه سار في طريق يربعام يفعل الشر..

وملك عمري ١٢ سنة واشترى جبل السامرة من شامر، وبني مدينة سماها شامر. وعمل عمرى الشر في عيني الرب، وأساء أكثر من غيره، وسار في طريق يربعام.

آخاب يعبد الأصنام:

ثم ملك آخاب بن عمرى على إسرائيل مدة ٢٢ سنة، وعمل آخاب ابن عمرى الشر في عيني الرب واتخذ امرأة صيدونيه زوجة له، وسار وعبد البعل وسجد له، وأقام مذبحاً للبعل في بيت البعل الذي بناه في السامرة. وعمل آخاب سواري وزاد في العمل لاغاظة الرب إله إسرائيل أكثر من جميع من تقدمه ، وبنى أريحا..(٣)

ايزبيل تقتل الأنبياء:

وناقش النبي إيليا التشبي الملك لما تركه هو وأبوه من وصايا

(١) سفر الملوك الأول الأول اصحاح ١٥

(٢) سفر الملوك الأول الأول اصحاح١٥

(٣) نصر الملوك الأول الأول اصحاح ١٦

الـرب، ولما قاما بـه مـن عبـادة البعليـم ، وكـان أنبيـاء البعـل ٤٥٠ وأنبيـاء السـواري ٤٠٠ كـانوا يـأكلون علـى مـائدة إيزابيـل زوجـة آخـاب. فجمـع آخـاب الأنبياء جميعاً إلى جبـل الكرمـل، فخـاطب إيليـا الشـعب فقـال لهـم إن كـان الـرب هـو الله فـاتبعوه، وإن كـان البعـل فـاتبعوه، فلـم يجبه الشعب كلمـة. ثـم قـال إيليا للشعب أنـا بقيـت نبيـاً لـلرب وحـدي وأنبيـاء البعـل ٤٥٠ فنـأخذ ثوريـن يقـوم أنبيـاء البعـل بتقطيـع ثـور منهمـا، ويضعونـه علـى الحطـب ولكـن لا يضعـون نـاراً، وأنـا أقـرب الثـور الآخـر وأجعلـه علـى الحطـب ولا أضـع نـاراً.. ثـم تدعـون باسـم آلهتكـم، وأنـا أدعـو باسـم الـرب والإلـه الـذي يجيـب بنـار فهـو الله.. ونـادى أنبيـاء البعـل: يـا بعـل أجبنـا فلـم يجبهـم. وطلـب إيليـا مـن الشعب أن يتقـدم إليـه، وأقـام مذبحاً ثـم قطـع الثـور ووضعـه علـى الحطـب وصبـوا مـاء علـى المذبـح.. ثـم دعـا إيليـا بإلـه إبراهيـم وسـأله أن يسـتجيب لـه فسـقطت نـار الـرب وأحرقـت الحطـب والثـور ولحسـت الميـاه الـتي في القنـاة، فقـال الشـعب الـرب هـو الله. وطلـب إيليـا مـن الشـعب القبـض علـى أنبيـاء البعـل وذهـب بهـم إلى نهـر فيشـون فذبحهـم جميعـاً.[1]

وأعلـم آخـاب زوجتـه ايزابيـل بمـا فعـل إيليـا فأرسـلت إليـه تتهـدده بنفـس مصـير أنبيـاء البعـل فذهـب إلى بـئر سـبع، ثـم سـار إلى البريـة وسـأل ربـه المـوت.. وقـال إيليـا لـلرب: لقـد غـرت لـك لأن بـني إسـرائيل تركـوا عهـدك ونقضـوا مذبحـك وقتلـوا أنبيـاءك بالسـيف فبقيـت أنـا وحـدي، وهـم يطلبـون نفسـي ليأخذوهـا. وقـال الـرب لإيليا: وقـد أبقيت في إسـرائيل سـبعة آلاف كـل الركـب الـتي لم تجـث للبعـل وكـل فـم لم يقبلـه.[2]

---

(١) نصر الملوك الأول الأول اصحاح ١٨

(٢) سفر الملوك الأول الأول اصحاح ١٩

وجمع ملك الآراميين (بنهدد) جيشه واثنين وثلاثين ملكاً معه، وتوجه بهم إلى السامرة لحصارها، وأرسل رسولاً إلى آخاب يقول له: إن جميع فضتك وذهبك ونسائك وأولادك الحسان هم لي.. فرد عليه آخاب: أنا وجميع مالي معك سيدي الملك.. وجمع زعماء الشعب وعرض عليهم الأمر وما يطلبه المحاصرون، فقالوا له لا تسمع لهم. فأعاد الرسول يقول له، وأما هذا الأمر فلا أستطيع فعله، فرجع الرسول بالجواب، وتقدم نبي إلى آخاب يقول له إن الرب يقول لك إنني سأدفع جميع هذا الشعب ليديك لتعلم أني أنا الرب. فخرج جيش السامرة (حوالي سبعة آلاف) وهرب الآراميون وضرب آخاب آرام ضربة عظيمة.(١)

أراد آخاب شراء بستان بجانب قصره فرفض صاحبه بيعه، فاغتم. وعلمت إيزابيل زوجته بغمه فدبرت مؤامرة تسببت في قتل صاحب الأرض بدعوى أنه شتم الله والملك.. وورث الأرض.. وذهب ايليا النبي للقاء الملك آخاب وحذره وقال له إن الكلاب ستلعق دمه لأنه باع نفسه لعمل الشر في عيني الرب، وقال له إنه سيجلب عليه شراً، وسيبيد نسله، ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء، وقد أغوت ايزابيل زوجها، ورجس جداً بذهابه وراء الأصنام حسب كل ما فعل الأموريون الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل، فخاف آخاب وشق ثيابه، واتضع لله، فقال الله إنه سيعاقب نسل آخاب، وسيتم ما قدره على أولاده..(٢)

حدث خلاف بين النبي (ميخا) وبين متنبئين لآخاب حول نبوءة كاذبة جرت على لسان الأنبياء بأمر الله ليكون فيها هلاك آخاب.. فأمر بوضع ميخا في السجن، وخرج لحرب الآراميين، وتنكر ودخل الحرب، وقتل آخاب ولحست الكلاب دمه، وملك بعده يهوشافاط بن آسا مدة ٢٥ سنة في أورشليم وسار في طريق

---

(١) سفر الملوك الأول الأول اصحاح ٢٠

(٢) سفر الملوك الأول الأول اصحاح ٢١

آسا أبيه وكان صالحاً ولكنه لم يتخذ تدبيراً يحرم الذبح والإيقاد للمرتفعات.. واباد بقية المأبونين من الأرض.

وملك بعده أخزيا بن آخاب في السامرة لمدة سنتين وعمل الشر وسار في طريق أبيه وأمه..(١)

عاشراً: سفر الملوك الثاني :

وسقط أخزيا من الكوة التي في عليته في السامرة فمرض وأرسل رسلاً وقال لهم اذهبوا أسألوا (بعل زبوب) إله عقرون (صنم) إن كنت أبرأ من هذا المرض؟ وأخبر ملاك الرب ايليا بما طلبه أخزيا وقال له، قم اذهب للقاء رسل ملك السامرة وقل له : إن السرير الذي صعدت عليه لاتنزل عنه بل تموت. وقابل إيليا رسل الملك، وقال لهم ما قاله الرب، إن لهم رباً في السامرة لذلك كيف تسألون (بعل زبوب)، واستفسر الملك عن صفات الرجل فوصفوه له فأرسل في طلبه فاستجار إيليا بربه فأرسل ناراً أحرقت الجند وقائدهم الذين كلفوا بمرافقته. ثم أرسل غيرهم فأمره الله بأن يذهب معهم إلى أخزيا ولا يخاف من شيء، فقابل أخزيا وقال له إنه سيموت، فمات كما قال. وملك بعده يهورام بن شافاط ملك يهودا لأنه لم يكن له ابن.(٢)

وملك يهرام بن آخاب في السامرة (١٢ سنة) وعمل الشر في عيني الرب، ولكن ليس كأبيه وأمه، فقد أزال تمثال البعل الذي عمله أبوه(٣) .

وهدم الشعب بيت البعل، وكسروا مذبحه، وقتلوا ٢٠٠ من كهنة البعل أمام المذبح في عهد يهوياداع.(٤)

ثم ملك على إسرائيل في السامرة يهو آخاز بن ياهو (١٧ سنة) وعمل

---

(١) سفر الملوك الأول الأول اصحاح ٢٢

(٢) سفر الملوك الثاني اصحاح ١

(٣) سفر الملوك الثاني اصحاح٣

(٤) سفر الملوك الثاني اصحاح١٢

الشرفي عيني الرب وسار وراء خطايا يربعام. لم يحد عنها، فحمي غضب الرب على إسرائيل فدفعهم إلى يد حزائيل ملك آرام، وليد بنهدد بن حزائيل كل الأيام.. [1]

ثم أعطى إله إسرائيل مخلصاً ليخلصهم من تحت يد الآراميين.. ولكنهم لم يحيدوا عن خطايا بيت يربعام.. بل ساروا بها ووقفت السارية أيضاً في السامرة.[2]

ثم ملك بعده يهو آش بن يهو آحاز في السامرة ١٦سنة وعمل الشرفي عيني الرب وتابع السير في طريق يربعام.. وتنبأ اليشع وهو مريض بأن الملك سيقضي على آرام ويتحرر من نيرهم في أفيق.[3]

ثم ملك هوشع بن إيله في السامرة (٩ سنين) وعمل الشرفي عيني الرب ولكن ليس كملوك إسرائيل الذين كانوا قبله، وصعد عليه شلمناصر ملك آشور فصار له هوشع عبدا ودفع له جزية.. واستشعر ملك آشور خيانة من هوشع ملك السامرة، واتصل بالمصريين ولم يؤد الجزية كما كان يفعل كل عام، فقبض عليه ملك آشور وسجنه، وحاصر ملك آشور السامرة ٣ سنين ثم فتح البلد وسبى الشعب إلى منطقة الخابور ومادى.[4]

وأخطأ بنو إسرائيل وتابعوا الأمم الذين طردهم الرب أمامهم، وعملوا الشر، وفعلوا سراً أفعالاً ليست مستقيمة، وبنوا لأنفسهم مرتفعات في جميع مدنهم، وأقاموا لأنفسهم السواري والانصاب على كل مرتفع عال وتحت كل شجرة خضراء، وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم من حولهم، وعملوا أعمالاً قبيحة لإغاظة الرب وعبدوا الأصنام.[5]

---

(١) سفر الملوك الثاني اصحاح ١٣

(٢) سفر الملوك الثاني اصحاح ١٤

(٣) سفر الملوك الثاني اصحاح ١٤

(٤) سفر الملوك الثاني اصحاح ١٦

(٥) سفر الملوك الثاني اصحاح ١٦

ولم يسمعوا لصوت أنبياء الرب وصلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب، ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم، وساروا وراء الباطل، وصاروا باطلاً، وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين، وعملوا سواري، وسجدوا لجميع جند السماء، وعبدوا البعل، وعبرّوا بنيهم وبناتهم في النار، وعرّفوا وتفاءلوا، وباعوا أنفسهم لعمل الشر في عيني الرب لإغاظته، فغضب الرب جداً على إسرائيل، ونحاهم من أمامه..

ويهودا أيضاً لم يحفظوا وصايا الرب، بل سلكوا في فرائض إسرائيل التي عملوها فرذل الرب كل نسل إسرائيل، وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه.(١)

وأتى ملك آشور بأقوام من بابل وما حولها، أسكنهم بيوت بني إسرائيل، وأرسل ملك آشور كاهناً علّم الأقوام التي أسكنها أرض إسرائيل العبادة.. فكانت آلهة في كل مدينة.(٢)

وفي السنة الرابعة للملك حزقيا، وهي السنة السابعة للملك هوشع ملك إسرائيل صعد شلمناصر ملك أشور على السامرة وحاصرها، وأخذها بعد حصار دام ثلاث سنين وسباهم إلى بلاد الخابور لأنهم لم يسمعوا صوت الرب..

ثم صعد سنحاريب ملك آشور إلى مدن يهودا الحصينة وأخذها، فأرسل حزقيا ملك يهودا رسالة إلى ملك آشور يعلنه باستعداده لدفع الجزية التي يقرر الملك فرضها ٣٠٠ وزنة فضة و ٣٠ وزنة ذهب، فدفع جميع ما لديه، ثم جمع الفضة من بيت الرب وقشر الذهب عن أبواب هيكل الرب والدعائم التي كان قد غشاها حزقيا ملك يهودا ودفعه لملك آشور.(٣)

---

(١) سفر الملوك الثاني اصحاح ١٦

(٢) سفر الملوك الثاني اصحاح ١٧

(٣) سفر الملوك الثاني اصحاح ١٨

وبلغ ملك آشور أن ملك يهودا حزقيا يتصل بالمصريين، وأنهم شددوا قلبه ليرفض دفع الجزية لملك آشور، فأرسل إليه ملك آشور وهو في لخيش جيشاً يقوده ثلاثة من قواده ووصل الجيش القدس وحاصرها، فأرسل حزقيا رسولاً من قبله ليقابل القادة فقالوا له على من اتكل ملككم حتى أعلن العصيان على ملك آشور العظيم، فقال على إلـهه. فقالوا وهل أنقذت آلهة الأقوام عبدتها من يديه؟ وعددوا له البلاد التي خضعت ولم تنفعها أصنامها من بأس آشور.. ونبَّه قادة آشور من على الأسوار من اليهود إلى ما ينتظرهم من سوء المصير.. وقالوا لهم خير لكم أن تخرجوا آمنين لتنقلوا إلى مناطق أخرى تعيشون فيها بأمن وسلام.. فأرسل أخزيا ملك اليهود إلى إشعيا النبي يرجوه أن يسأل ربه الله أن يكشف عنهم الغمة، فرد عليه أن لا يخاف من التهديد لأن الله سيجعله يسمع خبراً فيرجع إلى أرضه، وأنه سيسقط بالسيف في أرضه..

فعاد أحد قادة جيش آشور الذين وصلوا القدس إلى لخيش فوجد الملك يحارب لبنه.. فعاد ملك آشور وأرسل إلى حزقيا يطلب إليه أن لا ينخدع بوعد ربه له بإنقاذه لأن الآلهة لم تنقذ عبدتها منه.[1]

ولما بلغت الرسالة إلى حزقيا دخل بيت الرب، ونشر الرسالة واستعان بربه الله على ملك آشور الذي يتحدى الله، وسأله أن يخلصهم من يده ليعلم أهل الأرض أنك أنت الإلـه وحدك، وقال إشعيا النبي للملك أخزيا، إن الله قال له إن ملك آشور لن يدخل القدس.[2]

وفي تلك الليلة ضرب الرب من جيش آشور ١٨٥ ألف رجل، وفي الصباح وجد سنحاريب جيشه مسجى على الأرض فانسحب إلى نينوى..[3]

---

(١) سفر الملوك التاني اصحاح ١٨

(٢) سفر الملوك الثاني اصحاح١٨

(٣) سفر الملوك الثاني اصحاح ١٩

بعد ذلك مرض أخزيا فجاءه النبي إشعيا وأعلمه بأنه مائت، فوجه وجهه إلى الحائط وبكى وصلى للرب، فقال الرب لإشعيا إنه سمع دعاء أخزيا ومن أجل أبيه داود فقد زاد في عمره ١٥ سنة..؟؟(١)

وعلم بروح بن بلادان ملك بابل أن أخزيا مريض فأرسل إليه رسالة وهدية إلى حزقيا فسمح حزقيا للرسل برؤية ما في خزائنه من ذخائر ونفائس وطيوب وأسلحة.. فتنبأ إشعيا بأن الرب قال إنه سيأتي يوم يحمل فيه إلى بابل جميع ما رآه رسل ملك بابل ويصبح بنو حزقيا خصياناً في قصر ملك بابل.(٢)

ثم ملك منسى وعمره ١٢ سنة، ودام حكمه ٥٥ سنة..

وعمل منسى الشرفي عيني الرب حسب رجاسات الأمم، وعاد فبنى المرتفعات التي أبادها حزقيا أبوه، وأقام مذابح للبعل، وعمل سارية كما عمل آخاب ملك إسرائيل، وسجد لكل جند السماء، وبنى مذابح في بيت الرب، وبنى مذابح لكل جند السماء في داري بيت الرب.

وعبر ابنه في النار، وعاف وتفاءل، واستخدم جانا وتوابع وأكثر من عمل الشر لإغاظة الرب ووضع تمثال السارية التي عمل في بيت الرب.. ولم يعد إسرائيل يسمع لصوت الرب بل أضله منسى، ليعملوا اقبح مما فعلته الأمم..(٣)

وتوعد الله أورشليم لينتقم منها ومن شعبها لما فعلوه من تجاوز على حرمات الله وشرعه وقال إنه سيمسح أورشليم كما يمسح الصحن. وقال الرب إنه سيدفعهم إلى يد أعدائهم لما ارتكبوه من خطايا، وسفكوه من دماء. ثم مات منسى فخلفه ابنه أمون وعمره ٢٢ سنة وعمل أمون الشرفي عيني الرب، وسلك طريق

---

(١) سفر الملوك الثاني اصحاح٢٠

(٢) سفر الملوك الثاني اصحاح ٢٠

(٣) سفر الملوك الثاني اصحاح ٢١

أبيه، وعبد الأصنام التي عبدها أبوه وسجد لها، وترك الرب إله آبائه، ولم يسلك في طريق الرب.

وتآمر عبيد الملك أمون عليه فقتلوه. وملك ابنه يوشيا وعمره ٨ سنين وملك ٣١ سنة واستقام أمر يوشيا، وعاد إلى طريقة أبيه داود في العبادة، وأراد إصلاح ما أفسده آباؤه، وأرسل الملك يسأل الأنبياء عن المستقبل، وتنبأت امرأة اسمها خلده بأن ما قضاه الله في سفر الشريعة سيتم، وأنه سيحل بالقدس وأهلها شر كبير، ولكن بما أن الملك قد تواضع لله، وبكى وأراد عمل الخير فإنه سيموت لكيلا ترى عيناه ما يحل بالمدينة وأهلها.(١)

ودخل الملك بيت الرب وجمع الناس وقرأ عليهم سفر الشريعة الذي وجدوه في بيت الرب ثم وقف الملك وقطع عهداً أمام الرب للتقيد بوصاياه وأحكامه، بكل القلب وكل النفس وأعلن الشعب أنه سيتمسك بفروض الشريعة.

وأمر الكاهن الأعظم (خلقيا) بأن يخرجوا من بيت الرب جميع الآنية المصنوعة للبعل والسارية ولكل أجناد السماء، وإحراقها خارج أورشليم.. وقضى على كهنة الأصنام الذين حبسهم ملوك يهودا فيه للايقاد على المرتفعات في مدن يهودا، والذين يوقدون للبعل والشمس والقمر والمنازل، ولكل أجناد السماء، وأخرج السارية من بيت الرب وحطموها وهدم بيوت المأبونين، وأزال نجاسة المرتفعات حيث كان الكهنة يوقدون للرب..

وأباد الخيل التي كان ملوك يهودا أعطوها للشمس.. ومركبات الشمس، وحرقها بالنار وحطم المذابح التي عملها ملوك يهودا في داري بيت الرب، وكسر التماثيل وقطع السواري.. ونبش القبور التي في الجبل وأحرق عظامها.. وذبح جميع كهنة المرتفعات التي

---

(١) سفر الملوك الثاني اصحاح ٢٢

هناك على المذابح، وأحرق عظام الناس ورجع إلى أورشليم..[1]

ولكن الرب لم يرجع عن غضبه على يهودا، لما سلف من منسى من رجاسات.. وقال الرب أنزع يهودا من أمامي كما نزعت إسرائيل من السامرة، وأرض أورشليم..

وفي أيام يوشيا صعد ملك مصر (نخو) إلى الفرات لقتال الآشوريين، فخرج يوشيا للقائه فقتله في (مجدو) حين رآه. ونقله عبيده إلى أورشليم ودفنوه فيها.

وملك بعده ابنه يهو أحاز بن يوشيا وعمره ٢٣ سنة، وملك ثلاثة أشهر في القدس وعمل يهو أحاز الشر في عيني الرب كما فعله آباوه، فأسره فرعون مصر نخوفي ربله من أرض حماه لئلا يملك في أورشليم، وغرم الأرض بفضة وذهب، ونقله إلى مصر فمات فيها.

وأقام فرعون في الملك آيا قيم بن يوشيا، وغير اسمه وسماه يهويا قيم. ودفع يهويا قيم الفضة والذهب لملك مصر..[2]

حادي عشر: سفر عزرا

سمح ملك مادى ارتحشستا لليهود بالعودة إلى فلسطين، وكان داريوس وكورش سمحا لهم بإقامة المعبد.. ولكن تدخلت شعوب الأرض من حول القدس فحرضوا الملك لمنعهم من إكمال بناء سور القدس، فوقف العمل. ثم جاء ميخا وزكريا النبيان وحثا بني إسرائيل على إكمال المعبد، وجرت مراسلات بين الملك وبين رؤساء اليهود الذين قاموا بالإكمال أدت إلى اعتراف ارتحشستا بحق اليهود بإعادة بناء معبد إلههم، وفوض الكاهن عزرا – وهو من جماعة السبي – ليقوم بالعودة واختيار القضاة والحكام، وفرض

(١) سفر الملوك الثاني اصحاح ٢٣

(٢) سفر الملوك الثاني اصحاح٢٣

الأحكام. فخرج مع عزرا ألوف من أهل السبي رافقوه في العودة.[1]

ولكن كاتب السفر يقول إن العائدين سرعان ما عادوا إلى رجاساتهم القديمة، وأخذوا يتزاوجون مع الوثنيين من شعوب الأرض، وكان الولاة والرؤساء أكثر الناس فساداً، فمزق عزرا ثيابه لما علم بما يجري، ونتف شعر لحيته وأخذ يعتذر إلى الله، وقال: إني خجل يا إلهي أن أرفع وجهي نحوك لأن ذنوبنا كثرت فوق رؤوسنا، وآثامنا تعاظمت إلى السماء منذ أيام آبائنا. نحن في إثم عظيم في هذا اليوم، ولأجل ذنوبنا قد دفعنا نحن وملوكنا وكهنتنا ليد ملوك الأرض للسيف والسبي والنهب، وخزي الوجوه. وفي لحظة تفضل الرب فالتفت إلينا وترأف بنا وبذلنا وعبوديتنا.. الآن فماذا أقول بعد أن تركنا وصاياك يارب؟ لقد جازيتنا يا رب بأدنى مما تستحقه آثامنا، أفنعود لنتعدى وصاياك ونصاهر شعوب هذه المنطقة؟[2]

ثم قطع الرجال عهداً بإخراج جميع النساء الأجنبيات ومن ولد منهن.. وتقاسم القوم على أن يطلبوا حضور جميع من عادوا من السبي ومن لا يحضر يحرم ويفرز من الجماعة.. ووجد بين بني الكهنة من اتخذ نساء غريبة فوافقوا على إخراج النساء الغر يبات..[3]

ثاني عشر: سفر نحميا

دعا نحميا الله وهو في السبي أن يغفر للناس خطاياهم التي أدت إلى عقابهم الأليم.. وبكى وتضرع إلى الله. وفي مجلس ارتحشستا ملك مادي سأله الملك عن أسباب انقباضه فحدثه عن خراب أورشليم، وقال للملك أرجو أن ترسلني أيها الملك إلى يهودا لأبني المدينة الخربة فأرسله الملك

(١) سفر عزرا اصحاح ٩

(٢) سفر عزرا اصحاح ٩

(٣) سفر عزرا اصحاح ٩

على أن يعود في زمن معين.. وطلب من الملك توصية للولاة وأخشابا ومواد بناء.. فأعطاه الملك ما سأل.. واستاء رجلان من أعداء بني إسرائيل لأن نحميا جاء يطلب خيراً لبني إسرائيل.. وبعد أن تفحص المدينة الخربة والمحرقة طلب أن يتم بناء السور، وأراهم أمر الملك بعونه.. وسخر منهم الأعداء.. ومنهم جشم العربي.. وتم ترميم أسوار القدس.. فغضب الأعداء ومنهم العرب.. وقرروا أن يأتوا ليحاربوا أورشليم، ويعيدوا خرابها. فأقام اليهود الحراسة لكيلا ينفذ الأعداء تهديدهم، واستعد اليهود وأصبحوا على أتم الحذر.. وبذلوا الجهد في العمل والإعمار.[١]

وأخذ اليهود يتذمرون على قادتهم، ويشتكون من الشدة.. وصرامة الانضباط.. فوبخ نحميا العظماء والرؤساء، وقال لهم إنهم يأخذون الربا من إخوانهم ويستعبدونهم حينما يعجزون عن الوفاء، ويتملكون حقولهم ومزارعهم..

وبعد عمل دؤوب دام ٥٢ يوماً كمل بناء السور..

وتحدث في آخر الاصحاح ١٣ عن أخطاء سلميان ملك إسرائيل الذي اتخذ نساء أجنبيات[٢]

ثالث عشر: سفر استير

كانت محظية لدى ملك مادي، فأنقذت شعبها من الدمار والمؤامرات التي كان يحيكها أعداء بني إسرائيل للقضاء عليهم [٣]

رابع عشر: سفر المزامير

جاء في المزمور ٧٨ ص ٨٨٨ ما يلي:

"فافني أيامهم وسنيهم بالرعب، إذ قتلهم طلبوه، ورجعوا وبكروا إلى الله، وذكروا أن الله صخرتهم والله العلي وليهم، فخادعوه بأفواههم،

---

(١) سفر نحميا اصحاح ٤

(٢) سفر نحميا اصحاح ٥

(٣) سفر استير ص ٧٧٩

وكذبوا عليه بألسنتهم، أما قلوبهم فلم تثبت معه، ولم يكونوا أمناء في عهده. أما هو فرؤوف يغفر الإثم، ولا يهلك، وكثيراً ما رد غضبه، ولم يُشْعِلْ في كل سخطه، ذكر أنهم بشر ريح تذهب وتعود..

فجربوا وعصوا الله العلي، ولم يحفظوا بل ارتدوا وغدروا مثل آبائهم، انحرفوا كقوس مخطئة.. أغاظوه بمرتفعاتهم، وأغاروه بتماثيلهم، سمع الله فغضب ورذل إسرائيل جداً، وسلمهم ليد العدو في السبي، ودفع إلى السيف شعبه، وغضب على ميراثه..

مختاروه أكلتهم النار، وعذاراه لم يحمون، كهنته سقطوا بالسيف، وأرامله لم يبكين..

خامس عشر: سفر إشعيا

جاء في الاصحاح ا لأول من هذا السفر توبيخ شديد لليهود ولرؤسائهم، ويقول الرب عنهم: ربيت بنين ونشأتهم أما هم فعصوا. الثور يعرف قانيه، والحمار يعرف معلف صاحبه أما إسرائيل فلا يعرف. شعبي لا يفهم. ويل للأمة الخاطئة، للشعب الثقيل الإثم.. نسل فاعلي الشر أولاد مفسدين، تركوا الرب واستهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدوا إلى وراء.. اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم، أصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة، لماذا لي كثرت ذبائحكم؟ اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات وبدم عجول، وخرفان وتيوس أسرُّ.. لا تعودوا تأتون بتقدمه باطلة، البخور هو مكرهة لي.. رؤساء متمردون، ولغفاء لصوص، كل واحد منهم يحب الرشوة، ويتبع العطايا، لا يقضون لليتيم، ولا تصل إليهم دعوة الأرملة.(١)

وامتلأت أرضهم أوثاناً يسجدون لعمل أيديهم لما صنعته أصابعهم، وينخفض الإنسان وينطرح الرجل فلا تغفر لهم.. (٢)

---

(١) سفر شعيا الاصحاح الاول

(٢) سفر شعيا الاصحاح ٢

فقد انتصب للمخاصمة، وهو قائم لدينونة الشعوب، الرب يدخل المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم. قال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق، وغامزات بعيونهن، وخاطرات في مشيتهن، يصلع السيد هامة بنات صهيون.. ويعرِّي الرب عورتهن، ينزع الرب في ذلك اليوم الخلاخل والضفائر والزينة.. والثياب المزخرفة فيكون عوض الطيب عفونة، وعوض الجدائل قرعة.. رجالك يسقطون بالسيف، وأبطالك بالحرب، فتئن وتنوح أبوابها، وهي فارغة تجلس على الأرض، فتمسك سبع نساء برجل واحد في ذلك اليوم قائلات نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا ليدع فقط اسمك علينا انزع عارنا..[1]

ويل للأبطال على شرب الخمر، لذوي القدرة على فرح المسكر، الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة، وأما حق الصديقين فينزعونه منهم، لذلك كما يأكل لهيب النار القش يكون أصلهم كالعفونة، ويصعد زهرهم كالغبار لأنهم رذلوا شريعة رب الجنود، واستهانوا بكلام قدوس إسرائيل، من أجل ذلك حمي غضب الرب على شعبه، ومد يده عليه وضربه حتى ارتعدت الجبال، صارت جثثهم كالزبل في الأزقة، مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد..

فيرفع راية للأمم من بعيد، ويصفر لهم من أقصى الأرض، فإذا هم بالعجلة يأتون سريعاً ليس فيهم رازح ولا عاثر، لا ينعسون ولا ينامون، ولا تنحل أحزمة أحقائهم، ولا تنقطع سيور أحذيتهم.. يهرُّون ويمسكون الفريسة، ويستخلصونها ولا منقذ..[2]

.. ثم سمعت الرب قائلاً: اذهب وقل لهذا الشعب: اسمعوا سمعاً ولا تفهموا، وابصروا أبصاراً ولا تعرفوا، غلظ قلب هذا الشعب، وثقل سمعه واطمس أعينه لئلا يرجع يبصر ويسمع ويفهم، ويرجع فيشفى، فقلت إلى

---

(١) سفر شعيا الاصحاح ٣

(٢) سفر شعيا الاصحاح ٥

متى أيها السيد؟ فقال إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن، والبيوت بلا إنسان، وتخرب الأرض وتقفر، ويبعد الرب الإنسان ويكثر الخراب في وسط الأرض..[١].

يعطيكم الرب (يا بيت داوود) آية العذراء تلد ابناً اسمه عمانويل، زبداً وعسلاً يأكل، متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير.. يجلب الرب عليك وعلى شعبك وعلى بيت أبيك أياماً منذ أيام ملك آشور.. في ذلك اليوم يحلق السيد بموسى مستأجرة في عبر النهر، بملك آشور الرأس وشعر الرجلين وتنزع اللحية ايضاً.[٢]

لأن الرب سيرحم يعقوب، ويختار أيضاً إسرائيل ويريحهم في أرضهم فتقرن بهم الغرباء وينضمون الى بيت يعقوب، ويأخذهم شعوب، ويأتون لهم الى موضعهم ويمتلكهم بيت إسرائيل في أرض الرب عبيداً وإماءً ويسبون الذين سبوهم، ويتسلطون على ظالميهم...[٣]

سادس عشر: سفر أرميا النبي:

إني داع عشائر الشمال كلهم فيأتون ويضعون كل واحد كرسيه في مدخل أبواب أورشليم، وعلى كل أسوارها حواليها وعلى كل مدن إسرائيل، وأقيم دعواى على كل شرهم لأنهم تركوني، وبخروا لآلهة أخرى، وسجدوا لأعمال أيديهم.. [٤]

ماذا وجد في آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً، ولم يقولوا أين هو الرب الذي أصعدنا من أرض مصر، وسار بنا في البرية المخوفة التي لم يسكنها إنسان، وأتيت بكم إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً، فأتيتم ونجستم أرضي، وجعلتم ميراثي رجساً. الكهنة

---

(١) سفر شعيا الاصحاح ٧

(٢) الاصحاح ٧

(٣) الاصحاح ١٤

(٤) سفر ارميا اصحاح ١

لم يقولوا أين هو الرب، وأهل الشريعة لم يعرفوني، والرعاة عصوا عليَّ، والأنبياء تنبأوا ببعل، وذهبوا وراء ما لا ينفع لذلك أخاصمكم وأخاصم بني بنيكم.. الأمم لم تتبدل آلهتها (مع أنها ليست آلهة)، أما شعبي فقد بدل مجده بما لا ينفع..[1]

في الاصحاح ٣ ص ١٠٧٦ يندد بزنا إسرائيل، ويهدد السامرة وأورشليم.. ويقول: في زمن يوشيا انطلقت العاصية إسرائيل إلى كل جبل عال، وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك ولم ترجع بالتدين إلى ربها. فرأت أختها الخائنة يهودا، فطلقت الخائنة إسرائيل وأعطيتها كتاب طلاقها، ولكن الخائنة يهودا لم تخف، بل مضت في زناها هي أيضاً، وكان من هوان زناها أنها نجست الأرض وزنت مع الحجر والشجر، وفي كل هذا لم ترجع إليَّ أختها الخائنة يهودا بكل قلبها بل بالكذب.

قل لهم عودوا إليّ تائبين فأنا رؤوف رحيم لا أحقد إلى الأبد، ارجعوا إليّ أيها البنون العصاة[2]

إن رجعت يا إسرائيل إلى الرب، ونزعت مكرهاتك من أمامي تكونوا قد حرثتم لأنفسكم حرثاً، ولم تزرعوا في الأشواك.. ثم يهددهم الرب بزحف الأسد من الشمال مهلك الأمم ويقول: خرج من غابته ليجعل أرضك خراباً، تخرب مدنك فلا ساكن لأن غضب الرب لن يرتد عنكم.. هو ذا كسحاب يصعد، وكزوبعة مركباته، أسرع من النسور خيله، ويل لنا لأننا قد أخربنا. اغسلي قلبك يا أورشليم من الشر لكي تخلصي. إلى متى تبيت في وسطك أفكارك الباطلة. إن شعبي أحمق إياي لم يعرفوا، هم بنون جاهلون، وهم غير فاهمين، هم حكماء في عمل الشر، ولعمل الصالح ما يفهمون.[3]

---

(١) سفر ارميا اصحاح ٢

(٢) سفر ارميا اصحاح ٣

(٣) سفر ارميا اصحاح ٤

طوفوا في شوارع أورشليم، وانظروا واعرفوا، وفتشوا في ساحاتها. هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدلِ طالب للحق فاصفح عنها؟ وإن قالوا حيّ هو الرب فإنهم يحلفون كذباً. يا رب البيت عيناك على الحق، ضربتهم فلم يتوجعوا، فنيتهم فأبوا قبول التأديب صلبوا وجوههم أكثر من الصخر، أبوا الرجوع، أما أنا فقلت إنما هم مساكين، قد جهلوا لأنهم لم يعرفوا طريق الرب قضاء إلههم.. كيف أصفح لك عن هذه؟ بنوك تركوني وحلفوا بما ليست آلهة، ولما أشبعتهم زنوا، وفي بيت الزانية تزاحموا، صاروا حصناً معلوفة سائبة، صهلوا كل واحد على امرأة صاحبه، أما أعاقب أمة كهذه وأنتقم منها؟؟(١)

اصعدوا إلى أسوارها واخربوها، انزعوا أفنانها لأنها ليست للرب. لقد خانني بيت إسرائيل وبيت يهودا.. جحدوا الرب، وقالوا ليس هو، ولا يأتي علينا شر ولا نرى سيفاً ولا جوعاً.. والأنبياء يصيرون ريحاً، والكلمة ليست فيهم، هكذا يصنع بهم، لذلك قال الرب من أجل أنكم تتكلمون بهذه الكلمة هاأنذا جاعل كلامي في فمك ناراً، وهذا الشعب حطبها فتأكلهم هاأنذا أجلب عليكم يا بيت إسرائيل أمة من بعيد، أمة قوية، أمة منذ القديم، أمة لا تعرف لسانها، ولا تفهم ما تتكلم به. جعبتهم كقبر مفتوح كلهم جبابرة، فيأكلون كل شيء.. بقرك وخبزك وغنمك.. ويهلكون مدنك بالسيف. وقد فعل الرب بكم كل هذا لأنكم تركتموه وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم هكذا تعبدون الغرباء في أرض ليست لكم..

اسمع أيها الشعب الجاهل العديم الفهم الذي له أعين ولكن لا يبصر، وله آذان ولكن لا يسمع، ولا يخشى الرب، ولا يرتعد لوعده.. لقد صار هذا الشعب قلب عاص متمردٍ عضوا ومضوا ولم يقولوا بقلوبهم لنخف الرب الذي يعطينا المطر، ويحفظ لنا أسابيع الحصاد... آثامكم عكست

---

(١) سفر ارميا اصحاح ٥

هذه، وخطاياكم منعت الخير عنكم لأنه وجد في شعبي أشرار بيوتهم ملآنة مكراً..وتجاوزوا في أمور الشر، ولم يقضوا في دعوى اليتيم، ولم يقضوا بالحق للمساكين..فكيف لا تعاقب نفسي أمة كهذه ولا تنتقم منها؟؟[1]

اسمعي أيتها الأرض هاأنذا: جالب شراً على هذا الشعب ثمر أفكارهم لأنهم لم يصغوا إليّ، وشريعتي رفضوها..محرقاتكم غير مقبولة، وذبائحكم لا تلذ لي، هوذا شعب قادم من الشمال، وأمة عظيمة تقوم من أقاصي الأرض قاسية لا ترحم، صوتها كالبحر يعج، وعلى خيل تركب، مصطفة كإنسان لمحاربتك يا ابنة صهيون.[2]

لا تتكلموا عليَّ كلام الكذب قائلين هيكل الرب هو..اصلحوا طرقكم وأعمالكم فأسكنكم في هذا الموضع..أجروا عدلاً بين الإنسان وصاحبه، لا تظلموا الغريب ولا اليتيم والأرملة، ولا تسفكوا دماً ذكياً في هذا الموضع، وإذا لم تسيروا وراء آلهة أخرى لإذائكم فإنني أسكنكم هذه الأرض.

إنكم متكلمون عليَّ كلام الكذب الذي لا ينفع. أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً وتنحرون للبعل، وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ثم تأتون وتقفون في هذا البيت الذي دعوتموه باسمي، وتقولون قد أنقذنا؟؟ هل صار البيت الذي دعي باسمي مغارة لصوص في أعينكم..؟[3]

أما ترى ماذا يعملون في مدن يهودا، وفي شوارع أورشليم..الأبناء يلتقطون حطباً، والآباء يوقدون ناراً، والنساء يعجن العجين ليصنعن كعكاً لملكة السماوات، ولسكب سكائب لآلهة أخرى لكي يغيظوني..ها

---

(١) سفر ارميا اصحاح ٥

(٢) سفر ارميا اصحاح ٦

(٣) سفر ارميا اصحاح ٧

غضبي وغيظي ينسكبان على هذا الموضع، على الناس والبهائم، وشجر الحقل وثمر الأرض فيتقدان ولا ينطفئان..[1]

جزي شعرك لأن بني يهودا عملوا الشر في عيني الرب، وضعوا مكرهاتهم في البيت الذي دعي باسمي لينجسوه، وبنوا مرتفعات (توفة) في وادي ابن هنوم ليحرقوا بنيهم وبناتهم في النار..ها هي أيام تأتي..تصير فيها جثث هذا الشعب أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض ولا مزعج..[2]

في ذلك الزمان يخرجون عظام ملوك يهودا، وعظام الأنبياء، وعظام الرؤساء والكهنة، وعظام سكان أورشليم، ويبسطونها للشمس والقمر ولكل جنود السماوات التي أحبوها وعبدوها وساروا وراءها..والتي استشاروها وسجدوا لها..لا تجمع ولا تدفن بل تكون دمنة على وجه الأرض..

ويتابع السفر وصف بني إسرائيل بالكذب والخداع، والكفر وصلابة الأعناق، وعبادة الأصنام، وعمل الفواحش، والبعد عن الله، ويصل أخيراً إلى القول:

"وقال الرب: إن وقف أمامي موسى وصموئيل لا تكون نفسي نحو هذا الشعب، أطرحهم من أمامي فيخرجون..الذين للموت فإلى الموت، والذين للسيف فإلى السيف، والذين للجوع فإلى الجوع..والذين للسبي فإلى السبي..ويوكل بهم السيف للقتل والكلاب للسحب، وطيور السماء ووحوش الأرض للأكل والإهلاك..من أجل ما صنعه منسى في أورشليم (ومنسى هو ملك يهودا)..[3]

وإذا سأل هذا الشعب لماذا تكلم الرب علينا بكل هذا الشر العظيم فما

(١) سفر ارميا اصحاح٧

(٢) سفر ارميا اصحاح ٧

(٣) سفر ارميا اصحاح ١٥

هو ذنبنا، وما هي خطيئتنا التي أخطأناها للرب...؟ فتقول لأن آباءكم تركوني وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوها وسجدوا لها وتركوني، وشريعتي لم يحفظوها، وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم وكل واحد منكم ذاهب وراء عناد قلبه الشرير حتى لا تسمعوا لي فأطردكم من هذه الأرض إلى أرض لم تعرفوها ولا آباؤكم..فتعبدوا هناك آلهة أخرى نهاراً وليلاً حيث لا أعطيكم نعمة.[1]

قال الرب هاأنذا جالب على هذا الموضع شراً كل من يسمعه تطن أذناه لأنهم تركوني وأنكروا هذا الموضع، وبخّروا فيه لآلهة أخرى لم يعرفوها هم ولا آباؤهم، وملؤوا هذا الموضع من دم الأذكياء، وبنوا مرتفعات للبعل ليحرقوا أولادهم بالنار، محرقات للبعل الذي لم أوص به.[2]

قال الرب أجروا حقاً وعدلاً، وأنقذوا المغصوب من يد الظالم، والغريب واليتيم والأرملة لا تضطهدوا، ولا تظلموا، ولا تسفكوا، دماً زكياً في هذا الموضع..وإن لم تسمعوا لهذه الكلمات فقد أقسمت بنفسي أن هذا البيت يكون خراباً..[3]

لقد رأيت في أنبياء السامرة حماقة تنبؤوا بالبعل، وأضلوا شعبي إسرائيل. وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعرُّ منه البدن..يفسقون ويسلكون بالكذب ويشددون أيادي فاعلي الشر حتى لا يرجع الواحد عن شره..[4]

النبي الذي تنبأ بالسلام فعند حصول كلمة النبي عرف ذلك النبي أن الرب أرسله حقاً.[5]

---

(١) سفر ارميا اصحاح ١٦

(٢) سفر ارميا اصحاح ١٩

(٣) سفر ارميا اصحاح ٢٢

(٤) سفر ارميا اصحاح ٢٢

(٥) سفر ارميا اصحاح ٢٨

الرب يبعد أهل أورشليم والسامرة من السبي..

تنبأ ارميا أن نبوخذ نصر سيحاصر أورشليم فيأخذها وسيقع ملكها صدقيا بيده فيسجنه الملك، ووقع الحصار وارميا في السجن.[1]

هاأنذا أدفع هذه المدينة إلى يد الكلدانيين وملكهم نبوخذ نصر فيأخذها..ليشعلوا المدينة بالنار، ويحرقوها والبيوت التي بخروا على سطوحها للبعل، وسكبوا سكائب لآلهة أخرى ليغيظوني، لأن بني إسرائيل، وبني يهودا، إنما صنعوا الشر في عيني الرب منذ صباهم، وبعمل أيديهم، لأن هذه المدينة قد صارت لي ولغضبي وغيظي من اليوم الذي بنوها فيه إلى هذا اليوم، لأنزعها من أمام وجهي، من أجل كل شر بني إسرائيل وبني يهودا هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم ورجال يهودا وسكان أورشليم.. ووضعوا مكرهاتهم في البيت الذي دعوه باسمي لينجسوه، وبنوا المرتفعات للبعل وعبَّروا بناتهم وبنيهم في النار (لمولك) وهو ما لم أوصهم به.. ثم يقول ولكن إذا تاب الشعب يتوب الرب عليه.. ثم يقول لهم الرب: وإذا نقضتم عهدي فإني أنقض عهدي مع داود فلا يكون له ابن جالساً على سدة الملك، وانقض عهدي مع اللاويين الكهان خادمي.. [2]

وفي الاصحاح ٥٢ من سفر أرميا جاء أن صدقيا ملك على اليهود وهو ابن ٢١ سنة ودام ملكه ١١ سنة في أورشليم، ثم يقول:

وعمل الشرفي عيني الرب حسب كل ما عمل يهوياقيم، وتمرد على ملك بابل فجاء نبوخذ نصرٍ وحاصر أورشليم، ولم يكن خبز فهرب رجال الحرب من المدينة ليلاً وذهبوا في طريق البرية فتبعت جيوش الكلدانيين الملك حتى قرب أريحا فقبضوا عليه وحملوه إلى ملك بابل في ربله من أرض حماه، فقتل ملك بابل بني صدقياً أمام عينيه، وقتل كل

---

(١) سفر ارميا اصحاح ٣٢

(٢) سفر ارميا اصحاح ٣٢

رؤساء يهود، وسمل عيني صدقيا، وقيده بسلسلة من نحاس، ونقله إلى بابل وتركه في السجن إلى أن مات.. وجاء الكلدانيون إلى أورشليم وأحرقوها.. وهدموا أسوارها، وأخذوا الناس إلى السبي وتركوا بعض الضعفاء.. ونهبوا المعابد وجميع ما فيها من تحف وأواني وأعمدة..[1]

السابع عشر: سفر حزقيال

(وكان مع المسبيين عند نهر الخابور)

رأي رؤيا وسمع صوت متكلم وقال له:

يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بني إسرائيل، إلى أمة متمردة، وقد تمردت علي، هم وآباؤهم عصوا عليَّ إلى ذات هذا اليوم، والبنون القساة القلوب، والصلاب الوجود، أنا مرسلك إليهم وإنهم إن سمعوا لكلامي وإن امتنعوا فهم بيت متمرد. إن كل بيت إسرائيل صلاب الجباه وقساة القلوب (ويكرر إنهم بيت متمرد يعاند الرب..).[2]

لأرض إسرائيل نهاية، قد جاءت النهاية على جوانب الأرض الأربع. الآن النهاية عليك وأرسل غضبي عليك، وأحكم عليك كطرقك، وأجلب عليك كل رجاساتك فلا تشفق عليك عيني، ولا أعفو ولكن أجلب عليك طرقك وتكون رجاساتك في وسطك فتعلمون أنني أنا الرب.. الآن عن قريب أصب رجزي عليك، وأتمم سخطي عليك.[3]

هكذا قال السيد الرب اضرب بيدك، واخبط برجلك، وقل آه على كل رجاسات بيت إسرائيل الشريرة حتى يسقطوا بالسيف والجوع والوباء، البعيد يموت بالوباء، والقريب يسقط بالسيف والباقي والمنحصر يموت بالجوع، فأتمم غضبي عليهم، فتعلمون أنني أنا الرب إذا كان قتلاهم وسط أصنامهم حول مذابحهم وعلى كل أكمة عالية، وفي رؤوس

---

(١) سفر ارميا اصحاح ٥٢

(٢) سفر حزقيال اصحاح ١

(٣) سفر حزقيال اصحاح ٧

الجبال، وتحت كل شجرة خضراء الموضع الذي قربوا فيه رائحة سرور لكل أصنامهم.. [1]

قال لي: يا ابن آدم ارفع عينيك نحو طريق الشمال فرفعت عيني فإذا من شمال باب المذبح تمثال الغيرة هذا في المدخل، فقال لي هل رأيت ما هم عاملون؟ الرجاسات العظيمة التي يعملها بيت إسرائيل لإبعادي عن مقدسي، ثم ستنظر رجاسات أعظم.

وقال لي ادخل وانظر الرجاسات الشريرة التي هم عاملوها هنا. فدخلت ونظرت وإذا كل شكل دبابات وحيوان نجس وكل أصنام بيت إسرائيل مرسومة على الحائط على دائرة، وواقف قدامها سبعون رجلاً من شيوخ بني إسرائيل وبازان بن شافان قائم في وسطهم وكل واحد مجمرته في يده وعطر عنان البخور صاعد. ثم قال أرأيت ما يفعله شيوخ بيت إسرائيل في الظلام؟ كل واحد في مخادع تصاويره، لأنهم يقولون الرب لا يرانا، الرب ترك الأرض.. ثم جاء بي إلى باب بيت الرب الذي من جهة الشمال، وإذا هنالك نسوة جالسات يبكين على تموز. ثم جاء بي إلى دار بيت الرب الداخلية، وإذا عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو ٢٥ رجلاً ظهورهم إلى الهيكل ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو الشرق. وقال أرأيت أقليل لبيت يهودا عمل الرجاسات لأنهم قد ملؤوا الأرض ظلماً.. فأنا أعمل بالغضب ولا تعود تشفق عيني عليهم.. [2]

ثم قال لي: إن إثم بيت إسرائيل ويهودا عظيم جداً وقد امتلأت الأرض دماء وامتلأت المدينة جنفا لأنهم يقولون الرب قد ترك الأرض، والرب لا يرى..[3]

---

(١) سفر حزقيال اصحاح ٦

(٢) سفر حزقيال اصحاح ٨

(٣) سفر حزقيال اصحاح ٩

ثم يقول في الاصحاح ١١ ص ١١٨٩: (إذا تابوا إلى الله نظر إليهم..): ويجمع الله تبددهم من بين الأمم ويأتي بهم إلى الأرض، ويعطيهم قلباً واحداً، ويجعل في داخلهم روحاً جديدة، وينزع قلب الحجر من لحمهم، ويعطيهم قلب لحم لكي يسلكوا في فرائض الله، ويحفظوا أحكامه، ويكونوا شعباً لله ليكون إلههم. أما الذين قلبهم ذاهب وراء مكرهاتهم ورجاساتهم فإن الرب يجلب طريقهم على رؤوسهم..[١]

وكان إليَّ كلام الرب: يا ابن آدم أنت ساكن في وسط بيت متمرد، الذين لهم أعين لينظروا ولا ينظرون، وآذان ليسمعوا ولا يسمعون لأنهم بيت متمرد..[٢]

كل إنسان من بيت إسرائيل الذي يصعد أصنامه إلى قلبه، ويضع معثرة إثمه تلقاء وجهه ثم يأتي إلى النبي فإني أنا الرب أجيبه حسب كثرة أصنامه، لكي آخذ بيت إسرائيل بقلوبهم لأنهم قد ارتدوا عني بأصنامهم.. وأنا أصرف وجهي عن كل إنسان ارتد عني بأصنامه، الأنبياء لا يمكن أن يخلصوا إلاّ أنفسهم..[٣]

وفي الاصحاح ١٦ يوبخ الرب شعب أورشليم الذي أخذ يزني ويلطخ الأقداس بتصرفاته.. وقال له: أخذت بنيك وبناتك الذين ولدتهم لي وذبحتهم للأصنام والمرتفعات طعاماً.. وفي كل رجاساتك وزناك لم تذكرني أيام صباك إذ كنت عريانه وعارية، وكنت مدوسة بدمك في رأس كل طريق بنيت مرتفعاتك، ورجست جمالك، وفرجت رجليك لكل عابر سبيل، وأكثرت زناك وزنيت مع جيرانك بني مصر الغلاظ اللحم، وزدت في زناك.

---

(١) سفر حزقيال اصحاح ١١

(٢) سفر حزقيال اصحاح ١٣

(٣) سفر حزقيال اصحاح ١٤

(ويتابع توبيخه الشديد لبني إسرائيل وتذكيرهم بمخازيهم العظيمة..)[1]

الإنسان البار الذي فعل الحق والعدل ولم يأكل على الجبال، ولا رفع عينيه لأصنام بيت إسرائيل، ولم ينجس امرأة قريبة، ولم يقرب امرأة طامثا، ولم يظلم إنساناً، بل رد للمديون رهنه، ولم يغتصب اغتصابا، بل بذل خبزه للجوعان وكسا العريان، ولم يعط بالربا، ولم يأخذ مرابحةً، وكف يده عن الجور، وأجرى العدل بين الإنسان والإنسان، وأجرى الحق وسلك في فرائضي، وحفظ أحكامي ليعمل الحق فإنه يحيى حياة طيبة يقول السيد الرب... أما إذا عمل بخلاف ذلك فإنه لا يحيا وإنما يموت موتاً، دمه على نفسه.. النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم أبيه، والبار يكون عليه بره، والشرير يكون عليه شره.. إذا رجع الشرير عن خطاياه، وتاب وعمل صالحاً فحياة يحيا، وتغفر ذنوبه كلها.[2]

وفي الاصحاح ١٩ ص ١٢٠٣ يتحدث عن ملك من ملوك إسرائيل أصبح شبلاً له ناب فاجتمعت عليه الأمم وأتوابه إلى أرض مصر. ثم خرج آخر فأصبح شبلاً مفترساً فاجتمعت عليه الأمم وحمل إلى بابل ليختفي صوته إلى الأبد..

جاء شيوخ بيت إسرائيل ليسألوا الرب، الرب لا يسأل.. عرفهم يا ابن آدم رجاساتهم ورجاسات آبائهم، لقد مددت يدي لهم لإخراجهم من أرض مصر.. وقلت لهم اطرحوا رجاساتكم ولا تتنجسوا بأصنام مصر، فتمردوا علي، ولم يريدوا أن يسمعوا، ولم يطرح إنسان منهم رجاسات عينيه، ولم يتركوا أصنام مصر، فقلت أصب عليهم رجزي لأتم عليهم سخطي في وسط مصر، ولكنني أردت أن لا يتنجس اسمي بين الأمم فأخرجتهم من أرض مصر، وأتيت بهم إلى البرية فتمرد علي بيت إسرائيل

---

(١) سفر حزقيال اصحاح ١٦

(٢) سفر حزقيال اصحاح ١٨

في البرية، ولم يسلكوا في فرائضي، ورفضوا أحكامي، ونجسوا سبوتي فقلت أصب رجزي عليهم في البرية لا فنيهم، ولكنني خفت على اسمي أن يتنجس أمام الأمم لذلك رفعت لهم يدي في البرية، ولم أدخلهم الأرض التي وعدتهم بها لأنهم نجسوا سبوتي.. ورفضوا أحكامي، ولم يسلكوا في فرائضي، وذهبت قلوبهم وراء أصنامهم، لكن نفسي أشفقت عليهم فلم أفنهم في البرية.. وقلت لأبنائهم في البرية لاتسلكوا مسلك آبائكم، ولا تحفظوا أصنامهم، ولا تتنجسوا بأصنامهم.. فتمرد الأبناء عليَّ.. ولكنني كففت يدي عن إهلاكهم في البرية، ورفعت يدي لهم في البرية لأفرقهم بين الأمم، وأذرِّيهم في الأراضي لأنهم عصوني ونجسوا سبوتي، وركضوا وراء أصنام آبائهم.. وكدت أقرر إبادتهم لأنهم أجازوا في النار كل فاتح رحم، لأبيدهم حتى يعلموا أنني أنا الرب..

لما أتيت بهم إلى الأرض رأوا كل تل عال، وكل شجرة غبياء فذبحوا هناك ذبائحهم وقربوا قرابينهم المغيظة هناك، وسكبوا هناك سكائبهم.. فقل أنت لبيت إسرائيل هل تنجستم أنتم بطريق آبائكم وزنيتم وراء أرجاسهم.. وبتقديم عطاياكم وإجازة أبنائكم في النار تتنجسون بكل أصنامكم إلى اليوم.. فأنا لا أسأل منكم.(١)

إنني بيد قوية أجمعكم من بين الأمم والشعوب في الأراضي التي تفرقتم فيها، بذراع قوية وبسخط مسكوب، وإني آتي بكم إلى برية الشعوب، وأحاكمكم هناك وجهاً لوجه كما حاكمت آباءكم في برية أرض مصر، وأعزل منكم المتمردين والعصاة، أخرجهم من أرض غربتهم ولا يدخلون أرض إسرائيل.. اذهبوا يا بيت إسرائيل فاعبدوا أصنامكم، وإذا كنتم لن تسمعوا لي فلا تنجسوا اسمي القدوس بعطاياكم وأصنامكم.. لأنه في جبل موسى في جبل إسرائيل العالي هناك يعبدني كل بيت إسرائيل، هناك

---

(١) سفر حزقيال اصحاح ٢٠

أرضى عنهم.. هناك تذكرون طرقكم وكل أعمالكم التي تنجستم بها فتمقتون أنفسكم لما سلف منكم من شرور..[1]

وفي الاصحاح (٢٢) يخاطب الرب أورشليم ويقول:

أيتها المدينة السافكة الدماء في وسطها ليأتي وقتها، الصانعة أصناماً لنفسها لتتنجس بها قد أثمت بذلك الذي سفكت، ونجست نفسك بأصنامك التي عملت، وقربت أيامك وبلغت سنيك لذلك جعلتك عاراً للأمم، وسخرة لجميع الأراضي، القريبة منك والبعيدة يسخرون منك يا نجسة الاسم، يا كثيرة الشغب. هوذا رؤساء إسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فيك لأجل سفك الدم، في وسطك عاملوا الغريب بالظلم فيك، اضطهدوا اليتيم والأرملة، وازدريت أقداسي ونجست سبوتي.. (ثم يعدد مخازيهم التي ارتكبوها: فعلوا الرجس مع زوجة قريبهم، زنوا بأخواتهم، أخذوا الرشوة، فعلوا الفواحش مع كناتهم..)[2]

سأعاقبك، وسأفعل. وأبددك بين الأمم، وأذريك في الأراضي، وأزيل نجاستك منك. لقد صرتم زغلاً، فسأجمعكم بغضبي وسخطي وأطرحكم وأسبككم كما تسبك الفضة في وسط الكور.

أنبياؤها في وسطها كأسد يخطف الفريسة، أكلوا نفوساً، أخذوا الكنز والنفيس، أكثروا أراملها، كهنتها خالفوا شريعتي، ونجسوا أقداسي، لم يميزوا بين المقدس والمحلل، ولم يعلموا الفرق بين النجس والطاهر، وحجبوا عيونها عن سبوتي فتدنست في وسطهم. رؤساؤها في وسطها كذئاب خاطفة لتسفك الدماء، وأهلاك النفوس لاكتساب كسب.. لقد ظلموا شعب الأرض ظلماً، وغصبوا غصباً، واضطهدوا الفقير والمسكين، وظلموا

---

(١) سفر حزقيال اصحاح ٢٠

(٢) سفر حزقيال اصحاح ٢٢

الغريب بغير حق.. فسكبت سخطي عليهم، أفنيتهم بنار غضبي، خليت طريقهم على رؤوسهم.[1]

في الاصحاح (٢٣) حديث عن زنا القدس والسامرة وكيف دُغدغت أثداؤها في مصر، وعشقت إحداهما (أهولة) الآشوريين، وتنجست بكل من عشقتهم، بكل أصنامهم، ولذلك سلمتها إلى عشاقها بني آشور وكلهم شبان شهوة، وفرسان راكبو خيل.. فلما رأت أختها (أهوليبة) ذلك أفسدت في عشقها أكثر منها، وفي زناها أكثر من أختها عشقت بني آشور شبان الشهوة، فرأيت منها قد تنجست، ولكلتيهما طريق واحدة. ورأت صور بني كلدان، عشقتهم عند لمح عيونها إياهم، وكشفت زناها، وكشفت عورتها فجفتها نفسي.. كما جفت نفسي أختها.. لذلك يقول الرب إني سأهيج عليك الآشوريين والكلدانيين وأسلم إليهم الحكم فيحكمون عليك بأحكامهم، واجعل غيرتي عليك فيعاملونك بالسخط، يقطعون أنفك وأذنيك، وبقيتك تسقط بالسيف، يأخذون بنيك وبناتك، وتؤكل بنيك بالنار..

أفعل ذلك بك لأنك زنيت وراء الأمم، لأنك تنجست بأصنامهم، إنك تشربين كأس أختك لأنك سلكت في طريقها، لقد زنتا بأصنامهما، وأجازتا بنيهما في النار أكلا لها، ونجستا مقدسي، ودنستا سبوتي، ولما ذبحتا بنيهما لأصنامهم أتتا في ذلك اليوم إلى مقدسي لتنجساه.. (ثم بعد ذلك يسرد توبيخاً شديداً وفضحاً لطرقهما في الزنا..).

إني أصعد عليها جماعة وأسلمها للجور والنهب، وترجمها الجماعة بالحجارة ويقطعونها بسيوفهم، ويذبحون أبناءها وبناتها ويحرقون بيوتها بالنار، فأبطل الرذيلة من الأرض، فتتأدب جميع النساء أن يفعلن مثل ذلك..[2]

---

(١) سفر حزقيال اصحاح ٢٢

(٢) سفر حزقيال اصحاح ٢٣

ملك بابل قد اقترب من أورشليم، اضرب مثلاً للبيت المتمرد، وقل لهم هكذا قال الرب.. ويل لمدينة الدماء، القدر التي فيها زنجارها، ولم يذهب هذا الزنجار.. وقال الرب لحزقيال: لا تبك ولا تنزل دموعك، تنهد ساكتاً..[1]

يقولون إن إبراهيم كان واحداً وقد ورث الأرض، ونحن كثيرون لنا أعطيت الأرض ميراثاً، فقل لهم تأكلون بالدم، وترفعون أعينكم إلى أصنامكم، وتسفكون الدم، أفترثون الأرض؟؟ الذين في الحرب يسقطون بالسيف، الذين على وجه الحقل أبذلهم للوحوش، والذين في الحصون والمغاور يموتون بالوباء، فتخرب الأرض وتقفر، إنهم يسمعون الكلام ولا يعملون به..[2]

ويل لرعاة إسرائيل الذين يرعون..المريض لم تقووه، والمجروح لم تعصبوه والمكسور لم تجبروه، والمطرود لم تستردوه ، والضال لم تطلبوه، بل تسلطتم عليه بشدة وعنف.. ضلت غنمي في الجبال، وعلى كل تل عال، ولم يكن من يسأل ويفتش..إنني سأسأل الرعاة عن غنمي.[3]

إن بيت إسرائيل لما سكنوا أرضهم نجسوها بطريقتهم وبأفعالهم، كانت طريقتهم أمامي كنجاسة الطامث فسكبت غضبي عليهم لأجل الدم الذي سفكوا على الأرض وبأصنامهم نجسوها فبددتهم في الأمم فتذروا بالأراضي كطريقتهم، وكأفعالهم ذمتهم.. لذلك فقل لبيت إسرائيل ليس لأجلكم أنا صانع يابيت إسرائيل بل لأجل اسمي المقدس الذي نجستموه في الأمم حيث جئتم. فاقدس اسمي العظيم المنجس في الأمم الذين نجستم اسمي بينهم فيعلموا أنني أنا الرب حين أتقدس فيكم أمام أعينهم، وآخذكم من بين الأمم وأجمعكم من جميع الأرض وآتي بكم إلى أرضكم،

---

(١) سفر حزقيال اصحاح ٢٤

(٢) سفر حزقيال اصحاح ٣٣

(٣) سفر حزقيال اصحاح ٣٤

وأرش عليكم ماء طاهراً فتطهرون من كل نجاساتكم، ومن كل أصنامكم أطهركم، وأعطيكم قلباً جديداً ، وأجعل في داخلكم روحاً جديدة، وأنزع قلب الحجر من لحمكم، وأعطيكم قلب لحم. وأجعل روحي في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي، وتحفظون أحكامي، وتعملون بها. وتسكنون الأرض وأخلصكم من كل نجاساتكم، ولا أضع عليكم جوعاً، وأكثر الثمر وغلة الحقل لكيلا تنالوا عار الجوع بين الأمم مرة أخرى، فتذكرون طرقكم الردية، وأعمالكم غير الصالحة، وتمقتون أنفسكم أمام وجوهكم من أجل لثامكم، وعلى رجاساتكم، لا من أجلكم أنا صانع، فليكن معلوما لكم فاخجلوا وأخزوا من طرقكم يا بيت إسرائيل..[١]

وفي الاصحاحين ٣٨و٣٩ نبوءة عن وصول(جوج) وحدوث اضطرابات، ثم هزيمة(جوج) في أرض فلسطين..

(إن الرب سيأتي بجوج وقومهم من الشمال إلى أرض فلسطين، ولكن الرب يضربهم فيسقطون هو وجميع جيشه والشعوب التي معه طعاما للطيور والوحوش.. وإن الله سيرسل ناراً على جوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين فيعلمون أنني أنا الرب، وحينما يحدث ذلك يخرج سكان مدن إسرائيل ويشعلون ويحرقون السلاح والمجان والقسي والسهام والحراب..سبع سنين يوقدون النار، وينهبون (أي الإسرائيليون) الذين نهبوهم ويسلبون الذين سلبوهم.. ويقبرهم بيت إسرائيل ليطهروا الأرض سبعة أشهر، كل شعب يقبرون ويكون لهم تمجيدي مشهورا.. ويدعو الرب كل وحوش الأرض وكل طيور السماء الكاسرة إلى أرض إسرائيل، وجبالها ليأكلوا لحوم الجبابرة الذين سقطوا قتلى.[٢]

وتعلم الأمم أن بيت إسرائيل قد أجلوا بإثمهم لأنهم خانوا الرب

---

(١) سفر حزقيال اصحاح ٣٦

(٢) سفر حزقيال اصحاح ٣٩

فحجبت وجهي عنهم وسلمتهم ليد مضايقيهم فسقطوا كلهم بالسيف كنجاستهم وكمعاصيهم فعلت معهم وحجبت وجهي عنهم..(ثم يتوب الرب عليهم فيجمعهم في أرضهم، ولا يعود يغضب عليهم..)[1]

لقد نجس بنو إسرائيل اسمي القدوس فأفنيتهم بغضبي، ولكن لا ينجسون بعد اسمي القدوس لا هم ولا ملوكهم لا بزناهم ولا بجثث ملوكهم في مرتفعاتهم بجعلهم عتبتهم لدى عتبتي.. فليبعدوا الآن عني زناهم وجثث ملوكهم فأسكن في وسطهم..[2]

قل للمتمردين، لبيت إسرائيل يكفيكم كل رجاساتكم بإدخالكم أبناء الغريب الغلف القلوب الغلف اللحم ليكونوا في مقدسي، فينجسوا بيتي بتقريبكم خبزي الشحم والدم فتنقضوا عهدي فوق كل رجاساتكم.. لقد ضل اللاويون حين ضل إسرائيل وراء أصنامهم يحملون إثمهم لقد خدم اللاويون الشعب أمام أصنامهم، وكانوا معثرة إثم لبيت إسرائيل (واللاويون هم الكهنة الذين أمر الله بأن يكونوا كهنة على بيت إسرائيل، ومن غير اللاويين لا يوجد كهنة) لذلك رفعت يدي عليهم فيحملون إثمهم، لا يتقربون إلى شيء من أقداسي بل يحملون خزيهم ورجاساتهم التي فعلوها.[3]

(سمح الرب للكهنة من أبناء صادوق بأن يحرسوا مقدسه لأنهم تمسكوا بالشريعة يوم ضل الناس) وقد خص الكتاب الصادوقيين (أي خصوا هم أنفسهم) بكثير من الخيرات منها :

(يأكلون التقدمة، وذبيحة الخطية، وذبيحة الإثم، وكل محرم في إسرائيل يكون لهم، وأوائل الباكورات جميعها، وكل رفيعة من كل رفائعكم تكون للكهنة ، وتعطون الكاهن أوائل عجينكم لتحل البركة

---

(١) سفر حزقيال اصحاح ٤١

(٢) سفر حزقيال اصحاح ٤٣

(٣) سفر حزقيال اصحاح ٤٤

على بيتك، لا يأكل الكاهن من ميتة ولا من فريسة طيراً كان أو بهيمة.[1]

يكفيكم يا رؤساء إسرائيل أزيلوا الجور والاغتصاب، وأجروا الحق والعدل، ارفعوا الظلم عن شعبي، موازين حق وإيفة حق وبث حق تكون لكم.[2]

الثامن عشر: سفر دانيال

رأى بختنصر رؤيا هالته ولم يستطع الكهنة والحكماء تفسيرها له فأمر الملك بقتلهم، فتقدم دانيال وهو من سبي بني إسرائيل ليعرف الملك بالحلم وتفسيره.

قال دانيال للملك إن حلم الملك لا يستطيع السحر والحكمة ولا المجوس ولا المنجمون تفسيره، ولكن يوجد في السماوات، إله هو وحده كاشف الأسرار ، وقد عرف الملك بختنصر بما يكون في الأيام الأخيرة .

لقد رأى الملك تمثالاً عظيماً وقف قبالتك أيها الملك، منظره هائل، رأس التمثال من ذهب جيد، صدره وذراعاه من فضة. بطنه وفخداه من النحاس، ساقاه من حديد. قدماه بعضهما من حديد وبعضهما من خزف. وكنت تنظر أيها الملك وإذا بحجر قطع بغير يدين وضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما ، فانسحق الحديد وانسحق الخزف والنحاس والفضة والذهب معاً، وصارت كعصافة البيدر في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان.أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها .

فأنت أيها الملك الرأس من ذهب، وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، وثالثة أخرى من نحاس فتسلط على الأرض، وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شيْ. وبما أن الرجلين

---

(١) سفر حزقيال اصحاح ٤٤

(٢) سفر حزقيال اصحاح ٤٥

بعضهما من خزف وبعضهما من حديد فالمملكة تنقسم ويكون فيها قوة الحديد، وبما أن الأصابع بعضها من حديد وبعضها من خزف فبعض المملكة يكون قوياً والبعض يكون قضماً. وما رأيته من حديد مختلطاً بخزف الطين فإنهم يختلطون بنسل الناس، ولكن لا يتلاصق بذاك، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف.. وفي أيام الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفني كل هذه الممالك ، وهي تثبت إلى الأبد.[1]

ورأى بختنصر رؤيا أخرى راعته، فقد رأى شجرة ضخمة كبرت وقويت فبلغ علوها السماء واستظل بظلها كثير من الحيوانات، وسكنت في أغصانها الطيور، وأكل من ثمرها البشر ، وإذا بساهر وقدوس نزل من السماء فصرخ بشدة وأمر بقطع الشجرة، ونثر أغصانها وأوراقها وترك أصلها في الأرض.[2]

التاسع عشر: سفر هوشع

تحدث عن عبادة بني إسرائيل البعليم، وعن عقاب الله إياهم ومن أمثلة ذلك ما جاء في الاصحاحات التالية:

شعبي يسأل خشبة وعصاه تخبره لأن روح الزنى قد أضلتهم فزنوا من تحت آلهتهم يذبحون على رؤوس الجبال، وينحرون على التلال تحت البلوط واللبنى والبطم لأن ظلها حسن لذلك تفسق كناتكم، وتزنى بناتكم، وأنا لا أعاقب بناتكم لأنهن يزنين، ولا كناتكم لأنهن يفسقن، لأنهم يعتزلون مع الزانيات ويذبحون مع الناذرات الزنى وشعب لا يعقل يصرع، إذا زنيتم فلا تحلفوا بالرب، ولا تأتوا للجلجال، لقد جمح إسرائيل كبقرة جامحة.[3]

---

(١) الاصحاحان ١و٢ من سفر دانيال

(٢) سفر دانيال اصحاح ٣

(٣) سفر هوشع اصحاح ٤

هـم أقاموا ملوكا وليس مني، أقاموا رؤساء وأنا لم أعرفهم، صنعوا لأنفسهم من فضتهم وذهبهم أصناماً لكي ينقرضوا. فقد زنخ عجلك ياسامرة، حمي غضبي عليهم. إن عجل السامرة يصير كسرا، إنهم يزرعون الريح ويحصدون العاصفة. زرع ليس له غلة[1] .

جاءت أيام العقاب ، جاءت أيام الجزاء، سيعرف إسرائيل، النبي احمق، إنسان الروح مجنون من كثرة إثمك وكثرة حقدك.. أما هم فجاؤوا إلى بعل فغور، ونذروا أنفسهم للخزي وصاروا أرجاسا كما أحبوا..[2]

لقد زرعتم النفاق وحصدتم الإثم، أكلتم ثمر الكذب ..[3]

---

(١) سفر هوشع اصحاح ٨

(٢) سفر دانيال اصحاح ٩

(٣) سفر دانيال اصحاح ١٠

الفصل الثالث

كفر اليهود ومخالفاتهم في القرآن

قلنا في هذه الدراسة إن محمداً ﷺ كان يحرص أشد الحرص على أن يؤمن اليهود برسالة الله التي جاء بها من ربه، لتتوحد دعوة الإيمان في الجزيرة العربية، وليكون في إيمان اليهود برسالة الإسلام دعم لرسالته لدى قومه العرب، لأن العرب كانوا يعرفون أن اليهود أهل كتاب منزل من عند الله، وأن النصارى هم أيضاً أهل كتاب... فإذا تأيدت دعوة الإسلام بإيمان اليهود بها، كان ذلك تأكيداً لما يقوله محمد من أنه مرسل إليهم من الله ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وأن الله واحد أحد لا صاحبة له ولا ولد، وأن الأصنام التي يعبدها العرب لا تعني شيئاً، وليست قادرة على شيء... وأن الله لا يقبل بأن يعبد الخلق أحداً معه كأننا من كا ذلك المعبود.

وكان محمد يوجه اهتماماً خاصاً إلى اليهود لما كان يعرفه من عرب المدينة، الذين كانوا يسمعون كثيراً من اليهود، بأن نبياً سيبعثه الله في الجزيرة العربية ليرسي قواعد التوحيد في الأرض، وليحارب الشرك والمشركين، وأن اليهود سيؤمنون برسالته، وسيحاربون المشركين تحت لوائه ويبيدونهم إبادة إرم وعاد..

كما أن النبي كان يعلم من القوافل التي تروح وتغدو بين الجزيرة والشام، أن النصارى أقاموا لهم مراكز رصد في الأديرة على تخوم الجزيرة العربية، وعلى طريق القوافل العابرة بين الجزيرة وما حولها، ليعرفوا الجديد من أخبار بعثة النبي المنتظر.. فكان له أن يعتقد أن الفريقين، اليهود والنصارى، إنما يتوكفون بعثة النبي ليؤمنوا برسالته، ويؤيدوه وينصروه

بالقول والعمل، عملاً بعهد الله إلى الأنبياء والرسل، ومن يؤمنون برسالتهم، بأن يؤمنوا بكل نبي أو رسول يبعثه الله إلى أهل الأرض[1].

ولكن اليهود كفروا برسالة محمد من أول يوم سمعوا بها، ووقفوا منها موقف المتربص الذي يتمنى أن يكفيه العرب أمر محمد ورسالته. فقد كان اليهود يتخذون من رسالة الله إليهم، وسيلة للتفاخر، وللامتياز والاستعلاء على الناس، ولم يكونوا يعدون رسالة الله إليهم تكليفاً وواجباً يفرض عليهم أن يقوموا بنشرها بين الناس. وكان أكثر ما يخيفهم في رسالة محمد هو أنها ستقضي على تفردهم في الجزيرة العربية بأنهم الوحيدون الذين خصهم الله بكتاب من عنده، ثم إنهم أيقنوا أنها ستوحد العرب حول الإيمان بها، وستجمعهم حول فكرة واضحة جديدة يؤمنون بها، ويقومون بعبء نشرها في الأرض وبذلك يُقضى على نفوذ اليهود في يثرب وما حولها، وفي جزيرة العرب كلها.. وهو النفوذ الذي كانوا يعتمدون عليه في بقائهم متميزين بين العرب..

ثم إن توحيد العرب حول دعوة الإيمان ستفوِّت الفرصة على اليهود في استغلال الانقسامات القبلية في الجزيرة، وإذكاء نيران الفتنة والحروب بين العرب.. لينشغل المجتمع العربي عنهم وعن مخططاتهم الرامية إلى بسط سلطانهم في المجتمع العربي، والتمكين لأنفسهم فيه، واستغلاله أقبح استغلال، وللبقاء في موقع الحكم الأعلى فيه...

ولكن كيف يستطيع اليهود إنكار رسالة محمد وهم الذين كانوا يكررون الحديث عنها أمام جيرانهم من الأوس والخزرج حتى الأمس القريب؟ ولا شك في أن حديثهم هذا عن بعثة النبي، وتهديدهم العرب

---

(١) ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (الآية ٨١ آل عمران).

بأنهم سيؤمنون برسالة النبي المنتظر، وسيبيدون الشرك والمشركين تحت لوائه.. كان سبباً في مسارعة الأوس والخزرج إلى الدخول في الإسلام مخافة أن يسبقهم اليهود، وينفذوا تهديداتهم..

لقد كان اليهود في حاجة إلى فترة من التفكير ليعدوا خططهم لإعلان كفرهم برسالة محمد، وليقولوا لجيرانهم العرب تارة إنه مبعوث إلى العرب خاصة وليس إليهم.. ثم لما ألح عليهم القرآن بالعيب عليهم مقالتهم هذه، عادوا فادعوا أن صفات محمد لا تنطبق على صفات النبي المنتظر التي يجدونها في كتبهم.

وسنرى في الفصول التالية كيف تطورت الأمور بين اليهود وبين دعوة الله المتمثلة في الإسلام حتى تم القضاء على اليهود في الجزيرة العربية كلها..

وخلال المساجلات التي جرت بين دعوة الله وبين اليهود، سرد القرآن على اليهود كثيراً من خفايا ديانتهم التي أضاعوا أكثرها وتنكروا له، كما سرد عليهم كثيراً من طباعهم وخفايا نفوسهم، وهي طباع الحقد والحسد والكراهية لخلق الله جميعاً، والكفر التي توارثوها عن أسلافهم.

وعرض عليهم مخالفاتهم الكثيرة جداً لشرع الله، وقيامهم بعبادة الأصنام والأوثان المرة بعد المرة.. وقتلهم أنبياء الله والصالحين منهم الذين كانوا يحثونهم على التمسك بشرع الله، والإقلاع عن الكفر والفسوق والعصيان، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وقولهم على الله غير الحق..

وسنسوق في هذا الفصل بعض ما قصه القرآن على اليهود من مخالفات أسلافهم لشريعة الله، وما قضاه الله عليهم من عقوبات قاسية عقاباً لهم على أخلاقهم الذميمة، وكفرهم برسالة الله، وعبادتهم الأصنام والأوثان، واتباعهم ما شرعه لهم رجال دينهم من شرع لا يمت إلى شرع الله بسبب ليحكموا سيطرتهم عليهم، وليخضعوهم لنفوذهم بالكلية..

وكانت جميع هذه الأمور خفية، لم يكن يعرفها إلا قلة قليلة من كبار رجال الدين اليهود، ولم يكن الشعب وعامة الناس يعرفون عنها شيئاً،

فجاء القرآن يكشفها لليهود وللعرب ليثبت لهم أن القرآن لا يمكن أن يكون من كلام محمد الأمي، ولا من كلام أحد من البشر..

ومن يرجع إلى الفصل الذي كتبناه حول ما قاله أنبياء بني إسرائيل عن كفرهم وقسوة قلوبهم.. وعبادتهم غير الله على طول امتداد تاريخهم، وما حوته كتبهم التي بين أيديهم اليوم.. يدرك أن هذا الشعب لم يدخل الإيمان إلى قلبه في يوم من الأيام، وأن المؤمنين منه كانوا قلة اقل من القليلة، وقد حوربت هذه القلة المؤمنة وطوردت، ونكل بها، وأن كلمة الله التي جاء بها موسى والأنبياء من بعده قد ضاعت في الركام الكثير الذي دسه الزعماء الدينيون خلال قرون طويلة، وضموه إلى كتبهم، حتى أصبح من الصعب اليوم أن يعرف الإنسان ما هو فيها من عند الله، وما هو مدسوس من رجال الدين، إلا إذا رجع إلى أساس دعوة الإيمان التي أنزلها الله إلى أهل الأرض، وقارن بينها وبين ما حوته كتبهم، فإنه حينئذ سيعرف القليل الحق من الكثير المدسوس.

القرآن يدعو بني إسرائيل إلى الإيمان بدعوة الإيمان الخالدة:

وقد استرسل القرآن يسرد على اليهود قصصهم ومخالفاتهم ليعرفوا أن رسالة محمد ﷺ حق وصدق، وأن محمداً وقومه لم يكونوا يعرفون شيئاً من تلك القصص والأخبار.

وقد بدأ القرآن خطابه لليهود مذكراً إياهم بما تفضل به عليهم ربهم من النعم الكثيرة التي لا تحصى، وما فضلهم به على أهل زمانهم من الناس الكفرة، وحثهم على الوفاء بعهد الله الذي عاهد عليه جميع الرسل والأنبياء، ومن آمن برسالتهم، بأن يؤمنوا بكل نبي يرسله الله إلى أهل الأرض، وأن يؤازروه وينصروه.. وعاب عليهم نقضهم عهد الله، وكتمانهم الحق الذي أنزله الله ليعرفه الناس، وعاب عليهم إلباسهم الحق الذي أنزله الله، بالباطل الذي ابتدعوه من عند أنفسهم، ودسوه في كتبهم وقالوا للناس عنه إنه منزل من عند الله، وما هو في الحقيقة من عند الله.

وحث القرآن اليهود على أن يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وأن يستعينوا بالصبر والصلاة على القيام بما شرعه الله لهم، وقال لهم إن ذلك القيام هو شيء شاق على النفوس التي لا تخشع لله، ولا تؤمن به إيماناً خالصاً لا تشوبه شائبة من شرك[1].

وذكر الله اليهود بيوم القيامة، يوم يجمع الناس لديه للحساب والجزاء، وقال لهم إنهم سيرجعون إليه جميعاً، وسيحاسبهم على جميع أعمالهم، وهو يوم لا يغني فيه أحد عن أحد شيئاً.

تذكير القرآن بني إسرائيل بنعم الله عليهم:

وبدأ القرآن بتذكير اليهود بما يعرفونه جميعاً حق المعرفة، ولا ينكرونه:

- فقد كان القبط يذبحون الذكور من أولادهم ويستبقون البنات على قيد الحياة للخدمة والمتعة، وهو بلاء عظيم جداً يصعب على البشر احتماله، فأرسل الله إليهم موسى رسولاً قارع فرعون الحجة، وأظهر له معجزات الله وآياته حتى أقنعه بما لا يقبل الشك بأن موسى وهارون هما من رسل الله، وأنهما ليسا بساحرين و ممخرقين.. ولكنه ظل على كفره

---

(١) الآيات من ٤٠ - ٤٨ من سورة البقرة ونصها كالآتي:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ. وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ. وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ. أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ. الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

ومكابرته، وإن كانت نفسه مستيقنة صدقهما ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[1].

وأمر الله موسى وهارون بأن يسيرا بقومهما في ليلة واحدة من مصر باتجاه سيناء، وأعلمهما بأن فرعون وجنوده سيتبعون أدبارهم محاولين إعادة بني إسرائيل إلى خدمة القبط، واستمرارهم في ممارسة أشق الأعمال وأخسها في مصر.

وخرج موسى وهارون بقومهما باتجاه سيناء، ولما اقتربوا من ساحل البحر نظروا خلفهم فإذا بفرعون وجيوشه يجدون السير لإدراكهم، وإجبارهم على العودة إلى ما كانوا عليه.. فثارت ثائرة الناس من قوم موسى وأخذوا في لوم نبييٍّ الله، وتقريعهما على إخراجهما الناس بدون إذن القبط، وقالوا لهما إن فرعون سيدركهم وسيميتهم جميعاً في البرية، ويسبي نساءهم وذرياتهم وأموالهم.. فقال لهم موسى إنه إنما سار بهم بأمر الله، والله سيهديهم سواء السبيل. ثم أمر الله موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق، وأرسل ريحاً على أرض البحر فجففتها، وسار بنو إسرائيل بين فلقتي البحر، وهم لا يخشون طغيان ماء البحر عليهم. فلما اصبحوا في طرف البحر الآخر أراد موسى أن يضرب البحر ليعود إلى حاله الأول قبل الانفلاق، فأمره الله تعالى أن يترك البحر ساكناً كما هو ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ .

وتقدم فرعون وجيشه ووقفوا على الشاطئ الذي غادره بنو إسرائيل قبل قليل، وشدد الله قلب فرعون وجيشه فاقتحم الشق الذي سار فيه بنو إسرائيل، ولما أصبح الجيش كله في وسط البحر أطبق الله عليهم الماء فأغرقهم جميعاً.

ويقول الله تعالى إن فرعون أدرك في تلك اللحظة صدق موسى وهارون وأعلن إيمانه بالله ربهما، فرد الله عليه قائلاً: أتؤمن بالله الآن، وقد كفرت من قبل، واستكبرت بغير حق، وحاولت أن تقارع حجة الله

---

(١) الآية ١٤ من سورة النحل.

وآياته بباطل سحرتك...؟ ثم أعلنه بأنه سيخرج جثته من الماء هامدة ليكون ذلك آية وعبرة للناس الذين كانوا يعبدون فرعون، ويؤمنون بألوهيته...(١)

---

(١) سورة الدخان الآيتان ٢٣و٢٤ ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ. وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾

وسورة طه الآيات من ٧٧ - ٧٩. ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ. فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ. وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾

والآيتان ٤٩و٥٠ من سورة البقرة ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ. وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾

والآيات من ٥٢ إلى ٦٧ الشعراء ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ. فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ. وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ. وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ. فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ. فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ. قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ. فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ. وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ. وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ. إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾

والآيات من ٩٠-٩٢ يونس ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾

وأنكر بعض بني إسرائيل ـ ممن كانوا يعبدون فرعون في مصر ـ أنه مات، وأخذوا يرجفون قائلين بأنه غاب بإرادته هو ليعود بعد ذلك ويعاقب أعداءه عقاباً شديداً.. فلما قذف البحر بجثته هامدة، وعاينها الناس جميعاً اقتنعوا بأنه مات فعلاً، وأن دعواه الألوهية هي دعوى باطلة، لأنه لو كان إلهاً حقاً لما مات وطرح البحر جثته هامدة على شاطئه كأي مخلوق آخر.

بنو إسرائيل يطلبون من موسى أن يجعل لهم أصناماً يعبدونها

وبعد أن سار موسى ببني إسرائيل في صحراء سيناء، مروا على قوم يعبدون الأصنام، فحنَّ الجهلة من بني إسرائيل الذين كانوا يعبدون الأصنام في مصر، إلى العودة إلى عبادتها وقالوا لموسى اجعل لنا آلهة كما لهؤلاء القوم آلهة من الأصنام، فثار عليهم موسى ثورة شديدة، وقال لهم إنهم قوم جهلة، وإن إلههم الله الواحد الأحد الذي لا إله غيره في الوجود.. وإن هؤلاء الذين يعبدون الأصنام جهلة سيدمرهم الله وما يعبدون، ولن يجدوا لهم من ينصرهم من بأس الله(١).

بنو إسرائيل يعبدون العجل في غياب موسى

ولما اقترب موسى من جبل الطور الذي كلمه الله في واديه، أمره الله بأن يصوم ثلاثين يوماً ثم يأتي إلى الجبل ليعطيه فروض

---

(١) الآيتان ١٣٨ و١٣٩ الأعراف : ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

الشريعة، ثـم أمـره الله بـأن يصـوم عشـرة ايـام أخـرى، فصـام موسـى أربعـين ليلـة، وبذلـك صفـت نفسـه، وأصبحـت متلهفـة لاسـتيعاب أوامـر ربـه، وعهـد موسـى إلى أخيـه هـارون بـأن ينـوب عنـه في إدارة القـوم خـلال مـدة غيابـه، ونبهـه بـأن يحسـن إدارتهـم. وصعـد موسـى الجبـل فأعطاه ربـه الألـواح التي تحوي الأوامـر والنواهـي الـتي عليـه أن يبلغهـا إلى قومـه ليتقيـدوا بهـا، وقـال لـه ربـه وهـو يكلمـه إن قومـه قـد فسـدوا في غيابـه، وأضلهـم رجـل سـامري يرافقهـم، فصنـع لهـم عجـلاً مـن ذهـب أخـذوا يعبدونـه، ويطوفـون بـه فغضـب موسـى غضبـاً شـديداً، وعـاد إلى قومـه، يحمـل الألـواح، ولمـا اقـترب مـن مضـارب قومـه وجـد النـاس يطوفـون بـالعجل الـذي اتخـذوه إلّـهاً، ويذبحـون لـه ويسـجدون.. فلمـا وصـل إليهـم كـان الغضـب قـد بلـغ منـه مبلغـاً عظيمـاً، فـألقى الألـواح مـن يـده وأقبـل علـى أخيـه هـارون يعنفـه، وأمسـك بلحيتـه ورأسـه يهزهمـا هـزاً عنيفـاً، وقـال لـه: لمـاذا لم تتبعـني لتخـبرني بـأن القـوم ضلـوا وعـادوا إلى عبـادة الأصنـام. فـترفق بـه هـارون حتـى سـكن الغضـب عنـه، وقـال لـه إن القـوم أفسـدهم السـامريُّ الـذي طلـب منهـم حليهـم الـتي سـرقوها مـن القبـط حـين خروجهـم مـن مصـر، ليصنـع لهـم عجـلاً مـن ذهـب يعبدونـه لأنـه لا يجوز لهـم أن يبقـوا بـدون إلّـه يعبدونـه، وموسـى قـد ذهـب وتـأخر في العـودة ولا يـدري أحـد مـا وقـع لـه.

ولمـا رأى هـارون ذلـك منهـم أقبـل عليهـم يلومهـم وينكـر عليهـم فعلهـم وعبـادتهم غـير الله، وقـال لهـم إن الله وحـده هـو الإلّـه الحـق الـذي تجـب العبـادة لـه، وعبـادتهم الصنـم كفـر صـراح.. فتهـدده الجهلـة بـالقتل إن لم يكـف عـن نصحهـم وتعنيفهـم، والعيـب عليهـم مـا يفعلـون... فخـاف هـارون إن هـو استعان بمـن بقـوا علـى الإيمـان لمجابهـة مـن فسـدوا وعبـدوا العجـل، فقـد تحـدث مذبحـة وفتنـة لا يعـرف أحـد غير الله عاقبتهـا فـآثر الانتظـار حتـى يرجـع إليهـم موسـى،

ويتصرف معهم بما يراه مناسباً..(١).

---

(١) الآيات من ١٤٢ - ١٥٢ من سورة الأعراف ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ. وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي. فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ. سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ. وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ... وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا. اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ. وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ. وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾.

والآيات من (٨٥ - ٩٤) طه: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ. فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي. قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ. فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ. أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا. وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي. قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى. قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا. أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾.

وقد أشار القرآن إلى أن الله أعطى موسى سلطاناً عظيماً على بني إسرائيل ليستطيع سياستهم وحملهم على طاعته ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾[1].

وأمسك موسى بالعجل وحرقه في النار ثم دقه وذراه في الماء لكيلا يتخذ الجهلة من بني إسرائيل من موقع رماده مكاناً للعبادة. وأقبل على السامري يسأله عن الأسباب التي حملته على صنع العجل ليضل الناس عن عبادة الله...؟ وقال له إن عقابه سيكون في أنه سيقضي بقية حياته يقول للناس لا تمسوني ولا أمسكم، وأنه سيلقى في الآخرة عذاباً أليماً في نار جهنم[2].

وتقول كتب بني إسرائيل إن القوم طلبوا من هارون أن يصنع لهم عجلاً يعبدونه بعد أن تأخر عليهم موسى فطلب منهم نزع الحلي التي تلبسها نساؤهم وأبناؤهم فأتوه بها فصنعها لهم عجلاً. ثم صنع مذبحاً أمام العجل وأقبل القوم على عبادته والطواف به[3].

ونحن نقول إن أنبياء الله معصومون من الوقوع في مثل هذا المنكر الفظيع الذي يعتبر كفراً صراحاً ولا يمكن أن يقوم هارون به أبداً، لا سيما وأنه رأى من قريب عناية الله البالغة به وبأخيه وبقومهما، ورأى عظمة آيات الله الباهرات، فكيف يقوم بعمل

(١) الآية ١٥٣ من سورة النساء.

(٢) الآيات من ٩٥ - ٩٨ طه.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي. قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا. إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

(٣) سفر الخروج الاصحاح ٣٢.

الكفرة الفجرة؟ إن هذا أمر لم يقبله القرآن، ودل بني إسرائيل على أن صانع الصنم العجل هو رجل سامري خرج مع بني إسرائيل من مصر. وقد عارضه هارون معارضة شديدة، ولكنه سكت مخافة حدوث فتنة تعصف بالقوم[1].

بنو إسرائيل يتذمرون في الصحراء من الحر والجوع والعطش

ولفحت شمس الصحراء الحارة بني إسرائيل، وهم سائرون باتجاه أرض فلسطين، فأخذوا في التذمر والشكوى، وأقبلوا على موسى وهارون باللوم لما أخرجاهم من أرض مصر حيث كانوا ينعمون بالماء والظل والطعام الوفير. فدعا موسى ربه أن يريحه من هذا الشعب الشديد اللجاجة، فأرسل الله تعالى غيوماً بيضا خفيفة حجبت أشعة الشمس عنهم، فساروا في راحة، ثم شكا القوم العطش وقلة الماء، وعادوا إلى التذمر والشكوى فدعا موسى ربه فأمره بأن يضرب حجراً من الأحجار بعصاه ففعل فانبجس الماء منه في اثنتي عشرة عيناً ليشرب أبناء كل سبط من عين منها منعاً للخلافات بينهم والتزاحم على الماء.. ثم جاع القوم بعد أن نفذت الأزواد التي حملوها من مصر معهم فأقبلوا أيضاً على موسى وهارون بالملامة والشكوى والتذمر فرجا موسى ربه أن يرسل إليهم طعاماً يشبعهم فأرسل عليهم من البحر طيور السماني التي أخذت تقع بينهم فيأخذون منها ما يكفيهم.

ثم أرسل إليهم المنَّ (وهو مادة سكرية بيضاء تقع على أوراق الشجر

---

(١) الآيتان ٩٠ و ٩١ من سورة طه: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَانُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي. قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾.

والنباتات) بكميات كثيرة فأخذوا يجمعونه ويأكلون منه.(١)

بنو إسرائيل يطلبون من موسى أن يجعلهم يرون الله جهرة:

وأراد موسى أن يتوجه بنو إسرائيل إلى ربهم بالتوبة عما فعله الجهلة منهم من عبادتهم العجل، فاختار من كل سبط من أسباطهم ستة رجال، وصحبهم وسار بهم إلى جبل الطور ليعلنوا ربهم هناك بتوبتهم، وليستغفروه عما فعله قومهم من الخروج عن دعوة الإيمان الخالدة.. ولما اقتربوا من جبل الطور قال بنو إسرائيل لموسى إنهم لن يصدقوه في قوله إن الله كلمه حتى يجعلهم يرون الله جهرة وعياناً كما يرى الرجل الرجل، فأسف موسى لطلبهم هذا المتجاوز الحدود في الإسراف والعناد والكفر. وقبل أن يقبل عليهم بالوعظ والتوبيخ أخذتهم صاعقة العذاب من الله فقضت عليهم جميعا، وهم ينظرون نزولها بهم. فقام موسى يبكي ويتوجه إلى ربه بالدعاء، وقال يا رب إنك لو شئت لأمتهم جميعاً وهم بين أهلهم، وبذلك لا يدعي أهلهم أن موسى تسبب في هلاكهم... ورجا ربه أن يعيدهم إلى الحياة لتكون آية أخرى لهم يحدثون بها قومهم، وتجعلهم

---

(١) ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ. كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ (الآيتان ٨٠ و ٨١ طه).

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الآية ١٦٠ الأعراف.

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (الآيتان ٦٠ و ٦١ البقرة).

يقلعون نهائياً عن الكفر والتشكك في عظمة الإله، وقدرته التي لا حدود لها، فأعادهم الله إلى الحياة، فقاموا من صعقهم وهم ينظرون ما حل بهم.. وكيف أحياهم الله[1].

ويقول بنو إسرائيل في كتبهم إن القوم رأوا الله وهو مدبر.. ثم قالوا مرة أخرى إنهم لم يروا وجهه وإنما رأوا قدميه كالعقيق والأرجوان، وإنهم سمعوا كلامه وهو يكلم موسى[2].

وهذا بلا شك تحريف لا ينسجم ومنطق الإيمان .. ولا يمكن أن يكون موسى هو الذي سطره في كتابه على أنه مما جاء من عند الله، أو على أنه الحق الذي رآه موسى وسطره بنفسه ليثبته للأجيال التالية من قومه... وهو من جملة تحريفات كثيرة جداً أقدم عليها كهنتهم في سبيل إقناع اليهود بأن لهم مكانة خاصة عند الله ليس لغيرهم من شعوب الأرض مثلها.

وهنا نحب أن نذكر اليهود بما جاء في كتابهم من أن البشر لا يستطيعون رؤية وجه الله ويبقون على قيد الحياة فكيف قبلوا قصة رؤية جماعتهم وجه الله وسماع صوته؟[3].

بنو إسرائيل يدخلون باب البلد زحفاً على أستاههم

وأمر الله تعالى بني إسرائيل بأن يدخلوا باب أول بلد فتحه الله عليهم من أرض فلسطين سجداً شكراً لله على أنعامه عليهم، وعلى ما من به عليهم من نصر وتوفيق إلى الاستقرار بعد طول التشرد والترحال في صحراء سيناء... فأبلغهم موسى أمر ربه، وقال لهم إن عليهم أن يقولوا

---

(١) ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الآيتان ٥٥ و ٥٦ البقرة).
﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (والآية ١٥٥ الأعراف).

(٢) سفر الخروج الاصحاحان ١٩ و٢٤.

(٣) سفر الخروج الاصحاح ٣٣.

وهم داخلون باب البلد سجداً: (حطة) أي اللهم حط عنا خطايانا، واغفر لنا.. فسخر الجهلة منهم من الأمر الإلهي، فلم يدخلوا باب البلد سجداً كما أمر الله، وإنما دخلوه زحفاً على أستاههم، ويقولون وهم داخلون حنطة بدل (حطة).

فكان ذلك سبباً من الأسباب الكثيرة التي غضب الله عليهم من أجلها[1].

بنو إسرائيل يملون أكل المنِّ والسلوى

أقام بنو إسرائيل زمناً وهم يؤمنون قوتهم من المنِّ الذي يجمعونه كل صباح، ومن طائر السلوى الذي يغشى مضاربهم بكثرة.. ولكن الجهلة منهم ملوا هذا الرزق الإلهي الكريم، وحنت نفوسهم إلى أكل البصل والثوم والفول والعدس... وما كانوا يأكلونه في مصر من خضروات، وطلبوا من موسى أن يدعو ربه ليوفر لهم حاجاتهم من هذه البقول.. فغضب موسى غضباً شديداً، ولامهم على جحودهم وقلة صبرهم واستخفافهم بعظمة الله خالقهم.. فقال لهم: ويلكم أتستبدلون الطعام السخيف من الخضروات والبقول بالرزق الكريم الذي مَنَّ الله به عليكم؟ إن ما تطلبونه لا يستحق منه أن يتقدم بدعاء الله من أجل تحقيقه لهم، وهو متوفر في أي بلد من البلاد، وما عليهم إن أرادوا الحصول عليه إلا دخول أي بلد ليحصلوا على حاجتهم مما يطلبون[2].

---

(١) ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الآيتان ٥٨ و٥٩ البقرة).

(٢) ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ الآية ٦١ البقرة).

غضب الله على بني إسرائيل وضرب الذلة والمسكنة عليهم

وحينما قص الله تعالى قصة اشتطاط بني إسرائيل في الإلحاف في مطالبهم من موسى، وطلبهم منه الفول والعدس والبصل.. قرر تعالى أنه غضب عليهم ولعنهم، وضرب عليهم الذلة والمسكنة لعصيانهم أوامر الله، وأوامر رسوله الكريم، ولاعتدائهم وتجاوزهم حدود شرع الله، ولقتلهم أنبياء الله بغير حق، ولكفرهم المستمر بآيات الله ورسالاته وجحودهم بأنعمه(١).

---

(١) ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾. الآية ٦١ من سورة البقرة

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ. فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾الآيتان ٦٥ و ٦٦ البقرة.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (الآيات ٧٨ و٧٩ و٨٠ من سورة المائدة).

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ. وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الآيات ١٦٣ - ١٦٧ الأعراف.)

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (الآية ٧٠ المائدة)

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ الآية ١١٢ آل عمران)

تذكير بني إسرائيل بما كان منهم من اعتداء في السبت

وقص الله تعالى قصة جماعة من بني إسرائيل كانوا يسكنون مدينة تقع على ساحل البحر، وقد كان الله نهاهم عن العمل في يوم السبت، وعن القيام بتصرفات معينة.. فابتدع الكفرة المسرفون منهم طريقة للاحتيال على العمل في يوم السبت، فكانوا ينصبون شباك صيدهم يوم الجمعة لتقع فيها الأسماك فإذا مضى السبت جاؤوا فجمعوا ما وجدوه في شباكهم منها، وعدوا ذلك أمراً مشروعاً في شرع الله، ولكن الله الذي يعلم النوايا وما تخفيه النفوس، عد ذلك احتيالاً لتجاوز حرمة السبت..

وقال تعالى إن القوم قد اختلفوا في عمل هؤلاء المسرفين، فعده جماعة أمراً محرماً، وتحايلا لتجاوز حرمة السبت، ولكنهم اكتفوا بأن قالوا للمسرفين إن عليهم أن لا يتجاوزوا حرمة السبت، ووقفوا عند هذا القول المجرد، ولم يتبعوه بعمل مادي آخر، وداوموا على تعاملهم مع هؤلاء المتجاوزين لشرع الله، مع أنهم كانوا يعلمون أن شرع الله يُلزمهم بأن يكون منهم عمل إيجابي لوقف المسرفين عند حدودهم.. وأن عليهم أن لا يكتفوا بالقول المجرد، لتبرئة أنفسهم أمام الله من السكوت على الفساد في الأرض.. ووقف آخرون من القوم موقف اللامبالاة، فعاقب الله المسرفين وغير المسرفين عقاباً شديداً، وعمهم جميعاً بالبلاء والعذاب عملاً بسنة الله تعالى في خلقه ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(١)

بنو إسرائيل يجبنون عن مقاتلة شعوب فلسطين

بعد أن طال مقام بني إسرائيل في صحراء سيناء، وهم يقترحون في كل يوم شيئاً جديداً على موسى وهارون، أراد موسى أن يدخل بهم أرض فلسطين ليتخذ لهم ملجأ آمناً ينطلقون منه لتحقيق رسالة الله في نشر دعوة الإيمان بين الأقوام التي كانت تقيم في فلسطين.. فأرسل موسى اثني عشر

---

(١) الآية ٢٥ لأنفال

نقيباً، من كل سبط نقيب، ليذهبوا إلى بلاد فلسطين القريبة من سيناء، وليتفحصوا أحوال البلاد ومتانة الحصون، وحال الأقوام.. واستعدادهم للقتال... الخ. وطلب موسى من النقباء أن يعودوا إليه ليقولوا له ما يرون. ونبههم إلى أنهم عليهم أن لا يحدثوا أحداً من قومهم بما يرون لكيلا يدخل الوهن إلى نفوسهم.. فذهبوا ورأوا، وسمعوا.. فراعهم ما رأوه من متانة الحصون وعظم الثراء، وعظم الخلق.. فعادوا يحدثون قومهم بما رأوا وما سمعوا.. ولم يحافظ على التقيد بأمر موسى إلا قلة قليلة من النقباء. فدخل الوهن إلى قلوب الناس، ورفعوا عقيرتهم بالشكوى والتذمر من موسى وهارون.. وأعلنوهما بأنهم لن يدخلوا بلاد فلسطين حتى يخرج أهلها منها. وطلبوا من موسى أن يذهب هو وربه لقتال الجبارين، وإخراجهم من المدن والحصون فإذا تمكنا من إخراجهم دخلوها هم.. وأيدت قلة من الرجال موسى في طلبه السير لقتال الجبارين.. ولكن الأكثرين أعلنوا تمردهم ورفضهم السير معه، وأصروا على موسى ليذهب هو وربه وأخوه لقتال الجبارين، فإذا تغلبوا عليهم وأخرجوهم من الأرض والحصون، دخلوها هم صفواً وعفواً بدون أن يعرضوا أنفسهم وأبناءهم لمخاطر القتال..الخ.

ولما بلغ الأمر هذا الحد من الكفر والتحدي، توجه موسى إلى ربه بالدعاء قائلاً: رب إني لا أملك في هذه الجماعة الضالة إلاّ نفسي وأخي، وإننا عجزنا عن احتمال لجاجتهم، وإلحافهم في المطالب، وتمردهم على أوامر الله وأوامر رسوليك إليهم.. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين، فإننا لا طاقة لنا في إحتمال المزيد من المشاكسات والضلال والتمرد..

وجاء رد الله سريعاً على دعاء نبيه الكريم كما جاء حاسماً، فقال له تعالى إنه حرم على بني إسرائيل دخول أرض فلسطين أربعين سنة يبقون خلالها يتيهون في الأرض (أرض سيناء) حتى ينقرض الجيل الخانع الذليل. وقد تحقق وعيد الله فبقي بنو إسرائيل أربعين سنة يتجولون في صحراء

سيناء، وخلال مقامهم في سيناء توفي موسى وهارون..[1].

المواثيق والعهود التي أخذها الله على بني إسرائيل

١ - أخذ الله الميثاق على النبيين جميعاً ـ ومنهم أنبياء بني إسرائيل ـ على أنهم يؤمنون بكل نبي يرسله الله إلى أهل الأرض، وينصرونه ويقومون معه بنشر رسالة الله في الأرض، لا يصرفهم عن ذلك أنهم كانوا قبل بعثة النبي أنبياء، وحملة رسالة الله إلى أهل الأرض.. وأن الله آتاهم كتاباً ورسالة وحكمة، فمن واجبهم أن يسارعوا إلى الإيمان بالنبي المبعوث، ويخلصوا العمل معه[2].

٢ ـ وأخذ الله الميثاق على بني إسرائيل بأن يقوموا بنشر دعوة الإيمان في الأرض وأن يبينوها للناس لعلهم يؤمنون بها، وأن عليهم أن لا يكتموا عن الناس شيئاً منها، لتعرف دعوة الله بكاملها وليؤمن بها من هداهم الله إلى الإيمان. فلم يقم بنو إسرائيل بواجبهم في نشر دعوة الله في الأرض لأنهم أنفسهم لم يؤمنوا بها إيماناً خالصاً، ويبين ذلك في كتبهم وفي القرآن.

هذا من جهة ومن جهة أخرى أراد بنو إسرائيل اتخاذ دعوة الله التي

---

(١) الآيات من ٢٠ إلى ٢٦ من سورة المائدة

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ. يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (الآيات من ٢٠ حتى ٢٦ من سورة المائدة).

(٢) ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (الآية ٨١ آل عمران).

أنزلها على نبيه موسى والأنبياء من بعده امتيازاً لهم على الخلق فلم يريدوا أن يشركهم فيها أحد من خلق الله، ويدل على ذلك أن اليهودية كانت اقل الديانات انفتاحاً على المجتمعات، كما أنها لم تقبل دخول الناس فيها بحجج وأسباب واهية[١].

٣ ـ وأخذ الله الميثاق على بني إسرائيل في كتابهم أن لا يعبدوا إلا الله وحده ولا يشركوا به شيئا وأن لا يسفك بعضهم دم بعض، وأن لا يعتدي واحد منهم على آخر، وأن لا يخرجه من داره ظلماً وعدواناً..[٢].

٤ ـ وأخذ الله الميثاق على بني إسرائيل أن لا يتعاملوا بالربا، وأن لا يأكلوا أموال الناس بالباطل (بالرشوة والقمار وخيانة الأمانة والغش والسرقة والخديعة والحيلة.. الخ[٣]).

٥ ـ وأخذ الله الميثاق عليهم بأن لا يعبدوا إلا الله وحده وأن يحترموا آباءهم وأن يحسنوا معاملتهم وأن يحسنوا معاملة الأقارب[٤].

٦ ـ وأخذ الله الميثاق على بني إسرائيل بأن لا يقولوا على الله إلا الحق فلا ينسبوا إليه صاحبة ولا ولداً وأن لا يقولوا عن الله إنه فقير وهم أغنياء

---

(١) ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (الآية ١٨٧ آل عمران).

(٢) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ. ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (الآيتان ٨٤ و٨٥ البقرة).

(٣) ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا. وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الآيتان ١٦٠ و١٦١ النساء).

(٤) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (الآية ٨٣ البقرة).

مستغنون عنه.. وأن يقروا بوحدانية الله وعظمته، وأن ينزهوه عن النقص والعجز والتعب والنعاس... وقصور العلم.. وكل ما يعتري البشر مما يعتبر نقصاً[(١)] .

٧ ـ وأخذ الله الميثاق على بني إسرائيل وقال لهم: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[(٢)] .

٨ ـ وأخذ الله الميثاق على بني إسرائيل بأن يحسنوا معاملة الناس، وأن يقولوا لهم قولاً حسناً طيباً لا هجر فيه ولا إيذاء وأن يحسنوا إلى ذوي القربى والمساكين واليتامى، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة[(٣)] .

الله تعالى يهدد اليهود بإلقاء جبل الطور فوقهم

ولما تكاثر عتوُّ بني إسرائيل، ومخالفاتهم لأوامر ربهم وأوامر نبيه موسى عليه السلام، وتجاوزهم حدود الميثاق الذي واثقهم الله به، وفرض عليهم الأخذ بما فيه أخذاً كاملاً، هددهم الله بأنه سيلقي بجبل الطور فوقهم فيهلكهم جميعاً إن هم أصروا على رفضهم الالتزام بميثاق الله الذي فرضه عليهم، فلم يصدقوا ذلك، وأصروا على مخالفتهم واستخفافهم بأوامر

---

(١) ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ . وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ . وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الآيات ٤٠ و ٤١ و ٤٢) البقرة.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الآية ١٨١ آل عمران)

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (الآية ٣٨ من سورة ق).

(٢) الآية ١٢ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٣٨ البقرة.

ربهم، فرفع الله جبل الطور من مكانه حتى جعله فوق رؤوسهم، وهددهم بإلقائه عليهم، فأعلنوا موسى بأنهم سيلتزمون به، ووقعوا على وجوههم من شدة هلعهم لهذه الظاهرة العجيبة، وهم ينظرون من طرف خفي إلى الجبل فوقهم، فدعا موسى ربه وأعلنه بأن القوم قد خشعت نفوسهم وقلوبهم لذكر الله، وأنهم سيلتزمون بعد اليوم بميثاق الله وفرائضه، وسينتهون عن نواهيه، فأعاد الله جبل الطور إلى ما كان عليه...

ولكن بني إسرائيل الذين آمنوا تحت تهديد إلقاء الجبل عليهم ما لبثوا أن عادوا إلى الكفر والتمرد على الله وعلى نبيه الكريم موسى والأنبياء من بعده، وعادوا إلى ما كانوا عليه من الفساد في الأرض.. فلعنهم الله، وغضب عليهم، وقرر إنزال العذاب الأليم بهم في الدنيا والآخرة. وكشف ما سيتعرض له هذا الشعب الجاحد الصلب الرقبة خلال حياته في الأرض، هو وأنساله من مآس ومصاعب وويلات وسيستمر ذلك العذاب نازلاً بهم إلى يوم القيامة، وهو أمر فريد لم يفعله الله مع شعب آخر من شعوب الأرض[1].

(1) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الآية ٦٣ البقرة)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الآية ٩٣ البقرة)

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾(الآية ١٥٤ النساء).

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الآية ١٧١ الأعراف).

الفصل الرابع

اليهود ودعوة الإسلام

حينما شتت القهر المتتابع اليهود من أرضهم، المرة بعد المرة، تفرقوا في كل أرض وصقع واتجه بعضهم إلى الجزيرة العربية ـ الحجاز واليمن ـ فكان لهم في الحجاز ثلاثة مراكز هامة: في تيماء وفي يثرب وفي خيبر.

وكان في يثرب ثلاث قبائل لليهود هي:

- بنو النضير: وكانوا الأكثر عدداً بين اليهود، والأكثر قوةً ومالاً، والأعز نفراً.
- بنو قينقاع: وكانوا الأكثر شجاعة بين اليهود، والأكثر جرأة وإقداماً.
- بنو قريظة: وكانوا الأضعف مالاً وجاها، والأقل عدداً من القبيلتين الأخريين.

وكان في المدينة (يثرب) قبيلتان عربيتان من أصل يمني هما الخزرج والأوس. والأوس والخزرج أولاد عمومة، ينتسبون إلى قبيلة غسان في اليمن، وهي القبيلة التي نزحت عن اليمن بعد انهيار سدٍّ مأرب. وكانت قبيلة الخزرج الأكثر عدداً في المدينة من الأوس.

وفي الجاهلية كان بنو النضير وبنو قينقاع حلفاء للخزرج، بينما كان بنو قريظة حلفاء للأوس. وكان كل حليف من اليهود يقاتل مع حليفه المشرك، ويبذل الجهد في قتال إخوانه اليهود وحلفائهم المشركين، مع أن الدين اليهودي يحرم على اليهود أن يقتل بعضهم بعضاً، وأن يسبي فريق منهم نساء فريق آخر، وأن يحالف المشركين على إخوانه في الدين.

وحينما كانت الحرب تضع أوزارها كان اليهود، من كلا الجانبين، يقومون بالعمل على افتداء الأسرى من إخوانهم اليهود، ويعملون على

إعادتهم إلى ديارهم التي أُخرجوا منها خلال الحرب، عملاً بأوامر دينهم.

وقد وبخهم القرآن توبيخاً شديداً على هذا التصرف المنافي لأحكام الشريعة، وقال لهم إنهم يتصرفون وكأنهم يؤمنون ببعض ما جاء في كتابهم فيطبقونه، كفك الأسرى، وردِّ المنهوبات، والإعادة إلى الديار التي أُخرجوا منها.. بينما يكفرون ببعضه الآخر، كقتل اليهودي أخاه اليهودي نصراً لحليفه المشرك، وسبي نسائه، ونهب أمواله..وكل ذلك مخالف لأحكام الشريعة. وانتهاك اليهود صريح النص يعني كفراً به، لا يمكن قبوله بموجب أحكام الديانة اليهودية.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[1].

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]

وكان اليهود قد أوجدوا حول أنفسهم، في الأماكن التي يقيمون فيها، هالة من الامتياز باعتبارهم أهل كتاب منزل من عند الله تعالى.

وكان العرب يؤمنون بالله إيماناً تشوبه ظلال من الشرك والوثنية، ويعلمون أن أباهم إبراهيم عليه السلام هو باني الكعبة، وأنه كان يعبد الله وحده، ولا يشرك بعبادته شيئاً، ولكن الجهل والأمية، وبعد العهد بينهم وبينه، أدخل كثيراً من الشرك والوثنية إلى إيمان العرب بالله، فقد عبدوا الأصنام والأوثان على أنها تصور الملائكة، الذين اعتقدوا باطلاً أنهم بنات الله، وأنهم من جنس الإناث. ثم تسرب إلى اعتقادهم أنهم يعبدون

---

(١) الآية ٨٤ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٨٥ من سورة البقرة.

الأصنام التي تمثل الملائكة لتقربهم إلى الله زلفى، لأن الله تبارك وتعالى أجلُّ في اعتقادهم، من أن يعبده البشر دون وسيط بينهم وبينه.

وكان العرب جهلة أميين لا يقرؤون ولا يكتبون، إلا قلة قليلة جداً منهم. وقد اسماهم القرآن (بالأميين) ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا﴾[1]، ولم يكونوا يعرفون شيئاً عن شريعتي اليهود والنصارى سوى أنهم يؤمنون بكتب منزلة على أنبيائهم من عند الله تعالى.

وكان العرب يعتقدون أن أباهم إبراهيم الذي يجلونه ويحترمونه، هو جدهم وجد اليهود، لذلك لم يكونوا يضيقون ذرعاً بوجود اليهود بين ظهرانيهم. وكان العرب بصورة عامة لا يضيقون ذرعاً بدين من الأديان، ولا بقوم من الأقوام، لأنهم في جزيرتهم يشعرون بحرية لا حدود لها، لذلك كان يصعب عليهم التفكير في كبت حرية الآخرين.

وكان العرب في جزيرتهم قبائل متفرقة متناحرة، ويقوم بين القبائل قتال شبه مستمر، وعداء دائم، وهم أكثر ما يكونون استعداداً لطلب الثأر من أعدائهم، لهذا كانت الحروب بينهم تكاد لا تنقطع بسبب استعداد النفوس للثأر، وبسبب انعدام السلطة المهيمنة التي تستطيع فرض سلطانها على الجميع، وفرض احترام القانون بالقوة، وإلزام الناس بالتوقف عن طلب الثأر والاقتصاص من خصومهم بأنفسهم.

وكان العداء بين الأوس والخزرج شديداً جداً، بسبب كثرة الحروب التي وقعت بينهم، وكثرة الترات.

وحين استقر اليهود في يثرب كان العداء بين الأوس والخزرج على أشده، فوجد اليهود في هذا العداء ضالّتهم المنشودة للتغلغل في الحياة العامة في يثرب وما حولها، ولفرض أنفسهم على القبيلتين المتعاديتين. لذلك دأبوا على إذكاء نار الكراهية والبغضاء بين الأوس والخزرج بهدف إبقاء التوتر بين القبيلتين قائماً، ولإخفاء خططهم للتغلغل في يثرب وما

---

(١) الآية ٢ من سورة الجمعة.

حولها. ولم يجد اليهود كبير صعوبةٍ في إنجاح مساعيهم، وتنفيذ خططهم، لأن نفوس القوم كانت متوترة، ومتحفزة دائماً للاستجابة لدواعي الإثارة، وطلب الثأر والاقتتال.

وقد لجأ اليهود إلى أسلوب آخر لتهديد جيرانهم العرب، وإدخال الرعب إلى قلوبهم من انتقام اليهود منهم، إذ أن اليهود كانوا يعرفون من كتبهم أن القيامة لن تقوم إلا بعد أن يبعث الله ثلاثة من الأنبياء أحدهم المسيح، ونبيٌّ آخر من ولد إسماعيل. وكانت كتبهم تذكر صفات المسيح وأنه ستلده عذراء لم يتصل بها بشر، وأن النبي المرسل من ولد إسماعيل سيكون يتيم الأبوين، وسيكون مهاجره إلى واحة بين حرتين، وأن دينه سيكون آخر الأديان وناسخها. وكان أحبار اليهود والنصارى قبل بعثة محمد ﷺ يتوقعون بعثته، ويقولون إن هذا النبي قد أظلَّ زمانه، لهذا كانوا كثيري السؤال عنه وعن أخبار الجزيرة العربية، وما يستجد فيها من وقائع وأحداث[1].

ولما بعث النبي من العرب، ومن ولد إسماعيل، داخل اليهود حسدٌ عظيم من أن يكون النبي من غيرهم، وساورهم القلق من أن تفقدهم بعثته أهميتهم الاقتصادية والتجارية، ومكانتهم الاجتماعية، فينحسر نفوذهم، وتفردهم في الجزيرة العربية بالكتاب المنزل على نبيهم موسى عليه السلام، فأخذوا في الدس والطعن على الرسول الكريم، وعلى الإسلام والمسلمين، وحملوا على عاتقهم لواء مقارعة الإسلام، وتأليب المشركين عليه.

ولما أخذت الدعوة الإسلامية في الانتشار في مكة وما حولها قلقت قريش من ذلك قلقاً شديداً، وأرسلت إلى يهود يثرب تسألهم عما يجدونه في كتبهم عن بعثة محمد. فأجابهم اليهود إنهم لا يجدون في كتبهم شيئاً يتعلق بمحمد، مع أنهم كانوا حتى ذلك الحين يستفتحون ويستنصرون

---

(١) سيرة ابن جرير الطبري.

على عرب يثرب بالنبي الذي سيبعثه الله من العرب، وكانوا يقولون لهم إنهم سيؤمنون بالنبي المنتظر، وسيقاتلون الشرك والمشركين تحت لوائه.

وأقام اليهود اتصالاً بكفار قريش لتنسيق الجهود لمقارعة الدعوة الإسلامية، وأخذوا يمدون قريشاً بالأسئلة المحرجة ليطرحوها على محمد ﷺ امتحاناً وتعجيزاً له، وكانوا يزودون قريشاً ببعض ما جاء في كتبهم من أمور الدين والغيب والآخرة التي لا يعرفها إلا قلّة من علماء اليهود الكبار، ولا يعرف العرب وعامة اليهود شيئاً عنها.

ومن هذا القبيل قول اليهود لقريش، اسألوا محمداً عن قصة أهل الكهف، وعن قصة الرجل الصالح مع موسى، وعن قصة ذي القرنين الذي غرَّب وشرق في البلاد تحت راية الإيمان واسألوه عن بعض أحوال الآخرة والجنة والنار... الخ.

ولما أكثر القرآن من عيب الأصنام وذمها، وتسفيه أحلام عابديها من المشركين، سألت قريش اليهود قائلة لهم: (أقريش وما هي عليه من وثنية، وعبادة للأصنام، وسوء الحال، ووأد البنات.. خير وأهدى سبيلاً أم محمد وما يدعو إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بالأنبياء جميعاً، وما هو عليه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وتعظيم لشعائر الله....) فردَّ اليهود عليهم قائلين بل قريش وما هي عليه من الكفر وعبادة الأصنام والجهل، والبعد عن الإيمان أهدى سبيلاً من محمد وما يدعو إليه.

وقد وبخ القرآن اليهود توبيخاً شديداً على هذا القول المتعارض مع أصول الإيمان فقال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾(١).

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾(٢).

---

(١) الآية ٥١ من سورة النساء

(٢) الآية ٥٢ من سورة النساء

ولما علم عرب يثرب ببعثة محمد ﷺ في مكة عرفوا أنه النبي الذي كان اليهود ينتظرون بعثته، وهو الذي كان اليهود يهددونهم به، فأسرعوا إلى الإيمان برسالته، ودعوه إلى الهجرة إلى مدينتهم يثرب ليكونوا عوناً له وسنداً في أداء رسالة ربه، لكيلا يسبقهم اليهود، فاستجاب الرسول الكريم لدعوتهم، وهاجر إلى يثرب.

وهكذا آمن به مشركو يثرب من العرب، وكفر به أهل الكتاب الذين كانوا ينتظرون بعثته، ويهددون المشركين بقتالهم تحت لوائه لاجتثاث أُصول الشرك من الأرض، وقد وبخهم القرآن على هذا الموقف المتذبذب فقال:

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (1).

﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (2).

وحينما استقر الرسول في يثرب عاهد اليهود فيها على أن لا يكونوا له ولا عليه، وعلى أن لا يُظاهروا عليه أحداً، وأن لا يتجسسوا على النبي والمسلمين، وأعطاهم الرسول على ذلك العهد بأن يكونوا آمنين في ديارهم، وأوطانهم، وأموالهم، وممارسة عقائدهم وشرائعهم وأن لا يتعرض لهم أحد بسوء ما داموا محافظين على العهد.

وكان الرسول حريصاً اشد الحرص على أن يؤمن اليهود برسالة الإسلام قبل غيرهم ليتوحد الإيمان بالله في الجزيرة العربية، وتتأيد رسالته بما جاء عنها في التوراة والإنجيل وفي أقوال أنبياء بني إسرائيل، فيكون

---

(1) الآية ٨٩ من سورة البقرة.

(2) الآية ٩٠ من سورة البقرة.

ذلك تصديقاً لرسالة محمد، ولما جاء به الإسلام. وقد تظاهر اليهود بالمهادنة وهم يظنون أن محمداً سيكون نبياً خاصاً بالعرب، وأنه لن يوجِّه إليهم دعوته، ولكنهم فوجئوا بالرسول يوجِّه إليهم، بأمر ربه، الدعوة كما وجهها إلى غيرهم من الناس. وقد تتالت الآيات المنزلة من عند الله على رسوله، وهي تحث اليهود على الإسراع إلى الإيمان بالله ورسالة رسوله محمد الذي يجدون أوصافه في كتبهم، وتطلب منهم أن لا يكونوا أول كافر بها، ويذكّرهم بالعهد الذي أخذه الله على الأنبياء جميعاً، وبالتالي على أتباعهم، من وجوب اتباع أهل الديانات القائمة الدين الجديد، والإيمان بالرسول المبعوث، ووجوب تأييده وتعزيزه بعزم وإخلاص.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ ثم قال: ﴿ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١).

﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢).

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ. وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ. وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

وشرح لهم مبادئ الإسلام التي لا تختلف في شيء عن جوهر الإيمان في الديانات السماوية جميعاً، التي جاء بها أنبياء الله الكرام وهي:

- الإيمان بالله وحده لا شريك له، وعدم الإشراك بعبادته شيئاً في

(١) الآية ٨١ من سورة آل عمران

(٢) الآية ٨٢ من سورة آل عمران.

(٣) الآيات ٤٠ و٤١ و٤٢ من سورة البقرة.

السماوات أو في الأرض، لا وثناً ولا صنماً ولا كوكباً ولا مخلوقاً ولا ملكاً. فالله تعالى هو وحده المستحق للعبادة، خلق كل شيء في الوجود من عدم، وكل شيء مدين له بالوجود.

- الإيمان بالله مدبراً للكون بما فيه من المخلوقات لا يتعب ولا ينصب ولا تأخذه سنة ولا نوم، وهو دائم القيومة على الوجود.

- الإيمان بالله وحده لا صاحبة له ولا ولد ولا سند ولا معين.

- الإيمان بجميع ما أنزل الله تعالى من كتب على رسله وأنبيائه الكرام ليبينوا للناس مبادئ الإيمان، وقواعد الأديان والشرائع وليهدوا الناس، وليعرفوهم بالدين الحق الذي يرتضيه الله تعالى.

- الإيمان بالرسل والأنبياء جميعاً الذين أرسلهم الله تعالى إلى الخلق دون تفريق ولا تمييز بينهم، فهم جميعاً يستحقون الاحترام والتقدير. وأقوالهم الثابتة الصدور عنهم جديرة بالثقة والاحترام والتصديق، وإنهم جميعاً معصومون عن الخطأ والزيغ والزلل والانحراف عما جاءهم من عند ربهم الله.

- الإيمان باليوم الآخر وهو اليوم الذي يبعث الله فيه الخلائق من رقدة الموت ليحاسبهم على أعمالهم، ويجزيهم بها الجزاء الأوفى العادل بالجنة أو بالنار.

- الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرّه من الله تعالى.

ومبادئ الإيمان هذه مجمله في الآيتين ١٧٧ و٢٨٥ من سورة البقرة:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[1]

---

(١) الآية ١٧٦ من سورة البقرة

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(١).

وهذه هي مبادئ الإيمان التي جاء بها أنبياء الله ورسله جميعاً من ربهم، وهي واحدة لا تتبدل ولا تتغير، ولم يأت نبيٌّ ولا رسول من عند الله بغير ذلك.

أما العبادات وتفرعاتها، وأصولها: الصوم والصلاة والزكاة والحج والصدقات.. وطرق أدائها.. والمحللات والمحرمات من الأطعمة وغيرها.. فإنها تختلف من زمان إلى آخر بحسب العصر، وطبيعة الحياة، وعقلية القوم، فقد جاء كل نبي بما يناسب قومه وعصره من الجزئيات ولكن الأصل واحد، والأساس الإيماني واحد لا يتبدل ولا يتغير.

والغاية من العبادات والأعمال هي تصفية النفوس، وتهذيبها وترويضها وتعويدها الانضباط والصبر والخضوع لله تعالى لتخلص في إيمانها بالله تعالى.

وقد جاء الإسلام قائماً على الإيمان المطلق بصورة جلية واضحة، ليس فيه لبس ولا شك ولا غموض؛ ودعوة الإسلام إلى التوحيد هي دعوة خالصة صافية رقراقة لا يشوبها شيء من ظلال الشرك والشك لذلك كان على بني إسرائيل أن يعرفوا صدق محمد في دعوته عن طريق مقارنة ما جاء به محمد مع ما جاء في أسس دينهم التي لا يجهلها علماؤهم وأحبارهم، وإن جهلتها العامة.

ولكن اليهود الذين كانوا يهددون مشركي العرب في يثرب ببعثة نبي منتظر قريب ظهوره وأنهم سيؤمنون به، وسيحاربون المشركين تحت لوائه حتى يقضوا على الشرك وأهله في الأرض... بادروا إلى الكفر برسالة محمد، لأن النبي جاء من غيرهم، فكان ذلك حسداً من عند أنفسهم،

---

(١) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة

وخوفاً من أن يقضي الدين الجديد على نفوذهم، وأن يهدِّدَ مصالحهم الاقتصادية والمالية، ومركزهم الاجتماعي، ويسلبهم ميزتهم بين العرب وهي أنهم أهل كتاب، وأن العرب من حولهم جهلة أميون يعبدون الأصنام والأوثان.

وحين ذكَّرهم جيرانهم الأوس والخزرج بما كانوا يقولونه لهم من توقعهم بعثة نبي قد أظلَّ زمانه قالوا لهم: إن رسالة محمد حق، ولكن رسالته هي إلى العرب وحدَهم دون اليهود.

وقالوا لهم مرة أخرى: إنه ليس النبي الذي كانوا يتوقعون بعثته، وإن أوصافه تخالف الأوصاف التي أشارت إليها كتبهم.

وقد ظهر منذ أول يوم رحل فيه الرسول إلى يثرب أن اليهود هم الأعداء الحقيقيون للدعوة الإسلامية، وأنهم لم يكونوا يضمرون في أنفسهم الوفاء لمحمد وللمسلمين بما عاهدوا عليه. وأنهم إنما عاهدوا مكرهين خوفاً من بأس المسلمين، وتقيةً ونفاقاً وترقباً لما سيؤول إليه أمر محمد، وأمر الدعوة الإسلامية مع خصومها ومعانديها من العرب.

وهكذا أخذ اليهود في الدس والتشكيك، وتفننوا في ذلك تفنناً عجيباً، فكانوا يثيرون في كل يوم مسألة يهدفون من إثارتها إلى زرع الشك والبلبلة في نفوس المسلمين، وزعزعة إيمانهم، وصرف غير المؤمنين عن الدخول في الإسلام.

وقد حاول اليهود في يثرب الإساءة إلى محمد ﷺ بجميع الوسائل التي خطرت لهم على بال. وجادلهم القرآن جدالاً طويلاً، وفضحهم، وهتك أستارهم، وكشف سرائرهم، وما يرمون إليه من دسهم وجدالهم وأسئلتهم. وكشف القرآن للرسول والمسلمين ما كانوا يبيتونه من خطط وتدبير، ففضحهم أمام أنفسهم وأمام حلفائهم المنافقين، وأمام المسلمين. وبَيَّنَ القرآن لليهود، وهو يجادلهم الكثير من خفايا شريعتهم، وما حوته كتبهم وتوراتهم، مما لم يكن يعرفه أحد من العرب، كما لم تكن تعرفه إلا قلة من كبار رجال الدين اليهود، وبيَّن لهم ما جاء في أصل شريعتهم من

أحكام تتفق تمام الاتفاق مع شريعة الإسلام التي ينزلها الله على رسوله محمد. كما بَيَّنَ لهم ما طرأ على هذه الأحكام من تبديل وتحريف قام به أحبار اليهود، طلباً لمنافع ذاتية، وحفاظاً على نفوذهم، واستبقاء على مراكزهم بين اليهود، إذ كانت تلك الزعامات تخشى أن يضيع ما كانت تَدُرُّه عليهم مراكزهم من أموال ومنافع دنيوية، مع أن الله أمر أهل العلم بأن يبينوا للناس الشرائع وأن لا يخفوا منها شيئاً ليكون كل واحد من أهل الملة، ومن غيرهم، قادراً على معرفة شرع الله، وما أمر به، وما نهى عنه، وما أحل وما حرم.

ولكن علماء اليهود وأحبارهم خالفوا ذلك، وكتموا الشريعة، وأخفوا ما جاء فيها عن بعثة أنبياء آخرين، كبعثة المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام لكيلا يفقد هؤلاء العلماء والأحبار أهميتهم ومراكزهم، وما تدره عليهم من أموال وفيرة، ومنافع دون عناء يذكر.

وذكّر القرآن اليهود، وهو يحاجُّهم في دينهم، بمواقفهم من رسولهم موسى، ومن أنبيائهم من بعده، وبكفرهم المرة بعد المرة، وجحودهم بنعم الله التي أسبغها عليهم، وهي لا تحصى عداً، فذكرهم:

- بإنقاذهم من فرعون وملئه بعد أن كانوا يستذلونهم، ويذبّحون أبناءهم، ويخضعونهم لقهر لا مثيل له في تاريخ الإنسانية، فأخرجهم الله من أرض مصر، وأغرق فرعون وجيشه أمام أعينهم حينما لحق بهم لردّهم.

- ثم ذكرهم بما مَنَّ الله به عليهم في صحراء سيناء من تظليل الغمام عليهم ليقيهم حر الصحراء اللافح، وبما أرسله إليهم من المن والسلوى ليؤمنوا طعامهم.

- ثم ذكرَّهم بما أمر الله تعالى به رسوله موسى من ضرب الحجر في الصحراء فتفجر الماء منه من اثنتي عشرة عيناً، فشرب منها بنو إسرائيل وارتووا.

- وذكّرهم بما كان منهم حينما مرُّوا على قوم يعبدون البقر والأصنام

فحنُّوا لعبادتها وكانوا ألفوها أيام مقامهم في مصر، وطلبوا من موسى أن يجعل لهم أصناماً يعبدونها كما يعبد القوم الذين مروا بهم أصنامهم فانتهرهم موسى، وقال لهم: ألم تعلموا أن الله هو ربكم وحدَه، ولا ربَّ لكم سواه، وهو الذي أنعم عليكم بجميع النعم التي غمركم بها.

- ثم ذكَّرهم بما كان منهم بعد أن ذهب موسى لميقات ربه ليتلقى منه أسس الشريعة، واستخلف موسى أخاه هارون عليهم مكانه، فألحَّ بنو إسرائيل على هارون ليصنع لهم عجلاً من ذهب يعبدونه، فنهاهم هارون عن ذلك العمل القبيح الشائن، وذكرهم بما قاله لهم موسى قبل ذهابه من أن الله تعالى هو وحده ربُّهم، وهو وحده الجدير بالعبادة، وأن عبادة الأصنام كفر صراح، وجحود بأنعم الخالق التي أغدقها عليهم، فهددوه، فسكت هارون، وصنعوا لأنفسهم عجلاً من ذهب من الحلي التي حملوها معهم من مصر بعد أن سرقوها من المصريين.

(ويزعم بنو إسرائيل أن هارون استجاب لهم، وصنع لهم العجل، وأخذوا يعبدونه ونحن نقول إن رسل الله وأنبياءه معصومون عن ارتكاب مثل هذا العمل الذي يعتبر كفراً صراحاً).

وقد ذكر القرآن الكريم أن الذي صنع لبني إسرائيل العجل هو رجل سامري خرج من مصر مع بني إسرائيل. ويلاحظ أن ما جاء به القرآن عن هذه الواقعة أكثر انسجاماً مع منطق الإيمان مما يعتقده بنو إسرائيل، ومما جاء في الكتب التي بين أيديهم اليوم، لأن الأنبياء لا يصنعون أصناماً ليعبدها البشر. وقد جاء في التوراة نص صريح يحرم على المؤمنين صنع الأصنام (لا تصنع لك صنما)[1] .

- وذكر القرآن بني إسرائيل بطلبهم من موسى أن يجعلهم يرون الله رب العالمين جهرة وعياناً ليؤمنوا بصدق رسالته، فصعقهم الله جزاء لهم على هذه الجرأة على الله، فقام موسى يبكي ويبتهل إلى الله لأحيائهم، وكانوا

---

(١) الاصحاح ٢٠ من سفر الخروج.

اثنين وسبعين رجلاً ذهبوا معه للاعتذار لله عما فعله قومهم من عبادة العجل، فأعادهم الله إلى الحياة وهم ينظرون فكانت تلك آية من آيات الله الكبرى، ولكن بني إسرائيل كانوا في الكفر والعناد نسيج وحدهم.

- وذكّر القرآن بني إسرائيل بنكولهم عن الاستجابة لطلب موسى السير معه لقتال الأقوام التي تسكن أرض فلسطين، وبما قالوه له من أنهم لن يدخلوا أرض فلسطين، ولن يقاتلوا أحداً من أقوامها فليذهب موسى وربه لقتال الجبارين فيها، حتى إذا ما انتصر عليهم هو وربه وأخرجاهم من ديارهم أمكنٍ بني إسرائيل أن يدخلوها.

- كما ذكّرهم القرآن بما فعله أسلافهم من قتل عدد كبير من أنبياء الله، ومن الصالحين الذين دعوهم إلى الإيمان، وإلى الارتداع عن الشر وفعل المنكرات، والإقلاع عن الشرك بالله، وعن عبادة الأصنام والأوثان وتقريب القرابين إليها، كما كان يفعل المشركون من أهل فلسطين.

وذكرهم القرآن بما قام به أسلافهم من احتيال وتجاوز على شريعة الله إذ حرم عليهم العمل يوم السبت، فكان المتجاوزون يلقون شباكهم في البحر قبل دخول السبت ويتركونها في المساء لتقع فيها الحيتان ، ثم يأتون لجمعها بعد السبت، فعد الله تعالى عملهم هذا احتيالاً وتجاوزاً لشريعة الله.

لقد ذكرهم القرآن بكل هذا، وكان من المفروض أن يعلم بنو إسرائيل أنَّ ما جاء في القرآن عن تاريخهم، وخفايا شرعيتهم، وما جاء في كتبهم، وما وقع فيها من تبديل وتحريف بسبب توالي النكبات عليهم... وأن كل ذلك من الأشياء التي لا يمكن أن يعرفها محمد ولا أحد من قومه العرب، لأن كثيراً من اليهود أنفسهم لا يعرفونها، لهذا كان عليهم أن يدركوا أن محمداً إنما يتلقى ذلك وحياً من ربه، وأن يستنتجوا أن محمداً صادق في دعوته، ولا بد من أن يكون هو النبي المنتظر الذي كانوا يهددون المشركين من أهل يثرب ببعثته.

ولكن هذا الجدل الطويل، وهذا الفضح للأسرار والخفايا، وهذا الكشف عن أس الشريعة لم يزد اليهود إلا استكباراً على الإيمان، وكفراً

برسالة محمد وشريعته، وإصراراً على عداوته وعداوة دينه ومقاومته بكل الوسائل التي تصل إليها أيديهم.

ويظهر أن اليهود ابتعدوا كثيراً عن شريعة موسى بسبب التشتت في البلاد، والسبي وضياع توراتهم وكتبهم الدينية التي سطا عليها الغزاة فأتلفوها وأحرقوها، فأصبح لبني إسرائيل خلال عهود الذل والطغيان مفاهيم مغايرة لأحكام التوراة، ولروح الإيمان، ولمبادئ الأخلاق، لأن فترة الذل التي قضوها تحت حكم فرعون، وخلال فترات السبي أفسدت فطرتهم، إذ ليس أشد فساداً للفطرة من الذل الذي ينشئه الطغيان الطويل الذي يحطم فضائل النفس، ويحلل مقوماتها، ويغرس فيها طباع العبيد التي تتميز بأنها جبن تحت سوط الجلاد، وتمرد حين يرفع الجلاد سوطه، وبطر حين يتاح لها شيء من القوة والنعمة[1].

ولما عاد بنو إسرائيل يلملمون أطراف كتبهم الدينية، ويبحثون عن مبادئ شريعتهم خلال فترات السبي، صاغوا ما استطاعوا جمعه منها، وفسروه تفسيراً يتناسب مع وضعهم الثقافي والاجتماعي والأخلاقي، ولهذا نجد أن الأهواء والمصالح المتلائمة مع أوضاع الذل والضياع والتشتت قد أثرت فيما سطروه، فظهرت الانحرافات في شروح التلمود التي وضعها الحاخامون على أنها مفاهيم الشريعة التي جاء بها موسى، ولكنها كانت في الحقيقة مزيجاً من غايات سياسية، ومصالح شخصية، تخيرها رجال الدين الذين قاموا بصياغة هذه النصوص الجديدة للديانة اليهودية، وربما ظن رجال الدين أن مصلحة اليهود، ومصلحة الديانة اليهودية تقتضيان صياغة نصوص تجعل سيطرة رجال الدين على العامة سيطرة مطلقة، وتلزمهم بالخضوع لأوامرهم وتعاليمهم بشكل لا يقبل الجدل أو النقاش، وربما ظن رجال الدين أيضاً أن

(١) ظلال القرآن ج١ ص٩٠.

خلق روح من العداء بين اليهود وبين من حولهم من بني البشر يحفظ اليهود من الذوبان في بوتقة التعايش مع الأمم الأخرى من حولهم.

وهكذا تمكن الحاخامات من وضع نصوص وتعاليم تتفق ومصالحهم هم، واقنعوا أتباعهم بآراء وأفكار ومبادئ بعيدة كل البعد عن روح الإيمان التي جاءت بها شرائع الله جميعاً، قبل بني إسرائيل، وبعد بني إسرائيل.

وإذا كان هؤلاء الرؤساء الدينيون قد نجحوا في الحفاظ على كيان اليهود بين الكيانات الأخرى، إلا أنهم شوهوا حقيقة هذا الكيان، كما شوهوا دينه، وتعاليم ربه المنزلة على أنبيائه الكرام، فغدا اليهود اليوم غير الصالحين من أسلافهم الذين آمنوا برسالة الله حق الإيمان وقاموا بأداء ما أمرهم به ربهم وأنبياؤهم.

وحين جاء الإسلام بعباراته الواضحة يدل اليهود على أسس شريعتهم، ويبين لهم المفاهيم الحقيقية للنصوص الواردة في كتبهم، كما أرادها الله تعالى، وكما أنزلها على أنبيائه، أنكروها، واتخذوا عداء محمد رسول الله ﷺ، وعداء الإسلام منهجاً لهم.

- لقد أمر الله تعالى بني إسرائيل بالإيمان المطلق بكل نبي يبعثه الله بعد موسى، وبأن ينصروه، ويقوموا معه بإخلاص لنشر الدين في الأرض، إلا أنهم كفروا بالله، وابتعدوا عن الإيمان وعبدوا الأوثان والأصنام، وخالفوا أمر الله، وكذّبوا الأنبياء، وقتلوا بعضهم بغير حق. وامتنعوا عن القيام بواجب الدعوة إلى الله وتعريف الناس بشرعه وأوامره ونواهيه.

-وحرم الله على بني إسرائيل قتل النفس البريئة، فجاء في الوصايا العشر (لا تقتل)[1]، فانحرف بنو إسرائيل عن المعنى الصريح الواضح لهذا الأمر إلى معنى آخر اختاروه هم لأنفسهم، ولم يرده الله تعالى، ولا يمكن

(١) الاصحاح ٢٠ من سفر الخروج.

أن يريده، فقالوا إن (القتل) المحرم عليهم في التوراة إنما هو قتل اليهودي لليهودي. أما قتل اليهودي لغير اليهودي فهو جائز ولا إثم عليهم فيه، ولا حرج على من يرتكبه. وبلغ بهم التحريف أن جعلت أوامر الحاخامات في شروحهم للتلمود أنه من واجب اليهودي قتل من يقع بين يديه من غير اليهود، إذا قدَّر أن قتله لن يلحق به ضرراً، وخاصة إذا كان القتيل مسيحياً، وبذلك تعتبر شروح التلمود قتل غير اليهودي، وقتل المسيحي بصورة خاصة، قربة دينية يتقرب بها اليهود إلى ربهم مع أن هذا القتل يعتبر مخالفة صارخة وصريحة لأوامر الله للمؤمنين بالامتناع عن قتل الأنفس البشرية إلا بحقها الشرعي.

وقد جاءت في التلمود نصوص صريحة حول واجب اليهودي في قتل أبناء الشعوب الأخرى من أية ملة كانوا، لأن أبناء الشعوب الأخرى يعتبرون في نظر اليهود، بموجب شروح التلمود، من البهائم والحيوانات والكفرة، الذين يستحقون الموت لتخلو الأرض منهم، وليقوم بعد ذلك حكم اليهود في الأرض.

وقد وبخهم الله تعالى على هذا الاعتقاد الفاسد، وأكد أن شريعة الله تحرِّم قتل النفس البشرية إطلاقاً إلا بحقها لا فرق في ذلك بين نفس ونفس: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

– وحرم الله تعالى على بني إسرائيل (السرقة) فقال في الوصايا العشر (لا تسرق)[2]، فانحرف بنو إسرائيل عن هذا الأمر الواضح الصريح إلى معنى آخر لم يرده صاحب الشريعة، ولا يمكن أن يريده فقالوا: إن السرقة المحرمة عليهم في التوراة هي سرقة اليهودي لمال أبناء ملته اليهود، أما

---

(١) الآية ٣٢ من سورة المائدة.

(٢) الاصحاح ٢٠ من سفر الخروج

سرقة اليهودي لأبناء الديانات والأقوام الأخرى فجائزة، بل هي واجبة، لأن الله سخر الأرض وما عليها، ومن فيها لليهود، وجعل ما فيها من أموال وأرزاق وخيرات ملكاً خالصاً لهم. وعدوا ـ تبعاً لهذا المفهوم الغريب ـ إن ما يملكه أبناء الشعوب الأخرى من مال على وجه الأرض، هو مال عائد إليهم أصلاً، ويجب عليهم استرداده بأية وسيلة كانت، مشروعة كانت أو غير مشروعة، لذلك أعتقد اليهود أن إقدام أحدهم على سرقة شيء من أبناء الأمم الأخرى عملاً مشروعاً من وجهة نظر تفسيرهم هذا، بل يجعلونه واجبا عليهم بحسب شروح التلمود، لأن فيه استرجاعاً لمال اليهود من أيدي أغراب أو أعداء يحوزونه، كما أن فيه إضعافاً لأعدائهم من أبناء الأمم المتسلطين على اليهود.

ـ وحرمت شريعة موسى الزنا، وقد جاء في الوصايا العشر (لا تزن)[1] . فانحرف اليهود بهذا القول الصريح عن معناه فقالوا إن الزنا المحرم عليهم هو زنا اليهودي بامرأة يهودية من جنسه ودينه، أما الزنا بامرأة أخرى غير يهودية فلا إثم فيه. وفسر شارحو التلمود هذا النص فقالوا إن المرأة غير اليهودية تعتبر من البهائم والحيوانات، وأن الزنا بها لا يعتبر زنا في حد ذاته، لذلك أطلق رجال الدين اليهود لأنفسهم ولأتباعهم العنان في ارتكاب الموبقات، واقتراف الزنا، وهم يزعمون أنه لا إثم عليهم فيما يفعلون.

ولا بد من الإشارة هنا إلى نص جاء صريحاً في التوراة وهذا النص يوجب قتل من جامع بهيمة ذكراً كان أو أنثى:

(إذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة يقتل والبهيمة تميتونها)[2]

(إذا اقتربت امرأة من بهيمة لنزائها تميت المرأة والبهيمة إنهما يقتلان)[3] .

---

(١) الاصحاح ٢٠ من سفر الخروج.

(٢) الاصحاح ٢٠ مں سفر التكوين.

(٣) الاصحاح ٢١ من سفر اللاوين

وهذان نصان صريحان ومطلقان فكيف استطاع هؤلاء الشراح أن يوفقوا بين قولهم إن المرأة الأجنبية تعتبر بهيمة من البهائم، وإن الزنا بها لا يعتبر زناً بالمعنى المقصود في الوصايا العشر، وبين نصوص التوراة القاطعة بقتل من جامع بهيمة؟

إن الزنا محظور بجميع أشكاله في شرع الله، ويعتبر عملاً موجباً لقتل الزاني في شريعة موسى، وهذا دليل على الانحراف الواقع في النصوص عن معناها الصريح إلى معان أخرى لم يقصدها صاحب الشريعة ولم يردها، وإنما فعل الشراح ذلك إرضاء لأهوائهم ونزواتهم، ولإحكام قبضتهم على العامة عن طريق إقناعهم بأنهم يملكون أمر التحريم والتحليل، وتعديل شرع الله، وأن عليهم إطاعة أوامرهم دون تردد ولا جدال ليفوزوا برضاهم في الدنيا والآخرة.

- وحرَّم الله تعالى على بني إسرائيل الربا، فانحرفوا بالمعنى المقصود إلى جعل التحريم قاصراً على حالات التعامل بالربا بين اليهود، أما إذا كان التعامل مع الأجانب فقد أباح اليهود لأنفسهم التعامل بالربا الفاحش ما دام لمصلحتهم.

وقالت شروح التلمود إن تقاضي الربا من غير اليهود واجب عليهم لا جائز لهم فحسب وذلك لأنه يهدف إلى إضعاف الأجانب وإرهاقهم وابتزاز أموالهم التي تعتبر أساساً من أموال اليهود، ويهدف إلى إعانة اليهود، ومدهم بأسباب القوة[1].

- وفرض الله تعالى على اليهود العدل في الأحكام، والصدق في القول، والاستقامة في التعامل، وحرَّم عليهم اللجوء إلى غش الناس، وأكل أموالهم بالباطل: بالربا والرشوة والقمار والسرقة والاحتيال والخداع...

فانحرف اليهود بالمعنى المقصود به أصلاً إلى القول إن أخذ أموال

---

(١) قواعد التلمود ص٧٢.

الأجانب جائز بجميع الطرق، وقصروا التحريم على حالات التعامل بين اليهود.

وفرض الله تعالى على بني إسرائيل الوفاء بالعهد، عهدهم مع الله، وعهدهم مع الناس، فنقضوا عهد الله، وهو عهد الإيمان بالله، وخالفوا شريعته مخالفة خطيرة، وأوّلوا الوفاء بالعهد مع الناس على أنه يقتصر على العهد مع اليهود وحدهم، لأن الآخرين لا عهود لهم عند اليهود. وعلى اليهودي أن لا يفي بعهد قطعه لأحد منهم إذا كان هذا الوفاء يرتب التزامات مالية عليه؛ وعليه أن يتحلل من العهد الذي قطعه لأجنبي بجميع الوسائل الممكنة والمتاحة. حتى بالكذب والغش والخديعة وشهادة الزور والحلف بالله كذباً[1] .

وقد جاء القرآن الكريم وهو يجادل اليهود فكذبهم فيما يقولون وفضحهم، وبين انحرافهم عن مبادئ الإيمان، وبين للرسول وللمسلمين ولليهود أنفسهم ما فرضه الله من شرع على اليهود:

﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا . وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[2] .

ويشمل أكل أموال الناس بالباطل جميع الطرق غير المشروعة في أخذ أموال الناس بغير حق: بالرشوة والاحتيال والسرقة والغش والتطفيف في المكيال والميزان.. الخ. وتعني كلمة (الناس) في مفهوم الشرع الإلـهي جميع الناس من بني البشر، سواء أكانوا من أهل الإيمان أو من الكفرة الذين يعبدون الأحجار والأصنام والنار والمعبودات الأخرى التي لا تتصل بالله، فالناس كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله (كما قال رسول الله ﷺ) وواجب المؤمن بشرع الله معاملة جميع الناس بالصدق والاستقامة

---

(١) قواعد التلمود ٩٣

(٢) الآية ١٦٠-١٦١ من سورة النساء.

وأن لا يأخذ أحد مال أحد بغير حق. وقد قال رسول الله محمد ﷺ:

ثلاث المؤمن والكافر فيهن سواء:

- من عاهدته فوف بعهده، مؤمناً كان أو كافراً فإنما العهد لله.
- من ائتمنك على أمانة فأدها إليه مؤمناً كان أو كافراً.
- من كان ذا رحم فصله مؤمناً كان أو كافراً.

وذكر الله تعالى أسباب استحلال اليهود أكل أموال الناس بالباطل فقال إنهم يقولون إن أكل مال الأميين - العرب وأبناء الأمم الأخرى - جائز لهم في شرعهم.

ويروى أن بعض الأعراب باعوا شيئاً لبعض اليهود في يثرب بثمن مؤجل، وبعد المبايعة، وقبل حلول أجل الدين، أسلم هؤلاء الأعراب، ولما حلَّ الأجل جاء الأعراب إلى اليهود يطالبونهم بما لهم عليهم من دين، فقال اليهود للأعراب: ليس لكم عندنا شيء لأنكم بدلتم دينكم. ونحن نجد ذلك في كتبنا. فأنزل الله تعالى رداً قاسياً على دعوى اليهود هذه وكذبهم، وقال لهم: إنهم ملتزمون بحسب شريعتهم بالوفاء بتعهداتهم، وسداد ديونهم، كائناً من كان الدائن، وليس في شرعهم ما يسمح لهم بأكل أموال الناس بالباطل:

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢)

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣) .

وجعل اليهود من مبررات أكلهم أموال الناس بالباطل أنهم اعتقدوا باطلاً أنهم لن يعذبوا في النار إلا أياماً معدودات لأنهم أبناء الله وأحباؤه،

---

(٢) الآية ٧٥ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ٧٦ من سورة آل عمران.

وشعبه المختار، وأن الله لا يؤاخذهم إلا كما يؤاخذ الأب ابنه. وقد كذَّبهم القرآن في هذا القول الذي يتنافى وفكرة العدل الذي يقضي بأن يحاسب كل إنسان على عمله ويجزى به إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.
ويسألهم القرآن عن مصدر هذا الزعم، وعما إذا كان الله تعالى قد انزل عليهم كتاباً تعهد لهم فيه أنه لا يعذبهم مهما ارتكبوا من موبقات وجرائم وآثام، أو أنه يعذبهم عذاباً خفيفاً دون ما يستحقونه على كفرهم وجحودهم، وانحرافهم عن شريعة الله.

ويقول لهم إنهم إن ظنوا ذلك فإنهم كاذبون لأن الله لم يعدهم بشيء من هذا القبيل إطلاقاً، وهم بشر ممن خلق الله، لا ميزة لهم على أحد من خلق الله، من أحسن منهم أحسن الله إليه، ومن أساء منهم عاقبة بما يستحق بعدله، مثله في ذلك مثل سائر بني البشر.

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١)

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٤)

كما وبخهم القرآن على أكلهم أموال الناس بالباطل، وانحرافهم عن قواعد الشريعة، وعاب عليهم مسارعتهم في الإثم والعدوان، وقال لهم بئس العمل عملهم:

---

(١) الآية ٨٠ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٨٠ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٢٤ من سورة آل عمران.

(٤) الآية٢١ من سورة آل عمران.

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1].

ووبخ الله تعالى الأحبار والربانيين من اليهود على سكوتهم عن الانحرافات التي يرونها من أتباعهم عن شرع الله، وذكّرهم بواجبهم في تقويم الأخلاق، والسهر على حسن تطبيق شريعة الله، وأمر الناس بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ومحافظتهم على نظافة المجتمع من الشر والفساد والخروج عن حدود شرع الله:

﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[2].

وقولهم الإثم يشمل قولهم الإثم فيما بينهم في تعاملهم، كاستعمال فاحش الكلم، ونابي الألفاظ في مخاطبتهم، وفي أحاديثهم مع الناس، كما يشمل التعبير أيضاً استعمال فاحش الكلم مع الآخرين، والبعد عن الكلام المهذب الرفيع في حديثهم مع رسول الله ﷺ مع أن الله تعالى أمرهم بحسب شريعتهم أن يقولوا للناس حسناً أي قولاً كريماً مهذباً طيباً:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[3].

الحجاج بين الإسلام واليهود:

قلنا إن اليهود تصدوا لمقاومة الدعوة الإسلامية من أول يوم، وإنهم أخذوا يكيدون لها ويقلقون من سرعة انتشارها، ويشككون في صدق نبوة محمد، وحقيقة ما جاء به من ربه، كما أشرنا إلى ما قاله اليهود لمشركي قريش من أنهم لا يجدون في كتبهم شيئاً عن بعثة نبي من العرب.

---

(١) الآية ٦٢ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٦٣ من سورة المائدة

(٣) الآية ٨٣ من سورة البقرة.

وقالوا لهم إن قريشاً وما هي عليه من الجهل والضلال وعبادة الأصنام والأوثان ووأد البنات، والكفر بالله.. خير وأهدى سبيلاً من محمد وما يدعو إليه من عبادة الله وحده لا شريك، والأمر بفضائل الأخلاق والإيمان برسل الله وأنبيائه جميعاً، وبجميع ما أنزل من كتب وشرائع. وقلنا إن القرآن وبخهم توبيخاً شديداً على هذه الأقوال الفاسدة التي تتنافى مع فكرة الإيمان التي يدّعون أنهم حملتها في الأرض، فالله تعالى قد أخذ الميثاق عليهم في كتبهم، وعلى لسان أنبيائهم بأن يبينوا للناس جميع ما جاء في كتبهم من أمور الشريعة، ومن التنبوءات التي صدرت عن أنبيائه ورسله، ومنها البشارة ببعثة المسيح ومحمد عليهما السلام.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(١)

وسنوجز فيما يلي بعض ما وقع من حجاج ومناظرات بين الرسول واليهود:

–أرسل اليهود قبل الهجرة إلى قريش يقولون لها: اسألوا محمداً عن قصة أهل الكهف وعن قصة موسى والرجل الصالح عند ساحل البحر، وعن قصة الرجل الذي شرق وغرب في الأرض تحت شعار الإيمان بالله (قصة ذي القرنين).

وهذه قصص لا يعرف العرب عنها شيئاً. وكانت غاية اليهود هي أن يختبروا صدق محمد من جهة، ولإحراجه مع قريش من جهة أخرى، لأنه إذا عجز عن الجواب الصحيح ألزموه الحجة، وقالوا إنه كاذب فيما يدعيه من وحي ينزل عليه من ربه، إذ لو كان صادقاً لأوحى إليه ربُّه بالجواب الصحيح.

وسألت قريش رسول الله عن هذه الأمور وهي تظن أنها تغلبه، فمن أين للعرب الأميين أن يعرفوا شيئاً عن تفاصيل هذه القصص التي لا

(١) الآية ١٨٧ من سورة آل عمران

يعرفها إلا نفرٌ قليل جداً من كبار رجال الدين من أهل الكتاب. وقد استمهل رسول الله قومه إلى الغد ليجيبهم على سؤالهم، ولم يستثن (أي لم يقل إن شاء الله تعالى). فانقطع الوحي عنه خمسة عشر يوماً ففرح الكفار وفرح معهم اليهود لعجزه عن الجواب، وقالوا تخلى عن محمد ربُّه. وقد قلق رسول الله لانقطاع الوحي عنه كل هذه المدة، ثم أنزل الله تعالى عليه (سورة الكهف) وفيها تفاصيل القصص الثلاث. ونبه الله رسوله إلى وجوب رد المشيئة إلى الله دائماً، أي أن يقول (إن شاء الله) لأن الله هو ولي أمره فكان ذلك تأديباً للرسول وللمسلمين:

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا . إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾[1].

وكان واضحاً من نزول هذه السورة، وفيها تفاصيل وافية عما سأله اليهود والمشركون أن محمداً والعرب جميعاً أعجز من أن يجيبوا على هذه الأسئلة بمثل ما أجاب به القرآن من الدقة والوضوح والثقة بصحة الحديث.

فالقضايا موضوع السؤال تتعلق بغير العرب، وتعني أحداثاً وقعت في أزمان بعيدة، منها ما يعود إلى عهد موسى، ومنها ما يعود لما بعده، وهي تَرْوي أحداثاً وقعت خارج الجزيرة العربية، لذلك فإن إجابة محمد عليها إجابة وافية يضيف برهاناً جديداً على صدق ما جاء به من ربه، وهي دليل على عناية الله برسوله الأمين.

ولكن صحة الجواب وصدقه لم يزيدا اليهود إلا كفراً وحقداً على محمد، وتصميماً على مقاومة رسالته.

هذا ما كان من اليهود قبل الهجرة، أما ما حدث بعد هجرة الرسول إلى يثرب فقد كان شيئاً كثيراً، لأن مجيء محمد إلى يثرب، وهي مقر القبائل اليهودية الثلاث، ذات النفوذ في الجزيرة العربية، كان من الطبيعي

---

(١) الآيتان ٢٣ و٢٤ من سورة الكهف.

أن يحدث احتكاكاً مباشراً بين الرسول وبينهم، لا سيما أن اليهود صمموا على عدم الإيمان بالدين الجديد الذي جاء به محمد، وعلى مقاومته بجميع الوسائل العلنية والسرية.

وقد تريث اليهود في بادئ الأمر في إعلان العداء لمحمد أملاً في أن يكفيهم العرب الآخرون أمر محمد وأمر دعوته، لهذا أخذ اليهود يتسقطون أخبار الوحي، وأخبار محمد والمسلمين وأخبار سير الدعوة الإسلامية، فدسوا بعض اليهود للتظاهر بالإسلام ليتمكنوا من الإطلاع على حقيقة حال المسلمين من الداخل. ومعرفة أسرارهم، ومعرفة ما ينزل على رسول الله من وحي، وما يدبره المسلمون، وما يخططون له، ليتصدى كبار رجال الدين اليهود للتشويش، وإثارة الشك بين المسلمين، مستفيدين مما عرفوه من واقع المسلمين، وما نزل عليهم من ربهم.

ونوجز فيما يلي أهم ما حدث بعد الهجرة:

قصة تحويل القبلة:

حين كان رسول الله في مكة كان يصلي متجهاً إلى بيت المقدس، كما كان يفعل أنبياء بني إسرائيل ولكنه كان يحب أن تكون الكعبة قبلة للمسلمين، لأنها أول بيت بني لعبادة الله، ولأنها كانت قبلة إبراهيم عليه السلام، لذلك كان الرسول ﷺ يقف في صلاته في جنوبي الكعبة، ويصلي باتجاه الشمال، فتكون الكعبة وبيت المقدس في جهة واحدة، ولكنه بعد أن هاجر إلى يثرب لم يعد يستطيع أن يجعل الكعبة وبيت المقدس في جهة واحدة، فأخذ يصلي باتجاه بيت المقدس، وداوم على ذلك ستة عشر شهراً كان الرسول خلالها دائم التفكير في أمر جعل الكعبة قبلة للمسلمين، وقد استجاب الله تعالى لتمنيات رسوله الكريم فأنزل عليه قوله:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[1]

(١) الآية ١٤٤ من سورة البقرة.

ونبه الله تعالى رسوله حين أمره بتحويل القبلة ـ وقبل أن يبادر اليهود إلى الدس في الموضوع ـ إلى أن اليهود سيجعلون من هذا التحويل للقبلة، وسيلة للدس والتشكيك والافتراء والطعن على محمد وعلى الإسلام.

وفعلاً انطلق اليهود والمنافقون يشككون في صحة تصرف الرسول والمسلمين في التحويل من بيت المقدس إلى جهة الكعبة، وبالغ اليهود والمنافقون في ذلك حتى ارتد بعض ضعاف الإيمان من المسلمين عن الإسلام. وقال بعض المشككين: إذا كانت الكعبة هي القبلة الصحيحة للمسلمين، فإن صلاة المسلمين خلال الفترة الماضية التي كانوا يصلون فيها إلى جهة بيت المقدس هي صلاة باطلة. فأنزل الله تعالى رده على المشككين وأسماهم (بالسفهاء) وقال في رده إن المشرق والمغرب لله، وكذلك الجهات كلها لله، وإنه ليس في الاتجاه نحو المشرق أو الاتجاه نحو المغرب برٌّ وتقوى في حدِّ ذاته، ولكن البرَّ والتقوى يكونان في اتباع أمر الله. والتوجه في الصلاة إلى جهة ما ليس أساساً من أسس الدين، ولا يرقى إلى مرتبة الإيمان الذي لا يمكن أن يتبدل أو يتحول.

وقال الله تعالى في رده على المشككين من اليهود: إن اليهود يعلمون من كتبهم أن النبي الأخير ستكون الكعبة قبلته، وأنه لو لم يأمر الله رسوله بالتوجه إلى الكعبة في صلاته لبقي اليهود في شك من صدق نبوة محمد، ومن أنه النبي الذي كانوا ينتظرون بعثته. وأن تحول القبلة إلى الكعبة يقطع شكهم، ويجعلهم على يقين من أن محمداً هو النبي الأخير الذي سيبعثه الله تعالى.

وقد نزلت في هذه الواقعة آيات كثيرة تؤكد أمر الله لرسوله بالتوجه إلى الكعبة، وتجابه اليهود فيما يقولون، وفيما يفترون من كذب وتشكيك ومنها قوله تعالى:

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [1].

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2].

ولما أدرك اليهود أن مسألة تحويل القَبلة إلى الكعبة استقرت في النفوس، ولم تعد تحدث أثراً يجعل الإفادة منها كبيرة لإحداث البلبلة في الصف المسلم، أثاروا موضوع صلاة المسلمين الذين صلوا إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة، ثم ماتوا قبل أمر الله لرسوله بالتحويل إلى جهة الكعبة، فهؤلاء - كما أشاع اليهود - يجب أن تكون صلواتهم السابقة على التحويل باطلة، وهكذا تكون أعمالهم الصالحة قد ضاعت منهم. وصار المنافقون واليهود يطلقون التساؤلات حول مصير عبادات هؤلاء المساكين، وجعلوا من أنفسهم أولياء عليهم يبحثون عن مصير أعمالهم الصالحات.

ومرة أُخرى جادلهم القرآن وأفحمهم، وفوت عليهم فرصة الدس والتشويش، وطمأن المسلمين إلى أن الله العالم بأحوال العباد، وما فعله ويفعله كل واحد منهم، ويعرف ما في الضمائر والسرائر من الإخلاص في الإيمان وفي العبادة، لا يضيع صلوات الناس الذين قاموا بواجبهم كما أمرهم به الله، واتبعوا مع الرسول القبلة التي فرضها عليهم، وصلوا إليها، ثم ماتوا قبل أن تُحوَّل القبلة إلى الكعبة فقال لهم ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [3].

---

(١) آية البقرة ١٤٤.

(٢) آية البقرة ١٤٣.

(٣) الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

قصص أخرى من دس اليهود ومحاولاتهم التشكيك بنبوة محمد:

- اجتمع نفر من زعماء اليهود، وكبار أحبارهم، وتداولوا فيما يستطيعون الإساءة به إلى محمد ﷺ وإلى الدعوة الإسلامية، وتشكيك المسلمين في سلامة عقيدتهم، فاستقر رأيهم على أن يأتوا إلى رسول الله، وأن يقولوا له إنه يعلم أنهم زعماء اليهود وأحبارهم، وإنهم إن اتبعوا دعوة الرسول لم يتخلف أحد من اليهود عن الإيمان بدعوته، ثم يقولون له إن بينهم وبين قومهم خصومة، وهم يريدون أن يحملوا قومهم على التحاكم إليه، فإن وافق على أن يحكم لهم بما يدعون، آمنوا به، وصدقوه واتبعوا رسالته، وإنهم متى دخلوا في الإسلام دخله اليهود جميعاً. وكانت غايتهم من هذا القول أن يحملوا الرسول على مجانبة العدل في حكمه ليستغلوا ذلك الخروج عن جادة الحق والعدل ليشهروا به وبالإسلام، وليقولوا لو كان محمد نبياً حقاً لما صرفه شيء عن إقامة العدل. وما دام قد خرج عن جادة الهدى والحق، وجانب العدل في حكمه، فإنه يكون غير صادق فيما يدعيه من انه نبي، لأن الأنبياء لا يجورون، ولا يخرجون عن جادة الحق مهما كانت الظروف والدوافع.

ولما عرض اليهود فكرتهم هذه على الرسول، رفض عرضهم، وقال لهم إنه لا يستطيع أن يقضي بغير الحق الذي يراه، وفقاً لما شرعه الله، فعادوا خائبين.

وقد فضح الله نية اليهود الذي تآمروا على الرسول، وقال لرسوله الكريم إن هؤلاء يحاولون أن يضلوه عن جادة الحق والهدى، وحذره من إتباع أهواء هؤلاء المضلين الفاسقين:

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (١).

---

(١) الآية ٤٩ من سورة المائدة

- واتفق اليهود مرة أخرى على أن يكلفوا نفراً منهم بالذهاب إلى الرسول لاظهار إسلامهم في أول النهار، والصلاة مع المسلمين صلاة الصبح، ثم يعودون فيرتدون عن الإسلام في آخر النهار ليظن الجهلة من المسلمين، وضعاف الإيمان أن اليهود وجدوا في الإسلام شيئاً أثار ريبتهم وشكهم فارتدوا عنه، وقد كشف الله تعالى لرسوله والمؤمنين خطتهم هذه:

﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

- وجاء بعض زعماء اليهود وأحبارهم إلى الرسول يجادلونه في دينه، وقالوا له إنك تدعي أنك على ملة إبراهيم، فكيف تأكل لحوم الإبل، وتشرب ألبانها، ولحوم الإبل وألبانها محرمة في شريعة إبراهيم؟

فأجابهم الرسول: إن الطعام كان كله حلالاً في شريعة إبراهيم، ومن ذلك لحوم الإبل وألبانها وتابعه بنوه على شريعته هذه، إلا أن يعقوب (إسرائيل) حفيد إبراهيم مرض مرضاً شديداً خاف معه على نفسه الموت، فنذر إن شفاه الله تعالى أن يحرم على نفسه أطيب الطعام وألذ الشراب لديه، وكان أطيب الطعام لديه لحوم الإبل، وألذ الشراب لديه ألبانها. ولما شفاه الله من مرضه وفىَّ بما نذره على نفسه شكراً لله. وتابعه بنوه على ذلك. فلحم الإبل لم يكن محرماً في شريعة إبراهيم. ولكن اليهود ردوا رد المكابر العاجز، فقالوا ولكن هذه هي التوراة قد ورد فيها تحريم لحوم الإبل وألبانها، والتوراة شريعة إبراهيم.

وقد ردَّ الرسول عليهم بقوله إن التوراة نزلت على موسى، وموسى من نسل إبراهيم، وبين موسى وإبراهيم حقبة طويلة من الزمان (تزيد عن ٥٠٠ سنة) ولذلك فإن التوراة وما جاء فيها لا يمكن أن يكون حجة على إبراهيم، ولا دليلاً على ما كان عليه شرع إبراهيم (الحنيفية).

---

(١) الآية ٧٢ من سورة آل عمران.

وقد أنزل الله تعالى في هذه الحادثة قوله الكريم:

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١).

ومما لا شك فيه أن محمداً لم يكن يعلم ولا يفترض فيه أن يعلم، ملابسات تحريم يعقوب لحوم الإبل وألبانها على نفسه لو لم يطلعه الله تعالى على ذلك، لأن أكثر اليهود لا يعلمون هذه الملابسات. وقد استحلف الرسول أحبار اليهود بالذي أنزل التوراة على موسى أن يقولوا الحق في هذا الموضوع، فاعترفوا أن ما قاله الرسول هو الحق الذي لا مرية فيه.

وجاء في القرآن أن اليهود ارتكبوا في حياتهم مخالفات لأمر الشريعة، فكان الله تعالى يعاقبهم على ذلك بتحريم بعض المآكل كتحريم شحوم الحيوانات:

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾(٢).

فالتحريم إذاً طارئ في شريعة بني إسرائيل، ولا يعود في أصله إلى شريعة إبراهيم.

- وجاء أحبار اليهود مرة إلى رسول الله ﷺ وقالوا له: يا محمد سنسألك خمسة أسئلة إن أجبتنا عليها علمنا أنك رسول الله حقاً وصدقاً، وآمنا بك واتبعناك، فقال لهم رسول الله: (أو تفعلون)؟ قالوا: بلى. فقال لهم: هاتوا اسئلتكم والله على ما نقول شهيد. فطرحوا عليه أربعة من الأسئلة أجابهم الرسول عليها إجابات صحيحة، حسب ما عرفوه عنها من كتبهم، وأقوال أنبيائهم، ولم يكن يعرفها أحد من العرب في ذلك العصر، كما لم يكن يعرفها أحد من عامة اليهود.

---

(١) الآية ٩٣ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٦٠ من سورة النساء.

ثم قالوا: ما من نبي إلا وله ملك يأتيه بالوحي من عند الله، فمن هو صاحبك الذي يأتيك؟ فقال لهم: إنه جبريل عليه السلام. فقالوا له: جبريل هذا هو عدونا، وهو الملك الذي يأتي بالعذاب والخراب، فلو قلت إن صاحبك هو ميكائيل لأمنا بك واتبعناك لأنه ملك الخير والرحمة.

وهكذا انصرف اليهود بالكفر كما جاؤوا به، ولم يؤمنوا لرسول الله، لأنه يعرفهم قوماً كاذبين منافقين لا يؤمنون ولو رأوا كل آية، كما قال الله تعالى عنهم لرسوله الكريم.

وأنزل الله تعالى في هذه الواقعة قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (1).

وقد أنزل الله تعالى على رسوله الآية التالية مويئساً إياه من الطمع في دخول اليهود في الإسلام.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (2).

- ودعا رسول الله اليهود يوماً إلى الدخول في الإسلام، وقال لهم إن الله عهد إليهم في كتبهم أن يؤمنوا بكل نبي يرسله الله إليهم، وأن ينصروه ويعزروه، ويعينوه في أداء رسالته فقالوا له: والله ما عهد إلينا الله بشيء. فأنزل الله تعالى قوله:

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (3).

- ودعاهم مرة أخرى إلى الإسلام فقالوا له: قلوبنا غلف - أي أنها مغلفة بأغلفة خلقية لا تسمح للإيمان بأن يتسرب إليها - وكانوا يقصدون

---

(1) الآيتان ٩٧ و٩٨ من سورة البقرة.

(2) الآية ٧٥ من سورة البقرة.

(3) الآية ١٠٠ من سورة البقرة.

من ردهم هذا، جعل الرسول ييأس من استجابتهم لدعوة الله، كما يتضمن قولهم هذا استهزاء وسخرية من الرسول لتوجيه الدعوة إليهم.

فرد الله تعالى على قولهم هذا بقوله الكريم:

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (١)

أي أن قلوبهم ليست مغلفة بأغلفة خلقية تمنع تسرب الإيمان إليها، وإنما كفرهم هو الذي جرّ عليهم ذلك بأن طبع الله على قلوبهم حتى صارت صلدة جامدة لا تتفتح للإيمان، ولا تتذوق حلاوته.

- ودعاهم رسول الله مرة أخرى إلى الإيمان برسالته فقالوا له: إنهم لن يؤمنوا له حتى يأتيهم بكتاب من السماء مخطوط ينزل عليهم مجسماً، يلمسونه بأيديهم.

ورد عليهم الله تعالى مذكراً رسوله بأنهم إن طلبوا منه إنزال كتاب عليهم من السماء الآن، فإنهم طلبوا من موسى نبيهم الذي لا يشكون في صدق رسالته، أن يجعلهم يرون الله جهرة وعياناً ليؤمنوا له أنه كلم الله تعالى، مع أنهم لا يشكون برسالته، وقد رأوا على يديه معجزات باهرات. فهم من عهد موسى على ما هم عليه من غلظ الحس، فلا يدركون إلا المحسوسات، ولا يؤمنون إلا تحت القهر والإكراه، ومتى زال عنهم الضغط عادوا إلى كفرهم، ونقضوا العهد مع ربهم، ومع الناس، وكان عقابهم أليماً من الله على طلبهم من موسى أن يجعلهم يرون الله جهرة إذ أخذتهم صاعقة العذاب بظلمهم وكفرهم:

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ

---

(١) الآية ٨٨ من سورة البقرة.

﴿لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[1].

- ودعاهم رسول الله مرة إلى الدخول في الإسلام، فقالوا له إن الله عهد إليهم أن لا يؤمنوا لنبي إلا إذا أتاهم بمعجزة هي أنه إذا قرَّب قرباناً لله تعالى تنزلُ نارٌ من السماء تحرق القربان كدليل على تقبل الله لقربانه. فوبخهم الله، وفضحهم، وقال لرسوله: إنه أرسل إليهم رسلاً جاؤوهم بما يطلبونه من محمد ﷺ، وقد أحرقت النيران قرابين أولئك الأنبياء، ولكن اليهود قتلوهم، بعد أن كذَّبوهم، وكفروا برسالتهم. فلو كانوا صادقين فيما يقولون من أنهم يؤمنون لمن يأتيهم بهذه المعجزة لما قتلوا الأنبياء الذين تحققت على أيديهم هذه المعجزة فيما سبق.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

- وجاء حبر من أحبار اليهود وهو عبد الله بن سلام إلى رسول الله ليسأله عن بعض الأمور فأجابه الرسول عن مسألته، فقال له ابن سلام إن الأجوبة على الأسئلة التي طرحها لا يعرفها إلا نبي مرسل، وأنا أشهد أنك رسول الله حقاً وصدقاً؛ ولكن يا رسول الله أرجو آن لا تخبر اليهود بشيء عن إسلامي حتى تسألهم عني فإنهم قوم بهت، فاستدعاهم رسول الله إليه وأدخل عبد الله بن سلام غرفة مجاورة لا يرونه فيها، ثم قال لهم: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ فقالوا سيدنا وابن سيدنا، وعالمنا وحبرنا، وعظموه كثيراً.

---

(١) الآيتان ١٥٣ و١٥٤ من سورة النساء.

(٢) الآيات ١٨١ و١٨٢ و١٨٣ من سورة آل عمران.

ثم قال لهم رسول الله ماذا لو أسلم؟ فقالوا؟ إن هذا لا يمكن أن يكون أبداً.

ثم خرج عليهم عبد الله بن سلام، وقال أمامهم أشهد أن لا إآله إلا الله وأن محمداً رسول الله فأخذوا يشتمونه وينتقصونه.

-وحين استقر الرسول في يثرب جاءه نفر من اليهود يعرضون عليه واقعة زنا اقترفها أحد اليهود، وسألوا الرسول أن يحكم فيها بموجب شرعه. وكانت التوراة تقضي برجم الزاني المحصن بالحجارة حتى الموت. ولكن أحبار اليهود كانوا قد عطلوا حكم التوراة هذا منذ زمن بعيد، وتواضعوا على عقوبة أخرى دون الرجم الذي فرضه الله، وهي عقوبة تسويد الوجوه (ويسمونها التحميم)، (أو الفضح) وجلد الزاني.

وقال بعض أحبار اليهود لبعض حينما حدثت واقعة الزنا بعد مقدم رسول الله إلى يثرب، تعالوا نسأل محمداً في هذه الواقعة فإن قضى بما دون الرجم أخذنا بحكمه، ويكون عذرنا أن نبياً من أنبياء الله حكم بهذا الحكم، ونجعل حكمه حجة لنا عند الله.

أما إذا قضى بالرجم فلا تقبلوا حكمه، ونفذوا ما تواضعتم عليه.

وحين سأل اليهود رسول الله أن يحكم في واقعة الزنا، سألهم الرسول عن الحكم في شريعتهم فقالوا نفضحهم ويجلدون. وكان عبد الله بن سلام - وهو حبر من أحبار اليهود قد اسلم - حاضراً مجلس رسول الله فقال لهم كذبتم إن فيها الرجم. فتلاحوا ساعة ثم جاؤوا بالتوراة يتلونها أمام الرسول بالعبرية. ووضع أحد اليهود يده على آية الرجم، فزجره عبد الله بن سلام وطلب إليه رفع يده، فظهرت آية الرجم. فقالوا للرسول صدق ابن سلام إن فيها الرجم.

وقد أنزل الله تعالى في هذه الواقعة:

﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ

وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ... ﴾ (١)

— لقد نصت التوراة على أن عقوبة القتل هي قتل القاتل، وقد جاء النص مطلقاً لأن أرواح البشر تتساوى في القيمة أمام خالق الأنفس والأرواح، وقد جاء حكم القرآن مصدقاً لما جاء في التوراة فقال تعالى:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (٢).

ولكن أحبار اليهود وزعماءهم عطلوا حكم الله هذا، وعدلوا عنه إلى ما اتفقوا عليه من عند أنفسهم إرضاء لزعاماتهم، وأهل الرياسة فيهم. ومن ذلك أن قبيلة بني النضير كانت قوية عزيزة الجانب، وكان بنو قريظة ضعفاء أذلاء، ففرض بنو النضير على بني قريظة أيام الجاهلية أنه إذا قتل قرظي نضيرياً قتل به. وإذا عُدِلَ عن القتل إلى المفاداة دفع القرظي ضعفي ما يدفعه النضيريون دية في حالات قتل أحد من بني قريظة.

---

(١) الآيات من ٤١ إلى ٤٤ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٣٢ من سورة المائدة.

وإذا قتل نضيريّ قرظياً فإنه لم يكن يقتل به. وإنما يعدل عن القتل إلى المفاداة وتكون دية القرظي نصف ما يدفعه بنو قريظة إلى بني النضير.

وقد اضطر بنو قريظة إلى القبول بهذا الحكم الجائر مكرهين مقهورين.

وبعد أن وصل رسول الله إلى يثرب وقع حادث قتل فيه قرظي نضيرياً، فأرسل بنو النضير يطلبون من بني قريظة أن يدفعوا إليهم الدية المتفق عليها بينهم (مئة وسق). فرد بنو قريظة على بني النضير: وهل في حيين بلدهما واحد ونسبهما واحد ودينهما واحد دية بعضهم نصف دية بعض؟ إنما أعطيناكم هذا ضيماً منكم لنا، ثم ارتضوا أن يحكموا رسول الله بينهم. ورجع بنو النضير إلى أنفسهم قائلين، إن بني قريظة صادقون فيما يقولون لأنهم لم يقبلوا الحكم السابق إلا ضيماً منا، وقهراً لهم. ولما سألوا الرسول عن الحكم في الواقعة قال الرسول (القتلى بواء) - أي سواء - أي إن دماء القتلى تتساوى من أية قبيلة كانوا. فقال بنو النضير لا نقبل.

وقد وبخ القرآن اليهود لتفضيلهم الحكم الذي تواضعوا عليه في الجاهلية على حكم الله الذي جاء في التوراة التي يؤمنون بها. وخص القرآن بالتوبيخ في أكثر من موضع منه، الأحبار ورجال الدين اليهود الذين يقصرون في السهر على تطبيق شرع الله بين أتباعهم، فقاموا بتعطيل شرع الله، فسنوا سنة سيئة لأتباعهم. وأنزل الله تعالى في هذه الواقعة قوله الكريم:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١)

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾

---

(١) الآية ٤٥ من سورة المائدة.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1].

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[2].

كما لعن الله اليهود على لسان داود وعيسى بن مريم لأنهم كانوا يهملون القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن ذلك من شأنه أن يشيع الفساد في المجتمع، ويدفعهم إلى التجاوز على أموال الناس وأرواحهم وأعراضهم فتعم الفوضى، ويستشري الفساد وهذا أول الوهن والضياع وفيه ضياع للمجتمع وضياع للأمة. وقال تعالى في القرآن الكريم في ذلك:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[3].

وفسر رسول الله هاتين الآيتين الكريمتين بقوله:

(أول ما دخل الوهن على بني إسرائيل أن الرجل منهم كان إذا لقي المتجاوز على شرع الله، يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، ويقول له: لا تفعل هذا. ثم يلقاه في الغد والرجل مقيم على إساءته فيكون أكيله وشريبه وقعيده، فضربهم الله وعمهم بالبلاء)[4].

– أمر الله بني إسرائيل بالقول الحسن وبالكلمة الطيبة يتعاملون بها فيما بينهم، ويتعاملون بها فيما بينهم وبين الناس كافة، وأن يقولوا قولاً معروفاً ليناً، وأن يبينوا للناس شرعهم ودينهم ليعرف الناس شرع الله، وحدود ما أمر وما فرض، ومن ثم يؤمن بالدين من يؤمن، ويهتدي من

---

(١) الآيتان ٤٩ و٥٠ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٦٣ من سورة المائدة

(٣) الآيتان ٧٨ و٧٩ من سورة المائدة.

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص٥٣٠.

يهتدي، وقد أشار القرآن إلى ذلك:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (١)

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (٢) .

- ومن صور كتمانهم ما في كتبهم عن الناس، ما جاء في كتبهم عن المسيح عيسى بن مريم وبعثته ورسالته وفضائله، فلما جاء المسيح أنكروا أن يكون قد جاء في كتبهم شيء عنه، مع أنهم كانوا يتوقعون بعثته ولكنهم قالوا إنه ليس المسيح الذي ينتظرونه، وهم حتى يومنا هذا ينتظرونه.

وكذلك كتموا ما جاء في كتبهم عن محمد، وقد كانوا ينتظرون بعثته، ويهددون المشركين من العرب في يثرب ببعثته، ولما بعث محمد أنكروه كذلك، وقالوا إن كتبهم لا تذكر شيئاً عن أوصافه وبعثته.

- ومن صور كتمانهم ما جاء في كتبهم وشريعتهم أن رسول الله سألهم مرة عن حكم من أحكام شريعتهم فأجابوه بغير ما في كتبهم عن الحكم ليضلوه، ولكنهم تظاهروا أمامه بأنهم أعطوه الجواب الصحيح ليمدحهم. وظنَّ الرسول أن ما أجابوه به هو الحق، فانصرف يشكرهم. ولكن الله فضح اليهود، ونبَّه رسوله إلى ما كانوا يضمرون في أنفسهم من إضلاله ومن قولهم غير الحق الذي جاء في كتابهم عن المسألة:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣) .

---

(١) الآية ٨٣ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٧٨ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ١٨٨ من سورة آل عمران

وقد سبق أن عرضنا فيما تقدم صوراً من كتمانهم ما جاء في شريعتهم عن أحكام القتل والزنا.

- ومن صور قولهم الإثم الذي نهاهم الله عنه أن اليهود كانوا يأتون إلى النبي ﷺ ويسلمون عليه ويميلون ألسنتهم على الطريقة اليهودية في لفظ اللغة العربية، فكانوا يتظاهرون بأنهم يقولون للنبي (السلام عليكم)، ولكنهم بإمالتهم ألسنتهم كانوا يحذفون (اللام) فيقولون بصورة مخففة (السام عليكم). وهي كلمة فيها شتيمة ودعاء، وهي من قول الإثم الذي نهوا عنه، وعن توجيهه للناس في مخاطباتهم. وكان رسول الله يفطن لما يريدون وقد كشف حيلهم وأساليبهم فكان يرد عليهم بقوله (وعليكم). وهو رد لا يستطيعون إنكاره عليه، فإذا كانت نيتهم منصرفة إلى الدعاء والشتيمة فهو يؤدبهم، وينبههم إلى إدراكه ما يريدون، ويرد عليهم القول بمثله.

وإن كانت نيتهم صافية، وأنهم يقصدون السلام عليه فهو يرد عليهم سلامهم بمثله أيضا.

ويروى أن عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها سمعت مرة جماعة من اليهود سلموا على الرسول بهذه الطريقة، وفطنت لقولهم، وإمالتهم ألسنتهم، فلعنتهم لسوء أدبهم مع الرسول فقال لها الرسول مؤدباً ومعلماً: «يا عائشة إن الله يكره الفحش والتفحش».

وهنا يظهر الفرق كبيراً بين أدب الشريعة السماوية الصافية التي لا تفرق بين الناس في القول والتعامل، وبين أدب الخسة والنذالة الذي كان يلقنه بعض زعماء اليهود لأتباعهم ليسيئوا إلى الناس بالشتيمة سراً أو جهراً، وهكذا يكون بينهم وبين الناس كره دائم ابداً، وعداء.

وقد فضح الله تعالى اليهود، وكشفهم لرسوله الأمين، وأعلن له حقيقة ما يضمرون، وما يقولون فيما بينهم:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي

﴿أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١)

ومن صور قولهم الإثم تحريف اليهود عبارات كأن يستعملها الأنصار في مخاطبة الرسول. إذ كانوا يقولون للنبي (راعنا) أي ارعنا سمعك يا رسول الله. وكانوا يقولون له أيضاً (اسمع لا سمعت) أي لا سمعت مكروهاً. فصار اليهود يستعملون التعبير مع إمالة ألسنتهم فتصبح كلمة راعنا في لفظها أقرب إلى كلمة (راعينو) وهي بالعبرية تعني شريراً أو ارعن. وكانوا يقصدون بقولهم (اسمع لا سمعت) أي لا أسمعك الله أو جعلك فاقد السمع، وهي كلمة دعاء عليه.

وقد نبه الله تعالى رسوله إلى أسلوب اليهود الدنيء هذا في مخاطبة رسول الله. وأنزل الله أمره إلى المؤمنين بألا يستعملوا في مخاطبتهم للرسول هذه التعابير، وأن يقولوا له (انظرنا) بدلاً من راعنا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢).

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣).

الصدام بين المسلمين واليهود:

في بداية الدعوة الإسلامية، وبعد أن أعلن محمد دعوته الدينية، ظلَّ اليهود في موقف المتربص المهادن، يعملون في الخفاء على مقاومة الدعوة، ويأملون في أن يكفيهم المشركون من العرب أمر محمد، وأمر رسالته، دون أن يضطروا هم إلى الدخول معه في صراع مكشوف، لهذا كانوا يديرون

---

(١) المجادلة الآية ٨

(٢) البقرة الآية (١٤٠).

(٣) النساء الآية ٤٦.

من وراء ستار حملات الدس والتشكيك، يساعدهم في ذلك المنافقون من الأوس والخزرج كما كانوا على اتصال بقريش يتبادلون معها وجهات النظر والعون.

وحين نصر الله المسلمين في (بدر)، وحققت القلة المؤمنة النصر العظيم على الكفر وأهله شعر اليهود بالقلق البالغ تحسباً من استشعار المسلمين القوة والثقة بالنفس، وخوفاً من أن يجر ذلك النصر في بدر القبائل حول المدينة إلى المسارعة إلى الدخول في الإسلام، رغبة أو رهبة، فيكون في ذلك إضعاف لنفوذ اليهود، وهدم لسلطانهم الذي كانوا يفرضونه على الأعراب حول المدينة، وإضعاف لمركزهم الأدبي، وهو شيء لا يمكن أن يسلموا به بسهولة ويسر.

ومنذ ذلك اليوم أخذوا يظهرون الضيق والحسد للمسلمين، وأصبحوا يجاهرون به، ولا يكتمونه كما كانوا يفعلون قبلا. وكان هذا العداء وإظهاره نقضاً للعهد الذي عاهدوا رسول الله عليه يوم قدم إلى يثرب.

ولما نصر الله المسلمين في بدر جمع الرسول اليهود في سوق بني قينقاع، ودعاهم إلى الدخول في الإسلام قبل أن يعمهم الله بالبلاء كما عم قريشاً في بدر.

فرد بنو قينقاع على الرسول ردَّ المغيظ المحنق وقالوا له: لا يغرَّنك يا محمد من نفسك أنك قتلت نفراً من قومك كانوا أغماراً لا يعرفون الحرب، وإنك والله لو قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس، وإنك لم تر مثلنا أبداً.

وقد أجاب الله تعالى اليهود على قولهم اللئيم هذا بالآيتين الكريمتين:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (1)

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى

---

(1) آل عمران آية ١٢

كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[1].

وهكذا بيَّنَ الله ليهود بني قينقاع، الذين قالوا لمحمد إنهم في ميدان الحرب غير العرب، وإنهم أهل الحرب، وإن الرسول لو قاتلهم لم يجدهم كغيرهم من الناس، فقال لهم الله تعالى إنهم سيغلبون في الحرب مع المسلمين في الدنيا، وسيكون مصيرهم إلى جنهم، وهي بئس المصير لهم يوم القيامة، جزاء لهم على كفرهم ومشاقةِ الرسول، ومعاندتهم لدين الله. ومنذ ذلك الحين بدأ اليهود تحرشهم بالمسلمين في يثرب، وهكذا بدأ الصدام بين المسلمين واليهود.

قهر المسلمين لبني قينقاع

وقع أول صدام مكشوف بين المسلمين وبين يهود بني قينقاع في الشهر العشرين لهجرة الرسول ﷺ إلى يثرب، فقد جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بني قينقاع فتعرض لها بعض اليهود يريدون حملها على كشف وجهها فرفضت ذلك، فجاء بعض اليهود من وراء ظهرها وهي جالسة فربط مرطها بخمارها، ولما قامت انكشفت سوأتها فضحك اليهود منها، واستغاثت المرأة فأسرع رجل مسلم وقتل اليهودي الذي باشر ربط مرطها بخمارها، ثم تجمع اليهود على المسلم فقتلوه. وتصايح الناس، ووقع الشر، فسار إليهم رسول الله في أصحابه، وقاتلهم قتالاً يسيراً، فلم يكن من هؤلاء الذين قالوا للنبي إنه إن قاتلهم لوجدهم هم الناس، وإنه لن يرى مثلهم أبداً... إلا أن جبنوا عن القتال وذلوا، ونزلوا على حكم الرسول دون قيد ولا شرط، ليفعل بهم ما يشاء. وكان ذلك مصداقاً للآية الكريمة التي نزلت فيهم حين قالوا للرسول (إنهم هم الناس).

وكان الرسول بالخيار بين قتلهم وسبي نسائهم وذراريهم، وبين تهجيرهم ونفيهم من أرضهم، وذلك لأنهم نقضوا العهد المبرم بينهم وبين

---

(١) آل عمران آية ١٣

الرسول، وبدؤوه بالشر والإساءة. ولكن زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، الذي كان حليفاً لبني قينقاع في الجاهلية، تدخل لدى الرسول حتى رضي الرسول بحقن دمائهم، ثم أمرهم الرسول بالجلاء عن يثرب، فخرجوا منها نازحين إلى خيبر وتيماء والحيرة والشام.

مقارنة بين قوة المسلمين وقوة اليهود في يثرب في ذلك الحين:

لقد كان جيش المسلمين في موقعة بدر ٣١٧ رجلاً، ولم يجمع المسلمون يوم أحد أي بعد خروج بني قينقاع بقليل أكثر من ألف مقاتل، عاد ثلثهم إلى المدينة دون أن يقاتلوا، وهم من المنافقين الذين لا يطمأنُّ إليهم في الحرب، وبهذا يقدَّر عدد جيش المسلمين في أحد بـ ٧٠٠ رجل، وبعد عامين لم يتجاوز جيش المسلمين يوم الخندق الثلاثة آلاف مقاتل بما فيهم بعض المنافقين الذين أشارت إليهم سورة الأحزاب.

أما قوة اليهود فكانت أكبر من قوة المسلمين، فقد كانت قوة بني قينقاع المقاتلة يوم نزلوا على حكم الرسول حوالي ٧٠٠ مقاتل. لأن ابن أبي سلول قال للرسول وهو يرجوه توفير دمائهم: (ثلاثمائة دارع وأربعمئة حاسر منعوني من الأبيض والأحمر تحصدهم في غداة واحدة).

ويمكن أن يضاف إلى هذا العدد بعض المراهقين الذين بلغوا مبلغ الرجال ولم يباشروا الحرب بعد.

وكان عدد مقاتلي قريظة حينما نزلوا على حكم رسول الله بعد غزوة الخندق يتراوح بين سبعمئة وثمانمئة مقاتل.

أما بنو النضير فمن المفروض أن لديهم مقاتلين أكثر من القبيلتين الأخريين لأنهم الأكثر عدداً والأكثر مالاً وغنىً.

وهكذا نستطيع القول إن قوة اليهود في يثرب يوم خرج بنو قينقاع كانت بحدود ثلاثة آلاف مقاتل، أي أن قوتهم أكثر من قوة المسلمين الذين كان أكثرهم فقراء لا يملكون سلاحاً ولا دروعاً ولا خيولاً. كما أن كثيرين منهم كانوا قليلي الخبرة في الحروب.

وكان بين من يحسبون في قوة المسلمين أعداد من المنافقين يجب أن يخرجوا من عداد المقاتلين المسلمين لأنهم في الحقيقة والواقع قوة على المسلمين لا قوة معهم.

وكان اليهود إلى جانب وفرة عددهم، وكثرة مقاتليهم، وعددهم الحديثة، وكثرة أموالهم وأسلحتهم، يتمتعون بميزة حربية كبيرة لا يمكن إنكارها، وهي أن محلاتهم كانت حصوناً وقلاعاً كبيرة التحصين، ومشحونة بالسلاح والمؤن. وهم إذا أرادوا القتال لجؤوا إليها، وقاتلوا من خلف أسوارها، بينما لم يكن لدى المسلمين آلات حصار، ولا مجانيق تقذفهم أو تهدد حصونهم بالدمار والخراب. ويمكن أن يضاف في كفة اليهود أيضاً أن المسلمين كانوا محاطين بالأعداء من كل جانب، و اليهود يلقون عوناً وتأييداً ممن حولهم من المشركين، ويلقون عطفاً وتأييداً من المنافقين المتظاهرين بالإسلام.

ولكن جميع هذه الميزات لم يكن لها أثر حينما قاتلهم المسلمون، إذ انهار اليهود خلال أيام ودون قتال يذكر، وخضعوا وذلوا ونزلوا على حكم الرسول الجماعة بعد الجماعة، فأجلى بعضهم كبني قينقاع وبني النضير، وقتل بعضهم كبني قريظة، فكان ذلك نصراً من الله لرسوله، وقذف الله الرعب في قلوب اليهود فلم يحسنوا إلا الاستسلام كما وعد الله به رسوله، وكما أنذرهم به الله، فغلبوا وأُخرجوا من ديارهم أذلاء صاغرين.

اخراج بني النضير من يثرب

بعد اخراج بني قينقاع من يثرب تابع اليهود الآخرون فيها الكيد للرسول والمسلمين، والتأليب عليهم، وكان قلقهم يتزايد كلما لاحظوا تزايد قوة المسلمين.

وحينما أُصيب المسلمون يوم (أحد) جاهر بنو النضير بعدائهم للرسول والمسلمين مخالفين بذلك شروط العهد بينهم وبينه.

ثم وقعت حادثة كانت فاصلة فأصبح لا بدَّ من إخراج بني النضير من محلتهم في يثرب.

ذهب الرسول مع عشرة من أصحابه إلى محلة بني النضير يسألهم المشاركة في دفع دية توجبت على المسلمين، عملاً بشروط العهد بينهم وبين الرسول. فاستقبل اليهود رسول الله استقبالاً حسناً، ودعوه إلى الدخول إلى أحد بيوتهم ريثما يقومون بجمع المال المتوجب عليهم دفعه، ولكن الرسول فضل البقاء في الشارع، وجلس مستنداً إلى حائط، فرآه بعض اليهود، فقال بعضهم لبعض ألا رجلٌ منكم يعلو سطح هذا المنزل ويلقي على محمد حجراً يريحنا منه، فإنكم لن تجدوا الرجل في حالة أفضل من هذه يمكنكم النيل منه، فتطوع رجل منهم بالصعود إلى المنزل لينفذ ما اقترحه عليه الزعماء اليهود.

وعلم رسول الله من ربه بما يبيته له اليهود، فقام مسرعاً من جانب الحائط وتظاهر بأنه يريد قضاء حاجة، وتابع سيره إلى يثرب، ولحق به أصحابه الذين كانوا معه.

وبعد هذه المؤامرة الخطيرة على حياة الرسول لم يعد يصح السكوت على تصرفات بني النضير، أو الإغضاء عن كيدهم ودسهم. لذلك أمر رسول الله أصحابه بالتجهز للسير إلى محلة بني النضير، فتحصن هؤلاء في حصونهم، وأرسل إليهم زعيم المنافقين عبد الله بن أبي سلول يقول لهم: قاوموا ولا تخضعوا لضغط محمد وأصحابه لأنهم إذا قاتلوا المسلمين فإن المنافقين سينضمون إلى اليهود في قتال المسلمين، وإذا أجلى المسلمون اليهود فإن المنافقين سيجلون معهم. فاشتدت سواعد اليهود، وصمموا على القتال والمقاومة. ولما عرض عليهم الرسول إخراجهم من يثرب كما خرج بنو قينقاع رفضوا ذلك، وقاوموا الرسول بضعة أيام. ثم تبين لهم كذب المنافقين فيما وعدوهم به، فجبنوا وذلوا وسألوا الرسول أن يسمح لهم بالجلاء عن يثرب على أن يحمل كل ثلاثة أبيات من متاعهم ما يستطيعون حمله على بعير واحد.

وأثناء القتال خاف اليهود أن يقتحم المسلمون عليهم حصونهم فأخذوا يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخلها، ويتلفون متاعهم وأثاثهم لكيلا يقع في أيدي المسلمين. وكان المسلمون يخربون عليهم بيوتهم من خارجها ليصلوا إليهم وليقاتلوهم.

وأخيراً استجاب الرسول لطلبهم السماح لهم بالجلاء عن أرضهم، فجلوا إلى خيبر وتيماء والحيرة وقص الله تعالى قصة جلاء بني النضير في سورة الحشر:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ .

﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [(١)] .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [(٢)] .

وهنا نعود فنقول إن اليهود كان بإمكانهم أن يقاتلوا، وأن يثبتوا إذ أن قوة المسلمين يوم إخراج بني النضير كانت محدودة، وكان المسلمون قد أصيبوا يوم أحد بضرر بالغ في قوتهم العسكرية، ولكن الرعب الذي قذفه

(١) الآيات ٢ و٣ و٤ من سورة الحشر.

(٢) الآيات ١٣ و١٤ و١٥ من سورة الحشر.

الله في قلوب اليهود جعلهم لا يفكرون في حرب ولا في ثبات ولا في مقاومة، وكان همهم الوحيد هو النجاة بأرواحهم.

القضاء على بني قريظة:

بعد إخراج بني النضير لم يبق في المدينة (يثرب) غير بني قريظة من اليهود، وكان هؤلاء محافظين - حتى ذلك الحين - على ميثاقهم مع رسول الله، إلى أن أغراهم الشيطان بالغدر والخيانة للمسلمين في أشد الساعات حرجاً في تاريخ الإسلام، فعاقبهم الله على ذلك عقاباً صارماً.

كان حيي بن أخطب سيد بني النضير شديد العداوة للرسول وللمسلمين، وكان قد نزح عن يثرب إلى خيبر. ومن هناك أخذ يتابع حملات الدس والتحريض على محمد وأصحابه. وأخذ يتصل بقريش، وببعض القبائل القريبة من يثرب مثل غطفان وأشجع وأسلم وغيرها.. ويحثهم على تأليف حلف قوي ينضم إليه اليهود وقريش وحلفاؤها لقتال محمد، واستئصال شأفة الإسلام من الجزيرة العربية. وقد نجح في تأليف حلف، وسارت قوات الأحزاب، وكانت تقارب عدتها العشرة آلاف مقاتل، إلى المدينة لضرب المسلمين في عقر دارهم.

وكان الرسول قد علم بمسير الأحزاب إليه، فدعا أصحابه للتشاور فيما عليهم أن يفعلوه لمواجهة قوات الأحزاب الزاحفة على يثرب. فأشار سلمان الفارسي على الرسول بحفر خندق حول المدينة يقاتل المسلمون المهاجمين من وراء الخندق، وظهورهم محمية ببيوتهم، والخندق يحول دون اقتحام الخيول المدينة، فأعجب الرسول ﷺ بالفكرة وأخذ المسلمون يحفرون الخندق ليلاً ونهارا، وعمل المسلمون جميعاً بمن فيهم رسول الله، حتى إذا وصلت قوات الأحزاب وجدوا المسلمين وراء الخندق مستعدين لهم استعداداً كبيراً.

وأخذ الطرفان يتراشقان بالنبال من وراء الخندق. ولما اقتحم بعض المشركين الخندق قتلهم المسلمون.

وطال الأمر دون قتال حاسم، فتضايق اليهود الذين كانوا يأملون في القضاء على محمد وقواته، فأخذ زعيمهم حُيي بن أخطب في الاتصال بيهود بني قريظة الموجودين داخل الخندق لينقضوا عهدهم مع الرسول، ولينضموا إلى الأحزاب في قتال المسلمين، وبذلك يفقد الخندق أهميته الحربية.

وفي بادئ الأمر رفض زعيم بني قريظة كعب بن أسد ذلك العرض، وقال لحيي بن أخطب إنه لم يجد من محمد إلا وفاء وتمسكاً بالعهد. ولكن حيي ألح عليه وأغراه بالعروض السخية، ومنّاه الأماني، وقال له إنه أتاه بعز الدهر، وشرف العمر. وإن الأحزاب لن ينسحبوا من حول يثرب قبل القضاء على محمد وأصحابه، فخضع زعيم بني قريظة للإغراءات في آخر الأمر، وفتح أبواب حصنه فدخله حُيي بن أخطب، وأخذا يدرسان معاً خطة نقض العهد مع المسلمين، وطريقة مباشرة القتال معهم من داخل الخندق ومن خارجه.

وكانت الخطة بالغة الخطورة على المسلمين، ولكن الله سلم إذا أوقع في قلوب بني قريظة الرعب والتردد من مباشرة القتال.

وفي هذه الأثناء دخل في الإسلام رجل من غطفان اسمه (نعيم)، وكان يعرف بني قريظة في الجاهلية ويخالطهم، ويتردد عليهم. وجاء إلى رسول الله ﷺ وأعلن له إسلامه، وقال له أن يأمره بما يريد، فإن أحداً من قومه لا يعلم بإسلامه بعد. فقال له الرسول إنه رجل واحد في المسلمين، ولكن الحرب خدعة، وطلب إليه أن يُخذِّل من استطاع عن المسلمين، فقد يكون في ذلك خير وبركة.

فاتجه الرجل إلى بني قريظة، وأخذ يخوفهم من نتائج غدرهم بالمسلمين ويحثهم على عدم مباشرة القتال قبل أن يحصلوا من الأحزاب على رهائن من زعمائهم وقادتهم تضمن عدم انسحاب الأحزاب من حول يثرب قبل القضاء على محمد والمسلمين معه، لأن الأحزاب كما قال لهم نعيم لا يقيمون حول المدينة، وإنهم إذ عضتهم الحرب بنابها انشمروا إلى بلادهم،

وتركوا بني قريظة لمصيرهم. فأوقع الله في قلوب بني قريظة صواب رأي نعيم، وسلامة اقتراحه فأعجبتهم الفكرة، فقالوا له إنهم لن يباشروا القتال ما لم يسلمهم الأحزاب بعض قادتهم كرهائن، وذهب نعيم الى قادة الأحزاب يذكر لهم أن بني قريظة ندموا على نقضهم العهد مع محمد وأنهم اتفقوا معه على أن يسلموه بعض زعماء الأحزاب ليضرب أعناقهم مقابل إعادة العهد بينهم وبينه إلى سابق عهده.

وبعد أن تردد نعيم بين الجانبين عدة مرات استطاع نعيم أن يزرع الشك في قلوب الجانبين فتلكأ اليهود في الإقدام، ولم يستطع الأحزاب اقتحام الخندق. ولما طلبت الأحزاب من بني قريظة تنفيذ ما تم الاتفاق عليه طلبوا من الأحزاب رهائن يضمنون لهم عدم انسحابهم من حول يثرب قبل القضاء على محمد، لأنهم إن انسحبوا قبل ذلك كان ذلك بلاء عليهم لأنهم لا طاقة لهم بمحمد وأصحابه. ولما طلب بنو قريظة الرهائن من الأحزاب صدقوا ما قاله لهم نعيم، فتشككوا في صدق اليهود، وخافوا أن يسلموا الرهائن للمسلمين فتضرب أعناقهم.

وفي ليلة من ليالي الشتاء القاسية هبت ريح باردة شديدة، فكفأت قدور الأحزاب، وقلبت خيامهم، فخافوا وارتحلوا في ظلمة الليل، وكان أول المرتحلين أبو سفيان بن حرب.

وهكذا فشلت غزوة الأحزاب للمدينة قاعدة المسلمين الرئيسية، وتركوا بني قريظة لمصيرهم المحتوم.

وبعد أن انسحب الأحزاب من حول المدينة، أسرع رسول الله يقتص من بني قريظة، ويعاقبهم على غدرهم بالمسلمين، ونقضهم العهد في وقت من أشد الأوقات حرجاً في تاريخ الدعوة الإسلامية؛ فتحصن اليهود في محلتهم وحصونهم، وجرت مناوشات بينهم وبين المسلمين دامت عشرين يوماً، ثم أوقع الله الرعب في قلوب اليهود فخافوا وذلوا وقبلوا النزول على حكم رسول الله يفعل فيهم ما يشاء.

وكان بنو قريظة في الجاهلية حلفاء الأوس، فسارع بعض المسلمين من

الأوس إلى رسول الله يقولون له، لقد شفّعت يا رسول الله عبد الله بن أبي ابن سلول في بني قينقاع فعفوت عنهم، ووفرت دماءهم، وبنو قريظة هم حلفاؤنا في الجاهلية فنريد أن توفّر دماءهم، وتشفعنا فيهم، وتحسن إليهم كما أحسنت إلى بني قينقاع.

ورد الرسول الكريم على الأوس قائلاً لهم ألا تريدون أن أحكم فيهم رجلاً منكم، فقالوا بلى يا رسول الله.

وكان سعد بن معاذ زعيم الأوس، قد سار إلى بني قريظة ليفحص حالهم حينما بلغ الرسول اتفاق بني قريظة مع الأحزاب، وليحثهم على التمسك بعهدهم مع رسول الله لما له من زعامة في الأوس حلفاء بني قريظة، فردّوا على سعد رداً قبيحاً، وشتموه وشتموا رسول الله، وانكروا أن يكون بينهم وبين محمد عهد. فعاد سعد بن معاذ مغضباً، ودعا الله - بعد أن أصابه سهم في تلك الأثناء - أن لا يميته حتى يقر عينه بالاقتصاص من بني قريظة.

ولما أصيب سعد بالسهم أخذ جرحه ينزف ولا يرقأ أبداً فجعله رسول الله في دار سيدة مسلمة اسمها رفيدة قريباً منه ليمرض فيها، ليتمكن الرسول من عيادته في كل حين، فقد كان الرسول راضياً عن سعد بن معاذ مقدراً له مواقفه من الدعوة الإسلامية وخصوصاً في غزوة بدر وغزوة أُحد، فأمر الرسول بعض الأوس أن يأتوه بسعد إلى مجلسه ليحكم في بني قريظة.

وذهب رجال الأوس إلى سعد، وحملوه على حمار بعد أن وطؤوا له، وأخذوا يحثونه على الرفق ببني قريظة كما رفق عبد الله بن أبي سلول بمواليه من بني قينقاع، فقال لهم: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم.

ولما جلس سعد أمام رسول الله قال له الرسول لقد حكمتك يا سعد في بني قريظة، فاتجه سعد إلى بني قريظة واستحلفهم بالله أن يقبلوا بحكمه، ثم اتجه إلى الجانب الذي يجلس فيه رسول الله، فقال: وهو مغض حياء من

رسول الله، وعلى من هنا عهد الله أن الحكم لما حكمت، فقال رسول الله، علينا عهد الله في ذلك.

فقال سعد: إنه يحكم في بني قريظة بأن تقتل المقاتلة، وتسبي الذراري والأموال، فقال الرسول: لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع سموات[1].

فكان ذلك جزاء وفاقاً لبني قريظة على غدرهم بالمسلمين، وأنزل الله تعالى في هذه الواقعة قوله:

﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾[2].

إجلاء اليهود عن خيبر:

بعد القضاء على يهود بني قريظة لم يبق في الحجاز غير يهود خيبر وتيماء، وكانت خيبر من أهم المواقع والحصون بالنسبة للمسلمين، لأنها تسيطر على خطوط مواصلاتهم مع شمالي شبه الجزيرة. وقد تابع اليهود في حصون خيبر كيدهم للمسلمين، فسار إليهم الرسول بعد عودته من صلح الحديبية، واطمئنانه إلى حياد قريش مدة الصلح، فقبلوا الجلاء عن حصونهم كما جلا غيرهم من يهود المدينة.

وهكذا لم يبق في الجزيرة العربية بعد ذلك تجمعات يهودية ذات أهمية سياسية أو اجتماعية تذكر.

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص٩١

(٢) الآيتان ٢٦ و٢٧ من سورة الأحزاب.

الفصل الخامس

مستقبل بني إسرائيل

أولاً - بعض ما جاء في كتب بني إسرائيل عن مستقبلهم في الأرض

كتب بني إسرائيل مملوءة بالنصوص التي تتكلم عن كفرهم وفسادهم وعتوهم وطغيانهم في الأرض، وفيها إشارات كثيرة إلى غضب الله المستمر عليهم لفعالهم القبيحة، وما سيلاقونه خلال مسيرة حياتهم في الأرض من ذل ومهانة وقتل وتشريد، وتسليط الأمم والأقوام عليهم، لأنهم لن ينصلحوا أبداً، ولن يرجعوا إلى شريعة الله وأحكامه الحقة التي أنزلها على رسوله موسى عليه السلام. ومن الصعب استقصاء كل ذلك لأنه كثير جداً جداً، ولعله يكون من الخير للقارئ أن يرجع بنفسه ليقرأ النصوص بعباراتها وتفاصيلها ليجد أن هذا الشعب مغضوب عليه من الله، وممقوت منه ومن خلقه، وأنه لن ينصلح أبداً، ولن يعود إلى حظيرة الإيمان الخالص لأنه لا يستطيع أن يعرف ما هي حدود شرع الله، وهم اليوم يقرون بذلك كما أقر به أسلافهم من قبل ولا ينكرون شيئاً منه.

وسنكتفي هنا بمقاطع مما جاء في كتبهم عما تنبأ به أنبياؤهم عن مستقبلهم في الأرض، وما سيلاقونه من عذاب وإبادة وقتل وتشريد وذبح وسبي لا نهاية لها لأنهم كفروا بدعوة الله، وعبدوا الأصنام، وحادوا عن شريعة الله وقتلوا الأنبياء والصالحين بغير حق.

بنو إسرائيل خلق من خلق الله من أحسن منهم أحسن الله إليه، ومن أساء عاقبه بعدله

زعم اليهود دائماً أنهم شعب الله المختار، وأنهم يمتازون عند الله بما لأجدادهم الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأنبياء من بعدهم، من كرامة لديه، ولذلك فإنه يعاملهم معاملة خاصة متميزة، وينظر إليهم كما ينظر الوالد المحب إلى ولده الأثير عنده. إن أحسنوا زاد الله في إحسانهم، وإن أساؤوا سامحهم، أو عاقبهم عقوبة خفيفة كما يعاقب الوالد الرحيم ولده المخطئ.

ووصل بهم الخيال، في زمن محمد ﷺ، إلى الزعم أنهم أبناء الله وأحباؤه، ولن يدخل جنة الله الواسعة أحد غيرهم من عباد الله. وقد كذبهم القرآن ـ كما رأينا في الفصل السابق ـ في دعواهم هذه، وقال لهم إنهم خلق من خلق الله من أحسن منهم أحسن الله إليه، ومن أساء منهم عاقبه بعدله المطلق، كما يعاقب اي مخلوق من بني آدم، ولا ميزة لهم على أحد عند الله أبداً. وتحداهم إذا أرادوا أن يعرفوا حقيقة مكانتهم عند الله، أن يدعوا على أنفسهم بالموت لأن من أحب الله تمنى قربه والبقاء في جواره، وقال تعالى معقباً على تحديه هذا بقوله: إنهم لن يتمنوا الموت أبداً بما قدمت أيديهم من كفر بالله، وعمل سيء، وتجاوز على شريعة الله تعالى ولذلك فإنهم يخافون عقاب الله الأليم.

وقد أكمل محمد ﷺ تحدي الله هذا لليهود فقال: (والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منهم ـ حتى تقوم الساعة ـ ألا غص بريقه ومات لساعته.) فهل يريد أحد منهم أن يختبر صدق محمد فيما يرويه عن ربه، فإن مات فيكون محمد وربه صادقان فيما قالا، وإن لم يمت لساعته، كان لهم أن يقولوا ما شاؤوا.. وحينئذ يبين صدق رسالة محمد، وصدق الكتاب الذي أنزله الله عليه.

وجاءت كتب بني إسرائيل لتكذبهم في دعواهم هذه، وقد حوت

الكثير الكثير مما تعارض مع مقولتهم التي توارثوها وقبلوها حقيقة مسلمة لا تبديل فيها.

فقد جاء في سفر اللاويين (الاصحاح ٢٦) خطاب من الله إليهم خلاصته كما يلي:

(إذا سلكتم في فرائضي، وحفظتم وصاياي، وعملتم بها... أعطى مطركم في حينه، وتعطي الأرض غلتها، وتعطي أشجار الحقل ثمارها.. ويجعل الله في الأرض سلاماً فينامون وليس من يزعجهم. وقال لهم معقباً: (وأبيد الوحوش الردية، ولا يعبر سيف في أرضكم، وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف، يطرد خمسة منكم مئة، ومئة منكم يطردون ربوة، ويسقط أعداؤكم أمامكم بالسيف).

ثم قال لهم:

(ولكن إذا لم تسمعوا لي، ولم تعملوا كل هذه الوصايا، وإن رفضتم فرائضي، وكرهت أنفسكم أحكامي، فما عملتم كل وصاياي، بل نكثتم ميثاقي، فإني أعمل بكم هذه:

(أسلط عليكم رعباً وسلا، وحمى تفني العينين، وتتلف النفس، وتزرعون باطلاً زرعكم فيأكله أعداؤكم، وأجعل وجهي ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم، ويتسلط عليكم مبغوضكم وتنهزمون وليس من يطردكم...)

(وإن كنتم مع ذلك لا تسمعون: أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم فأحطم فخار عزكم وأصير سماءكم كالحديد، وأرضكم كالنحاس، فتفرغ باطلاً قوتكم، وأرضكم لا تعطي غلتها...

(وإن سلكتم معي بالخلاف... أزيد عليكم ضربات سبعة أضعاف حسب خطاياكم: أطلق عليكم وحوش البرية فتعدمكم الأولاد، وتقرض بهائمكم، وتقللكم فتوحش طرقكم...

(وإن لم تتأدبوا معي بذلك، بل سلكتم بالخلاف فإني أسلك معكم بالخلاف، وأضربكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم: أجلب عليكم سيفاً

ينتقم منكم نقمة الميثاق فتجتمعون إلى مدنكم وأرسل في وسطكم الوباء فتندفعون بيد العدو... وتأكلون ولا تشبعون...

(وإن كنتم بذلك لا تسمعون لي بل سلكتم معي بالخلاف، فأنا اسلك معكم بالخلاف ساخطاً، وأؤدبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم فتأكلون لحم بنيكم وبناتكم، وأضرب مرتفعاتكم واقطع شمساتكم، وألقي جثثكم على جثث أصنامكم، وترذلكم نفسي، وأصير مدنكم خربة ومقاديسكم موحشة، ولا أشم رائحة سروركم، وأذريكم بين الأمم.. وأجرد السيف وراءكم فتصير أرضكم موحشة، ومدنكم تصير خربة... والباقون منكم ألقي الجبانة في قلوبهم في أراضي أعدائهم، فيهزمهم صوت ورقة مندفعة، يهربون كالهارب من السيف، ويسقطون وليس طارد، ويعثر بعضكم ببعض، ولا يكون لكم قيام أمام أعدائكم، فتهلكون بين الشعوب، وتأكلكم أرض أعدائكم، والباقون منكم يفنون بذنوبهم في أرض أعدائهم، وأيضاً بذنوب آبائهم معهم يفنون.

ولكن إن أقروا بذنوبهم، وذنوب آبائهم في خيانتهم التي خانوني بها، وسلوكهم معي الذي سلكوا بالخلاف، وإني سلكت معهم بالخلاف وأتيت بهم إلى أرض أعدائهم، إلا أن تخضع حينئذ قلوبهم الغلف، ويستوفوا حينئذ ذنوبهم، أذكر ميثاقي مع يعقوب وإسحاق وإبراهيم، وأذكر الأرض، والأرض تترك منهم وتستوفي سبوتها في وحشتها، وهم يستوفون عن ذنوبهم لأنهم قد أبوا أحكامي، وكرهت أنفسهم فرائضي.... الخ)

وجاء في سفر تثنية الاشتراع - في الاصحاح ٧ - ما يلي:

ولئلا تقول في قلبك قوتي وقدرة يدي، اصطنعت هذه الثروة، بل اذكر الرب إلهك، إنه هو الذي يعطيك قوة لاصطناع الثروة.

وإذا نسيت الرب إلهك، وذهبت وراء آلهة أخرى، وعبدتها وسجدت لها، أشهد عليكم اليوم أنكم ستبيدون لا محالة.. تبيدون لأنكم لم تسمعوا كلام الرب إلهكم.

وجاء في الاصحاح ٢٨ من سفر تثنية الاشتراع ما يلي:

بشارة لبني إسرائيل بالخير إذا عـادوا إلى الله بالتوبة والاستغفار، وآمنوا وأحسنوا العمل، وعملوا بوصايا ربهم وميثاقه. أما إذا كفروا وتمردوا على الله، ونقضوا الميثاق الذي واثقهم الله به، فإنه يهددهم بشر مستطير، وبلاء عظيم، وانتقام رهيب:

«وإن لم تسمعوا لصوت الرب، ولم تعملوا بوصاياه، تأتي عليكم جميع هذه اللعنات وتدرككم: «ملعوناً تكون في المدينة، ملعوناً تكون في الحقل، ملعوناً تكون في سلتك ومعجنك، ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك... ملعوناً تكون في دخولك وملعوناً تكون في خروجك.. يرسل عليك الرب اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذا تركتني... يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك، في طريق واحدة تخرج عليهم وفي سبع طرقات تهرب أمامهم، وتكون قلقاً في جميع ممالك الأرض، وتكون جثتك طعاماً لجميع طيور السماء، ووحوش الأرض وليس من يزعجها... بنين وبنات تلد ولا يكونون لك لأنهم يذهبون إلى السبي، الغريب الذي وسطكم يستعلى عليكم.. وتأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك.. (يجلب الرب عليك أُمة من بعيد من أقصاء الأرض كما يطير النسر، أمة لا تفهم لسانها، أمة جافية الوجه لا تهاب الشيخ ولا تحن إلى الولد، فتأكل ثمرة بهائمك وثمرة أرضك.. وتحاصرك في جميع أبوابك حتى تهبط أسوارك الشامخة الحصينة التي أنت تثق بها في كل أرضك...»

ثم يصف السفر ما يؤول إليه حالهم تحت الحصار فيقول:

فتأكل ثمرة بطنك، لحم بنيك وبناتك الذين أعطاك الرب إلهك في الحصار، والضيقة التي يضايقك بها أعداؤك، الرجل المنعم فيكم والمترفه جداً تبخل عينه على أخيه وامرأة حضنه، وبقية أولاده الذين يسقيهم بأن يعطي أحدهم من لحم بنيه الذي يأكله لأنه لم يبق له شيء في الحصار.

والمرأة المتنعمة والمترفهة التي لم تجرب أن تضع اسفل قدميها على

الأرض للتنعم والترفه تبخل عينها على رجل حضنها وعلى ابنها وابنتها بمشيمتها الخارجة من بين رجليها وبأولادها الذين تلدهم لأنها تأكلهم سراً في عوز كل شيء في الحصار والضيقة التي يضايقك بها عدوك في أبوابك.. إن لم تحرص على أن تعمل بجميع كلمات هذا الناموس المكتوبة في هذا السفر لتهاب هذا الاسم الجليل المرهوب الرب إلهك.. يجعل ضرباتك وضربات نسلك عجيبة، ضربات عظيمة واضحة وأمراضا ردية ثابتة .. الخ

وجاء في سفر حزقيال تنبؤات لحزقيال وهو من أنبياء السبي:

سمعت صوت الرب يقول لي: يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بني إسرائيل، إلى أمة متمردة قد تمردت عليَّ هم وآباؤهم عصوا علىالله إلى ذات هذا اليوم.. والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك إليهم، فتقول لهم هكذا قال الرب. وهم إن سمعوا وإن امتنعوا لأنهم بيت متمرد، لا تخف منهم. إن بيت إسرائيل لا يشاء أن يسمع لك لأنهم لا يشاؤون أن يسمعوا إليَّ. كل بيت إسرائيل صلاب الجباه قساة القلوب[1].

هكذا قال السيد للجبال وللآكام والأودية، ها أنذا جالب عليكم سيفاً وأبيد مرتفعاتكم فتخرب مذابحكم، وتنكسر شمساتكم، وأطرح قتلاكم قدام أصنامكم، وأضع جثث إسرائيل قدام أصنامهم واذرى عظامكم حول مذابحكم في كل مساكنكم تقفر المدن، وتخرب المرتفعات لكي تقفر وتخرب، وتزول أصنامكم.. وتسقط القتلى في وسطكم فتعلمون أني أنا الرب، وأبقي بقية إذا يكون لكم ناجون من السيف بين الأمم عند تذريتكم في الأراضي، والناجون منكم يذكرونني بين الأمم الذين يسبون إليهم إذا كسرت قلبهم الزاني الذي حال عني، وعيونهم الزانية وراء أصنامهم، ومقتنو أنفسهم لأجل الشرور التي فعلوها في كل رجاساتهم..

هكذا قال السيد الرب: اضرب بيدك واخبط برجلك وقل آه على كل

---

(١) حزقيال اصحاح ٢.

رجاسات بيت إسرائيل الشريرة حتى يسقطوا بالسيف والجوع والوباء، البعيد يموت بالوباء، والقريب يسقط بالسيف، والباقي والمنحصر يموت بالجوع فأتمم غضبي عليكم، فتعلمون أني أنا الرب، إذا كانت قتلاهم في وسط أصنامهم حول مذابحهم على كل أكمة عالية، وفي رؤوس الجبال وتحت كل شجرة خضراء، وتحت كل بلوطة غبياء الموضع الذي قربوا فيه رائحة سرورهم لكل أصنامهم وأمد يدي عليهم وأصير أرضهم مقفرة وخربة من القفر إلى دبلة في كل مساكنهم فيعلمون أني أنا الرب[1].

ثم قال لي: يا ابن آدم ارفع عينك نحو طريق الشمال فرفعت عيني وإذا من شمال باب المذبح تمثال الغيرة هذا في المذبح. ثم قال: يا ابن آدم هل رأيت ما هم عاملون: الرجاسات العظيمة التي بيت إسرائيل عاملها لإبعادي عن مقدسي؟ وبعد تعود تنظر رجاسات أعظم.. وقال لي ادخل وانظر الرجاسات الشريرة التي هم عاملوها هنا: فدخلت ونظرت وإذا كل شكل دبابات وحيوان نجس وكل أصنام بيت إسرائيل مرسومة على الحائط على دائرة، ووقف قدامها سبعون رجلاً من شيوخ بيت إسرائيل وبازنيان بن شافان قائم في وسطهم وكل واحد مجمرته في يده، وعطر عنان البخور صاعد. ثم قال لي: أرأيت يا ابن آدم ما تفعله شيوخ بيت إسرائيل في الظلام، كل واحد في مخادع تصاويره لأنهم يقولون الرب لا يرانا والرب قد ترك الأرض...

ثم قال لي بعد تنظر رجاسات أعظم هم عاملوها، فجاء بي إلى مدخل باب بيت الرب الذي من جهة الشمال، وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز.. فقال لي أرأيت يا ابن آدم هذا. تعود بعد تنظر رجاسات أعظم من هذه. فجاء بي إلى دار بيت الرب الداخلية وإذا عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق، وهم ساجدون للشمس نحو الشرق.

---

(١) حزقيال اصحاح ٦.

وقال لي: أقليل لبيت يهودا عمل الرجاسات التي عملوها هنا، لأنهم قد ملؤوا الأرض ظلماً ويعودون لأغاظتي، وها هم يقربون الغصن إلى أنوفهم فأنا أيضاً عامل بالغضب لا تشفق عيني، ولا أعفو وإن صرخوا في أذني بصوت عال لا أسمعهم .[١]

(وقال الرب إن إثم بني إسرائيل ويهودا عظيم جدا جداً، وقد امتلأت الأرض دماء، والمدينة جيفا، لأنهم يقولون الرب قد ترك الأرض، والرب لا يرى.. وأنا أيضاً عيني لا تشفق ولا أعفو، أجلب طريقهم على رؤوسهم...[٢] .

(يا ابن آدم قد سألك بيت إسرائيل، البيتُ المتمرد ماذا تصنع؟ قل لهم أنا آية لكم، كما صنعت هكذا يصنع بهم. إلى الجلاء إلى السبي يذهبون. والرئيس الذي في وسطهم يحمل على الكتف في العتمة ويخرج، ينقبون في الحائط ليخرجوا منه، يغطي وجهه لكيلا ينظر الأرض بعينه وأبسط شبكتي عليه فيؤخذ في شركي، وآتي به إلى بابل، إلى أرض الكلدانين، ولكن لا يراها وهناك يموت، وأذرى في كل ريح جميع الذين حوله ولنصره. وكل جيوشه، واستل السيف وراءهم فيعلمون أني أنا الرب حين أبددهم بين الأمم، واذريهم في الأراضي وأبقى منهم رجالاً معدودين من السيف، ومن الجوع، ومن الوباء، لكي يحدثوا بكل رجاساتهم بين الأمم التي يأتون إليها فيعلمون أني أنا الرب[٣] .

(يا ابن آدم هؤلاء الرجال قد أخذوا أصنامهم إلى قلوبهم، ووضعوا معثرة إثمهم تلقاء أوجههم فهل اسألُ منهم سؤالاً..؟ قل لهم: كل إنسان من بيت إسرائيل الذي يصعد أصنامه إلى قلبه ويضع معثرة إثمة تلقاء وجهه، ثم يأتي إلى النبي فإني أنا الرب أجيبه حسب كثرة أصنامه. لكي

---

(١) حزقيال اصحاح ٨

(٢) حزقيال اصحاح ٩

(٣) حزقيال اصحاح ١٢.

آخذ بيت إسرائيل بقلوبهم لأنهم كلهم قد ارتدوا عني بأصنامهم.

(يا ابن آدم إن أخطأت إليَّ الأرض، وخانت خيانة، فمددت يدي عليها، وكسرت لها قوام الخبز، وأرسلت عليها الجوع، وقطعت منها الإنسان والحيوان، وكان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة: نوح ودانيال وأيوب فإنهم إنما يخلصون أنفسهم ببرهم..[1].

(يا ابن آدم عرف أورشاليم برجاساتها، وقل لها هكذا قال السيد الرب لأورشاليم... وخرج لكِ اسم في الأمم لجمالك، وزنيت على اسمك، وسكبت زناك على كل عابر فكان له... وأخذت من ثيابك وبنيت لك مرتفعات، أخذت بنيك وبناتك الذين ولدتهم لي وذبحتهم لها طعاماً.. أهو قليل من زناك؟ إنك ذبحت بنيَّ وجعلتهم يجوزون في النار. وفي كل رجاساتك وزناك لم تذكري أيام صباك، وكنت عريانة وعارية، وكنت مدوسة بدمك، وكان بعد كل شر منك، ويل لك يقول الرب...

.. أختك الكبرى السامرة هي وبناتها الساكنة عن شمالك، وأختك الصغرى الساكنة عن يمينك هي سدوم وبناتها، ولا في طريقهن سلكت، ولا مثل رجاساتهن فعلت، كأن ذلك قليل فقط ففسدت أكثر منهن في كل طرقك.. إن أختك سدوم لم تفعل هي ولا بناتها كما فعلت أنت وبناتك، هذا كان إثم أختك سدوم الكبرياء، والشبع من الخبز، وسلام الاطمئنان، كان لها ولبناتها، ولم تشدد يد الفقير والمسكين، فتكبرن وعملن الرجس أمامي فنزعتهن كما رأيت..

ولم تخطئ السامرة نصف خطاياك، بل زدت رجاساتك أكثر منهن، وبررت أخواتك بكل رجاساتك التي فعلت.. الخ[2].

والإنسان الذي كان باراً، وفعل حقاً وعدلاً، لم يأكل على الجبال، ولم يرفع عينه إلى أصنام بيت إسرائيل، ولم ينجس امرأة قريبة، ولم يقرب امرأة

---

(١) حزقيال اصحاح ١٤.

(٢) حزقيال اصحاح ١٦

طامثاً، ولم يظلم إنساناً بل رد للمديون رهنه، ولم يغتصب اغتصاباً بل بذل خبزه للجوعان، وكسا العريان ثوباً، ولم يعط بالربا، ولم يأخذ مرابحة، وكف يده عن الجور، وأجرى العدل الحق بين الإنسان والإنسان، وسلك في فرائضي وحفظ أحكامي ليعمل بالحق فهو بار، حياة يحيا يقول السيد الرب.(١)

في يوم اخترت إسرائيل ورفعت يدي لنسل بيت يعقوب، وعرفتهم نفسي في أرض مصر، ورفعت لهم يدي قائلاً: أنا الرب إلهكم، في ذلك اليوم رفعت لهم يدي لأخرجهم من أرض مصر إلى الأرض التي تجسستها لهم، تفيض لبناً وعسلاً.. وقلت لهم أخرجوا كل إنسان منكم أرجاس عينيه، ولا تتنجسوا بأصنام مصر، أنا الرب إلهكم، فتمردوا ولم يريدوا أن يسمعوا لي، ولم يطرح إنسان منهم أرجاس عينيه، ولم يتركوا أصنام مصر، لكن صنعت لأجل اسمي لكيلا يتنجس أمام عيون الأمم الذين هم في وسطهم.. فأخرجتهم من أرض مصر. ورفعت لهم يدي في البرية بأني لا آتي بهم إلى الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً لأنهم رفضوا أحكامي، ولم يسلكوا في فرائضي، بل نجسوا سبوتي لأن قلبهم ذهب وراء أصنامهم.

وقلت لأبنائهم في البرية لا تسلكوا في فرائضي مسلك أبائكم، ولا تحفظوا أحكامهم، ولا تتنجسوا بأصنامهم أنا الرب إلهكم احفظوا أحكامي، واسلكوا في فرائضي، واعملوا بها، وقدسوا سبوتي تكون علامة بيني وبينكم، فتمرد الأبناء علي، ولم يسلكوا في فرائضي، ولم يحفظوا أحكامي ليعملوا بها ونجسوا سبوتي.

ورفعت لهم يدي في البرية لأفرقهم بين الأمم، وأذريهم في الأرض لأنهم لم يصغوا إلى أحكامي بل رفضوا فرائضي، ونجسوا سبوتي، وكانت عيونهم وراء أصنام آبائهم.

وفي الأرض التي رفعت يدي لأعطيهم فرأوا كل تلٍّ عال، وكل شجرة

---

(١) حزقيال اصحاح ١٨.

غبياء، فذبحوا هناك ذبائحهم، وقربوا هناك قرابينهم المغيظة، وقدموا هناك سرورهم، وسكبوا هناك سكائبهم[1]

(يا ابن آدم هل تدين مدينة الدماء فعرفها كل رجاساتها، وقل هكذا قال السيد الرب أيتها المدينة السافكة الدماء في وسطها ليأتي وقتها، الصانعة أصناماً لنفسها لتتنجس بها، قد أثمت بدمك الذي سفكت، ونجست نفسك بأصنامك التي عملت، وقربت أيامك، وبلغت سنيك، لذلك جعلتك عاراً للأمم، وسخرة لجميع الأراضي.. (ثم يعدد كثيراً من المخازي التي ارتكبوها...)[2].

وفي الاصحاح ٢٣ يضرب الله لنبيه حزقيال ـ وهو يكلمه ـ مثلاً للسامرة وأورشليم بفتاتين من بنات الهوى أسرفتا في الزنا والشهوة، وضاجعتا بني آشور والكلدانيين.. ويهددهما الرب بالانتقام الشديد، وقال إنه سيصعد عليهما جماعة ويسلمهما للجور والنهب، وترجمهما الجماعة بالحجارة، ويقطعونهما بسيوفهم، ويذبحون أبناءهما وبناتهما ويحرقون بيوتهما بالنار، وبذلك يبطل الرب الرذيلة من الأرض فتتأدب جميع النساء، ولا يفعل أحد مثل رذيلتهما..[3]

وفي الاصحاح ٢٤ يتحدث الرب إلى حزقيال ويقول له: اكتب لنفسك اسم هذا اليوم بعينه لأن ملك بابل اقترب من أورشليم هذا اليوم بعينه، واضرب مثلاً للبيت المتمرد، وقل لهم هكذا قال الرب ويل لمدينة الدماء...[4].

(قال لي الرب: يا ابن آدم إن الساكنين في هذه الخرب من أرض إسرائيل يتكلمون قائلين إن إبراهيم كان واحداً وقد ورث الأرض، ونحن

---

(١) حزقيال اصحاح ٢٠

(٢) حزقيال اصحاح٢٢.

(٣) حزقيال اصحاح ٢٣.

(٤) حزقيال اصحاح ٢٤ .

كثيرون ولنا أعطيت الأرض ميراثاً، لذلك قل لهم: يقول الرب تأكلون بالدم وترفعون أعينكم إلى أصنامكم، وتسفكون الدم، أفترثون الأرض؟ وقفتم على سيفكم فعلتم الرجس، وكل منكم نجس امرأة صاحبه، أفترثون الأرض.

(قل لهم إن الذين في الخرب يسقطون بالسيف، والذين هم على وجه الحقل أبذلهم للوحش مأكلاً، والذين في الحصون والمغاير يموتون بالوباء، فأجعل الأرض خربة...[1].

(قال لي الرب يا ابن آدم إن بيت إسرائيل لما سكنوا أرضهم، ونجسوها بطريقهم وأفعالهم، كانت طريقهم أمامي كنجاسة الطامث.. فسكبت غضبي عليهم لأجل الدم الذي سفكوه على الأرض. وبأصنامهم نجسوها، فبددتهم، في الأمم فتذروا في الأرض كطريقهم وكأفعالهم دِنْتُهُم[2].

سفر هوشع

وفي سفر هوشع نجد العبارات التالية عن حال بني إسرائيل ومستقبلهم في الأرض:

(قال الرب لهوشع اذهب وخذ لنفسك امرأة زنى، لأن الأرض قد زنت، وتركت الرب، فاتخذ هوشع امرأة زنى فولدت له ولداً فأمره الرب بأن يسميه (يزرعيل) وقال له: إنني بعد قليل أعاقب بيت يا هو على دم يزرعيل، وأبيد مملكة بيت إسرائيل، ويكون في ذلك اليوم أني أكسر قوس إسرائيل في وادي يزرعيل.[3]

اسمعوا قول الرب يا بني إسرائيل، إن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة لله في الأرض، لعن وكذب وقتل وسرقة.. قد هلك شعبي من عدم المعرفة...

---

(١) حزقيال اصحاح ٣٣.

(٢) حزقيال اصحاح ٦٣.

(٣) هوشع اصحاح ١

الزنى والخمر والسلافة تخلب القلب، شعبي يسأل خَشَبَهُ وعصاه تخبره لأن روح الزنى قد أضلهم فزنوا من تحت إلـههم، يذبحون على رؤوس الجبال،ويبخرون على التلال تحت البلوط واللبنى والبطم لأن ظلها حسن، لذلك تزني بناتكم، وتفسق كناتكم..

لا أعاقب بناتكم لأنهن يزنين، ولا كناتكم لأنهن يفسقن، لأنهم يعتزلون مع الزانيات، ويذبحون مع الناذرات الزنى، وشعب لا يعقل يُضرع...[1]

إلى فمك بالبوق. كالنسر على بيت الب. لأنهم قد تجاوزوا عهدي، وتعدوا على شريعتي. إليَّ يصرخون يا إلـهي نعرفك نحن إسرائيل. قد كره إسرائيل الصلاح فيتبعه العدو. هم أقاموا ملوكاً وليس مني، أقاموا رؤساء وأنا لم أعرفهم، صنعوا لأنفسهم من فضتهم ومن ذهبهم أصناماً لكي ينقرضوا. قد زنخ عجلك يا سامرة، حمي غضبي عليهم.[2]

جاءت أيام العقاب. جاءت أيام الجزاء سيعرف إسرائيل، النبي أحمق، إنسان الروح مجنون من كثرة إثمك وكثرة الحقد. افرايم منتظر عند إلـهي. النبي فخ صياد على جميع طرقه، حقد بيت إلـهه. قد توغلوا، فسدوا كأيام جبعة. سيذكر إثمهم. سيعاقب خطاياهم.

وجدت إسرائيل كعنب في البرية. رأيت آباءكم كباكورة على تينة في أولها، أما هم فجاؤوا إلى (بعل فغور) ونذروا أنفسهم للخزي، وصاروا رجساً كما أحبوا.

كل شرهم في الجلجال؛ إلى هناك أبغضتهم من أجل سوء افعالهم أطردهم من بيتي. لا أعود أحبهم جميع رؤسائهم متمردون. افرايم مضروب. اصلهم قد جف، لا يصنعون ثمراً. وإن ولدوا أميت نتاج

---

(١) هوشع اصحاح ٧.

(٢) هوشع ص ٨

بطونهم، يرفضهم إلهي لأنهم لم يسمعوا له فيكونون تائهين بين الأمم..[1].

سفر زكريا

إثم الأباء يلحق الأبناء ما لم يستنكره الأبناء ويكفوا عنه.

كلم الرب زكريا بن برخيا النبي قائلاً: قد غضب الرب على آبائكم فقل لهم هكذا قال رب الجنود: ارجعوا إلي فأرجع إليكم، لا تكونوا كآبائكم الذين ناداهم الأنبياء الأولون قائلين هكذا قال الرب ارجعوا عن طرقكم الشريرة، وعن أعمالكم الشريرة، فلم يسمعوا، ولم يصغوا إليَّ يقول رب الجنود، آباؤكم أين هم؟ والأنبياء هل أبدا يحيون؟ ولكن كلامي وفرائضي التي أوصيت بها عبيدي الأنبياء أفلم يدرك آباؤكم فرجعوا، وقالوا كما قصد رب الجنود أن يصنع بنا تصرفنا، وكأعمالنا كذلك فعل[2].

قال الرب لزكريا: اقضوا بالحق، واعملوا إحساناً ورحمة، كل إنسان مع أخيه، ولا تظلموا الأرملة ولا اليتيم، ولا الغريب ولا الفقير، ولا يفكر أحد شراً على أخيه في قلبكم، فأبوا أن يصغوا وأعطوا كتفاً معاندة، وثقَّلوا آذانهم عن السمع، بل جعلوا قلبهم ماساً لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذي أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين، فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود، فكان كما نادى هو فلم يسمعوا، كذلك، ينادون هم فلا أسمع، وأعصفهم إلى كل الأمم التي لم يعرفوها، فخربت الأرض وراءهم، لا ذاهب ولا آئب، فجعلوا الأرض البهجة خراباً [3].

---

(١) هوشع اصحاح ٩.

(٢) زكريا ١.

(٣) زكريا ٧.

سفر عزرا

.. ولما كملت التقدمات لله تقدم إليَّ الرؤساء قائلين لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الأرض حسب رجاستهم، من الكنعانيين والحثيين واليبوسيين والفرزين والعمونيين والمصريين والأموريين لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم، واختلط الزرع المقدس بشعوب الأرض، وكان يد الرؤساء والولاة في هذه الخيانة أولاً، فلما سمعت بهذا الأمر مزقت ثيابي وردائي، ونتفت شعر رأسي وذقني، وجلست متحيراً وقلت:

اللهم إني أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهي وجهي نحوك لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا، وآثامنا تعاظمت إلى السماء منذ أيام آبائنا، نحن في إثم عظيم إلى هذا اليوم. لأجل ذنوبنا قد دفعنا نحن وملوكاً وكهنتنا ليدملوك الأرض للسيف والسبي والنهب وخزي الوجوه كهذا اليوم...[١].

ونقتطف من سفر آرميا المقاطع التالية:

صارت إلي كلمة الرب: ماذا أنت راء؟ فقلت إني راء قدراً منفوخة، ووجهها من جهة الشمال. فقال الرب: من الشمال ينفخ الشر على سكان الأرض لأني هاأنذا داع كل عشائر الشمال فيأتون ويضعون كل واحد كرسيه في مدخل أبواب أورشليم، وعلى كل أسوارها وحواليها وعلى كل مدن يهودا. وأقيم دعاوى على كل شرهم لأنهم تركوني وبخروا لآلهة أُخرى، وسجدوا لأعمال أيديهم[٢] .

(اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب، وكل عشائر بيت إسرائيل هكذا قال الرب ماذا وجد فيَّ آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عني، وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً؟ ولم يقولوا أين هو الرب الذي أصعدنا من أرض

---

(١) عزرا ٩.

(٢) ارميا اصحاح ١.

مصر؟ الذي سار بنا في البرية في أرض قفر وحُفَر في أرض يبوسة وظل الموت، في أرض لم يعبرها رجل، ولم يسكنها إنسان، وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخبزها، فأتيتم ونجستم أرضي وجعلتم ميراثي رجساً. الكهنة لم يقولوا أين هو الرب. وأهل الشريعة لم يعرفوني، والرعاة عصوا علي، والأنبياء تنبأوا ببعل، وذهبوا وراء مالا ينفع.

لذلك أخاصمكم، يقول الرب، وبني بنيكم أخاصم فاعبروا جزائر كتيم،.. هل بدلت أمة آلهة وهي ليست آلهة؟ أما شعبي فقد بدل مجده بما لا ينفع. ابهتي أيتها السموات من هذا واقشعري، وتحيري جداً، يقول الرب، لأن شعبي عمل شرين: تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آباراً مشققة لا تضبط ماء.

أعبدٌ إسرائيل أو مولود البيت هو؟ لماذا صار غنيمة، زمجرت عليه الأشبال. أطلقت صوتها وجعلت أرضه خربة، مدن فلا ساكن، وبنو نوف وتحفنيس قد شجُّوا هامتك. أما صنعت هذا بنفسك؟ أو تركت الرب إلهك حينما كان مسيرك في الطريق. والآن مالكِ وطريق مصر لشرب مياه شيحور، ومالك وطريق آشور لشرب مياه النهر؟ يوبخك شرك، وعصيانك يؤدبك؟ فاعلمي وانظري إن تركك الرب إلهك شر ومر، وإن خشيتي ليست فيك يقول السيد رب الجنود.. لأنه منذ القديم كسرت نيرك وقطعت قيودك، وقلت لا أتعبد، لأنك على كل أكمة عالية، وتحت كل شجرة خضراء أنت اضطجعت زانية، وأنا قد غرستك كرمة سُورق زرع حق كلها.

فكيف تقولين لم أتنجس، وراء بعليم لم اذهب. انظري طريقك في الوادي. اعرفي ما عملت يا ناقة ضبعة في طُرُقِها، يا أتان الفراء قد تعودت البرية في شهوة نفسها تستنشق الريح[1] .

(وقال الرب لي: هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل؟ انطلقت

---

(١) ارامیا اصحاح ٢.

إلى كل جبل عال، وعلى كل شجرة خضراء وزنت هناك. فقلت بعد ما فعلت كل هذا ارجعي إليَّ فلم ترجع، فرأت أختها الخائنة يهودا، فرأيت أنه لأجل كل الأسباب إذ زنت العاصية إسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها لم تخف الخائنة يهودا أختها بل مضت، وزنت هي أيضاً. كان من هوان زناها أنه نجست الأرض، وزنت مع الحجر ومع الشجر. وفي كل هذا لم ترجع إليَّ أختها الخائنة يهودا بكل قلبها بل بالكذب يقول الرب. قال الرب لي قد برَّرت نفسها العاصية إسرائيل أكثر من الخائنة يهودا.. حقاً إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يا بيت اسرائيل يقول الرب[1]

(قال الرب لرجال يهودا ولاورشليم احرثوا لأنفسكم حرثاً، ولا تزرعوا في الأشواك. اختتنوا للرب وانزعوا غرل قلوبكم يا رجال يهودا، وسكان أورشليم، لئلا يخرج كنار غيظي فيحرق وليس من يطفئ، بسبب شر أعمالكم.. نادوا بصوت عال، وقولوا اجتمعوا فلندخل المدن الحصينة، ارفعوا الراية نحو صهيون، احتموا. لا تقفوا لأني آتي بشر من الشمال وكسر عزم. قد صعد الأسد من غابته وزحف مهلك الأمم. خرج من مكانه ليجعل أرضك خراباً، تخرب مدنك فلا ساكن.

في ذلك الزمان يقال لهذا الشعب ولأورشليم ريح لافحة من الهضاب في البرية، نحو بيت شعبي، لا للتذرية ولا للتنقية، ريح أشد تأتي لي من هذه. الآن أنا أيضاً أحاكمكم.

هو ذا السحاب يصعد، وكزوبعة مركباته، أسرع من النسور خيله، ويل لنا لأننا قد أُخربنا. اغسلي من الشر قلبك يا أورشلم لكي تخلصي. إلى متى تبيت في وسطك افكارك الباطلة... المحاصرون آتون من أرض

---

(١) ارميا إص ح ٣

بعيدة فيطلقون على يهودا صوتهم، وكحارسي حقل صاروا عليها حواليها لأنها تمردت عليَّ يقول الرب طريقك وأعمالك صنعت هذه لك، هذا شرُّك. فإنه مرّ فإنه قد بلغ قلبك[1]

(كيف أصفح لك عن هذه؟ بنوك تركوني وحلفوا بما ليست آلهة، ولما أشبعتهم زنوا، وفي بيت زانية تزاحموا، صاروا حصناً معلوفة سائبة، صهلوا كل واحد وراء امرأة صاحبه. أما أعاقب على هذا يقول الرب أو ما تنتقم نفسي من أمة كهذه؟

اصعدوا على أسوارها وأخربوا، ولكن لا تفنوها، انزعوا أفنانها لأنها ليست للرب، لأنه خيانة خانني بيت إسرائيل، وبيت يهودا يقول الرب. جحدوا الرب، وقالوا ليس هو لا يأتي علينا شر، ولا نرى سيفاً ولا جوعاً. والأنبياء يصيرون ريحاً والكلمة ليست فيهم هكذا يُصنع بهم لذلك هكذا قال الرب إله الجنود من أجل أنكم تتكلمون بهذه الكلمة ها أنذا جاعل كلامي في فمك ناراً، وهذا الشعب حطباً فتأكلهم، هاأنذا أجلب عليهم أمة من بعيد يا بيت إسرائيل .. أمة قوية، أمة منذ القديم. أمة لا تعرف لسانها، ولا تفهم ما تتكلم به.. جعبتهم كقبر مفتوح، كلهم جبابرة فيأكلون حصادك وخبزك الذي يأكله بنوك وبناتك، يأكلون غنمك وبقرك... يهلكون بالسيف مدنك الحصينة التي أنت متكل عليها.

ويكون حين تقولون لماذا صنع الرب إلهنا بنا كل هذه، تقول لهم كما تركتموني وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم، كذلك تعبدون الغرباء في أرض ليست لكم. أخبروا بهذا في بيت يعقوب، وأسمعوا به في يهودا قائلين: اسمع يا أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم، الذين لهم أعين ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون إياي لا تخشون يقول الرب، أولا ترتعدون من وجهي أنا الذي وضعت الرمل تخوماً للبحر.. وصار لهذا الشعب قلب

---

(١) راميا اصحاح ٤.

عاص ومتمرد، عصوا ومضوا ولم يقولوا بقلوبهم لنخف الرب إلهنا..
آثامكم عكست هذه، وخطاياكم منعت الخير عنكم، لأنه وجد في شعبي أشرار يرصدون كمنحن من القانصين ينصبون أشراكاً، يمسكون الناس... أيضاً تجاوزوا في أمور الشر، لم يقضوا في دعوى اليتيم، وبحق المساكين لم يقضوا... أفلأجل هذه لا أعاقب يقول الرب؟ أولا تنتقم نفسي من أمة كهذه..؟
صار في الأرض قشعريرة ودهش، الأنبياء يتنبأون بالكذب، والكهنة تحكم على أيديهم، وشعبي هكذا أحب، وماذا تعملون في آخرتها؟[١].
اقطعوا أشجاراً، أقيموا حول أورشليم مترسة، هي المدينة المعاقبة كلها ظلم في وسطها كما تنبع العين مياهها تنبع هي شرها، ظلم وخطف يسمع.. تأدبي أورشليم لئلا أجعلك خراباً، أرضاً غير مسكونة.. الخ.
هكذا قال الرب شعب قادم من الشمال وأمة عظيمة تقوم من أقاصي الأرض تمسك القوس والرمح، هي قاسية لا ترحم، صوتها كالبحر يعج، وعلى خيل تركب، مصطفة كإنسان لمحاربتك يا ابنة صهيون لا تخرجوا إلى الحقل، وفي الطريق لا تمشوا لأن سيف العدو خوف من كل جبهة[٢]
... ها أنكم متكلون على كلام الكذب الذي لا ينفع، أتسرقون وتقتلون، وتزنون وتحلفون كذباً وتبخرون للبعل، وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها، ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت الذي دعي باسمي عليه، وتقولون قد أنقذنا حتى تعملوا كل هذه الرجاسات...؟
والآن من أجل عملكم هذه الأعمال يقول الرب، وقد كلمتكم مبكراً، ومكلماً فلم تسمعوا، ودعوتكم فلم تجيبوا، أصنع بالبيت الذي دعي باسمي عليه الذي أنتم متكلون عليه وبالموضع الذي أعطيتكم وآباءكم إياه كما صنعت بشيلو، وأطرحكم من أمامي كما طرحت كل

(١) ارماميا اصحاح ٥

(٢) ارميا اصحاح ٦

أخوتكم، كل نسل أفرايم، وأنت فلا تصل من أجل هذا الشعب، ولا ترفع من أجلهم دعاء ولا صلاة، ولا تلح عليَّ لأني لا أسمعك... أما ترى ماذا يعملون في مدن يهودا، وفي شوارع أورشليم، الأبناء يلتقطون حطباً، والآباء يوقدون النار والنساء تعجن العجين ليصنعن منه كعكاً لملكة السموات، ولسكب سكائب لآلهة أخرى لكي يغيظوني، أفاياي يغيظون؟ يقول الرب؟ أليس أنفسكم لأجل خزي وجوههم لذلك هكذا قال السيد الرب هاغضبي وغيظي ينسكبان على هذا الموضع، على الناس وعلى البهائم، وعلى شجر الحقل وعلى ثمر الأرض فيتقدان ولا ينطفئان[1] .

قال الرب على جميع جيراني الأشرار الذين يلمسون الميراث الذي أورثته لشعبي إسرائيل، ها أنذا اقتلعهم من أرضهم وأقتلع بيت يهودا من وسطهم، ويكون بعد اقتلاعي إياهم أني أرجع فارحمهم وأردهم كل واحد إلى ميراثه، وكل واحد إلى أرضه، ويكون إذا تعلموا علماً طرق شعبي أن يحلفوا باسمي حي هو الرب، كما علموا شعبي أن يحلفوا ببعلٍ أنهم يبنون في وسط شعبي، وإن لم يسمعوا فإني اقتلع تلك الأمة اقتلاعاً، وأبيدها يقول الرب[2] .

وحين تخبر الشعب بكل هذه الأمور إنهم يقولون لك لماذا تكلم الرب علينا بكل هذا الشر العظيم فما هو ذنبنا؟ وما هي خطيتنا التي أخطأناها إلى الرب إلهنا. تقول لهم من أجل أن آباءكم قد تركوني وذهبوا وراء آلهة أخرى، وعبدوها وسجدوا لها، وإياي تركوا وشريعتي لم يحفظوها. وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم. وها أنتم كل واحد ذاهب وراء عناد قلبه الشرير حتى لا تسمعوا لي. فأطردكم من هذه الأرض إلى أرض لم تعرفوها أنتم

---

(١) ارميا اصحاح ٧.

(٢) ارميا اصحاح ١٢.

ولا آباؤكم فتعبدون هناك آلهة أُخرى نهاراً وليلاً حيث لا أُعطيكم نعمة..

ها أنذا أرسل إلى حراقين كثيرين فيصطادونهم، ثم بعد ذلك أرسل إلى كثيرين من القانصين فيقتنصونهم على كل جبل، وعلى كل أكمة ومن شقوق الصخور لأن عيني على كل طرقهم لم تستتر عن وجهي، ولم يخف أثمهم من أمام عيني، وأعاقب أولاً إثمهم وخطيتهم ضعفين لأنهم دنسوا أرضي، وبجثث مكرهاتهم ورجاساتهم قد ملأوا ميراثي..[1].

... لأن الأرض امتلأت من الفاسقين لأنه من أجل اللعن ناحت الأرض، جفت مراعي البرية، وصار سعيهم للشر، وجبروتهم للباطل، لأن الأنبياء والكهنة تنجسوا جميعاً، بل في بيتي وجدت شرهم يقول الرب، لذلك يكون طريقهم لهم كمزالق في ظلام دامس، فيطردون ويسقطون فيها لأني أجلب عليهم شراً سنة عقابهم، وقد رأيت في أنبياء السامرة حماقة تنبأوا بالبعل، وأضلوا شعبي إسرائيل.

وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه يفسقون ويسلكون بالكذب، ويشددون أيادي فاعلي الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره، صاروا كلهم كسدوم، وسكانها كعمورة، لذلك قال رب الجنود عن الأنبياء ها أنذا أطعمهم افسنتينا وأسقيهم ماء العلقم لأنه من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق في كل الأرض.. وإذا سألك هذا الشعب أو نبيٌّ كاهن قائلا ما وحي الرب؟ فقل لهم: أي وحي؟ إني أرفضكم هو قول الرب، فالنبي والكاهن والشعب الذي يقول وحي الرب أعاقب ذلك الرجل وبيته.. أما وحي الرب فلا تذكروه بعد لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كلام الإله الحي[2].

---

(١) ارميا اصحاح ١٦.

(٢) ارميا اصحاح ٢٣.

سفر دانيال

... لك يا سيد البرُّ أما لنا فخزي الوجوه كما هو اليوم لرجال يهودا، ولسكان أُورشليم، ولَكل إسرائيل القريبين والبعيدين في كل الأراضي التي طردتهم إليها من أجل خيانتهم التي خانوك بها إياها، يا سيد خزى الوجوه لملوكنا ولرؤسائنا ولآبائنا، أخطأنا إليك. للرب إلـهنا المراحم والمغفرة لأننا تمردنا عليه، وما سمعنا صوت الرب لنسلك في شرائعه التي جعل أمامنا عن يد عبيده الأنبياء وكل إسرائيل قد تعدى على شريعتك، وحادوا لئلا يسمعوا صوتك فسكبت علينا اللعنة والحلف المكتوب في شريعة موسى، عبد الله، لأننا أخطأنا إليه وقد أقام كلماته التي تكلم بها علينا وعلى قضاتنا الذين قضوا علينا ليجلب علينا شراً عظيماً، ما لم يجر تحت السماوات كلها، كما أجرى على أورشليم. كما كتب علينا في شريعة موسى قد جاء علينا كل هذا الشر ولم نتضرع إلى وجه الرب إلـهنا لنرجع من آثامنا، ونفطن بحقك، فسهر الرب على الشر، وجلبه علينا لأن الرب إلـهنا بار في كل أعماله إذ لم نسمع صوته...

يا سيد حسب كل رحمتك اصرف سخطك وغضبك عن مدينتك أُورشليم جبل قدسك، إذا لخطايانا ولآثام آبائنا صارت أُورشليم وشعبك عاراً عند جميع الذين حولنا...

وقال لي جبرائيل: يا دانيال إني خرجت الآن لأعلمك الفهم، في ابتداء تضرعاتك خرج الأمر وأنا جئت لأخبرك لأنك محبوب فتأمل الكلام، وافهم الرؤيا. سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك، وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية، ولتتميم الخطايا والكفارة والإثـم.. وخِرَبٌ قضي بها، ويثبت عهداً مع كثيرين في أسبوع واحد في وسط الأسبوع..

وبعد اثنين وستين أسبوعاً يقطع المسيح وليس له. وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخِرَبٌ قضي بها. وجئت لأفهمك ما يصيب شعبك في الأيام الأخيرة لأن الرؤيا إلى أيام بعد...[1].

---

(١) سفر دانيال ٩.

اصحوا أيها السكارى، وابكوا وولولوا يا جميع شاربي الخمر على العصير لأنه انقطع عن أفواهكم. إذ صعدت على أرضي أمة قوية بلا عدد، أسنانها أسنان الأسد، ولها أضراس اللبوة، جعلت كرمتي خربة، وتينتي متهشمة..[1].

اضربوا بالبوق في صهيون، وصوتوا في جبل قدسي، ليرتعد جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم لأنه قريب. يوم ظلام وقتام، يوم غيم وضباب، مثل الفجر ممتداً على الجبال. شعب كثير وقوي لم يكن نظيره منذ الأزل، ولا يكون أيضاً بعده إلى سني دور فدور، قدامه نار تأكل، وخلفه لهيب يحرق، الأرض قدامه كجنة عدنٍ، وخلفه قفر خرب، ولا تكون منه نجاة، كمنظر الخيل منظره، ومثل الأفراس يركضون، كصريف المركبات على رؤوس الجبال يثبون، كزفير لهيب نار تأكل قشاً كقوم أقوياء مصطفين للقتال. منه ترتعد الشعوب، كل الوجوه تجمع حمره، يجرون كأبطال، يصعدون السور كرجال الحرب، ويمشون كل واحد في طريقه ولا يغيرون سبيلهم، ولا يزاحم بعضهم بعضاً، يمشون كل واحد في سبيله، وبين الأسلحة يقعون ولا ينكسرون، يتراكضون في المدينة، يجرون على السور يقصدون إلى البيوت، يدخلون من الكوى كاللصوص، قدامه ترتعد الأرض، وترجف السماء، الشمس والقمر يظلمان، والنجوم تحجز لمعانها، والرب يعطي صوته أمام جيشه إن عسكره كثير جداً.

فإن صانع قوله قوى لأن يوم الرب عظيم ومخوف جداً فمن يطيقه؟

ولكن الرب يقول الرب، ارجعوا إلي بكل قلوبكم، وبالصوم وبالبكاء والنوح، ومزقوا قلوبكم لاثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف رحيم. بطيء الغضب، وكثير الرأفة، ويندم على الشر لعله يرجع ويندم فيبقى وراءه بَرَكة تقدمه، وسكيباً للرب إلهكم[2].

---

(١) يوئيل اصحاح ١.

(٢) سفر يوئيل اصحاح ٢.

سفر حبقوق

انظروا بين الأمم، وأبصروا وتحيروا حيرة لأني عامل عملاً في أيامكم لا تصدقون به أن أخبر به. فها أنذا مقيم الكلدانيين الأمة المرة الفاحمة السالكة في رحاب الأرض لتملك مساكن ليست لها. هي هائلة ومخوفة. من قبل نفسها يخرج حكمها وجلالها، وخيلها أسرع من النمور، وأحدُّ من ذئاب المساء، وفرسانها ينتشرون وفرسانها يأتون من بعيد ويطيرون كالنسر المسرع إلى الأكل يأتون كلهم للظلم. منظر وجوههم إلى قدام. ويجمعون سبياً كالرمل. وهي تسخر من الملوك،والرؤساء ضحكة لها. وتضحك على كل حصن، وتكوم التراب وتأخذه. ثم تتعدى روحها فتعبر وتأثم. هذه قوتها إلـهها.[1]

ماذا نفع التمثال المنحوت حتى نحته صانعه، أو المسبوك ومعلم الكذب حتى أن الصانع صنعه يتكل عليه فيصنع أوثاناً بُكْماً. ويل للقائل للعود استيقظ، وللحجر الأصم انتبه. أهو يعلم. ها هو مطلي بالذهب والفضة ولا روح البتة في داخله، أما الرب ففي هيكل قدسه، فاسكتي قدامه يا كل الأرض.

سفر صفنيا

ويل للمتمردة المنجسة المدينة الجائرة، لم تسمع الصوت، لم تقبل التأديب، لم تتكل على الرب، لم تتقرب إلى إلـهها، رؤساؤها في وسطها أسود زائرة، قضاتها ذئاب مساء لا يبقون شيئاً إلى الصباح، وأنبياؤها متفاخرون، أهل غدرات، كهنتها نجسوا القدس، خالفوا الشريعة. الرب عادل في وسطها لا يفعل ظلماً. غداة غداة يبرز حكمه إلى النور لا يتعذر. أما الظالم فلا يعرف الخزي، قطعت أمماً، خربت شرفاتهم، أقفرت اسواقهم بلا عابر، دمرت مدنهم بلا إنسان، بغير ساكن فقلت إنك لتخشينني، تقبلين التأديب فلا ينقطع مسكنها حسب كل ما عنيته عليها.

---

(١) سفر حبقوق اصحاح ١.

لكن بكروا وأفسدوا جميع أعمالهم.. لذلك فانتظروني يقول الرب إلى يوم أقوم إلى السلب لأن حكمي هو بجمع الأمم، وحشر الممالك لأصب عليهم سخطي، كل حمو غضبي، لأنه بنار غيرتي تؤكل كل الأرض، لأنني حينئذ أحول الشعوب إلى شفة نقية ليدعوا كلهم باسم الرب، ليعبدوه بكتف واحد[1] .

سفر حجي

.. فأجاب حجي وقال هكذا هذا الشعب وهكذا هذه الأُمة قدامي يقول الرب، وهكذا كل عمل أيديهم، وما يقربونه هناك هو نجس، والآن فاجعلوا قلبكم من هذا اليوم فراجعا قبل وضع حجر على حجر في هيكل الرب..[2] .

سفر ملاخي

من أيام آبائكم حدتم عن فرائضي ولم تحفظوها، ارجعوا إليّ أرجع إليكم، قال رب الجنود. فقلتم بماذا نرجع؟ أيسلب الإنسانُ اللهَ؟ فإنكم سلبتموني. فقلتم بما سلبناك؟ في العشور والتقدمة قد لُعِنتم لعناً، وإياي أنتم سالبون هذه الأمة كلها... أقوالكم اشتدت عليَّ قال الرب. وقلتم ماذا قلنا عليك؟ قلتم عبادة الله باطلة، وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره، وأننا سلكنا بالحزن قدام رب الجنود؟[3] .

سفر نحميا

لقد أفسدنا أمامك، ولم نحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أمرت بها موسى عبدك، اذكر الكلام الذي أمرت به موسى عبدك قائلاً: إن خنتم فإني أمزقكم في الشعوب، وإن رجعتم إليَّ وحفظتم وصاياي،

---

(١) سفر صفنيا اصحاح ٣.

(٢) سفر حجي اصحاح ٢.

(٣) سفر ملاخي اصحاح ٣.

وعملتموها إن كان المنفيون منكم في أقصاء السماوات من هناك أجمعهم، وآتي بهم إلى المكان الذي اخترت لإسكان اسمي فيه. [1]

وقلت لهم إنكم تأخذون الربا كل واحد منكم من أخيه.[2] .

أخبار الأيام الثاني

الأبناء يعاقبون بفعل الآباء

وأمر الملك - أناساً يعددهم النص - قائلاً: اذهبوا اسألوا الرب من أجلي، ومن أجل من بقي من إسرائيل ويهودا عن كلام السفر الذي وجد لأنه عظيم غضب الرب الذي انسكب علينا من أجل أن آباءنا لم يحفظوا كلام الرب ليعملوا حسب كل ما هو مكتوب في هذا السفر (سفر العهد الموجود في بيت الرب)[3] .

سفر الأنبياء الثاني

وعمل الملك ياهوياكين الشر في عيني الرب فأتي به ملك بابل مع آنية بيت الرب الثمينة وملك صدقيا أخاه على يهودا وأورشليم.

وعمل صدقيا الشر في عيني الرب إلهه، ولم يتواضع أمام إرميا النبي من فم الرب، وتمرد أيضاً على الملك نبوخذ نصر الذي حلفه بالله، وصلّب عنقه، وقوى قلبه عن الرجوع إلى الرب إله إسرائيل حتى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في أورشليم، فأرسل الرب إله آبائهم إليهم عن يد رسله مبكراً ومرسلاً لأنه شفق على شعبه وعلى مسكنه، فكانوا يهزؤون برسل الله، ورذلوا كلامه واستهانوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء، فاصعد عليهم ملك الكلدانين فقتل مختاريهم

---

(١) نحميا، ص ح ١

(٢) سفر ملاخي اصحاح ٢

(٣) أخبار الأيام اصحاح ٣٤.

ثانياً: مستقبل بني إسرائيل في الأرض كما بينه القرآن

إن مستقبل الأمم والأقوام ومصيرها، ومسيرة حياتها.. كل ذلك غيب من غيب الله تعالى لا يعرفه أحد، ولا يمكن أن يتنبأ به أحد إلا إذا كان الله قد أراد أن يطلع بعض رسله وأنبيائه، والصالحين من عباده، على شيء مما أراده وقضاه.

والشعب الوحيد الذي كشف الله للخلائق مستقبله ومصيره ومسيرة حياته في الأرض هو الشعب اليهودي (بنو إسرائيل)، فالتوراة مليئة بنبوءات أنبياء بني إسرائيل عما سيقع لهذا الشعب من أحداث، وما سيتعرض له من نكبات ومصائب من قتل وأسر وتشريد في الأرض وإذلال.. وقد تحقق الكثير من هذه النبوءات، وسيتحقق ما بقي منها حتى اليوم دون تحقيق.

أما القرآن فقد كان أكثر وضوحاً وشمولاً في موضوع مستقبل اليهود، وما سيلاقونه، ومستقبل علاقتهم مع من حولهم من الأمم والأقوام، ومع العرب والمسلمين بصورة خاصة.

فبعد أن أورد القرآن الكريم آيات كثيرة حول كفر بني إسرائيل بالله، وبرسالاته إلى رسله وأنبيائه الكرام، الذين بعثهم الله إليهم ليردوهم إلى جادة الإيمان والهدى، وبعد أن قص كثيراً من قصص مخالفاتهم، واعتداءاتهم على محارم الله، ذكر في غير موضع منه أنه فرض عليهم العقوبات الكثيرة المتنوعة لعلهم يرشدون ويهتدون ويقلعون عما هم عليه مما يغضب الله، ويخرجهم عن حدود الإيمان الحق.

لقد كانت الآيات القرآنية كثيرة: منها ما يدعوهم إلى الإيمان بالله وبملائكته وكتبه، ويحثهم على الإيمان برسالات الرسل والأنبياء الذين

سيأتون بعد موسى – ومنهم عيسى بن مريم ومحمد بن عبد الله صلوات الله عليهم جميعاً – وجاءت صفات عيسى ومحمد في كتبهم، وعلى ألسنة أنبيائهم بشكل لا يدع مجالاً للبس ولا لتأويل، فجحدوا بذلك وأنكروه، وقالوا إنهم لم يؤمروا بغير الإيمان برسولهم موسى، وبالشريعة التي أنزلت عليه، أما ما عدا ذلك فإنهم لا يؤمنون بشيء منه.

وقد كشف القرآن، كما كشفت كتب بني إسرائيل، وما جاء على ألسنة أنبيائهم، ما قام به بنو إسرائيل من كفر بالله ورسالاته، وعبادة للأصنام والأوثان، وقتل لأنبياء الله، وقتل للصالحين من قومهم الذين كانوا يأمرونهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر، ويطالبونهم بالتمسك بقوة بشريعة الله، وبالاستقامة على الإيمان، ووبخهم القرآن توبيخاً شديداً على فعلهم هذا، لأن قتل الأنبياء والصالحين، وقتل الأبرياء عموماً يتنافى مع صفة الإيمان المخلص الحق.

ولما اشتد كيد اليهود في الجزيرة العربية لمحمد وللمسلمين، وللدعوة الإسلامية، وطال الجدل، كشف الله تعالى لرسوله الكريم عن بعض صفات هذا الشعب المشاكس المعاند، المولع بالانحراف عن جادة الصواب، وبالإفساد في الأرض، وذلك ليعزيه عما يلاقيه منهم، وليوئسه من الطمع في دخولهم الإسلام، ومن الإيمان برسالته.

وكان مما اطلع الله تعالى عليه رسوله الأمين محمداً هو طبيعة العلاقات العدائية التي ستكون قائمة دائماً وأبداً بين هذا الشعب الجاحد بأنعم الله، وبين المؤمنين برسالة محمد، كما اطلعه على ما سيلاقيه اليهود من أمم الأرض من قتل وتشريد وإذلال لا ينتهي أبد الدهر، وقد توصل بعض كبار الفقهاء المسلمين المعاصرين، وهم يفسرون القرآن على ضوء الوقائع والمعطيات المعاصرة، إلى استخلاص الأمور التالية:

أولاً: إن اليهود سيبقون مشتتين أبد الدهر في أصقاع الأرض، لا تقوم لهم فيها دولة، ولا تجمعهم جامعة واحدة، إلا في بعض الفترات القصيرة التي يأذن الله لهم فيها بشيء من الاجتماع ليختبر ما صار إليه إيمانهم،

وليرى إن كانوا بدلوا شيئاً من طباعهم ونفوسهم وأخلاقهم، بعد أن عانوا من التشرد الطويل الذي ابتلاهم الله به، والله تعالى يعلم بعلمه الأزلي أنهم لن يبدلوا شيئاً مما جبلوا عليه، ولكنه يريد اختبارهم وابتلاءهم ليقيم الحجة عليهم فلا تكون لهم حجة على الله يوم القيامة.

ثانياً: إن الله تعالى يعلم بعلمه الأزلي أن بني إسرائيل لا يمكن أن يجتمعوا في أرض حتى يبدؤوا بممارسة ما لقنوه من أسلافهم من وجوب إيذاء الناس – جميع الناس ممن عداهم–وإيذاء الناس في نظرهم هو واجب تفرضه عليهم شريعتهم.

وشرع الله ودينه بريئان من هذه الأقوال والاعتقادات المنافية لفكرة الإيمان الحق.

ثالثاً: ومما كشفه الله تعالى لرسوله الكريم هو مستقبل العلاقات بين المسلمين واليهود، وما سيكون بين الأمتين من عداء وقتال لا ينتهي إلا بإقدام المسلمين على القضاء على اليهود قضاءً تاماً في كل مكان يجاورنهم فيه من الأرض.

ومما جاء في القرآن عن صفات بني إسرائيل ومستقبل علاقاتهم مع من حولهم:

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ الأعراف١٦٨

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ الأعراف ١٦٠

﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ الإسراء١٠٣

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ الإسراء ١٠٤

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ البقرة ٦١

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ آل عمران ١١٢

بعض ما جاء في القرآن عن طبيعة بني إسرائيل المشاكسة الجاحدة للنعم والفضل:

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ النساء ١٥٣

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ النساء ١٥٤

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ النساء ١٦٠

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء ١٦١

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المائدة ٧٨

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ المائدة ١٣

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء ١٥٥

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ النساء ١٥٦

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ البقرة ٧٤

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الأعراف ١٦٧

أما عن علاقة اليهود بالعرب والمسلمين فقد جاءت آيات منها:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ آل عمران ١٢

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ آل عمران ١٣

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ آل عمران ١١١

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ الممتحنة ١٣

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾...

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ سورة الأحزاب الآيات ٢٥و٢٦و٢٧

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ الحشر ٢

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ الحشر ٣

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر ٤

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ الفتح ٢٢

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ الفتح ٢٣

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ المائدة ٤١

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ الإسراء ٤

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ الإسراء ٥

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ الإسراء ٦

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ الإسراء ٧

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ الإسراء ٨

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة ٧٥

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة ٧٩

وقال محمد رسول الله ﷺ مبيناً ما سيكون بين المسلمين واليهود من الوقائع العظيمة:

" لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود (رواه الإمام مسلم في صحيحه).

ومن هذه النصوص تبين لنا أمور منها:

أولاً: إن بني إسرائيل (اليهود) فطروا على الكفر بالله، وتكذيب الرسل

والأنبياء، وعلى صلابة العنق وحب الإيذاء حتى وصل إيذاؤهم إلى رسل الله وأنبيائه والصالحين من عباده، قتلوا الكثيرين منهم لأنهم دعوهم إلى الإقلاع عما هم عليه من الكفر والمعاصي والإيذاء، وحثوهم على الثبات على جادة الهدى والصلاح وفعل الخير، كما فطروا على حب الإيذاء للآخرين وعلى الفساد في المسلك، و حب الإفساد في الأرض كلما أتيحت لهم الفرصة للقيام بهذا الإفساد.

ثانياً: ويتضح من النصوص أنه ستكون عداوة أبدية، وكره متبادل بين اليهود وبين جميع بني البشر لا ينقضي أبد الدهر.

ثالثاً: ويبين من النصوص أيضاً أنهم سيفسدون في الأرض إفساداً كبيراً، وسيحاولون الإساءة إلى من حولهم في المجتمعات التي يعيشون فيها، وأن هذه المجتمعات ستضيق ذرعاً بهم وبفسادهم وإفسادهم، وستقابل إيذاءهم وتصرفاتهم بعقوبة قاسية تضطرهم إلى الاستكانة والخضوع بذلة ما عاشوا، وحتى تقوم الساعة ويرجع الخلق إلى الله تعالى يوم القيامة.

رابعاً: ويبين من النصوص أن الله تعالى سيرفع عن بني إسرائيل الذلة المضروبة عليهم لبعض الوقت في فترات قصيرة، ليختبرهم، ويبلو تصرفاتهم وإيمانهم، ولكنهم سيعودون إلى ما كانوا عليه من الفساد والإفساد، فيعود من حولهم إلى الانتقام منهم، ومباشرة إذلالهم وإرهاقهم بمر العذاب.

خامساً: أما االمسكنة التي ضربها الله تعالى عليهم- والمسكنة هي فقر النفس وشحها - فإنها لن تفارقهم أبداً، وسيبقون دائماً في هذا الفقر النفسي، والشح الملازم لها، حتى ولو رفع الله عنهم الذلة لبعض الوقت، وأصبح لهم سيادة وكيان سياسي، وأصبح لهم سلطان في بقعة ما من بقاع الأرض فالمسكنة لن تفارقهم أبداً.

ومن ينظر إلى هذا الشعب خلال تاريخه الطويل يجده متكالباً على جمع المال، حريصاً على تحصيله بجميع الوسائل، لا يهمه إن كانت هذه الوسائل شريفة أو غير شريفة، مشروعة أو غير مشرعة، كما نجده ضيق

النفس بمن حوله من خلق الله، يضمر لهم الكراهية والبغضاء والحسد والحقد، ويعمل على غرس الكراهية وحب الإيذاء في نفوس أبنائه منذ نعومة أظافرهم، حتى أننا رأينا في هذه الدراسة كيف أنهم كانوا يحضرون أطفالهم وصبيانهم عمليات ذبح الأبرياء من أطفال وشيوخ ورجال دين لاستصفاء دمائهم لخلط هذه الدماء بخبز الفطير الذي يصنعونه في بعض أعيادهم، وذلك ليألف الصبية مثل هذه القسوة اللامتناهية، وليشبوا وفي نفوسهم كره متأصل للمسيحيين خاصة، ولبني البشر عامة. ويحث رجال الدين الصبية والشبان على الأكل من هذا الخبز المعجون بدماء الأبرياء، ليعتادوا كره الناس والحقد عليهم، وليستسهلوا شرب دماء الناس، ونهب أموالهم وهتك أعراضهم فلا يشعرون بعد ذلك شيئاً من ألم النفس، ومن الندامة على ما يعملون من منكر وقسوة.

سادساً: ويبين من النصوص أيضاً أن الله غضب على بني إسرائيل ولعنهم وطردهم من رحمته لأنهم كفروا بآيات الله، وما أنزل الله، وتنكروا لشرع الله. ووصل بهم كفرهم وجحودهم حد قتل الأنبياء والصالحين من عباده الذين كانوا يحرصون على إبلاغهم دعوة الله ورسالته ليرتدعوا عن كفرهم وغيهم وفسادهم.

سابعاً: ويبين من النصوص أن الله جعل حلول غضبه بهم مطلقاً، ولم يذكر تعالى أنه سيرفعه عنهم، لأنه تعالى علم بعلمه الأزلي أنهم لن يعودوا إلى الهدى والصواب، ولن يقلعوا عن كفرهم بآيات الله، ولن يكفوا عن الإيذاء لخلق الله.

ثامناً: أن الله تعالى قضى بأنه سيسلط عليهم من الأمم والأقوام في كل دهر وعصر، وفي كل بقعة من بقاع الأرض، وحتى تقوم الساعة، من ينزل بهم أسوأ العذاب وأقساه عقاباً لهم على جفوة طباعهم، وقسوة قلوبهم، وكرههم لبني البشر، ولحوكهم المؤامرات والمكائد للسيطرة على المجتمعات التي يعيشون فيها، ولنكرانهم الجميل الذي تقابلهم به المجتمعات الانسانية حينما يفدون إليها خائفين ملهوفين طالبين الأمن

والسلامة.

ولقد رأينا البلاء ينزل بهم منذ فجر تاريخهم، وحتى يومنا هذا لا يمر وقت إلا والاضطهاد منصب عليهم لا يخلو من ذلك وقت من الأوقات:

لقد عانوا الكثير من القبط، ثم جاءوا أرض فلسطين فقابلتهم شعوبها بالحروب الطويلة، وغلبوهم المرة بعد المرة، وأخضعوهم لسلطانهم، ثم جاء الآشوريون والكلدانيون ثم الرومان وكلٍ واحدة من هذه الأمم تدخل بيت المقدس، وتهدم معالم حضارته انتقاماً من اليهود، ثم تسبيهم وتحملهم إلى أرض بعيدة، وتبعثرهم في أرجاء الأرض الواسعة، بعد أن يقتلوا منهم ألوفاً، ويسترقوا ألوفاً لا تحصى عدداً.

ثم تآمر اليهود مع الفرس على الرومان في أوائل عهد الإسلام، وساعدوهم على احتلال القدس، وقاموا بذبح المسيحيين من أهلها بقسوة بالغة، فرد الرومان على طغيان اليهود هذا، وخيانتهم، وتنكرهم لمبادئ الإيمان بمساعدة الكفرة الوثنيين على أهل الإيمان في ذلك الزمان، بعد أن انتصر الروم على الفرس بعد بضع سنين، فأوقعوا باليهود، وعاقبوهم عقاباً أليماً.

- ولاقى اليهود في أوروبا وبصورة خاصة في أسبانيا وفرنسا قبل الإسلام عذاباً وأهوالاً، وقد حل بهم كل ذلك بسبب كرههم لمن حولهم، ولمحاولتهم السيطرة على المجتمعات الإنسانية التي يعيشون فيها، فكانت المجتمعات تنقلب عليهم ، وتعاقبهم على شرورهم وآثامهم.

ولم يكن حالهم في أوروبا أيام الحروب الصليبية بأحسن من حالهم قبلاً.. وقد لحق بهم بلاء كبير في جميع العصور، وهو مستمر بهم حتى يومنا هذا.

وهذا كله تصديق لقوله تعالى بأنه قضى بأنه سيسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة. ووعد الله حق، ووعيده حق، ولا يخلف الله وعده أبداً.

وقد أشار الله تعالى في قرآنه إلى حادثتين كبيرتين متميزتين تقعان في تاريخ اليهود بسبب فسادهم وطغيانهم على أمة بعينها، فتنتقم تلك الأمة من اليهود بعد أن تقهرهم، ثم يرد الله تعالى الكرة لليهود على هذه الأمة، وذلك ليس لأن اليهود يكونون قد اصلحوا أنفسهم، وعادوا بالتوبة والخشوع إلى ربهم وشرعهم، ولكن لأن تلك الأمة تكون قد ابتعدت عن شرع الله، وضعف في نفوس أبنائها الوازع الديني، فقصروا فيما أمرهم به ربهم من صدق الإيمان، وتوسيد الأمور إلى الأكفياء الصالحين فيها، ووحدة الصف والوقوف في وجه المتجاوزين على حرمات الله وشريعته، ويقصرون في التسابق إلى الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الله.

وقد جاء في التوراة تصديق لهذا الذي نقوله في الإصحاح ٩ من سفر تثنية الاشتراع:

"ولأجل إثم هذه الشعوب يطردهم الرب من أمامك، وليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك، ولكي يفي لكم بالقسم الذي أقسم الرب عليه لآبائك ابراهيم وإسحاق ويعقوب. فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة فتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة".

ولكن متى تقع هذه الأحداث؟ ومن هذه الأمة التي سيسلطها الله على اليهود لتنتقم منهم، وتدمر فوقهم بيوتهم ومعاقلهم؟...

لقد ذهبت أقوال المفسرين المسلمين الأولين مذاهب شتى في الإجابة على هذه الأسئلة، فمنهم من قال إنهم الآشوريون، ومنهم من قال إنهم الآشوريون أو الكلدانيون في المرة الأولى والروم في المرة الثانية، فقد هدم الروم بقيادة تيطوس (عام ٧٠ للميلاد) بيت المقدس، وخربوا معابد اليهود، ولكن جميع هذه الأقوال لا تتفق مع صراحة الآيات، ومدلولات معاني الكلمات القرآنية، وأحاديث رسول الله ﷺ.

وقد توصل أستاذنا الجليل الشيخ محمد متولي الشعراوي إلى تفسير

حديث للآيات الواردة في سورة الإسراء، وخلص من ذلك إلى القول بأن الأمة التي عناها الله تعالى في الآيات الواردة في سورة الإسراء هي أمة الإسلام، أما الأزمنة التي وقعت وستقع فيها الأحداث فهي محددة كما يلي:

١- لقد سلط الله تعالى محمداً والمسلمين على اليهود في المرة الأولى فأخرجوهم من ديارهم في أرض الجزيرة العربية، بعد أن أكثر اليهود فيها الفساد، وأسرفوا في معاداة محمد ودينه. وتآمروا على قتل الرسول أكثر من مرة، وألبوا العرب وحثوهم على قتال محمد وصحبه المسلمين، واستئصال شأفتهم قبل أن يستفحل أمرهم، وكانت غزوة الأحزاب بمسعى وبمبادرة من اليهود، وأمدوا كفار قريش بوسائل الدس والتشكيك في صدق رسالة محمد، وبذلوا جهدهم في التحريف والتزييف ليؤثروا على ضعاف النفوس من المسلمين، وليصرفوا الآخرين عن الدخول في الإسلام.

وبعد ذلك دخل المسلمون بيت المقدس فاتحين في عهد عمر بن الخطاب، ولم يكن بيت المقدس في أيدي اليهود، ولم يكن لليهود فيه سلطان ولا نفوذ. ولم يتعرض المسلمون إلى شيء فيه بالتخريب والسلب والإحراق والسبي، ولذلك لم يشر الله تعالى في الآيات إلى أن العباد الذين سيسلطهم الله على اليهود سيدمرون في بيت المقدس في المرة الأولى التي يدخلونه فيها، ولم يقل إنهم سيدخلونه عنوة على اليهود.

٢- وفي المرة الثانية يبتعد المسلمون - الذين سلطهم الله على اليهود في المرة السابقة - عن دينهم وشريعتهم، ويقع بينهم الانقسام والتنافس والاقتتال على السلطة والرياسات، ويبددون أموالهم في غير طاعة الله، فيفشلون، وتضعف دولتهم وتذهب ريحهم، ويمد الله اليهود في هذه المرحلة بالقوة والمال، ويجعلهم أكثر عدداً وأكثر أموالاً، ويمدهم بعون أجنبي (إلا بحبل من الله وحبل من الناس)، وهو اليوم عون العالم الغربي فينتقمون من المسلمين ومن العرب، وينكلون بهم. ويقدر الله ذلك ليعلم

إن كان اليهود قد بدلوا شيئاً من طباعهم وأخلاقهم، وقسوة قلوبهم، وهو يعلم أنهم لن يبدلوا شيئاً ولن يقلعوا عما ألفوه خلال تاريخهم الطويل من كفر وفساد وإفساد في الأرض.

ويستمر تفوق اليهود على العرب والمسلمين بعض الوقت، حتى يعود العرب والمسلمون إلى دينهم، ويطبقوا منهج ربهم وشرعه في حياتهم، وهذا الدور هو الدور الذي نحن فيه. ومن لاحظ ما حدث ويحدث يجد بجلاء واضح أن اليهود هم المتغلبون المتفوقون على المسلمين، وهم الذين يملون شروطهم وإرادتهم عليهم، بعد أن كان اليهود إلى ما قبل خمسين سنة شراذم مشتتين في أصقاع الأرض، يكرههم الناس، ويشعرون نحوهم بالضيق والاحتقار، ولكن تفرق المسلمين، وتناحرهم واقتتالهم وتبديد قواهم وأموالهم في معصية الله يسر لأعدائهم - ومنهم اليهود -سبيل قهرهم، والتفوق عليهم، فغلبوهم على أرض فلسطين، وبعض ما حول فلسطين، ثم طردوهم من أرضهم، وصالوا عليهم وجالوا متطاولين والعرب والمسلمون نيام أو شبه نيام، وهم لا يزدادون إلا إمعاناً في التمزق والاقتتال والتنافس والتدابر، مع أن الله تعالى أمرهم بالاجتماع، وباتحاد الكلمة، وبالدفاع عن كلمة الله لتكون هي العليا، ووعد من يتمسك منهم بمنهج الله النصر والغلبة في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ الصافات ١٧٣، فجند الله المتمسك بشرعه، الذي يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا لا يمكن أن يهزم أبداً.

وهذه الغلبة لليهود على المسلمين ستبقى قائمة ما دام المسلمون بعيدين عن منهج الله، تاركين لشريعته، نائمين عن الخطر المدمر الذي يتهددهم.

وسيسيء اليهود الغلبة، وسيباشرون الإفساد في الأرض، وسيباشرون نشر الظلم والفساد في كل مكان حلوا فيه أو وصلت إليه أيدهم حتى لا تبقى في نفس مخلوق من البشر، في أرض الله الواسعة، رحمة بهم، أو شفقة عليهم. ونحن نراهم اليوم يعودون إلى سيرتهم الأولى فيقتلون الأبرياء من النساء والأطفال والعجزة والشيوخ والأسرى والمسالمين، ويبقرون بطون

الحوامل ويستخرجون الأجنة ليقتلوها أمام أعين الأمهات.

وقد فعلوا ذلك في قبية ودير ياسين وفعلوه في مخيمات اللاجئين في صبرا وشاتيلا في لبنان أبان حرب ١٩٨٢م، وسيفعلونه كل يوم وسيفعلون أكثر منه مرات ومرات، حتى يستيقظ العرب والمسلمون، ويكفوا عن التناحر والاقتتال.

وقد دمر اليهود الاقتصاد في الأراضي العربية المحتلة، وخربوا ما يستطيعون تخريبه مما يفيد السكان من بيوت ومتاجر ومخازن ومرافق حيوية ومعاشية، وهم يباشرون تخريب بيوت العبادة من جوامع وكنائس في سياسة تهجيرية تهدف إلى إفراغ الأرض من سكانها، وجعل حياتهم صعبة مستعصية ليملكوها خالية، وليأتوا بيهود من بلاد العالم يسكنونهم فيها.

٣- ولاشك في أن جميع هذه التصرفات الهمجية، والحملات التدميرية، ستفتح عيون المؤمنين فيعودون إلى ربهم وشرعهم، ويستسهلون الموت في سبيل دينهم وكراماتهم وأعراضهم، ويباشرون قتال اليهود، فينصرهم الله عليهم مرة أخرى، كما سبق أن نصرهم عليهم في زمن رسول الله وأصحابه الكرام البررة، وحينئذ تقع الواقعة التي أشارت إليها آيات الله في قرآنه، ويدخل المسلمون بيت لمقدس - بعد أن يكونوا قد دمروا قوى اليهود في كل مكان من أرض فلسطين - ويدمرون على اليهود بيوتهم ومساكنهم ومتاجرهم، ويذيقون اليهود بأس المسلمين المخلصين، وهو بأس شديد إذا نزل بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

ويصف رسول الله ﷺ بعض ما سيقع في ذلك اليوم الشديد الهول والشؤم على اليهود، من العنف البالغ، والقسوة المتناهية، وليس مثل هذا العنف من طبيعة المسلمين ولا من شيمهم، ولم يكن يوماً من أسلوب تعاملهم مع الأمم المغلوبة، وقد خبر اليهود بأنفسهم رحمة المسلمين وإنسانيتهم، ولكن اليهود يفرضونه على المسلمين فرضاً لطول ما يسرفون في التطاول والإفساد والاعتداء والإيذاء فيقول رسول الله ﷺ: إن المسلمين

سيباشرون حرب إبادة جماعية ضد اليهود حتى لا يجد اليهودي ملجأ ولا معتصماً يلجأ إليه ويعتصم به لينقذ نفسه من العقاب الأليم الذي نزل بجماعته إلا الاختباء وراء الأشجار والأحجار، فينطق الله الحجر والشجر فينادي المؤمنين أن يا عباد الله هذا يهودي مختبئ خلفي تعالوا فاقتلوه، فيفعلون. وبذلك تكتمل إبادة اليهود في ارض فلسطين، وتنهار دولتهم، وينهار ما بنوه وعمروه.

ويقوم هذا التفسير الحديث للآيات المتعلقة بمرات إفساد اليهود في الأرض على المقولات التالية:

أولاً: قال تعالى إن بني إسرائيل سيفسدون في الأرض مرتين، وسيعلون علواً كبيراً فيها، أي أنهم ستكون لهم سيادة وزعامة وسلطان في الأرض - ولم يقل تعالى إن ذلك سيكون في ارض فلسطين أو غيرها من بقاع الأرض، وإنما جاء التعبير مطلقاً - وقد أفسدوا في جزيرة العرب وفي يثرب بصورة خاصة حيث كان لهم مركز متميز وسلطان أيام بعثة الرسول محمد ﷺ أشد الإفساد، وهاهم يعودون إلى الإفساد في أرض فلسطين إفساداً كبيراً يثير اشمئزاز أهل الأرض قاطبة من مسلمين ومسيحيين ووثنيين وحتى من يهود ما زالت في نفوسهم بقية من الإيمان.

ثانياً: قال تعالى إنه سيبعث على اليهود عباداً له، أي أناساً مؤمنين بالله وبرسالاته وأنبيائه، وليس في الأرض كلها أمة تؤمن إيماناً خالصاً بجميع ما أنزل الله على رسله بعيداً عن الشرك بالله وشرائعه مثل إيمان المسلمين.

ولم تكن في الأرض أمة أشد بأساً من المسلمين الذين قهروا جميع شعوب الأرض التي لقوها في ساحة الحرب وداسوا أرضها، وظهروا عليها، ودام سلطانهم في الأرض مادام الإيمان يعمر قلوبهم، ويسدد خطاهم في مسيرتهم، وهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، ويطبقون شرع الله في الأرض، ويقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله، لا تلهيهم الدنيا وزخارفها ومباهجها، ولا يحملهم شيء على الابتعاد عن

هدفهم الأسمى.

ثم إنه لم تكن بين الأمم السالفة التي قهرت اليهود في سالف الأزمان من كان يجوز نعته بالإيمان، وبالعبودية لله تعالى، فقد قال الله تعالى "عباداً لنا" ولم يقل "عبيداً لنا" وقد سمى الله المؤمنين في القرآن (بعباد الله) و (بعباد الرحمن)، وقال عنهم (ياعبادي اتقون)، أما غير المؤمنين من بني البشر فهم عبيد الله لأنهم من خلقه، ولا ينطبق عليهم تعبير (عباداً لنا)، فالآشوريون كفرة وثنيون لا يدينون بدين سماوي. ولا يؤمنون بوجود إله واحد خلق كل شيء في الوجود، وليس كمثله شئ، وقد كان للآشوريين آلهة متعددون من الأصنام والأوثان، لذلك فلا يمكن أن يقال إنهم من عباد الله، لذلك فلا يمكن أن يكونوا هم العباد الذين سيسلطهم على اليهود.

وكذلك كان حال الكلدانيين. أما الرومان فقد كانوا حينما قهروا اليهود عام ٧٠ للميلاد، وشتتوهم في الأرض، وهدموا معابدهم في القدس.. من عبدة الأوثان والأصنام، ولم تكن المسيحية قد أصبحت ديناً لهم.

وكذلك كان حال المصريين والأقوام الأخرى التي كانت تعيش في أرض فلسطين وكانت لهم جولات من الحروب مع اليهود، وتمكنت من قهرهم واستعبادهم آماداً طويلة، كما جاء في كتب بني إسرائيل أنفسهم.

ثالثاً: في الآيات القرآنية صراحة كافية على أن الأمة المؤمنة التي سيسلطها الله على اليهود في المرة الأخيرة هي نفسها التي سبق لها أن قهرت اليهود في المرة الأولى فهي ستعود فتقهر اليهود مرة أخرى وتسوء وجههم وتدخل بيت المقدس متبرة ومدمرة كل شيء تصل أيديها إليه مما يملكه اليهود.

وليس بين الأمم السالفة التي قهرت اليهود في سالف الأزمان أمة واحدة باقية إلى اليوم لتعود لتقهر اليهود مرة أخرى، فالآشوريون والكلدانيون والروم والمصريون القبط والأقوام التي كانت في أرض

فلسطين كلهم بادوا وانقرضوا ولم تبق لهم بقية متميزة، وما بقي من أنسالهم اندمج في الأمم الأخرى، ولم يعد يصح أن يسموا بما كانت عليه تسميتهم في سالف الأزمان.

وليس هناك غير العرب كعنصر، وغير المسلمين كأمة ودين من تصح تسميتهم اليوم باسمهم السالف، فالعرب كانوا قبل الإسلام أمة كثيرة العدد وما زالت حتى يومنا هذا قائمة بأنسابها وتراثها وحضارتها وعشائرها، وتقاليدها. والمسلمون كأمة وكدين ما زالوا إلى اليوم محافظين على دينهم المنزل من عند الله كما جاء من عند الله بوضوحه ومفاهيمه وقيمه وأوامره ونواهيه، وشرع الله ما زال جلياً واضحاً ثابتاً في نصوصه، لم يدخله تخليط، ولم يطرأ على نصوصه ومعانيه شيء من التبديل والتحريف، وإن أهمل بعض المسلمين اليوم الأخذ بمجموعه، فإن النصوص قائمة لا جدال فيها، ولا يتنازع المسلمون اليوم حول شيء من صحتها وحقيقة مفهومها.

ثم إن الأمم التي قهرت اليهود في سالف الأزمان ثم بادت، لم يدل الله لليهود عليهم، ولم يغلبهم اليهود، ولم يقهروهم.

ولهذا كله نستطيع القول بصحة ما توصل إليه التفسير الحديث للآيات القرآنية الموضحة بالحديث النبوي الشريف إلى أن الأمة التي سلطها الله على اليهود في الماضي هي نفسها التي سيسلطها عليهم في الآتي للانتقام منهم، ولعقابهم على فسادهم وانحرافهم، ولإفسادهم في الأرض، هي أمة الإسلام.

ولكن ذلك لا يمكن أن يقع إلا إذا توافرت شروط لذلك، ومن هذه الشروط:

- أن يعود المسلمون إلى الأخذ بمنهج الله والتمسك بدينه وشرعه، ليصح أن يقال عنهم إنهم من (عباد الله)، وليصح أن يكونوا جند الله الذين يقاتلون لاعلاء كلمته في الأرض، ونشر راية دينه الحق، وعودة المسلمين إلى دينهم عودة حقيقية يقتضي القضاء على الفساد والإفساد،

والعودة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعودة إلى وحدة الكلمة وجمع الصف المسلم، وغرس الإيمان في القلوب لتندفع إلى ميدان الحرب طواعية وبرضا، بعد أن تكون هذه النفوس قد تزودت بالمعرفة والعلم والسلاح والقوة التي يستطيعون أن يقهروا بها اليهود ومن يواليهم، وحينئذ يندفع المؤمنون متسابقين إلى الشهادة في سبيل الله كما كان يفعل أسلافهم قبلاً. وحينئذ يغلب جند الله، ولا يكون له غالب في الأرض كلها.

-يجب أن تجتمع أعداد كبيرة من اليهود في أرض فلسطين، وهذا الاجتماع يجعلهم أكثر فساداً وإفساداً وتطاولاً على من حولهم، وأكثر قسوة في معاملة من تحت أيديهم من غير اليهود، وأكثر كفراً واغتراراً بالحياة الدنيا، وأكثر اعتقاداً بأنهم على حق في مسلكهم الذميم.

- إن دولة اليهود في أرض فلسطين لا يمكن إلا أن تكون عارضة وموقوتة الأجل لأن الله تعالى قضى - وقضاؤه حتم لا يرد ولا يعارض - بأنه سيبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، فإذا طال عمر دولتهم كان ذلك متعارضاً مع قضاء الله، ومبطلاً له، والله تعالى لا يقول إلا الحق ووعده لابد من أن ينفذ.

- ثم إنه يبين مما تقدم أن الأمر بيد العرب والمسلمين إن كانوا يريدون التخلص من المهانة التي يفرضها عليهم وجود إسرائيل على أرضهم، واستطالة إسرائيل عليهم كل يوم، تضرب هنا وتضرب هناك، وتهدد بالمحق والسحق من يتصدى لها وتدمر المقدسات، وتدنس أماكن العبادات، والأمر كله مرتبط بالإرادة والإخلاص في العمل.

الفصل السادس

ما أدخله كهنة بني إسرائيل من تحريف في موضوعي الوعد بسكنى الأرض المقدسة وتفضيل الله إياهم على شعوب العالم

هذا الفصل بالذات يستدعي منا وقفة مطولة، وعناية خاصة، لأنه ذو أهمية بالغة في الصراع الدائر بين العرب واليهود وقد يكون موضوعه في مقدمة الأسباب التي حملتنا على القيام بهذه الدراسة، إذ أن ما يدعيه بنو إسرائيل من أن الله تعالى وعدهم دون غيرهم من بني البشر في التوراة بسكنى الأرض المقدسة (أرض فلسطين)، وأنه أعطاها ملكاً خالصاً أبدياً ليعقوب وأنساله، كان من الدوافع التي حدت بالعالم الغربي إلى اتخاذ مواقف عدائية من العرب في قضية فلسطين، بحجة أنهم يؤمنون بصدق ما جاء في كتب بني إسرائيل، وبما أن هذه الكتب قد جاء فيها وعد من الله بأن تكون الأرض المقدسة ملكاً خالصاً لليهود، فلا بد من أن يصدق وعد الله، وتكون مقاومة ما قضى به الله كفراً صراحاً، وخروجاً عن حدود الإيمان.

وقد وقعت جهات كنيسة مسيحية كثيرة – عن علم أو عن جهل – في حبائل الدعاية الصهيونية، وأخذت بظاهر النصوص دون تمحيص ولا تدقيق فيها، واندفعت بعواطفها الساذجة تردد ما تقوله الدعايات الصهيونية في موضوع حتمية عودة اليهود إلى الأرض المقدسة قبل أن ينتهي عمر الدنيا، وقبل أن تقوم الساعة، كما جاء في بعض كتب بني إسرائيل.

حتى إن الفاتكيان نفسه وقع في حبائل هذه الدعاية، ففي شهر حزيران (يونيو) من عام ١٩٨٥ صدر عن الفاتيكان تصريح يلفت نظر العالم

المسيحي إلى ما جاء في الكتاب المقدس (ويعني ذلك التوراة) من وعدالله لليهود بإقامة حكم لهم في أرض فلسطين وجاء في هذا التصريح أن على المؤمنين أن يعتقدوا بوجوب تحقيق ما وعدالله به اليهود.

وواضح أن هذا التصريح يتضمن حثاً للعالم المسيحي على وجوب دعم اليهود وتقديم العون لهم في مسعاهم لتحقيق حلمهم الباطل ضد العرب من مسلمين ومسيحيين، ومؤازرتهم لترسيخ حكمهم في أرض فلسطين؛ والحجة المبررة لتقديم الدعم لليهود هي أن المسيحيين يكونون بذلك قد تصرفوا وفق مشيئة الله وإرادته، أما إذا تقاعسوا عن تقديم العون لليهود فإنهم يكونون قد أثموا، لأنهم خالفوا أمر الله، وعاندوه وقاوموا تحقيقه.

ونحن لا نستغرب مثل هذا القول يصدر عن جهات دينية مسيحية في الغرب في التحريض والحث على عون اليهود على العرب، لأن الكثيرين في الغرب ما زالوا مقيمين على اعتقادهم القديم المتوارث عبر أجيال كثيرة، وهو أن العدو الأول للغرب المسيحي هم العرب والمسلمون، وكل شيء يأتي به العرب والمسلمون - حتى ولو كان خيراً كله وصلاحاً للإنسانية جمعاء - فهو مرفوض من قبل هؤلاء.

ولن نكثر من ضرب الأمثلة على صدق ما نقول، وإنما سنكتفي بالإشارة إلى موقفهم من قضية محاولة تطبيق حكم الشريعة الإسلامية في السودان، فهذا الموقف وحده يغنينا عن سوق الأمثلة على تصرفاتهم قديماً وحديثاً في هذا الباب.

لقد كان موقف هؤلاء من هذه القضية موقفاً فاضحاً حقاً لا يمكن تبريره إطلاقاً فبعد أن فقدت حكومة جعفر النميري في السودان جميع مقومات الصلاح للحكم، وبعد أن أغرقت البلاد في الفوضى والقلاقل والفتن والاضطرابات، وبعد أن أفقرت البلاد نتيجة لسياستها السقيمة العقيمة، وللفساد المستشري، وجدت نفسها على حافة الهاوية، فأرادت التعلق بآخر خيط للنجاة تسترد به شيئاً من ثقة الجماهير الشعبية، وكان ذلك الشيء هو الإعلان عن عزمها على تطبيق حكم الشريعة الإسلامية

في جمهورية السودان وهو ما كان من الواجب تطبيقه منذ أمد بعيد لا بعد الإفلاس واليأس من النجاة.

فسارعت السلطات الكنسية المسيحية على اختلاف مشاربها، وطوائفها، إلى شن حملة من التشهير على الحكومة السودانية، وعلى الشريعة الإسلامية، وقامت بتنظيم الاحتجاجات، وبذلت المساعي المحمومة لدفع الحكومات المسيحية في العالم للتعاون فيما بينها لاجبار حكومة السودان على الرجوع عن قرارها.

ولو أن مقاومة تطبيق حكم الشريعة الإسلامية في بلد غالبية سكانه من المسلمين جاءت من جهات علمانية إسلامية أو مسيحية تقول بأن القوانين العصرية في العالم أقرب إلى مفهوم الناس في هذا العصر من الشرائع الدينية، لفهمنا ذلك، ولما وجدنا فيه شيئاً غريباً، لأن العلمانيين، والجهات المدنية، دأبت على المطالبة بأبعاد الدين عن مجالات الحياة العامة في أي بلد من بلاد العالم.

أما أن تتولى ذلك جهات دينية مسيحية تدعي أنها إنما تعمل على خدمة الدين، وترسيخ قواعده في الأرض كما نزل على أنبياء الله ورسله الكرام، وتطبيق أحكام الشرائع السماوية في جميع أقطار الأرض، فذلك ما لا نستطيع فهمه ولا نجد له تعليلاً إلا في أحد أمرين:

١- إما أنهم جهلوا الإسلام وما تنطوي عليه دعوته، وجهلوا حكم الشريعة الإسلامية بالتالي فظنوها شيئاً غريباً عن الشرائع السماوية يتعارض مع ما أنزل الله على موسى وعيسى والنبيين بينهما، فأسرعوا إلى الإعلان عن مقاومة تطبيقها مع أنهم وهم يتحدثون عن الديمقراطية، ويتباكون عليها ليل نهار، ويطالبون بإلحاح وإصرار بتطبيقها نصاً وروحاً، لا يجهلون أن من أوائل ما تقوله الديمقراطية هو نزول الأقلية على حكم الأكثرية فيما تشرعه وتقرره.

٢- وإما أنهم عرفوا الإسلام على حقيقته، وعرفوا دعوته الصافية إلى

التوحيد، والى الإيمان بالله وحده بدون شريك أو ندٍّ أو مماثل فخافوا أن يتذكر رعاياهم ما للإسلام من الفضائل وأن يدفعهم ذلك إلى دراسة مبادئه، والتعرف على حقيقته، وقد يؤدي بهم ذلك إلى التحول إليه، لاسيما وأنهم يشهدون في العصر الحديث إقبالاً على الدخول في الإسلام في أوساط المثقفين والأدمغة المفكرة في الغرب.

ونحن نريد أن نسأل هؤلاء المعارضين لتطبيق شريعة الله ومبادئها، في بلد ما عن الأسباب التي تدفعهم إلى هذه المعارضة، وهل هم ضد تطبيق أحكام شرعهم الذي هو شريعة موسى كما جاءت في التوراة، في بلد مسيحي أو غير مسيحي؟

فإذا كانوا لا يوافقون على تطبيق شرعهم في بلد ما فهم مخطئون بعيدون عن الإيمان الحق، لأن الله فرض في التوراة وجوب تطبيق أحكامها بقوة وصلابة، ودون محاباة أو مسايرة على الجميع دون استثناء، وعدَّ الله تعالى عدم تطبيق شرعه تطبيقاً كاملاً أو تطبيقه تطبيقاً جزئياً يعطل أحكامه، خروجاً عن طاعة الله، وبعداً عن الإيمان الحق ولابد وأن يكون هذا الحكم بالذات قد ورد على لسان السيد المسيح أيضاً لأن الله قد عاد وفرض هذا الحكم بالذات في القرآن فقال، "ومن يحكم بغير ما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون".

أما إذا كانوا يوافقون على تطبيق شرعهم في بلد مسيحي، ولكنهم يعارضون تطبيق حكم الشريعة الإسلامية فهم مخطئون لأن الشريعة الإسلامية هي شرع الله أيضاً، وهي لا تخرج في خطوطها الكبرى عن شريعة التوراة كما نزلت على موسى عليه السلام، لأنهما كلتاهما صدرتا عن المنبع الأسمى، والمؤمن الحق من واجبه أن يعمل على إقامة شرع الله في كل مكان من الأرض، وأن يجاهد في سبيل ذلك، سواء كان البلد مسلماً في أكثرية مواطنيه، أو كان مسيحياً، فإقامة شرع الله في الأرض هدف من الأهداف الكبرى لأهل الإيمان.

والإسلام جاء ليحيى شرائع الله المنزلة على أهل الملل السابقة، وليكمل

أحكامها، والنصارى يؤمنون بأن شريعة موسى هي شريعتهم في أحكامها العامة ، وأن على المؤمنين منهم أن يأخذوا بها أخذاً كاملاً ليكمل إيمانهم.

من المبادئ الكبرى التي جاءت بها شريعة موسى مما يمس الحياة العامة:

جاءت شريعة موسى بتحريم السرقة، وباسترقاق السارق مدى الحياة.

وجاءت شريعة موسى بقتل من يقتل نفساً إنسانية متعمداً قتلها بغير حق موجب.

وجاءت شريعة موسى تحدد العقوبات في حالات أخرى غير حالة القتل:

(السن بالسن والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والجراح قصاص)..

وشريعة موسى تحرم أكل أموال الناس بالباطل: القمار والرشوة والسرقة والاختلاس والغش والخداع... الخ.

وشريعة موسى تأمر بإيفاء المكيال والميزان حقهما، وتحرم بخس الناس أشياءهم.

وشريعة موسى جاءت بوجوب إقامة العدل بين الناس جميعاً بدون تمييز ولا محاباة.

وشريعة موسى جاءت بوجوب أداء الشهادة بالحق على النفس وعلى الأقربين وعلى غيرهم إحقاقاً للحق، وصيانة لسلامة المجتمع.

وشريعة موسى جاءت بوجوب قول الصدق والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة وعمل الخير مع الناس جميعاً.

وشريعة موسى جاءت بتحريم التعامل بالربا..

وهذه هي الأحكام نفسها في الشريعة الإسلامية فيما عدا السرقة فالشريعة الإسلامية خففت حكم التوراة القاضي باسترقاق السارق مدى الحياة، واكتفت بقطع يده، وجعلت باب التوبة مفتوحاً له، دائماً ليظهر

ندمه على ما فرط منه، بينما تفرض عليه شريعة التوراة الحكم بالاسترقاق أبداً.

لقد كان كفار قريش يسألون اليهود عن رأيهم في دين محمد، ويقولون لهم هل الكفار من قريش وما هم عليه من عبادة للأصنام ووأد للبنات، وكفر بالله، وإشراك وشرب خمر... الخ خير أم محمد وما يدعو إليه من توحيد الله وصلة الأرحام، وكفر بالأصنام والأوثان، وإقامة العدل، ومساواة الناس جميعاً لا فرق بين غني وفقير وأبيض وأسود .. وقول الحق والصدق، وتحريم الكذب والإيذاء.. الخ. فكان أحبار اليهود يقولون لكفار قريش بل إن قريشاً وما هي عليه من كفر وجهالة وعبادة للأصنام.. أهدي وأرشد طريقاً من محمد ودعوته.

وقد وبخهم الله توبيخاً شديداً في القرآن على هذا القول المتعارض مع فكرة الإيمان التي توجب على المؤمن الحق قول الحق في جميع الظروف والمواقف والأحوال؛ فالحق واحد بذاته ونفسه، ولا يختلف من شخص إلى آخر باختلاف الأهواء. وواضح أن الذين نراهم يحاربون إقامة شرع الله في الأرض تحت راية الإسلام إنما يفعلون ذلك لأنهم يكرهون الإسلام، مع أن المؤمن لا يهمه من الذي يطبق شرع الله بنصه وروحه استجابة لأمر الله، وإنما يهمه تحقيق تطبيقه كائناً من كان الذي يطبقه. وحاكم غير مؤمن يقيم شرع الله في الأرض خير من حاكم يدعي الإيمان ثم يعطل إقامة هذا الشرع بين الناس.

لقد تخلى اليهود منذ وقت بعيد عن الأخذ بشريعة موسى، وعطلوا تطبيق أحكامها وبدلوا فيها، وحرفوا في نصوصها، وهو شيء أصبح ثابتاً ومعروفاً، وقد أشرنا إليه أكثر من مرة في سياق هذا البحث، كما أشارت إليه كتبهم مرات ومرات.

وجاء السيد المسيح عليه السلام، وجاء قبله أنبياء كرام من بني إسرائيل، ليعيدوا لشرع الله صفاءه ونقاوته، وليحثوا رجال الدين والعامة من اليهود على الإقلاع عن الكفر، وعن ارتكاب المنكرات والمخالفات

لشرع الله، فقوبلوا من اليهود والأحبار بالمقاومة فقتلوا بعضهم، وتآمروا على الآخرين.

وفي مثل هذه الحال فقد كان من واجب رجال الدين المسيحيين أن يقوموا هم بالعمل على العودة إلى تطبيق شريعة الله، لا أن يكونوا هم الساعين في تعطيلها.

ومن الأخذ بشريعة الله سن القوانين المتفقة مع ما جاء في الشريعة عن معاقبة الجرائم وانتهاك محارم الله، فقد جاء رسولهم عيسى عليه السلام ليقوم اعوجاج اليهود، وليعيدهم إلى شرع الله بعد أن ابتعدوا عنه، وعطلوا أحكامه، فما بالهم يحاربون هم تطبيق الشريعة الإسلامية ولم يأت محمد إلا بما جاء به موسى وعيسى والنبيون عليهم جميعاً صلوات الله؟

إن بحث الوعد بسكنى الأرض المقدسة، والتفضيل على خلق الله، لا بد فيه من بحث عدد من الموضوعات، والإجابة على عدد من الأسئلة التي يطرحها الإنسان على نفسه، وبدون ذلك يكون البحث قاصراً لا مقنع فيه، ولا شفاء غلة.

ومن هذه الموضوعات والأسئلة التي يمكن أن تثار وتطرح في هذا الباب:

١ - مسألة قرب بني البشر من الله تعالى، وحدود هذا القرب ومقوماته.

٢ - مسألة تفضيل بني إسرائيل على غيرهم، وأسباب هذا التفضيل ومقومات بقائه.

٣ - هل كان تفضيل بني إسرائيل لعنصرهم أو لدينهم..؟ أم انه كان للصالحين والمؤمنين؟...

٤ - وأخيراً: هل كان وعد الله بسكنى الأرض المقدسة، واعطائها ملكاً أبدياً خاصاً باليهود حصراً أم إنه كان وعداً لإبراهيم وأنساله من المؤمنين الصالحين دون الكفرة الفاسقين الخارجين عن طاعة الله.

أولاً. مسألة القرب من الله وحدود هذا القرب ومقوماته:

جاء في القرآن الكريم: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (الآية ١٢٥ من سورة النساء؛ والخليل الصاحب وليس النسيب أو القريب).

وجاء في التوراة: إن الله تعالى قال لموسى: قل لفرعون: (إن إسرائيل هو ابني البكر) ويقول اليهود استناداً إلى ما جاء في بعض كتبهم إنهم شعب الله المختار.

وجاء في القرآن أن اليهود كانوا يقولون في زمن رسول الله محمد صلوات الله عليه إنهم أبناء الله وأحباؤه ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (سورة المائدة الآية ١٨)...

وجاء فيه أيضاً: إنهم قالوا : ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (سورة البقرة الآية ٨٠)...

وقد ورد قولهم هذا في معرض عيب المسلمين على اليهود أكلهم أموال الناس بالباطل، وارتكابهم الموبقات خلافاً لما يأمرهم به شرعهم المنزل عليهم من عند الله تعالى.

وقالوا مرة أخرى إن الله يحبهم، وإنه لن يؤاخذهم إلا برفق ومودة كما يؤاخذ الرجل أبناءه، وإنهم لن يعذبوا في نار جهنم ـ مهما كبرت جرائمهم وموبقاتهم في الدنيا ـ إلا سبعة أيام، يوماً واحداً عن كل ألف سنة من عمر الدنيا الذي حددوه بسبعة آلاف سنة.

وقد رد الله تعالى عليهم مكذباً وموبخاً، وآمراً رسوله بأن يقول لهم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران ٣١).

ومن مجمل هذه الأقوال يتبين لنا أن اليهود يعتقدون أن لهم كرامة وزلفى عند الله تعالى أكثر مما لغيرهم من بني البشر، نظراً لأنهم من أحفاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب.. ويعقوب هو حبيب الله.

وهنا لابد لنا من التساؤل هل يعتقد اليهود حقاً أن لهم قرابة نسب ودم بالله تعالى؟ إننا لا نعتقد ذلك لأنهم قالوا عن (عزير) إنه ابن الله، فإذا

كانوا هم أبناء الله كما يقولون لما احتاج الأمر لأن يخصوا عزيراً وحده بهذه الكرامة، كرامة الانتساب بالبنوة إلى الله دون غيره من بني إسرائيل.

ولهذا فإننا نعتقد أن القرابة التي يدعي بنو إسرائيل وجودها بينهم وبين الله هي نوع من التكريم والتفضيل على غيرهم، لأنهم من أحفاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب. ولكن اليهود يعترفون من جهة أخرى في كتبهم الدينية أن الله لعنهم أكثر من مرة وطردهم من رحمته، وسلط عليهم أعداءهم يذيقونهم سوء العذاب، بعد أن كان أنذرهم على لسان أنبيائهم المرة تلو المرة بوجوب الإقلاع عن الكفر والعناد والإفساد في الأرض، وأمرهم بالعودة إليه تائبين منيبين مخلصين له الدين. وهم لا ينكرون أن لعنة الله ما زالت قائمة عليهم حتى يومنا هذا، وأن هذه اللعنة لا تزول إلا حيناً يصبح لهم السلطان في الأرض كلها بصورة مطلقة، فيذل لهم الآخرون من بني البشر، ويخضعون لسلطانهم.

ونحن إذا عدنا إلى الكتب السماوية ـ القرآن والتوراة ـ نجد أن النصوص قاطعة في اعتبار بني البشر عبيداً لله، وخلقاً من خلقه، لا يتفاضلون فيما بينهم بغير صدق الإيمان بالله، وبالعمل الصالح الصادر عن النفس الطاهرة المخلصة المؤمنة في سبيل الخير، كل الخير، نحو الإنسان نفسه، ونحو أهله وذويه، ونحو خلق الله جميعاً لا فرق في ذلك بين قريب مؤمن أو بعيد كافر، لأن الناس كلهم عيال الله وخلقه، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات الآية ١٣).

أما القربى من أنبياء الله ورسله الكرام، وأهل طاعته، فإنها لا تنفع الإنسان شيئاً، أما ما ينفعه فهو إيمانه الحق المخلص، وعمله الطيب الصالح.

لقد جاء في الإصحاح ٢ من سفر تثنية الإشتراع وعد وبشارة بالخير

والبركة والعناية من الله لبني إسرائيل إذا هم آمنوا واستجابوا لأوامر الله، وعملوا بجميع ما أمرهم به ربهم.

وجاء في سفر حزقيال ما نصه : (الاصحاح ٣٣)

(فكان إلى كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم ان الساكنين في هذه الخرب من أرض إسرائيل يتكلمون قائلين إن إبراهيم كان واحداً وقد ورث الأرض.

ونحن كثيرون. لنا أعطيت الأرض ميراثاً، لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب... تأكلون بالدم، وترفعون أعينكم إلى أصنامكم، وتسفكون الدم، أفترثون الأرض؟! وقفتم على سيفكم، فعلتم الرجس وكل منكم تنجس بامرأة صاحبه، أفترثون الأرض؟.

وجاء فيه وعيد من الله لبني إسرائيل باللعنة والطرد من الرحمة، وبالإذلال والتشتيت في الأرض، وتسليط الأعداء عليهم في الدنيا، وبالعقاب الأليم في الآخرة إذا هم كفروا بالله وخالفوا عن أمره ووصاياه.

جاء في الإصحاح ٢٦ من سفر اللاوين:

«إذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي، وعملتم بها، أعطي مطركم في حينه، وتعطي الأرض غلتها، وتعطي أشجار الحقل ثمارها، ويلحق دراسكم بالقطاف، ويلحق القطاف بالزرع.. فتأكلون خبزكم للشبع، وتسكنون أرضكم آمنين، وأجعل سلاماً في الأرض، فتنامون وليس من يزعجكم، وأبيد الوحوش الرديئة في الأرض، ولا يعبر سيف في أرضكم، وتطردون أعداءكم فيسقطون أمام سيوفكم... » إلى أن قال:

«والتفت إليكم، واثمركم وأكثركم وأفي ميثاقي معكم فتأكلون العتيق المعتق، وتخرجون العتيق من وجه الجديد، وأجعل مسكني في وسطكم، ولا ترذلكم نفسي، وأسير بينكم. وأكون لكم إلـهاً، وأنتم تكونون لي شعباً، أنا الرب إلـهكم الذي أخرجكم من أرض مصر من كونكم عبيداً لهم، وقطع قيود نيركم، وسيركم قياماً.

ولكن إذا لم تسمعوا لي، ولم تعملوا كل هذه الوصايا وإن رفضتم

فرائضي، وكرهت أنفسكم أحكامي، فما عملتم كل وصاياي، بل نكثتم ميثاقي، فإني أعمل هذه بكم:

أسلط عليكم رعباً وحمى تفني العينين، وتتلف النفس، وتزرعون باطلاً زرعكم فيأكله أعداؤكم، وأجعل وجهي ضدكم فتنهزمون من أعدائكم، ويتسلط عليكم مبغضوكم، وتهربون وليس من يطردكم، وإن كنتم مع ذلك لا تسمعون أزيد تأديبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم، فأحطم فخار عزكم، وأصير سماءكم كالحديد، وأرضكم كالنحاس فتفرغ باطلاً قوتكم، وأرضكم لا تعطي غلتها، وأشجار الحقل لا تعطي ثمارها..

وإن سلكتم معي بالخلاف، ولم تشاؤوا أن تسمعوا لي أزيد عليكم ضربات سبعة أضعاف حسب خطاياكم: أطلق عليكم وحوش البرية فتعدمكم الأولاد، وتقرض بهائمكم، وتقللكم فتوحش طرقكم...».

ويتابع النص القول في مراحل العقاب إذا أصر بنو إسرائيل على الكفر والعناد والتمرد والزيغ عن طريق الله، طريق الحق والإيمان، ثم يخلص النص إلى القول:

"هذه هي الفرائض والأحكام والشرائع التي وضعها الرب بينه ويبن بني إسرائيل في جبل سيناء وبيد موسى".

وقد قطع القرآن الموالاة بين المؤمنين والكافرين، ولو كانوا أبناءهم أو آباءهم أو إخوانهم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الآية ٢٣ سورة التوبة.

وجاء في القرآن أيضاً نصوص قاطعة على أن القرابة من أنبياء الله لا تفيد الأهل والأقارب شيئاً إن كانوا غير مؤمنين، وغير صالحين في أعمالهم، فلا المرأة الضالة ينفعها زوجها النبي في شيء، ولا الولد الكافر ينفعه أبوه النبي في شيء، ولا الأب الضال ينفعه ابنه الصالح بشيء عند الله تعالى.

فامرأة نوح وابنه الكافران غرقا مع قومهما حينما أغرقهم الله تعالى بدعاء نوح عليه السلام. ولما سأل نوح ربه عن أسباب إغراق ابنه مع أنه كان وعده بإنجاء أهله في السفينة رد الله تعالى عليه قائلاً: إنه وعده بانجاء المؤمنين من أهله، أما الكفرة فلا موالاة بينهم وبينه، وإن ابنه من هؤلاء الكافرين الذين لا ولاية بينهم وبين نوح لذلك غرق مع قومه الكافرين:

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾

﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الآيتان ٤٥و ٤٦ من سورة هود

وكذلك الحال في الصلة بين الزوج والزوجة، والابن وأبيه، والأب وابنه:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ التحريم الآية ١٠

وكذلك قطع الله الصلة بين إبراهيم وأبيه آزر الذي أصر على الإقامة على الكفر ومعاداة الله، فتبرأ إبراهيم من أبيه الكافر بأمر من الله تعالى.

وكذلك قطع الله الصلة بين إبراهيم وبين الكفرة الفاسقين من ذريته الخارجين عن طاعة الله، فحينما جعل الله إبراهيم إماماً للناس، سأل إبراهيم ربه أن يجعل الإمامة في عقبه أيضاً، فرد الله تعالى عليه قائلا: إن عهدي لا ينال الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي، فالكافرون الظالمون أنفسهم لا يمكن أن يجعلهم الله أئمة للناس، ولو كانوا من نسل إبراهيم أبي الأنبياء الكرام.

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة الآية ١٢٤

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ الآية ١١٤ من سورة التوبة

ويتعدى الأمر أقارب الأنبياء حتى وصل إلى الأنبياء أنفسهم، فالأنبياء صلوات الله عليهم على جلال أقدارهم وعظيم منازلهم، ليسوا بمنجاة من المؤاخذة إذا تجاوزوا حدود ما أمرهم الله بالوقوف عنده.

لقد سأل نوح ربه عن سبب إغراق ابنه الكافر بالطوفان، فرد الله تعالى عليه بقوله:

﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الآية ٤٦ سورة هود.

وحينما سأل موسى ربه أن يجعله يراه جهرة وعياناً، كما يرى الرجل الرجل، قال له الله تعالى: إن ذلك لا يمكن أن يقع أبداً، ولكن على موسى أن ينظر إلى الجبل من حوله حينما يتجلى له الله، فإن استقر الجبل مكانه، ولم يتزلزل كان بإمكان موسى أن يرى ربه عياناً، فلما تجلى الله تعالى للجبل جعله دكاً، وخر موسى صعقاً فلما أفاق استغفر ربه وأعلن توبته لله عما كان منه من سؤال لا يجوز لبشر أن يسأله:

﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف ١٤٣..

وحذر الله محمداً من أن يتبع أهواء أهل الكتاب لأن ذلك يخرجه عن جادة الإيمان الحقّ، وإذا خرج الرسول عن جادة الإيمان عرض نفسه لعقاب الله، مثله في ذلك مثل سائر بني البشر:

﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ البقرة الآية ١٢٠

وخاطب الله تعالى كفّار قريش فقال لهم إن القرآن هو قول رسول كريم يأتيه الوحي من الله، وليس بقول شاعر ولا كاهن ولا ساحر ولا مجنون، ولو أن محمداً تقوَّل على ربه شيئاً لم ينزله عليه لعاقبه على ذلك عقاباً شديداً، ولن يجد من يدفع عنه عذاب الله وعقابه:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ الآيات من ٤٤ حتى ٤٧ من سورة الحاقة

والملائكة على جلال أقدارهم ورفيع منزلتهم عند الله تعالى، إذا خرج أحد منهم عن جادة الحق، وتجاوز ما أمره به الله، عاقبه الله عقاباً شديداً:

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الآية ٢٩ من سورة الأنبياء.

وجاء في القرآن أيضاً:

﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ الكهف الآية ٥١

وجميع ذلك يبين أن العلاقة بين الله وخلقه، ومنهم بنو البشر، هي علاقة عبيد مخلوقين برب خالق عظيم، ليس لهم به صلة نسب ولا قرابة دم، ولا صهر، وإنما هي طاعة من عبيد نحو خالقهم، وإيمان وشكر على أنعمه وأفضاله عليهم، فمن أخلص منهم الإيمان والعبادة فاز برضوان الله وإكرامه في الدنيا والآخرة، وأما من كفر من العباد بوجود الخالق ووحدانيته، وجحد بقدرته وأنعمه وأفضاله على الخلق، وعمل الشر والسوء فإن الله يعاقبه عقاباً عادلاً يتناسب مع مساوئه، فلا يزيد في سيئاته شيئاً، ولا يبخسه شيئاً من حسناته.

وبنو إسرائيل، تبعاً لما تقدم، ووفقاً لما جاء في كتبهم وفي القرآن، لا يخرجون عن مقام العبودية هذا، ما دام جدهم إبراهيم، وجدهم يعقوب، قد اعترفا بالعبودية لله رب العالمين، وحثّا أبناءهما وأحفادهما على التمسك بأهداب الإيمان، والإخلاص في طاعة الله، والاستسلام لإرادته.

ويترتب على ذلك أن بني إسرائيل خلق من خلق الله، من أحسن منهم، وأخلص الإيمان، وأطاع الله في جميع ما أمره به. أحسن الله إليه الجزاء، ومن كفر وتمرد، وخالف عن أمر الله، وأساء العمل أخزاه الله، وعاقبه بما يستحقه في الدنيا والآخرة.

وقد بين الله لبني إسرائيل في كتبهم، وعلى ألسنة أنبيائهم الكرام جزاء المؤمنين الصالحين منهم، وعقاب الكفرة المسيئين، مثلهم في ذلك مثل سائر بني البشر.

ثانياً: - مسألة تفضيل بني إسرائيل على غيرهم وأسباب هذا التفضيل ومقومات بقائه:

يعد اليهود أنفسهم شعب الله المختار وأن الله قد اختارهم لنفسه من دون سائر الناس، وقد ترسخت هذه القناعة في نفوسهم حتى أصبحت لها انعكاسات خطيرة على نفسية اليهود وأخلاقهم، وأسلوب تعاملهم مع الناس، كما كانت لها انعكاسات خطيرة على الناس من غير اليهود الذين يعانون الكثير من استعلاء اليهود، وصلفهم، واستكبارهم في الأرض بغير الحق، واستحلالهم دماء الناس وأموالهم وأعراضهم دون مسوغ شرعي.

وقد أشارت كتبهم إلى شيء من التفضيل والاختيار، كما أشار إليه القرآن أيضاً:

﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ+﴾ البقرة الآية ٤٧

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ المائدة ٢٠

ولكن ما نوع هذا التفضيل الذي فضلهم الله به على العالمين؟ وعلى من فضلهم؟ وما هي حدود هذا التفضيل وما هي شروط قيامه وبقائه؟...

لقد أشرنا فيما تقدم إلى أن الله تعالى لا تقوم بينه وبين أحد من خلقه من بني البشر رابطة نسب ولا دم ولا صهر.. وأن العلاقة الوحيدة التي تقوم بينه وبين خلقه هي أنه تعالى جده هو خالق الكون بما فيه ومن فيه، وهو مدبره ومنظمه المهيمن عليه، وقد أمر العباد بعبادته بصدق وإخلاص وصفاء نية، ليكون ذلك منهم شكراً له على النعم التي لا تحصى عداً، التي أنعم بها عليهم من خلق ورزق، وتسخير ما في الكون لخدمة الإنسان ومنفعته:

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ سورة إبراهيم الآية ٣٤

ثم اختار الله تعالى رسلاً من بني البشر ليبلغوا عنه عباده رسالته

إلى خلقه، وليدلوهم إلى ما يرغبه من أعمال الطاعات، وأمرهم بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان به خالقاً ورازقاً، والقيام بالعبادات والطاعات للتعبير عن شكرهم لله على نعمه عليهم.

وقبل بعثة إبراهيم كان الخلق قد انحرفوا انحرافاً خطيراً عن جادة الهدى والإيمان فكفروا، وأشركوا الأصنام والأوثان مع الله في العبادة، وعفت آثار الإيمان في الأرض، وكثرت تجاوزات الخلق على شرع الله، فدمر الله أقواماً كثيرين لكفرهم وفسادهم كقوم نوح وقوم عاد وقوم ثمود.. الخ فأرسل الله إبراهيم عليه السلام ليجدد الدعوة إلى الإيمان. وليعرف الناس بخالقهم وموجدهم ورازقهم، وليدلّهم على ما يوصلهم إلى رضوان ربهم. وتابعه بنوه وأحفاده على دعوته هذه.

وهكذا كانت أسرة إبراهيم واحة إيمان نضرة في صحراء من الكفر والجهالة والانحراف عن الإيمان الخالص، ومن الطبيعي في مثل هذه الحال أن يكون أهل الإيمان وحملته أكرم على الله من الكفرة الفاسقين، والملاحدة المشركين، الذين كانوا يعمرون الأرض في تلك الأزمان.

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ(٣٥)مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾
سورة القلم الآيتان ٣٥و٣٦

وهكذا يبين مما تقدم أن التكريم والتفضيل الذي خص الله به بني إسرائيل إنما كان تكريماً للإيمان الذي كان يعمر صدور الصالحين من أسلافهم، وليس شيء منه للنسب والقرابة من الأنبياء، ولذلك نستطيع أن نقول بثقة ويقين إن الإكرام الذي أشارت إليه كتب بني إسرائيل، وأشار إليه القرآن، لا يختص به أنسال إبراهيم وإسحاق ويعقوب جميعاً دون تمييز بين مؤمن وكافر، وبين بر وفاجر، وإنما اختص به المؤمنون المخلصون منهم، كما يختص به كل مؤمن من بني البشر، سواء كان من نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل، أو كان من نسل غيرهم، شرط أن يخلص الإيمان لله، وأن يقوم بطاعته على الوجه الأكمل الذي فرضه الله.

وقد وصف الله تعالى المؤمنين به ممن أخلصوا إسلامهم لله من أمة محمد بقوله الكريم:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ آل عمران ١١٠

وقد تضمنت هذه الآية شروط تفضيل بني البشر بعضهم على بعض.

أما الآخرون من الكفرة والفسقة والجاحدين... من نسل إبراهيم وإسماعيل وإسحاق.. أو من غيرهم من بني البشر فليس لهم عند الله إلا المقت والكراهية واللعنة والعقاب في الدنيا والآخرة، وهذا بلا شك أمر بدهي يتفق وروح الإيمان، كما يبين من رد الله تعالى على إبراهيم حينما سأل ربه أن يجعل الإمامة في ذريته فقال له تعالى:

﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وكما يبين أيضاً من اللعنة التي توعد الله بها الكفرة الخارجين عن طاعة الله من بني إسرائيل، فالذين ينقضون عهد الله وميثاقه، ويخالفون عن أمره، ليس لهم عند الله إلا اللعن والطرد من الرحمة، والعذاب في الدنيا والآخرة، وقد أوردنا ما أشارت إليه التوراة في هذا المقام في موضعه من هذه الدراسة، كما أشار إليه القرآن الكريم في أكثر من موضع منه.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ سورة المائدة الآية ١٢

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ البقرة الآية ٤٠

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا

وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ سورة البقرة الآية ٩١

فالإيمان الذي يقرب العباد من الله ليس كلمة مقولة يلفظها اللسان، ويكذبها العمل، وإنما هو التزام وإخلاص ويقين، يصاحبه إفصاح عن هذا اليقين باللسان، وقيام دائم بعمل مستمر يتوافق مع هذا الإيمان وشروطه، ومبادئه، كما أمر الله به العباد.

فالانتساب إلى أنبياء الله، والمقربين عند الله من عباده، دون إيمان مخلص، ودون عمل صالح يرضي الله لا قيمة له عند الله، ولا ينفع المرء عنده بشيء، ولا يجعله أهلاً لاكرام الله وتفضيله على المؤمنين المخلصين من خلقه.

وقد عرضنا في فصلين من هذه الدراسة كثيراً من المقاطع التي جاءت في كتب بني إسرائيل وهي تثبت انحرافهم عن الإيمان، وبعدهم عن الإخلاص لله في الإيمان والأعمال، وإقبالهم على عبادة الأصنام والأوثان، وفعل الشر، في حياة موسى وبعد موسى، وقد استمروا في هذا الانحراف حتى سلط الله عليهم أقواماً ذوي بأس شديد وقوة وقسوة: الآشوريين والكلدان والمصريين والرومان، وأقوام المنطقة، والعرب، فأذاقوهم الويلات، وكان ذلك عقاباً من الله لهم على كفرهم، وخروجهم عن طاعة الله، وانحرافهم عن جادة الهدى والصلاح، وشتتتهم تلك الأقوام، وسبتهم، وكان الله تعالى قد أنذرهم على لسان أنبيائه الكرام بهذه العاقبة، فلم يرتدعوا، ولم يكفوا عن مسلكهم المخالف لشرع الله، وبقوا سادرين في غيهم، مصرين على كفرهم وعنادهم.

وقد أشرنا أيضاً في مكان آخر من هذه الدراسة، وفيما نقلناه من كتب بني إسرائيل،إلى شيء من فساد اليهود، ومخالفاتهم وانحرافاتهم عن جادة الإيمان الحق، حتى أن كبار رجال دينهم كانوا يجتمعون سراً في معبد للأصنام، ويقومون بعبادة هذه الأصنام والتضرع إليها في ظلمة الليل، وخلف جدران وأبواب مغلقة ويستقبلون الشمس ويسجدون لها،

وعبادتهم غير الله، والسجود له، هو كفر صراح، وخروج عن حظيرة الإيمان، ثم إن الاعتقاد بأن الله لا يستطيع أن يعلم ما يعملون إذا هم تواروا عنه في ظلمة الليل وراء جدران وأبواب مقفلة، هو كفر أيضاً، وانحراف عن الهدى لأنهم يجعلون علم الله قاصراً، وقدرته محدودة، وأهل الإيمان الحق يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن الله لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، حتى أنه ليعلم ما توسوس به النفس الإنسانية مما لم يخرج إلى حيز القول أو العمل، وقد وصف الله تعالى في القرآن علمه الذي لا حدود له بقوله:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (سورة ق آية ١٦)

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (سورة هود آية ٥)

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة هود آية ٦)...

وإذا كان كبار رجال الدين يفرضون على أتباعهم في شروحهم للتوراة المعروفة بالتلمود بأن تتقدم كلمتهم على كلام الله المنزل في التوراة فكيف يكون حال عامة الشعب وجهلته، وكيف يكون إيمانهم بالله وهم يتلقون الدين عن هؤلاء؟

وقد أدى اعتقاد اليهود، بأن الله لا يستطيع أن يعلم البواطن، بهم إلى انحرافات خطيرة انعكست بصورة واضحة على مسلكهم في حياتهم، فأخذوا يعتقدون أن الإنسان مهما كان سيئاً وفاجراً وضالاً وكافراً في باطنه، فإنه ينجو من العقاب في الآخرة إذا هو أصلح ظاهره وتظاهر أمام الناس بالصلاح والتقوى وعمل الخير.

وهذا يعني عندهم أن الله لا يستطيع أن يعلم إلا ما ظهر له من أحوال الناس، وما بدر من تصرفاتهم، أما الباطن، وما انطوت عليه السرائر من كفر وفجور وفساد وسوء.. فإنه لا يستطيع علمه.

وانطلاقاً من هذا الاعتقاد الخاطئ اندفع اليهود وراء أهوائهم غير خائفين من حساب ولا عقاب وفي ظنهم أنهم سينجون من عقاب الله ما داموا يتظاهرون أمام الناس بالخير والصلاح والصدق والأمانة وبالإيمان بالله، وهذا بلا شك خطأ بالغ في فهم حقيقة ما يقضي به الإيمان المخلص.

لقد أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل ليؤمننَّ بكل نبي يبعثه الله بعد موسى. وليقومنَّ بنصرته وعونه بإخلاص واحترام وتفان في أداء رسالة ربّه، ولكنهم قتلوا كثيراً من الأنبياء الكرام الذين جاؤوا يذكرونهم برسالة الله، ويدعونهم إلى العودة إلى صفاء شرعهم القديم، كما نزل من عند الله. وقتل الأنبياء والصالحين من عباد الله بدون سبب موجب، هو جرم عظيم يخرج الإنسان عن حظيرة الإيمان.

وقد اعلم الله اليهود في التوراة ــ كما ذكر ذلك أنبياء بني إسرائيل لقومهم ـ أنه تعالى سيبعث قبل قيام الساعة نبيين من ذرية إبراهيم هما المسيح من ذرية إسحاق ومحمد من ذرية إسماعيل، وكان اليهود ــ كما تدل على ذلك كتبهم والكتب التي جاءت بعد كتاب موسى ــ ينتظرون بعثة هذين النبيين الكريمين، فلما جاءهم المسيح، وفقاً للبشارات والأوصاف التي يعرفونها، مؤيداً بمعجزات باهرات من ربه، وهي معجزات عظيمة لا تترك مجالاً لعاقل للشك في صحتها.

«الولادة من غير أب، والكلام في المهد، وأبراء الأكمة والابرص، وإحياء الموتى بإذن الله والإعلام عما يدخره الناس في بيوتهم من المآكل والمشارب...».

فلما جاءهم المسيح بهذه الآيات الباهرات كفروا به، ورموا أمه الطاهرة البتول بالفاحشة، وهموا بقتله، كما سبق لهم أن قتلوا أنبياء آخرين.

وكان اليهود في الجزيرة العربية ينتظرون بعثة نبي من ولد إسماعيل، ويهددون جيرانهم من الأوس والخزرج في مدينة يثرب بأنهم سيؤمنون بالنبي المنتظر، وسيقاتلون الكفر والكافرين تحت لوائه؛ ولما بعث محمد وفقاً للأوصاف التي يعرفها اليهود، كفروا به حقداً وحسداً، وأنكروا أن يكون هو النبي الذي ينتظرون بعثته، وهم الآن ينتظرون بعثة المسيح، وبعثة النبي من ولد إسماعيل، مع أنهم يعتقدون أنه لم يبق من عمر الدنيا إلا وقت قصير في حسابهم هو ألف سنة.

وإنكار نبوة نبيين أمروا بالإيمان بهما هو خروج عن جادة الإيمان والهدى.

وعلى هذا يكون اليهود قد فقدوا منذ زمان بعيد الأساس الذي قام عليه إكرام الله للصالحين من أسلافهم، وتفضيلهم على أهل زمانهم من الكفرة وعبدة الأوثان، وعبدة آلهة الأقوام التي كانت تجاورهم، ثم لكفرهم برسالة نبين كريمين كانوا ينتظرون بعثتهما وهما عيسى ومحمد عليهما السلام.

وفي مثل هذه الحال فإننا لا نعتقد أن المنحرفين من اليهود يستطيعون الادعاء بأن الله ما زال يفضلهم ـ وهم على ما هم عليه من البعد عن رسالة الله ـ على أهل الإيمان الحق من غيرهم من الناس.

غضب الله مستمر على بني إسرائيل وبشارة ببعثة محمد

أورد الإمام ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) فقرة تتعلق ببعثة نبي من ولد إسماعيل (هو محمد ﷺ كانت موجودة في سفر دانيال أيام ابن تيمية، ثم حذفت بعد ذلك بفعل رجال الدين لكيلا يبقى في كتب أهل الكتاب نص صريح يشير إلى بعثة محمد كآخر نبي من أنبياء الله إلى أهل الأرض).

يقول النبي دانيال في كتابه إنه سأل الله تعالى وتضرع إليه ليبين له ما يكون من بني إسرائيل، وهل يتوب عليهم، ويرد إليهم ملكهم، ويبعث فيهم الأنبياء، أو يجعل ذلك في غيرهم؟ فظهر له ملك الرب في صورة شاب حسن الصورة فقال له السلام عليك يا دانيال إن الله يقول إن بني إسرائيل أغضبوني، تمردوا علي، وعبدوا من دوني آلهة أخرى، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب، فسلطت عليهم بخت نصر، فقتل رجالهم، وسبى ذراريهم وهدم مسجدهم، وأحرق كتبهم، وكذلك فعل من بعده بهم، وأنا غير راض عنهم، ولا مقيل عثراتهم، فلا يزالون في سخطي حتى أبعث مسيحي ابن العذراء البتول، وأختم ذلك عليهم باللعن والسخط، فلا يزالون ملعونين، عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبي بني إسماعيل الذي بشرت به هاجر، وأرسلت إليها ملاكي وبشرها. وأوحي إلي ذلك النبي، وأعلمه الأسماء، وازينه بالتقوى، واجعل البر شعاره، والتقوى ضميره والصدق قوله، والوفاء طبيعته، والقصد سيرته، والرشد سنته، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب، وناسخ لبعض ما فيها، أسرى به إلي حافظاً لما استودع، صادقاً فيما أمر، يدعو إلى توحيدي باللين من القول، والموعظة الحسنة، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، رؤوف بمن والاه، رحيم بمن آمن به، خشن على من عاداه، فيدعو قومه إلى توحيدي وعبادتي، ويخبرهم بما رأى من آياتي فيكذبونه ويؤذونه.

ثم سرد دانيال قصة رسول الله محمد (صلوات الله عليه) بما أملاه عليه الملك حتى أوصل آخر أيام أمته بالنفخة، وانقضاء الدنيا.

ثالثاً - هل كان التفضيل لبني إسرائيل كعنصر أو كدين أم أن التفضيل كان للصالحين والمؤمنين؟...

ونصل هنا إلى نقطة هامة في هذا الحديث، وهي معرفة من هم المفضلون على العالمين، ومن هم المختارون من قبل الله لنشر رسالة الإيمان

في الأرض على من سواهم من بني البشر، أهم أنسال إبراهيم وإسحاق ويعقوب كقرابة دم ونسب من أنبياء الله، سواء أكانوا مؤمنين مخلصين أو فاسقين جاحدين، أم هم اليهود الذين دانوا باليهودية كما صيغت مبادئها وفقاً للتعاليم التي أنزلت على موسى عليه السلام والأنبياء من بعده؟.

في الحقيقة إن اليهود في العالم اليوم لا يمت أكثرهم بقرابة نسب إلى أنسال إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إذ دخلت جماعات كثيرة من أعراق أخرى في الدين اليهودي في الشرق والغرب، وأكثر الجماعات التي اعتنقت اليهودية عدداً - وهم من غير بني إسرائيل - أمة الخزر الذين كانت لهم إمبراطورية مزدهرة بين جبال القفقاس وبحر الخزر والبحر الأسود في القرون الأولى للخلافة العباسية، ودامت هذه الإمبراطورية عدة قرون حتى سقطت تحت ضربات المغول، وقد وقف الخزر - وهم قوم من الترك أصلاً - في وجه العرب حيناً من الزمن، وحالوا دون تقدمهم عبر جبال القفقاس، كما قاوموا الإمبراطورية البيزنطية، ولما تزايد الضغط عليهم حيناً بعد حين اضطروا إلى البحث عن عقيدة سماوية غير الإسلام الذي تدين به الإمبراطورية العباسية، وغير المسيحية التي تدين بها الإمبراطورية البيزنطية، فاختاروا اليهودية ليكون لهم سند روحي يدعم نضالهم في وجه عدويهم المهددين، لكيانهم: العرب والروم.

وظلت إمبراطورية الخزر مزدهرة قوية حتى سقطت أمام المد المغولي، فاندفعت جماعات كثيرة ممن يدينون باليهودية إلى روسيا وأكرانيا وأوربا الشرقية، ثم اخذوا في الانتشار في أصقاع الأرض، واتجه قسم منهم إلى فلسطين في العصر الحديث، وأصبحوا يشكلون الغالبية من اليهود المحتلين لأرض فلسطين وهناك جماعات كثيرة من اليهود متحدرة من اختلاط اليهود بالأمم الأخرى التي لا تمت إلى بني إسرائيل بسبب ولا نسب.

فإذا قيل إن التفضيل إنما كان لبني إسرائيل كعنصر وكقرابة دم من أنبياء الله - أي لأنسال إبراهيم وإسحاق ويعقوب - كان اليهود الآخرون لا

فضل لهم على أحد من خلق الله، ولا كرامة لهم عند الله، ولا عهد لهم عنده، وبالتالي فلا وعد لهم بسكنى الأرض المقدسة.

أما إذا كان التكريم والتفضيل إنما كان للذين يدينون باليهودية كما أنزلها الله على موسى والأنبياء من بعده فإن الأمر يعود بنا إلى ما سبق أن قلناه، وهو أن التكريم يكون للمتقين المخلصين من أهل الدين، وليس لجميع من زعموا أنهم ينتسبون لهذا الدين، فالقرب من الله والتفضيل عنده لا يكونان إلا على أساس الإيمان الحق، فمن رضي الله عن إيمانه وعمله الصالح، وسلامة طويته، كان قريباً من الله، ومن غضب الله عليه ولعنه وطرده من رحمته لفساد طويته، وسوء عمله، واضطراب اعتقاده فلا فضل له على أحد من خلق الله.

وعلى كل حال فإن اليهود كعنصر متحدر من إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أو كدين يؤمن أتباعه باليهودية كما نزلت على موسى والنبيين من بعده، قد فسد أكثرهم، وانحرف عن شرع إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى، كما تشهد بذلك كتبهم، وهم يعترفون بأن الله عاقبهم على ذلك، عقاباً قاسياً بأن سلط عليهم الأمم والأقوام تخرب ملكهم، وتقتل رجالهم، وتسبي نساءهم، وتطردهم من أرضهم مرات ومرات.

وليس اليهود اليوم كأتباع دين سماوي بأحسن حالاً من أسلافهم أنسال إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقد حرف الرؤساء ورجال الدين منذ زمن بعيد تعاليم الله، وشوهوا جمالها، واقنع الرؤساء والزعماء الدينيون أتباعهم بأن كلمتهم يجب أن تتقدم على كلمة الله، وأن ما يشرعونه هم يجب أن ينفذ وأن يؤخذ به، ولو خالف التوراة والكتب المقدسة الأخرى التي جاء بها أنبياء كرام.

وأهل الإيمان الصحيح يعتقدون أنه ليس لبشر أن يشرع تحريماً وتحليلاً للناس، ولا أن يخالف في حكمه ما شرعه الله لعباده:

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ

بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة الآية ٤٥).

فجعل رجال الدين اليهود أقوالهم فوق كلمات الله وأوامره هو كفر صراح، ومن اعتقد بصحة ذلك كان خارجاً عن شرع الله. والكفر وإنكار ما شرع الله ينهيان التكريم والتفضيل عند الله لأن الله إنما جعل التفضيل والتكريم للإيمان وحملته، وليس للحم والدم والصور.

رابعاً ـ لمن كان وعد الله بسكنى الأرض المقدسة وما هي شروط قيامه وبقائه؟..

إذا رجعنا بالنظر المدقق إلى ما جاء في التوراة وكتب بني إسرائيل الدينية الأخرى نجد فيها ميلاً واضحاً إلى تحقيق أمرين اثنين:

أولهما: احتكار الإيمان «واحتكار القرب من الله» واحتكار البركات الإلـهية، وخص أنفسهم بكل خير، دون غيرهم من بني البشر بصورة عامة، ودون غيرهم من أنسال إبراهيم وإسماعيل بصورة خاصة، مع أنه كان لإبراهيم أبناء غير إسحاق، وكان لإسحاق ابن غير يعقوب.

وثانيهما: إضفاء هالة من القداسة والتعظيم والتبجيل على الكهنة ورجال الدين اليهود، وذلك لترسيخ سلطان الكهنة على الشعب، جميع الشعب عظيمه وحقيرة.

وقد ترسخ هذا السلطان فعلاً آناً بعد آن، وقد جاء في شرح التلمود أن أقوال الحاخامين ـ حتى ما تعارض منها مع صراحة النصوص الشرعية وما تناقض منها مع أقوال الحاخام نفسه في أوقات وحالات أخرى ومواقف أخرى ـ هي واجبة الأخذ بها والاحترام من قبل اليهود دون مناقشة ولا تردد.

وزاد تطرف الحاخامين في هذا الموضوع حتى جعلوا كلام الحاخامين فوق كلام الله تعالى المنزل في التوراة على رسوله موسى عليه السلام.

وقد صور للحاخامين وهمهم أن الله تعالى يقضي ساعات من يومه في دراسة التلمود، (والتلمود هو شروح الحاخامين للتوراة).

كما صور لهم وهمهم أيضاً أنه يبلغ من علو مقامهم عند الله تعالى أن الله يأتيهم ليحلوه من الأيمان التي يقسمها في ساعات الغضب والنزق والانفعال، ثم يبدو له أن لا يمضي في إنفاذ ما اقسم عليه، تبارك الله وتعالى عن هذا القول الباطل.

ومن الأمثلة القريبة المعبرة على ما دسه الكهنة اليهود في كتبهم مما يرسخ سلطانهم ونفوذهم على الشعب، ما جاء في موضوع اللعان في كتب بني إسرائيل (الإصحاح الخامس من سفر العدد)، فقد خلطوا كثيراً من الطقوس والأعمال التي على الكهنة أن يقوموا بها ويتبعونها في موضوع اللعان بالنص الشرعي البسيط المنزل من عند الله، حتى أصبح الإنسان العادي لا يستطيع أن يعرف ما أنزله الله وما أضافه الكهنة من عند أنفسهم، ويتضح بجلاء أنهم فعلوا ذلك، وحرفوا النصوص، وأضافوا إليها أحكاماً لتعزيز سلطانهم فوق أعناق الشعب. ومن يقارن حكم اللعان كما جاء في القرآن، بما جاء عنه في كتب بني إسرائيل تتضح له بجلاء الإضافات التي دسها الكهنة اليهود في النص المنزل من عند الله.

اللعان في القرآن وفي كتب بني إسرائيل:

حرص الإسلام على نظافة المجتمع المسلم وطهارته، كما حرص على سمعة الأسر والأبناء، ففرض عقوبة صارمة على من دأبهم التقول والولوغ في أعراض الناس، غير مقدرين ما لذلك من أثر سيئ على الحياة العائلية، فأنذر هؤلاء المفترين المتقولين بالعذاب الأليم يوم القيامة، وفرض عليهم عقوبة دنيوية قاسية.

فمن اتهم امرأة أو رجلاً بفعل الفاحشة فعليه أن يأتي بأربعة من الرجال يشهدون على أنهم رأوا بأعينهم وقوع الفعل، فإن لم يستطع أن يأتي بهؤلاء الشهداء الأربعة أخضعه القاضي لعقوبة الجلد ثمانين جلدة.

ويصنف في عداد الفاسقين الخارجين عن حظيرة الإيمان، ويرد القاضي شهادته أبداً مالم يتب من جرمه، على خلاف بين الأئمة.

وكان بعض الأزواج يعودون إلى بيوتهم فيرون مع أهلهم رجلاً غريباً في وضع مريب، ولم يكن من السهل عليهم أن يستحضروا في تلك الحال أربعة من الرجال ليشهدوا ما يجري. فكان الأزواج في حرج بالغ تجاه هذا الموقف، فإن هم ادعوا على زوجاتهم بفعل الزنا، وليس لهم شهود على ذلك عرضوا أنفسهم لحد القذف. كما أنه لم يكن من السهل عليهم السكوت وهم قد رأوا أزواجهم يمارسن الزنا في بيوتهم. لذلك أوجد الله تعالى لهم مخرجاً من هذا الحرج، وذلك بأن أصبح الزوج الذي يرمي زوجته بجرم الزنا، وليس لديه أربعة من الشهود، يشهد أمام القاضي أربع شهادات بالله على أنه صادق فيما رمى به زوجته من الفاحشة، لتقوم هذه الشهادات الأربع مقام شهادة الشهود الأربعة، ثم يقول إن لعنة الله عليه إن كان كاذباً فيما رماها به.

وبما أن الزوجة إذا ثبت عليها جرم الزنا يقام عليها حد الزنا، وهو الرجم حتى الموت، ولكيلا تبقى النساء تحت رحمة الأزواج الذين لا دين لهم ولا أخلاق، فقد جعل الله تعالى لهن مخرجاً لتبرئة أنفسهن مما يرميهن به أزواجهن. فأصبحت المرأة تشهد بالله أربع شهادات على أن زوجها كاذب فيما رماها به من فعل الفاحشة، وتقول في الخامسة إن غضب الله عليها إن كان صادقاً فيها ادعاه.

فإن خافت الزوجة غضب الله عليها، ورفضت أن تدفع دعوى زوجها باستشهاد الله على أن زوجها كاذب فيما ادعاه عليها، وأنها تحمل غضب الله عليها إن كان صادقاً، ورفضت أن تشهد على صدق ما تقول؛ وعلى كذب زوجها، عدها القاضي مقرة بالفعل، ويقيم عليها الحد وهو الرجم. أما إذا شهدت فإنها تبرا من العقوبة، ويقرر القاضي التفريق بينهما.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ. وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة النور ٦-٩).

ويتم الأمر هكذا ببساطة متناهية دون إخضاع المرأة لضغط نفسي، ودون حاجة إلى طقوس ومراسم وكهانات ولا إجراءات خاصة.

أما في كتب بني إسرائيل فإن الأمر جاء معقداً أشد التعقيد، إذ يصبح الأمر بين يدي الكاهن الذي يمارس طقوساً ومراسم خاصة، ويأتي بماء ويتلو عليه، ويقف المرأة في مكان معين، ثم يتلو على المرأة قسماً مرهباً.. وقد جاء كل ذلك لترسيخ سلطان رجال الدين على الشعب. وفرض هيبة خاصة لهم عليه تبين من الحكم الذي نص عليه الإصحاح ٥ من سفر العدد ونصه كالآتي:

«وكلم الرب موسى قائلاً كلم بني إسرائيل وقل لهم إذا زاغت امرأة رجل وخانته خيانة واضطجع معها رجل اضطجاع زرع، وأخفي ذلك عن عيني رجلها، واستترت وهي نجسة وليس شاهد عليها وهي لم تؤخذ، فاعتراه روح الغيرة، وغار على امرأته وهي نجسة، أو اعتراه روح الغيرة وغار على امرأته وهي ليست نجسة، يأتي الرجل وامرأته إلى الكاهن، ويأتي بقربانها معها عشر الإيفة من طحين الشعير لا يصب عليه زيتاً، ولا يجعل عليه لبناً لأنه تقدمة غيرة وتقدمة تذكار تذكر ذنباً. فيقدمها الكاهن ويوقفها أمام الرب، ويأخذ الكاهن ماء مقدساً في إناء خزف، ويأخذ الكاهن من الغبار الذي في أرض المسكن، ويجعله في الماء، ويوقف الكاهن المرأة أمام الرب، ويكشف رأس المرأة، ويجعل في يديها تقدمة التذكار التي هي تقدمة الغيرة. وفي يد الكاهن يكون ماء اللعنة المر. ويستحلف الكاهن المرأة ويقول لها إن كان لم يضطجع معك رجل، وإن كنت لم تزيغي إلى نجاسة من تحت رجلك فكوني بريئة من ماء اللعنة هذا المر.

ولكن إن كنت قد زغت من تحت رجلك وتنجست وجعل معك رجل غير رجلك مضجعة، يستحلف الكاهن المرأة بحلف، ويقول الكاهن للمرأة يجعلك الرب لعنة وحلفاً بين شعبك، بأن يجعل الرب فخذك ساقطة، وبطنك وارماً، ويدخل ماء اللعنة هذا في أحشائك لورم البطن ولإسقاط الفخذ، فتقول المرآة آمين آمين.

ويكتب الكاهن هذه اللعنات في الكتاب ثم يمحوها في الماء المر، ويسقي المرأة ماء اللعنة المر فيدخل فيها ماء اللعنة للمرارة. ويأخذ الكاهن من يد المرأة تقدمة الغيرة ويردد التقدمة أمام الرب ويقدمها إلى المذبح، وبعد ذلك يسقي المرأة الماء.

ومتى سقاها الماء فإن كانت تنجست وخانت رجلها يدخل فيها ماء اللعنة للمرارة فيرم بطنها وتسقط فخذها فتصير المرأة لعنة وسط شعبها. وإن لم تكن المرأة قد تنجست بل كانت طاهرة تتبرأ وتحبل بزرع.

هذه شريعة الغيرة إذا زاغت امرأة من تحت رجلها وتنجست، أو إذا اعترى رجلاً روح الغيرة فغار على امرأته يوقف المرأة أمام الرب، ويعمل لها الكاهن كل هذه الشريعة فيتبرأ الرجل من الذنب، وتلك المرأة تحمل ذنبها›..

الوعد بسكنى الأرض المقدسة:

جاء في التوراة وعود صريحة قطعها الله تعالى لإبراهيم وأنساله بسكنى الأرض المقدسة، فقد جاء في الإصحاح ١٢ من سفر التكوين:

‹ وأتوا إلى أرض كنعان. واجتاز أبرام (إبراهيم) في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لإبرام، وقال (لنسلك أعطي هذه الأرض).

وجاء في الإصحاح ١٧ من سفر التكوين:

‹ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له: أنا الله

القدير سر أمامي وكن كاملاً فاجعل عهدي بيني وبينك، وأكثرك كثيراً جداً، فسقط إبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلاً:

أما أنا فهو ذا عهدي معك، وتكون أباً لجمهور من الأمم فلا يدعي اسمك إبرام بعد اليوم بل يكون اسمك (إبراهيم) لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم وأثمرك كثيراً جداً، وأجعلك أمماً، وملوك منك يخرجون، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم، عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلـههم.

وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك».

فالعهد ـ كما يبين من هذه النصوص ـ هو عهد مطلق لإبراهيم بأن يسكنه الله هو وأنساله من بعده في الأرض المقدسة. ومن نسل إبراهيم ابنه البكر (إسماعيل) الذي كان وحيداً لأبيه حين صدور عهد الله لإبراهيم، ثم ابنه إسحاق، وأبناؤه الآخرون.

ولكن بني إسرائيل عملوا على تضييق رحمة الله الواسعة التي أراد إسباغها على الصالحين من أنسال إبراهيم أبي الأنبياء فحجروا واسعاً، وضيقوا متسعاً، فأخذوا يحاولون صرف الأمر عن إسماعيل الابن البكر ذي الحق الصريح في ولاية عهد أبيه، وخلافته في شريعة الله، وعن أنساله من بعده، إلى إسحاق وأنساله. كما حاولوا بعد ذلك صرف الأمر عن عيسو (الابن البكر لإسحاق) وأنساله، وحصره بيعقوب (إسرائيل) وأنساله، ليخصوا أنفسهم بالرحمة والوعد الإلـهي دون غيرهم، وقد اخترعوا لذلك قصصاً سخيفة بدائية، لا يمكن أن تنطلي إلا على مغفلين جهلة، عن احتيال يعقوب وأمه على إسحاق للفوز بالبكورية وبركاتها وحقوقها، وحرمان عيسو منها؛ ثم عن احتيال يعقوب على أخيه عيسو واستغلال حاجته إلى صحن من الطعام أسوأ استغلال.

ومما جاء في الإصحاح ١٧ من سفر التكوين:

«وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه، وأثمره، وأكثره كثيراً جداً اثني عشر رئيس بلد، واجعله أمة كبيرة، ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده سارة لك في هذا الوقت من السنة الآتية.

فبنو إسرائيل جعلوا الله يفضل إسحاق الأصغر على أخيه الأكبر إسماعيل، لأن إسحاق هو ابن السيدة الحرة، وإسماعيل ابن هاجر الجارية المملوكة، ومن عادة بني إسرائيل في كتبهم، وتصوراتهم، أن يتصوروا تصرفات الله مقاسة على تصرفات العباد من بني البشر، فاعتقدوا أن الله يفضل أبناء الحرائر على أبناء الجواري، كما يفضلهم بنو البشر، فقدروا حسب مستواهم العقلي، أن الله لا بد وأن يفضل إسحاق على أخيه إسماعيل، ولو كان إسماعيل هو الابن البكر، وصاحب الحق في ولاية عهد أبيه، وأنه أكبر من أخيه اسحق بخمس عشرة سنة.

ولكن مثل هذا المنطق الإنساني في تفضيل الأبناء غير مقبول في ميزان الله وشرعه، لأن الأفضل عند الله، وفي شرعه، هو الأكثر تقى وصلاحاً واخلاصاً في الأيمان، ولم يأت شيء في الكتب السماوية عن الله تعالى يقول إنه يفضل إسحاق على إسماعيل، لذلك نقول إن هذا الذي جاء في كتب بني إسرائيل عن تفضيل إسحاق على إسماعيل، وتفضيل يعقوب على عيسو هو من جملة التحريف الذي لجأ إليه الأحبار وكبار رجال الدين اليهود ليحتكروا فضل الله، وليجعلوه مقتصراً عليهم دون غيرهم من بني عمومتهم أنسال إسماعيل وأبناء إبراهيم وإسحاق الآخرين.

وفي الحقيقة إننا نجد تكذيباً لمزاعم اليهود هذه في النصوص التوراتية ذاتها، يفضح التحريف الذي أدخلوه على النصوص.

فهم يقولون إن الله تعالى قال لإبراهيم: «بل امرأتك سارة تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده».

وقد تقدم أنه جاء في صدر الإصحاح قولهم إن الله وعد نسل إبراهيم بسكنى الأرض المقدسة، إذ قال لإبراهيم: «وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلـههم»، ولم يكن لإبراهيم وقت صدور عهد الله إليه غير ابنه إسماعيل والمؤمنون حق الإيمان يعتقدون بإخلاص أن كلام الله حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فوعده تعالى حق ووعيده حق، فإذا وعد الله تعالى قوماً بأنه يسكنهم أرضاً ما، ويعطيهم إياها ملكاً أبدياً خالصاً، فإن مثل هذه الملكية لا يمكن أن تزول أبداً، ولا أن يحدث فيها انقطاع لمدة طويلة تزيل عن القوم صفة المالكين، مهما كانت الظروف والأسباب؛ واعتقاد بني إسرائيل أن الوعد كان من الله لإسرائيل وأنساله تخصيصاً لهم من أنسال إبراهيم وأنسال إسحاق، بتملك الأرض المقدسة (أرض فلسطين) يعني تماماً أنه يجب أن لا يكون هناك انقطاع في ملكيتهم لها، يفقدهم صفة المالكين.

ولكننا إذا عدنا إلى كتب بني إسرائيل، وإلى تاريخهم نجد أن بني إسرائيل لم تكن لهم في أرض فلسطين إلا سيادة مؤقتة وغير مستقرة على بعض أجزاء منها، ولمدة قصيرة نسبياً: إذ دامت دولتهم في القدس حوالي ٤٥٠ سنة، ودامت دولتهم في السامرة حوالي ٢٥٠ سنة: ولم يسيطر بنو إسرائيل على أرض فلسطين كلها أبداً، كما كانت سيطرتهم على أكثر الأراضي التي استولوا عليها سيطرة مضطربة وغير مستقرة، لأن شعوب المنطقة كانت تنازعهم وتقاومهم بضراوة، كما كانت سيطرتهم على كثير من الأرض قصيرة الأمد لا تتجاوز السنوات القليلة. ثم شردوا في أصقاع الأرض وأبيدوا وعذبوا وقتلوا فتبعثروا في أرض الله الواسعة منذ عام ٧٢١ قبل ميلاد السيد المسيح (أي من حوالي ٢٧٠٠ سنة)، في حين يسكن العرب باستمرار أرض الشام وفلسطين وما بين النهرين منذ أقدم العصور، وكانت لهم في الحيرة دولة، وكانت لهم في الشام دولة قبل الإسلام. ثم جاء الإسلام فوحد العرب واندفعوا يفتحون أرض الميعاد

ويضمونها بصورة نهائية إلى ممتلكاتهم، ودامت ملكيتهم لها منذ ذلك الفتح حتى اليوم دون انقطاع.

وحينما دخل العرب الأرض المقدسة فاتحين كانت الأرض يملكها الرومان، وكانت السيادة فيها للعنصر البيزنطي الذي يدين بالنصرانية، ولم يكن في الأرض إلا قلة قليلة من اليهود، لا شأن لهم، ولم يكن لهم شي من السيادة والسلطان فيها.

ومنذ أن بسط العرب والمسلمون سلطانهم على بلاد الشام ـ ومنها فلسطين ـ.

لم يحدث في حكمهم المنطقة انقطاع إلا لفترة قصيرة هي فترة الحكم الصليبي الذي ألح عليه المسلمون بالقتال، فلم يشعر بالراحة ولم يشعر بالاستقرار وراحة الملاك. كما لم يشعر المسلمون أنهم فقدوا الملكية على أرض فلسطين، لأنهم كانوا يناضلون نضالاً عنيداً لاسترجاعها من الغزاة الغاصبين، وكانوا يصلون في كثير من الحالات إلى أبواب القدس وإلى أي مكان يريدون الوصول إليه.

وعلى هذا فإننا نجد أن سلطان اليهود قد انحسر نهائياً عما كانوا يحتلون من أرض فلسطين من ٢٧٠٠ سنة، وانقطعت علاقتهم بها انقطاعاً تاماً، وبذلك يكون قولهم إن وعدالله بسكنى الأرض المقدسة إنما انحصر في نسل يعقوب هو قول غير صحيح، والتفسير المنطقي لما جاء في كتبهم عن حصر الوعد بأنسال يعقوب هو أنهم حرفوا مع الأيام وعدالله لإبراهيم وأنساله، فجعلوه وعداً ليعقوب ونسله، كما حرفوا الكثير الكثير من الأحكام الواردة في كتبهم لغايات في نفوسهم، وبغير هذا التفسير لا يستقم ما قالوه عن وعد من الله لإبراهيم وأنساله بسكنى الأرض المقدسة وأشارت إليه كتبهم، كما أشار إليه القرآن.

فالوعد جاء أساساً لإبراهيم في كتب بني إسرائيل، ولإسماعيل ابنه البكر من بعده وهو ولي عهده وصاحب الحق في وراثة أبيه، والعرب من نسل إسماعيل، وقد سكنوا الأرض المقدسة منذ آلاف

السنين، فهي امتداد لأرض الجزيرة العربية، والأقوام التي سكنت أرض فلسطين حين وصول بني إسرائيل من مصر هي أقوام عربية، خرجت من الجزيرة العربية واستقرت في أرض فلسطين وما حولها.

وخضعت فلسطين لحكم اليونانيين والمصريين والرومان والآشوريين والكلدانيين، ولكن شعوب الأرض كانوا في أكثريتهم من العرب وكان كثير منهم من أنسال إبراهيم، ثم خضعت أرض الشام كلها، ومنها فلسطين، لحكم العرب ثم لحكم أمم إسلامية أخرى، وكان السكان العرب والمسلمون هم الغالبية الساحقة، ولم يحصل انقطاع في سيطرة العرب والمسلمين على أرض فلسطين إلا لفترات قصيرة أيام الحكم الصليبي، ولكن الحكم الصليبي لم يكن كاملاً للمنطقة، ولم يكن مستقراً، فقد كان المسلمون ينازعونهم السلطان عليها، ويشنون عليهم حرباً لا هوادة فيها مما يشعر أن العرب لم يفقدوا السلطان والارتباط بأرض فلسطين أبداً.

وهذا التفسير يكذب ما يقوله اليهود من وعد الله لأنسال يعقوب بتملك الأرض المقدسة تملكاً أبدياً فلو كان الوعد لبني يعقوب (إسرائيل) حصراً، لما جاز حدوث انقطاع طويل فيه بلغ ٢٧٠٠ سنة. وبما أن وعد الله حق، ووعيده حق أصبح لزاماً علينا أن نقول:

١ – إما أنه لم يكن هناك وعد من الله لإبراهيم ولا لإسحاق ولا ليعقوب.

٢ – وإما أن يكون هناك وعد ولكنه كان لإبراهيم ورثه من بعده ابنه البكر إسماعيل كما يقضي به قانون الميراث في شرع إبراهيم (سفر التثنية إصحاح ٢١)

وهو ما تحقق فعلاً في إسماعيل وأنساله، وبذلك يكون الوعد الوارد في كتب بني إسرائيل ليعقوب هو من جملة التحريف الذي ارتكبه بنو إسرائيل، لخص أنفسهم بالخير والبركات.

وهناك شيء آخر نود أن نسوقه برهاناً على أن وعد الله كان لإبراهيم وأنه لم يجر عليه تخصيص بعد ذلك يخرج الميراث عن قواعد الإرث الثابتة في الشريعة، لأن وقوع تخصيص يعطل قانون الميراث هو إبطال للوعد وتعطيل له.

كتب بني إسرائيل تشير إلى أن وعد الله اختص به إسحاق دون أخوته من أبناء إبراهيم الآخرين - ومنهم ابنه البكر إسماعيل - ثم تشير هذه الكتب إلى أن الوعد الذي اختص الله به إسحاق، انتقل إلى ابنه يعقوب (إسرائيل) دون أبنائه الآخرين، ومنهم ابنه البكر عيسو، ونحن لا نعلم أنه صدر عن إسماعيل وعيسو مخالفات دينية، ولا خروج عن الإيمان، وعن طاعة الله، يبرر مثل هذا الحرمان من عطاء الله الواسع، والحرمان من وعد كرم الله به أباهم عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه.

ونحن نعلم مما جاء في التوراة، ومما جاء في القرآن الكريم، أن إسماعيل كان رسولاً وكان نبياً من أنبياء الله الكرام، وأن وعداً آخر خصه الله به في التوراة، وصفات كريمة اسبغها الله عليه في القرآن.

فقد جاء في الإصحاح ١٧ من سفر التكوين:

«وقال إبراهيم وهو يخاطب الرب: ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله بل سارة تلد لك ابناً.. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً اثني عشر رئيس بلد، وأجعله أمة كبيرة».

وجاء في القرآن: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (مريم آية ٥٥).

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنبياء آية ٨٥)

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الأنبياء آية ٨٦)..

وكتب بني إسرائيل تشير إلى أن وعد الله لإبراهيم وإسحاق وأنسالهما يتكرر أكثر من مرة في كتب بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام، مما يدل على أن وعد الله لإبراهيم وإسحاق لم يبطل، ولم يقع عليه تخصيص،

لأن هذا الوعد لو كان جرى عليه تخصيص بفئة من أبناء إبراهيم وإسحاق، لكان ذلك التخصيص إبطالاً وإلغاء، ولما جاز أن يذكر مرة ثانية في زمن موسى على إطلاقه الأول ـ بعد أربعمئة سنة على الأقل من تاريخ وفاة يعقوب ـ ولو أن الله تعالى خص بني إسرائيل بالوعد دون الآخرين من أنسال إبراهيم، لما عاد فذكر الوعد لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، كما نراه في النصوص التالية:

وجاء في الإصحاح ٢٥ من سفر التكوين:

«وظهر الله ليعقوب... وقال له الله: أنا الله القدير أثمر وأكثر، أمة وجماعة أمم تكون منك، وملوك سيخرجون من صلبك والأرض التي أعطيتها إبراهيم وإسحاق لك أعطيها، ولنسلك من بعدك أعطي هذه الأرض..».

وجاء في الإصحاح ٢٤ من سفر التكوين: على لسان إبراهيم وهو يوصي خادمه بأن يبحث لابنه إسحاق عن زوجة:

«الرب بن إله السماء الذي أخذني من بيت أبي ومن أرض ميلادي والذي كلمني وأقسم لي قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض وهو يرسل ملاكه أمامك فتأخذ زوجة لابني من هناك..»

وجاء في الإصحاح ٦ من سفر التثنية:

«ومتى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي حلف لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيك.. الخ».

وجاء في الإصحاح ٩ من هذا السفر:

«ولأجل اثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب أمامك، ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك، ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب...».

وما دام الوعد بسكنى الأرض يتكرر وروده في أيام موسى على لسان الله تعالى، ويحتل فيه إبراهيم مكان الصدارة، ثم يثني بذكر الوعد لإسحاق، ثم يذكر يعقوب، فذلك يدل على أن وعد الله لإبراهيم ما زال

قائماً ولم يطرأ عليه تعديل ولا إلغاء ولا تخصيص، وان الإضافات التي ألحقت بالوعد بعد ذلك من تخصيصه بيعقوب وإخراجه عن الطريق المشروع للوراثة ولولاية العهد حسبما سنتها الشريعة، هي من قبيل التحريف الذي أدخله كهنة بني إسرائيل على كتبهم، تثبيتاً لسلطانهم على الشعب، وسعياً منهم لخص أنفسهم - في أعين الناس - بمنزلة رفيعة عند الله، ونسوا أن ما يعتقدونه رائجاً على الناس في الحياة الدنيا لا يروج عند الله، وأنهم في سعيهم إلى الارتفاع في أعين الناس أسقطوا أنفسهم في غضب الله لتحريفهم كلماته وأقواله الواردة في كتبه المنزلة على رسله وأنبيائه الكرام، فأبعدهم ذلك عن الإيمان الصحيح الذي يرتضيه الله من عباده.

ولكن هل أنفثأ غضب الله على اليهود؟

يعتقد اليهود أن غضب الله عليهم ولعنته لا يزولان عنهم إلا حينما تصبح لهم السيادة المطلقة في الأرض كلها، وحينئذ يكونون قد قهروا أمم الأرض جميعها، وأخضعوا لحكمهم جميع من في الأرض من بني البشر، ومتى تم لهم هذا الغلب يدركون أن الله تعالى قد رضي عنهم، وقبل توبتهم، وأقبل بوجهه الكريم عليهم.

وقد أخذ اليهود يظنون - على ضوء الوقائع والمعطيات في هذا العصر - أن غضب الله عليهم الذي لازمهم آلاف السنين، قد أخذ في التبدد والانفثاء، وأن أيام عزهم، وعودة حظوتهم عند الله بدأت عهدها السعيد، وآية ذلك عندهم وبرهانه هو أنهم أصبحوا يسيطرون اليوم على كثير من الأمم المسيحية في عقر دارها، ويسيرون حكوماتها، ويملون إرادتهم على حكامها: الولايات المتحدة وانكلترا والمانيا وإيطاليا وهولندا وكندا واسبانيا والبرتغال .. الخ والشعوب المسيحية هي العدو الأول لليهود، منذ أن ظهرت المسيحية على الأرض، وحتى تقوم الساعة.

ويظن اليهود أن هذه الظاهرة التي يرونها اليوم هي إمارة على بدء

تحقيق أحلامهم في السيطرة على أهل الأرض قاطبة، وتسخيرهم في خدمة اليهود.

ثم إن اليهود يرون أنهم استولوا على أرض فلسطين، وانتصروا على العرب المرة تلو المرة، وانتزعوا من أيديهم كثيراً من الأراضي بقوة السلاح، وأقاموا لهم دولة على أرض فلسطين، وهذا دليل آخر في نظرهم على صدق اعتقادهم بأن أيام عزهم، وإقبال دولتهم قد لاحت في الآفاق.

ونحن نرد على هذا القول بما سقناه من أقوال وردت في كتب بني إسرائيل، ووردت في القرآن من استمرار غضب الله عليهم ومقته لهم حتى تقوم الساعة، ويرجع الخلق إلى الله، وإنهم يبقون مشتتين متفرقين في أصقاع الأرض لا تجمعهم دولة - إلا في حالات عارضة لا يمكن أن تكون قاعدة يقاس عليها - ويبقون مقهورين يذلهم من حولهم من الجماعات بسبب كفرهم بآيات الله، وقتلهم النبيين والصالحين والأبرياء من عباد الله بغير حق، وتحريفهم كلمات الله عن مواضعها وتركهم العمل بما أمرهم به ربهم، وزيغهم عن طريق الهدى الذي شرعه الله، وكرههم لخلق الله، وسعيهم في إيذائهم، والإضرار بهم، وشرب دمائهم، واغتيال أطفالهم، واستصفاء أموالهم بغير وجه حق.

ونضيف إلى ما سبق أن قلناه في هذه الدراسة، ما جاء في التوراة في هذا الموضوع بالذات، مما يؤيد صحة ما قلناه، ويدعم ما ذهبنا إليه من أنهم لن ينصلحوا أبداً، ولن يرجعوا إلى الله بالتوبة الخالصة التي ترضيه عنهم، وتذهب بعتبة عليهم فقد جاء في الإصحاح ٩ من سفر تثنية الاشتراع:

«ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب أمامك، ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك».

وصراحة النص تفيد أن غضب الله سيبقى ملازماً لبني إسرائيل، وأن حالهم لا ينصلح أبداً، وإن ظهر للناس في بعض الأحيان غير ذلك،

كاجتماعهم في بعض الأحيان في بعض المناطق: وكقهرهم بعض الشعوب، وغلبتهم عليهم فترة من الزمان، فكل ذلك ـ كما يفيد النص ـ إنما يتأتى من فساد تلك الشعوب التي غلبها اليهود، وبعدها عن منهج الله، وتخليها عن التكاتف والتساند وحب الموت في سبيل الجماعة، لا بسبب صلاح اليهود، وتبدل شيء من مسلكهم الذي ساروا عليه منذ فجر تاريخهم، وهذا النص يعني أيضاً أن غلبة اليهود على العرب إنما كانت بسبب ترك العرب الأخذ بشريعة الله وعودتهم إلى عهد الجاهلية الأولى: اقتتال بين الأهل والإخوة والأقارب، وقسوة متناهية في شفاء الأحقاد، فتفرقت كلمتهم، وذهبت ريحهم، ودالت دولتهم، وعادوا إلى عهد الجاهلية يضرب بعضهم رقاب بعض، وعدوهم واقف يتربص بهم جميعاً، ويسعى في خرابهم، وهم مسترسلون في عمايتهم وضلالهم، لقد ذهب الإسلام بأحقاد الجاهلية، ووحد كلمة العرب، وجعل الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله هم المؤمنين، وجعل الشهادة في سبيل الله أمنية غالية على قلب كل مؤمن مخلص، وبنى الإسلام النفس الإنسانية، وطهرها ونقاها من أدران الكفر والضلالة، ومن آثار الأثرة والأنانية وحب الذات، وأحل محلها إيماناً وعملاً خالصاً لخير الدين وخير الجماعة المسلمة، وبعداً عن الخوف والغفلة والإهمال والتواكل والإمساك عن الإنفاق في سبيل خير الجماعة.

فكان من نتيجة ذلك أن ساد المسلمون الأوائل العالم كله، وقهروا أمم الأرض جميعاً، ولم يقهروها بعدد ولا عدة، فقد كانت هناك أمم أكثر من العرب كفاءة في القتال، وأكثر مهارة وخبرة في فنون الحرب وأكثر جيوشاً، وامنع قلاعاً، وأكثر أموالاً، ولكن المسلمين تغلبوا عليهم جميعاً بإخلاصهم في جهادهم، وصدقهم في إيمانهم، وحرصهم على رضوان ربهم.

وحينما ضعف أثر الإسلام في نفوس الجماعات المسلمة، أخذ الوهن يتطرق إلى النفوس، فتقاعس الرجال عن القيام بواجبهم في نشر كلمة الله

ومنهجه في الأرض، وناموا عن الدفاع عن دولة الإسلام، فبان الضعف، وظهر العجز عن مقاومة الأعداء.

إن الطريق إلى العز مفتوحة معروفة للعرب وللمسلمين، والسبيل إليه لا يجهله أحد منهم، وهو العودة إلى الأخذ بمنهج الله في الحياة كلها، فيزول ما سيطر على النفوس من الوسن والتردد وعدم المبالاة خلال الابتعاد عن شريعة الله.

ولكن قد يقول قائل اليوم: إن اليهود ابتعدوا عن دينهم فغضب الله عليهم، وسلط عليهم أعداءهم، والعرب والمسلمون ابتعدوا هم أيضاً عن دينهم فسلط الله عليهم الأعداء واليهود، فما هو الفرق بين حال الملتين؟ ولماذا يكون اليهود في درجة أدنى من المسلمين في النظر المنصف؟...

ونحن نقول إن الفارق كبير جداً، ولا مجال فيه للمقارنة، فالعرب والمسلمون ابتعدوا عن دينهم كأفراد وحكام، وتركوا الأخذ بشريعتهم تهاوناً وإهمالاً، ولكن شريعة الإسلام ودين الله مصونان محفوظان في الصدور وفي الكتب، كما نزلا من عند الله، لم يطرأ عليهما شيء من التزييف والتحريف.

ويقوم الفقهاء والعلماء المسلمون حفظة أمناء على سلامة شرع الله، ونقائه من أن يتطرق إليه زيف أو تحريف، ويلح الفقهاء المسلمون على الحكام وعلى الشعوب، صباح مساء، للعودة إلى الأخذ بشرعة الإسلام، ويهددون ويتوعدون وينذرون من فوق المنابر جهرة وعلانية من عواقب هذا التهاون البادي على المسلمين حاكمين ومحكومين في الأخذ أخذاً كاملاً بمبادئ الشريعة.

ولا يختلف اثنان من العلماء المسلمين في شيء من وجوب تطبيق شرعة الإسلام تطبيقاً كاملاً في المجتمعات الإسلامية، ولا في حدود هذا التطبيق، ولذلك فليس أسهل على الحاكم المسلم، أو الشعب المسلم، من تقرير العودة إلى الشريعة، والأخذ بها، لأن الشريعة واضحة سليمة يعرفها كل واحد من المسلمين.

أما بالنسبة لليهود فالأمر مختلف تماماً، فالأحبار والكهنة منهم هم الذين قاموا قديماً وحديثاً بتعطيل شريعة الله، وبتحريف نصوصها، ومفاهيمها لخدمة أغراضهم ومصالحهم الشخصية، وحفاظاً على زعاماتهم ورئاساتهم. وسلطانهم على شعبهم، حتى لم يعودوا هم أنفسهم يستطيعون معرفة ما جاء في صلب الشريعة، وما أضافوه هم أنفسهم عليها، وما حذفوه منها. لذلك فإنه لا رجاء في عودة اليهود إلى شريعة الله لأن شريعتهم ضاعت عندهم، وبفعلهم وسط ضباب من التحريف والحذف والإضافات والشروح البعيدة عن روح الشرائع السماوية الطاهرة، ولذلك كله قلنا إن الفارق كبير بين حال العرب والمسلمين من جهة، وبين حال اليهود من جهة أخرى.

وتلخيصاً لما قلناه في هذا الفصل نقول: إن الله تعالى وعد إبراهيم وأنساله بسكنى أرض فلسطين تكريماً لإبراهيم. ووعده بأن تكون الإمامة والقيادة الروحية في الصالحين المؤمنين من أنساله دون غيرهم. وكان قانون الوراثة في عهد إبراهيم ـ كما جاء في كتب بني إسرائيل ـ يقضي بأن تنتقل ولاية العهد للابن البكر، ويرث الابن البكر حصتين بينما يرث أخوته الأصغر منه حصة واحدة من الميراث. وحرم الله تعالى على الآباء في قانون الوراثة هذا أن يبدل الآباء في قواعده بحسب رأيهم وهواهم، فنص صراحة على أن الزوج إذا كان له ولد بكر من زوجة لا يحبها، وكان له أبناء آخرون من زوجة يحبها ويميل إليها، فإن الميراث يذهب للابن البكر دون نظر لمحبة الزوج لأم البكر أو كرهه لها. وليس للأب أن يبدل في قانون الوراثة هذا.

وعلى هذا فإن إسماعيل الولد البكر لإبراهيم هو الذي يستحق ولاية العهد، وخلافة أبيه في الزعامة، وتنتقل الخلافة والزعامة من إسماعيل إلى أكبر أبنائه وهكذا. والعدنانيون العرب هم انسال إسماعيل من ابنه عدنان (قيدار في الرواية العبرية)، وقد انتقل أحفاد عدنان إلى أرض فلسطين، وعاشوا فيها قبل الإسلام بوقت طويل، ولم ينقطع وجودهم فيها أبداً. ثم

جاء الإسلام ففتح أحفاد إسماعيل أرض فلسطين، وطهروها من المحتلين الروم وأقاموا فيها شرع الله.

ولم ينقطع حكم بني إسماعيل لأرض فلسطين منذ ألف وأربعمائة سنة إلا فترة قصيرة أيام الغزو الصليبي، وهي فترة لم يشعر العرب والمسلمون أن ملكيتهم لها زالت بالكلية، فقد باشروا حرباً ضد المحتلين الفرنج لا هوادة فيها لانتزاع ما فقدوه من الأرض، وألحوا في هذه الحرب إلحاحاً شديداً على الصليبيين حتى حطموا قواهم في معركة حطين، فعادت سيطرتهم على القدس وأكثر فلسطين.

وهكذا يتبين أن وعد الله لإبراهيم قد تحقق كاملاً في إسماعيل وأحفاده، ولم يتحقق في أحفاد إسحاق.

ولكن بني إسرائيل حرفوا في كتبهم ليخصوا أنفسهم بوعد الله هذا دون غيرهم من أبناء إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، فحولوا ولاية العهد من إسماعيل إلى إسحاق، ومن عيسو الابن البكر إلى أخيه يعقوب.

ولكن الواقع يكذب ما ذهب إليه بنو إسرائيل من خص أنفسهم بوعد الله بأن يسكن بني إبراهيم في أرض فلسطين، لأن حكم بني إسرائيل فلسطين لم يكن كاملاً أبداً، ولم يدم على ما احتلوه من أرضها إلا فترة قصيرة نسبياً. وبما أن وعد الله لا يمكن إلا أن يتحقق، وبما أن وعد الله بسكنى الأرض وتملكها لا يمكن أن يكون فيه انقطاع يزيل عمن كان لهم الوعد صفة المالكين، وأصحاب السيادة والسلطان.

وبما أن حكم بني إسرائيل زال عن أكثر أرض فلسطين منذ عام ٧٢١ قبل الميلاد (أي قبل ٢٧٠٠ سنة) ثم زال بعد قليل نهائياً. وزوال ملك بني إسرائيل من أرض فلسطين نهائياً منذ ما يقارب الـ ٢٧٠٠ سنة يعني أن وعد الله لم يكن أبداً ليعقوب وبنيه دون غيرهم من أبناء إبراهيم، لأنه لم يتحقق بهم، بينما تحقق في إسماعيل صاحب الحق الشرعي في ولاية عهد إبراهيم.

ولذلك كله نقول إن بني إسرائيل أقدموا على التحريف في كتبهم ليخصوا أنفسهم بوعد الله لإبراهيم باسكان نسله في الأرض المقدسة ليدعوا لأنفسهم اليوم حقاً في العودة إلى أرض فلسطين، وللقول إن هذه العودة إنما كانت عن قدر الله وقضائه الذي لا يرد، ولكن ما اقدموا عليه من تحريف لن يفيدهم في شيء، ولن يثبت لهم حقاً ما دام الواقع قد كذبه•واما ما نراه اليوم من عودتهم إلى أرض فلسطين غاصبين معتدين، مستطيلين على من حولهم من أحفاد إسماعيل الذين لم ينقطع وجودهم في أرض فلسطين منذ أن صدر وعد الله لإبراهيم وحتى يومنا هذا، فذلك له سبب آخر، وقد أشرنا إليه في الفصل الذي خصصناه (لمستقبل العلاقات بين العرب واليهود).

الفصل السابع

التلمود يفرض على اليهود كره البشر

تأويل نصوص التوراة يجب أن يتم بحسب قواعد التلمود.

يعتقد المسيحيون خطأً أن اليهودية (ديانة توراتية) وأن العهد القديم له لدى اليهود نفس المركز ونفس السلطة الشرعية اللذين لهما عند المسيحيين، البروتستانت والكاثوليك، وذلك لأن الأمر يتعلق بـ (مسألة التأويل) فاليهود يظهرون تساهلاً كبيراً بالنسبة للمعتقدات، ولكنهم يظهرون تشدداً كبيراً بالنسبة للتأويل الشرعي للنصوص المقدسة. فالتأويل لديهم جامد تماماً ويجب أن يكون على أساس التلمود، وليس على أساس التوراة نفسها. ومعظم الآيات التي تصف التصرفات والالتزامات الدينية تفهمها اليهودية الكلاسيكية (وأرثوذكسية الوقت الحاضر) بمعنى يختلف تماماً أو يتناقض تناقضاً كلياً مع معناها الحرفي الذي يفهمه المسيحيون وغيرهم من قراء العهد القديم الذين يأخذون بصريح النص[١].

ويضرب إسرائيل شاحاك أمثلة على هذا الاختلاف في المفاهيم منها:

أولاً – تقول الوصايا العشر (لا تسرق) وقد فسر اليهود هذا الأمر بحسب نصوص التلمود على أنه (لا تخطف شخصاً يهودياً) وليس لا تسرق ماله، لأن الأعمال التي حرمتها الوصايا العشر هي جرائم كبرى في نظر التلمود وسرقة الممتلكات ليست بجريمة كبرى. وخطف غير اليهودي مصرح به لليهود بحسبما جاء في التلمود.

ثانيا – جاء في التوراة (العين بالعين والسن بالسن) ومعنى النص واضح لكل إنسان، ولكن التلمود أول هذا المعنى بأنه يعني عين مال مقابل العين، أي دفع غرامة بدلاً من العقاب الجسدي.

---

(١) إسرائيل شاحاك ص٥٨

ثالثاً – وتقول التوراة (أحب رفيقك كما تحب نفسك) فقد فسرتها اليهودية الكلاسيكية (وأرثوذكسية الوقت الحاضر) كأمر بحب الرفيق اليهودي، وليس حب غير اليهودي لأن غير اليهودي ليس رفيقك.

رابعاً – وتقول التوراة (لا تقف حيال دم رفيقك) أي لا تقف غير مبال عندما تتعرض حياة (أو دم) رفيقك اليهودي للخطر. ولكن اليهودي لا يجوز له إنقاذ حياة إنسان غير يهودي من الخطر لأن غير اليهودي ليس رفيقك.

فالتلمود يعطي تفسيرات للنصوص التوراتية تخالف تماماً معناها الظاهر الذي يفهمه منها كل إنسان، وذلك لأن واضعي التلمود أرادوا أن يجعلوا النصوص الدينية التي ترتب التزامات نحو الغير نصوصاً ضيقة جداً ويجب أن لا تطبق على غير اليهود.

أما فيما يتعلق بالتعامل بين اليهود وبين باقي بني البشر فقد حدد التلمود مفاهيم خاصة لمعاني هذه النصوص لا يمكن أن تكون هي المعاني التي أرادها الله و رسوله موسى عليه السلام.

ولذلك نرى أن نعطي لمحة موجزة عن التلمود وبعض تعاليمه لنعرف المنبع الذي يمد اليهود بهذا الفيض العظيم من الحقد والكراهية والرغبة في الإيذاء لبني البشر جميعاً وللمسيحيين خصوصاً.

التلمود وبعض تعاليمه

عرفت المسيحية في أوربا منذ عصور بعيدة معلومات وافية عن التلمود وقواعده وأوامره وما يمتاز به من زرع الحقد والكراهية في نفوس اليهود لبني البشر عامة، وللمسيحيين خاصة، فقد تفتحت عيون المسيحيين على تعاليم التلمود بسبب جرائم خطف الأطفال التي كانت تقع في أوقات حلول عيد الفطير عند اليهود، واختفائهم بصورة نهائية.

وقد جرت تحقيقات واستقصاءات ثبت بنتيجتها أن اليهود هم الذين يخطفون أطفال المسيحيين لاستنزاف دمائهم لاستعمالها في صنع الفطير في

أعيادهم، وقد اعترف اليهود أمام هيئات مسيحية عالية عقدت لمناقشتهم في أسباب هذه الجرائم، أن تعاليم التلمود عندهم تفرض عليهم استعمال دم إنسان مسيحي في صنع خبز الفطير المقدس، وإلا لم يصح صنعه.

ووجد رجال الدين المسيحيون في تلك الأزمنة البعيدة في التلمود معلومات خطيرة من شأنها غرس الحقد والكراهية، والدفع إلى الإجرام، في نفوس الأجيال اليهودية، وقد لاحظوا أن تعاليم التلمود تخص المسيح، والمسيحيين، والحكام المسيحيين، بكره خاص، وحث على إيذائهم والانتقام منهم، كما تكيل لهم الشتائم والسباب والتنقص.

وقد اكتفى المسؤولون المسيحيون في تلك الأيام بإتلاف نسخ التلمود الموجودة، وفي ظنهم أنها إذا تلفت فإن ذلك يكفي لمنع تعليم الكراهية والحث على إيذاء المسيحيين، وقتلهم وسرقة أموالهم، وهتك أعراضهم، وبعد ذلك تنشأ أجيال صالحة بعيدة عن تعاليم التلمود، وتعاليم الحقد والكراهية لمن حولهم، فيتآخى المسيحيون واليهود في المجتمع.

وتنصر بعض رجال الدين اليهود، بعد أن شعروا بالخزي والألم العميق لما في تلمودهم وكتبهم الأخرى من دفع إلى كره الناس، وحث على الإيذاء، وسفك للدماء البرئية وسرقة للأموال، وإن لم يكن هناك داع موجب للقيام بمثل هذه الأعمال الإجرامية.

وشرح رجال الدين اليهود المتنصرون ما في التلمود من تعاليم غير إنسانية وغير معقول الأخذ بها في عالم متحضر.

وفي عام ١٨٤٠م وقعت في دمشق ـ وكانت تحت حكم عثماني مصري مزدوج ـ جريمتان فظيعتان في وقت واحد ذهب ضحيتهما رجل دين مسيحي هو الأب توما الكبوشي وخادمه إبراهيم أمارة أو عمارة قتلهما اليهود لاستصفاء دمائهما بناء على أوامر الحاخام الأكبر واثنين من الحاخامات لحاجتهم إلى هذه الدماء في صنع خبز الفطير للعيد الذي قارب حلوله في ذلك العام.

ومن سوء حظ اليهود أن الجريمتين اكتشفتا، واعترف اليهود المجرمون

بجريمتهم، ـ وفيهم الحاخام الأكبر والحاخامان الآخران المشتركان في الجريمتين ـ وحضر التحقيق في الجريمتين قنصل النمسا على اعتبار أن حكومته ترعى اليهود في الشرق، وقنصل فرنسا في دمشق على اعتبار أن حكومته ترعى مصالح المسيحيين في سوريا في تلك الأيام، وقد سجل قنصل فرنسا وقائع التحقيقات بتمامها، واثبت لديه أقوال المجرمين، واعترافاتهم، وأقوال الشهود، فأحدثت الجريمتان ضجة عظيمة في فرنسا وفي أوربا كلها، وتناولت الصحف اليهود بالنقد اللاذع على هذه الجرائم البشعة.

وتحرك يهود أوربا، وأخذوا يجمعون الأموال، ويبذلونها وفيرة لشراء ذمم المحققين، لطي الموضوع، وتجنيب اليهود فضيحة دينية خطيرة، حرصوا دائماً على أن لا يحدث مثلها. لا سيما وأن أحد الحاخامات الذين اشتركوا في عملية ذبح القس وخادمه اعتنق الديانة الإسلامية وطلب الحماية من الحاكم العثماني، وأدلى بمعلومات مثيرة وخطيرة عما يحويه التلمود من تعاليم تحض على الحقد والكراهية لبني البشر، وكشف عن الأسباب التي تدفع باليهود إلى استنزاف دماء الناس ـ والمسيحيين منهم خاصة ـ لاستعمال هذه الدماء في صنع خبز الفطير في عيد الفطير اليهودي، وإلا لم يصح صنع الفطير، وتتعطل مراسم العيد.

ووصلت من أوربا شخصيات يهودية ذات أهمية في مجتمعاتها لتتصل بالوالي والمحققين، وحاول اليهود شراء المحققين والشهود بالمال الوفير الذي أخذوا يعرضونه عليهم بسخاء كبير، فلم يفلحوا. وقد سجل قنصل فرنسا في مذكراته بالتقدير الكبير ما قاله لليهود رجل من ديوان حاكم دمشق اسمه (شبلي أيوب) كان يشترك في التحقيق، حينما حاولوا رشوته. فقد رد هذا الموظف الشريف عليهم بقوله: إنني رجل فقير ولكنني عشت طيلة حياتي شريفاً، لم أدنس نفسي خلالها بشيء ينتقص من ذمتي وكرامتي، وفي الأرض اليوم ألوف لا تحصى من السفلة والمرتشين، وأنا لا أريد أن أزيد عددهم واحداً آخر.

وهكذا تم التحقيق بنزاهة تامة، وكشف عن الجريمة كشفاً كاملاً، واثبت المحققون اعترافات اليهود المشتركين في الجريمة جميعاً، وكلهم اعترفوا فيها بأنهم شاركوا في ذبح الخوري الأب توماس الكبوشي وخادمه إبراهيم عمارة، وأنهم استصفوا دماءهما استجابة لأمر الحاخام الأكبر ومعاونيه للحصول على دماء مسيحية لصنع خبز الفطير للعيد الذي اقترب موعد حلوله، ثم قطعوا الجثتين، وسحقوا الرأسين والعظام، والقوا كل ذلك في المجارير.

ومن غريب ما قاله صبية من اليهود حضروا عمليتي الذبح واستصفاء الدماء.. أنهم حضروا العمليتين بتحريض من آبائهم ليتسلوا بذلك وليعتادوا على قتل المسيحيين واستصفاء دمائهم...

وقد حملت هذه الجريمة المزدوجة بعض الكتاب الفرنسيين على وضع كتب تكشف للناس ما في التلمود من تعاليم تدفع اليهود إلى كره بني البشر، والسعي إلى سفك دمائهم، ونهب أموالهم وهتك أعراضهم، والسعي إلى إخضاعهم لحكم اليهود وسلطانهم في كل مكان من العالم.

ووضع الدكتور «شارل لوران» كتاباً عن تاريخ سوريا لعام ١٨٤٠م أورد فيه قصة ذبح الخوري توماس وخادمه، وذكر فيه ما قاله أحد الحاخامين المشتركين في الذبح وهو الحاخام «موسى أبو العافية» الذي أعلن إسلامه أثناء التحقيق، وطلب حمايته من بطش اليهود، وكشف للمحققين عن معلومات وافية عما جاء في التلمود، وفي بعض الكتب اليهودية الأخرى، ونقل «الدكتور يوسف نصر الله» الكتاب إلى اللغة العربية.

وقد وضع «الدكتور روهليج» الذي كان مدرساً في مدارس براغ كتاباً في عام ١٨٩٩ باللغة الفرنسية عن «أصول التلمود وقواعده» نقله إلى العربية «الدكتور يوسف نصر الله» أيضاً.

نلخص في هذا الفصل ما جاء في كتاب قواعد التلمود للدكتور روهلج وما جاء في كتاب شارل لوران عن بعض أحكام التلمود التي

كشفت أثناء التحقيق في جريمة دمشق بصفتها وثائق تظهر نتائج التحريف.

أولاً : تلخيص كتاب الدكتور «روهليج» عن أصول التلمود وقواعده:

يتألف التلمود من جزئين:

الجزء الأول: هو ‹المشنا› ويعتبر بمثابة المتن بالعبرية ‹المعرفة› وهو لائحة قانونية تناقلها الحاخامات عن النبي موسى في طور سيناء، وتم جمعها بين عامي ١٩٠ و ٢٠٠ بعد الميلاد، أي بعد قرن من تدمير الهيكل.

وتتألف المشنا من ستة أقسام تسمى (سيد اريم) وهي: زيرائيم أي البذور ويتضمن اللوائح الزراعية. (مويد) أي الأيام المقررة، وفيه لوائح الأعياد والصيام، (نشيم) أي المرأة. (نيزكين)، أي الأضرار، وفيه أحكام القوانين المدنية والجزائية.

(كود اشيم)، أي الأشياء المقدسة. وأخيراً (توهاروت)، أي الطهارة.

الجزء الثاني: وهو ‹الجماراه› وهو شرح للمشنا ويعني الإكمال ويتألف من سجلين:

سجل جماراه أورشليم:

وهو يحوي مناقشات حاخامات فلسطين وخاصة منهم علماء مدارس طبريا لشرح أصول المشنا ويرجع تاريخه لعام ٤٠٠ ميلادية ويسمى تلمود أورشليم.

سجل جماراه بابل:

وفيه مناقشات حول المشنا أجراها علماء اليهود في بابل أيام السبي ويرجع إلى عام ٥٠٠ ق.م، ويسمى مع المشنا تلمود بابل.

التعريف بالتلمود:

أخذ الربيون والحاخامون تعاليمهم ومبادئهم عن الفرِّيسيين، الذين كانوا متسلطين على الشعب أيام السيد المسيح، يحضونه على أتباع ظواهر

شريعة موسى، ويحتفظون لأنفسهم بتفسير التقليدات المتصلة إليهم.

وبعد المسيح بحوالي ١٥٠ سنة خاف الحاخام (يوضاس) أن تعصف يد الضياع بهذه التعاليم، فجمعها في كتاب أسماه (المشنا)، ومعناه: الشريعة المكررة.

وهدف المشنا هو إيضاح تفسير ما التبس في شريعة موسى، وإكمال الشريعة حسب قولهم.

وقد أضيفت إلى كتاب المشنا في العصور التالية شروحات أخرى وضعها الحاخامون في مدارس فلسطين وبابل.

ثم علق علماء اليهود على المشنا حواشي، وشروحات مسهبة، دعوها باسم (جماراه) وهكذا أصبحت المشنا والجماراه تكونان التلمود، وكلمة تلمود تعني (كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم).

ويوجد في نسخ التلمود المطبوعة خلال المئة الأخيرة من السنين بياض أو دوائر مرسومة بدلاً من ألفاظ وقحة كانت مدونة محل البياض تتناول السيد المسيح والسيدة العذراء والدته ورسله الكرام، ولكن هذا الاحتياط لم يلغ جميع ما قيل في حق المسيح ووالدته ورسله والمسيحيين من طعن وتجريح.

ويظهر جلياً من الشروح أن ما جاء في التلمود بخصوص باقي الأمم غير اليهود مثل كلمة أميين أو أجانب أو وثنيين، إنما المراد بها أساساً المسيحيون.

ولما اطلع المسيحيون على هذه الألفاظ هالهم الأمر، وتعالت صيحاتهم مستنكرة ما يعلمه اليهود لإتباعهم وأبنائهم فاضطر المجمع الديني اليهودي في مدينة بولونيا إلى اتخاذ قرار عام ١٦٣١م جاء فيه أنه من الآن فصاعداً يجب حذف الكلمات المسيئة للمسيحيين على أن يترك مكانها فارغاً، أو توضع مكانها دوائر، يملؤها اليهود لأنفسهم، ولا تعلم حقيقتها إلا لليهود في مدارسهم الخاصة فقط، فيشرح المعلمون للتلاميذ أن المسيحيين مفطورون على الخطايا، وأنه يجب أن لا يستعمل معهم الرفق، وأن لا

يعاملوا بالعدل، كما أنه يجب على اليهودي المخلص أن لا يحبهم أصلاً.

وقال محام يهودي هو (هاروت وسكي): إن من اطلع من اليهود على التلمود يعتقد أنه كتاب منزل، وعليه أن يبذل الجهد في نشر قواعده المضرة بين أبناء جنسه، وهؤلاء يحفظونها ويسجلونها ويطبقونها في الغالب.

يعتبر: التلمود من الكتب المنزلة من عند الله ويتقدم عند اليهود على التوراة. والحاخامات - بحسب نصوص التلمود - معصومون عن الخطأ، وكل ما يقولونه يعتبر كأقوال الإله.

ويعتبر اليهود - عدا بعض المتشددين منهم - أن التلمود كتاب منزل من عند الله، مثله في ذلك مثل التوراة، حتى إنهم يعتبرونه أعظم من التوراة، وقد جاء في إحدى صحف التلمود ما يلي:

(من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق عليها حمداً، ومن درس المشنا فعل فضيلة يستحق أن يكافأ عليها، ومن درس الجماراه فعل فضيلة أعظم.

وجاء في كتاب (شاغيجا):

(من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت - ولا يستحق الموت من احتقر التوراة - ولا نجاة لمن ترك تعاليم التلمود، واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود من شريعة موسى).

وجاء في التلمود أن إشعيا النبي هو الذي قسم أبوابه وفصوله، وأن التلمود مساو لشريعة موسى.

وجاء في التلمود:

(أعطى الله الشريعة على طور سيناء - وهي التوراة والمشنا والجاماراه - ولكنه أرسل على يد موسى الكليم التلمود شفاهاً، حتى إذا حصل فيما بعد تسلط أمة أخرى على اليهود يوجد فرق بينهم وبين باقي الوثنيين، وجاءت شريعة التلمود شفاهية لأنها لو كتبت لضاقت بها الأرض).

ويستنتج مما جاء في التلمود، ومن أقوال الحاخامات: أن التلمود ليس

من الكتب المنزلة، كما يعتبر ذلك اليهود، لأسباب منها:

ـ يثبت ذلك مما يحتويه من التعاليم مما جاء فيه من أن الحاخامات كلهم متساوون، ولو لم يكونوا رسلاً مكلفين بتبليغ من قبل الله.

ـ اليهود يعتقدون أن لكل الحاخامات سلطة إلهية، وكل ما قالوه يعتبر كأنه صادر عن الله.

ويقول الحاخامات:

ـ (إن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء).

ـ (إن الحاخامات المتوفين يكلفون بتعليم المؤمنين في السماء).

وجاء في كتاب ألفه يهودي اسمه كرافت مطبوع عام ١٥٩٠:

(وأعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء، وزيادة على ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة، لأن أقوالهم هي قول الله الحي، فإذا قال لك حاخام يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدقه في قوله، ولا تجادله، فما بالك إذا قال لك إن يدك اليمنى هي اليمنى؟).

وقال عالم يهودي متوفى في القرن ١٣ اسمه ميمانود: (مخالفة الحاخامات هي مخالفة الله).

وجاء في التلمود: (من جادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ، وكأنه جادل القوة الإلهية).

وقال حاخام اسمه (مناحيم) في أقوال الحاخامات المتناقضة فيما بينها:

(إنها كلام الله مهما وجد فيها من التناقض، فمن لم يعتبرها كذلك، أو قال إنها ليست أقوال الله، فقد أخطأ في حق الله تعالى).

وجاء في كثير من كتب اليهود أن أقوال الحاخامات المناقض بعضها بعضاً كلها منزلة من السماء، ومن يحتقرها فمثواه جهنم وبئس المصير.

والحاخامات الذين ألفوا التلمود يأمرون الشعب بوجوب إطاعتهم طاعة عمياء، ويدعون أن ما يظهر من التناقض بين أقوال الحاخامات

صادر كله عن الله تعالى. ويقولون أيضاً: (إن الحاخامات معصومون عن الخطأ).

وجاء في الصفحة ٧٤ من التلمود ما يلي:

إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها، ولا تفسيرها ولو بأمر الله، ويقولون إن الاختلاف قد وقع يوماً بين الله تعالى وبين علماء اليهود في مسألة، وبعد أن طال الجدل حولها تقرر إحالة الخلاف إلى أحد الحاخامات الرابيين، واضطر الله تعالى إلى أن يعترف بخطئه بعد حكم الحاخام المذكور!!.

والعصمة عند اليهود تمتد من الحاخام حتى تشمل كل ما يتعلق به، حتى قيل إن حمار الحاخام لا يمكن أن يأكل شيئاً محرماً.

وجاء في بعض كتبهم: إذا وجدت في الكتب أقوالاً يناقض بعضها بعضاً، فكيف يمكنك أن تعرف الحقيقة؟ فأجب: كل هذه الأقوال هي كلام الله فافتح أذنيك مثل القمع واسمع وليكن عندك قلب يفرق بين ما هو مباح لك وما هو محظور عليك.

وهذه الأقوال تعني: يمكنك أن تفعل ما تستطيع فعله، فإذا أراد أحد الرابيين أن يتمسك بالحقيقة والعدالة فلك أن تخالفه في قوله وتتبع أقوالاً أخرى مناقضة له، لأن الأقوال المخالفة لأقواله هي كلام الله أيضاً.

ولذلك جاء في التلمود بأفصح عبارة: إن الإنسان مهما يكن شريراً في الباطن وأصلح ظاهرة يخلص.

وجاء في كتاب بثرات ص ١٦:

يحرم على اليهودي أن يأكل من خبز باقي الأمم ما لم يكن قد صنع خصيصاً للبيع لئلا يكون سبباً للمحبة بينهم وبين الأميين، ولا يجوز شراء خبز إلا إذا كان قد صنعه في بيته ثم عرضه للبيع.

- المشروبات غير مباح تناولها لليهود إذا لمسها أجنبي، وعلى اليهودي أن يسكبها على الأرض ويغسل الإناء، وهكذا الأمر فيما يتعلق بالعنب،

أما سبب ذلك فهو لمنع قيام علاقات ود وصداقة بين اليهود وبين باقي بني البشر؟؟.

وجاء في كتاب (كالا حامارات حقا مشيتي) الاصحاح ٣٨٨ منه:

(اليهودي الذي يرفع شكوى على أحد أبناء ديانته، ولو كان اقبح إنسان، لصالح أجنبي، ثم تضرر أخوه اليهودي من تلك الشكوى، أو ضرب أو قتل، يستحق ذلك المشتكي نفس العقاب الذي سببه لأخيه، ولا يكون للمشتكي محل في الآخرة).

- إذا أراد يهودي أن يتهم يهودياً آخر بأمر يمكن أن يعدم فيه، وعلم أحد اليهود بهذا العزم لزمه قتله ولا إثم عليه في قتله.؟

أما إذا لم يتمكن من قتله فيجب عقد جمعية للوصول إلى هذه الغاية، وجميع اليهود القاطنين في تلك الناحية ملتزمون بتقديم العون والنفقة لتحقيق ذلك العمل.

العزة الإلـهية بحسب نصوص التلمود:

جاء في التلمود ما يلي:

النهار اثنتا عشرة ساعة، في الساعات الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة، وفي الساعات الثلاث التالية يحكم، وفي الساعات الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفي الساعات الثلاث الأخيرة من النهار يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك.

ويقولون إنه نظراً لحجم الحوت الكبير رأى الله تعالى أن يحرمه من زوجته لأنه لو لم يفعل ذلك لامتلأت الدنيا وحوشاً تهلك من فيها، لذلك حبس الله الذكر بقوته الإلـهية، وقتل الأنثى وملحها وأعدها لطعام المؤمنين في الفردوس.

وقال مناحيم:

لا شغل لله في الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة ومع

(اسمودية) ملك الشياطين في مدرسة السماء، ثم ينصرف اسمودية منها بعد صعوده إليها كل يوم.

وبعد أن تم هدم الهيكل في أورشليم، فإن الله تعالى لم يلعب مع الحوت منذ ذلك الحين، كما أنه منذ ذلك الوقت لم يعد يميل إلى الرقص مع حواء بعدما زينها بملابسها وعقص لها شعرها، وقد اعترف الله تعالى بخطئه في تصريحه بهدم الهيكل، فصار يبكي ويمضي ثلاثة أرباع الليل يزأر كالأسد قائلاً: تباً لي لأنني صرحت بخراب بيتي، وإحراق الهيكل، ونهب أولادي، وشغل الله تعالى مساحة أربع سماوات فقط بعد أن كان ملء السموات و الأرض في جميع الأزمان.

وحينما يسمع الباري جل وعلا تمجيد الناس له يطرق رأسه ويقول: (ما أسعد الملك يمدح ويبجل مع استحقاقه لذلك، ولكن الأب الذي يترك أولاده في الشقاء لا يستحق شيئاً من المدح).

يندم الله تعالى على تركه اليهود في حالة من التعاسة حتى إنه يلطم ويبكي كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى نهايته وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل.

وقد خطأ القمر الله تعالى فقال له: لقد أخطأت إذ خلقتني اصغر من الشمس، فأذعن الله لهذا القول، واعترف بخطئه، وقال: اذبحوا لي ذبيحة أكفر بها عن ذنبي لأنني خلقت القمر أصغر من الشمس...؟؟

وبحسب نصوص التلمود فإن الله تعالى ليس معصوماً عن الطيش لأنه حالما يغضب يستولي عليه الطيش، كما حصل له مرة حين غضب من بني إسرائيل، وحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم بعد ذهاب ذلك الطيش عنه، ولم ينفذ اليمين، لأنه عرف أنه فعل فعلاً مخالفاً للعدالة.

وجاء في التلمود:

إن الله تعالى إذا حلف يميناً غير قانونية احتاج إلى من يحلله من يمينه، وقد سمع أحد العقلاء اليهود الله تعالى يقول: من يحللني من اليمن التي

أقسمت بها؟ ولما علم باقي الحاخامات أنه لم يحلله منها اعتبروه حماراً، لأنه لم يحلل الله من يمينه، لذلك نصبوا له ملكاً بين السماء والأرض اسمه (مي) لتحليل الله من أيمانه ونذوره عند اللزوم...!

وكما حصل لله أن يحنث بيمينه فقد كذب أيضاً بقصد الإصلاح بين إبراهيم وسارة زوجته، وبناء عليه فيكون الكذب حسناً شائعاً لأجل الإصلاح.

ويقولون إن الله مصدر الشر كما أنه مصدر الخير وإنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسن له شريعة لولاها لما كان يخطئ، وقد أجبر اليهود على قبولها، فينتج من ذلك أن داود الملك لم يرتكب بقتله (أوريا)، أو بزناه بامرأته خطيئة يستحق عليها العقاب من الله تعالى لأن الله هو الذي سبب كل ذلك.

الملائكة:

الملائكة بحسب التلمود قسمان:

- قسم لا يطرأ عليه موت وهو الذي خلق في اليوم الثاني.
- وقسم يطرأ عليه الموت وهو قسمان:

الأول - من يموت بعد مكثه زمناً طويلاً قدِّر له فيه الحياة بأجله، وهو الذي خلق في اليوم الخامس.

الثاني - من يموت بعد مكثه زمناً طويلاً قدر له فيه الحياة بأجله وهو الذي خلق من النار. ويخلق الله كل يوم ملكاً جديداً عند كل كلمة يقولها، فهؤلاء الملائكة يأتون إلى الوجود بسرعة كما يخرجون منه بسرعة.

أما وظائف الملائكة، فمنهم من يحفظ الأعشاب التي تنبت في الأرض وعددهم ٢١٠٠٠ بعدد أنواع الأعشاب، فكل واحد يحفظ نوعاً أنيط به حفظه.

ومنهم الملك (جركيمود) للبرد، وميخائيل للنار، وانضاج الثمار.

وهناك ملائكة آخرون يعرف الحاخامات أسماءهم بعضهم مخصص

بالخير، وبعضهم بالشر. وبعضهم لبث المحبة والصلح، وبعضهم لحفظ الطيور والأسماك، وبعضهم مختص بصناعة الطب، وبعضهم لمراقبة حركة الشمس والقمر والكواكب.

وقال الحاخام (ميمانود): الأجرام السماوية هي صالحو الملائكة، ولذلك تراهم يعقلون ويفهمون.

وتشتغل الملائكة ليلاً ببث النوم في الإنسان، وتصلي لأجله نهاراً، لذلك فعلينا أن نطلب منها ما نريد، غير أن الملائكة لا تفهم اللغة السريانية ولا الكلدانية فعلى من يطلب منها شيئاً أن لا يوجه الخطاب إليها بإحدى هاتين اللغتين.

وجاء في التلمود: الملائكة يجهلون اللغة الكلدانية حتى لا يحسدوا اليهود على صلاتهم...!!

الشياطين والسحر:

يبحث التلمود موضوع الشياطين، ويتحدث عن السحر والحاخامات السحرة وكيف كان بعضهم يخلق عجلاً، وبعضهم يحيل القرع والشمام إلى غزلان وماعز، والماء إلى عقارب.. وإن أحد الحاخامات سحر يوماً امرأة فأحالها إلى حمارة...!!

وجاء فيه: إن إبراهيم الخليل كان يتعاطى السحر ويعلمه وكان إبراهيم يعلق في رقبته حجراً ثميناً يشفي بواسطته جميع الأمراض، وقد وصل هذا الحجر إلى بعض الحاخامات التلموديين، فكان هو ورفاقه يحيون الموتى بقوة هذا الحجر...!!

وإن أحد الحاخامات قطع مرة رأس حية ثم لمسها بالحجر المذكور فعادت إلى ما كانت عليه من حياة، وقال إنهم لمسوا بهذا الحجر أسماكاً مملحة فدبت فيها الحياة بقوة السحر.

الأسرار والخرافات:

قال الحاخام فابيوس من ليون في فرنسا في خطبة له عام ١٨٤٢م:

(إن الديانة اليهودية أفضل من جميع الديانات لأنها لا تحتوي على أسرار، وكل تعاليمها معقولة بخلاف الدين المسيحي، الذي تقوم قواعده على الجنون).

ويقول التلمود: (إن الله أخذ تراباً من جميع بقاع الأرض وكونه كتلة، وخلقها جسما ذا وجهين ثم شطره نصفين فصار أحدهما آدم والثاني حواء، وكان آدم طويلاً جداً فكانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء، وإذا نام كان رأسه في المشرق ورجلاه في المغرب).

وصنع الله لآدم طاقة ينظر منها الدنيا من أولها إلى آخرها، ولما عصى آدم ربه نقص طوله حتى صار كباقي الناس..!!

أما الملك عوج الذي ذكر في التوراة فسبب تسميته بهذا الاسم مقابلته مع إبراهيم الخليل حالما كان يخبز فطير الفصح المسمى باللغة العبرية (العجة)، وتخلص هذا الملك من الغرق زمن الطوفان لأنه مشى بجانب سفينة نوح حينما كان الماء بارداً، وأما في الجهات الأخرى فكان وصل إلى درجة الغليان.

وكان الملك عوج يتغذى كل يوم بألفي ثور ومثلها من الطيور، ويشرب ألف صاع من الماء.

وذكر في التلمود أيضاً: أن الرابي يوحانا، وجد مرة عظمة ساق ميت فمشى بجوارها ثلاث ساعات ولم ينته لآخرها، وكانت هذه عظمة ساق عوج الملك.

وجاء في التلمود أن إبراهيم الخليل كان غذاؤه مقدار غذاء ٧٤ رجلاً، وشربه بقدر شربهم، لذلك كانت قوته مثل قوة ٧٤ رجلاً، وكان قصيراً بالنسبة إلى الملك عوج.

أرواح اليهود وأرواح النصارى:

جاء في التلمود: إن جميع الأرواح كانت في الأيام الستة الأولى للخليقة، ووضعها الله في المخزن العمومي في السماء، وهو يخرج منها عند اللزوم، أي كلما حملت امرأة وولدت.

وخلق الله ستمائة ألف روح يهودية، لأن كل فقرة من التوراة لها ستمائة ألف تأويل، وكل تأويل يختص بروح من هذه الأرواح.

وفي كل يوم سبت تتجدد عند كل يهودي روح جديدة على روحه الأصلية، وهي التي تعطيه الشهية للأكل والشرب.

وتتميز أرواح اليهود عن باقي أرواح البشر بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده. ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح غير اليهودية، لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات.

وجاء في التلمود: إن نطفة غير اليهودي هي كنطفة باقي الحيوانات.

وبعد موت اليهودي تخرج روحه وتحتل جسماً آخر، فإذا مات أحد الجدود مثلاً تخرج روحه وتشغل أجسام نسله الحديثي الولادة.

وكانت لقايين (ابن آدم) ثلاثة أرواح: الأولى خلقت في جسد قورش، والثانية في جسد (جترو)، والثالثة في المصري الذي قتله موسى...!!

وجاء في التلمود إن روح إشعيا دخلت جسد يسوع، وإن إشعيا كان قاتلاً وزانياً. أما اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهودياً، فإن أرواحهم تدخل بعد موتهم في الحيوانات والنباتات، ثم تذهب إلى الجحيم، وتعذب عذاباً أليما مدة ١٢ شهرا، ثم تعود ثانية فتدخل في الجمادات، ثم في الحيوانات ثم في الوثنيين، ثم ترجع إلى جسد اليهود بعد تطهيرها.

ويقولون: إن الله فعل هذا التناسخ رحمةً باليهود، لأن الله أراد أن يكون لكل يهودي نصيب في الحياة الأبدية.

الجحيم والنعيم:

جاء في التلمود: النعيم مأوى الأرواح الزكية، وقد وضع الياس يوماً جبة أحد الحاخامات هناك فتعطرت من أوراق الأشجار، وبقيت فيها تلك الأرواح العطرية، وبسببها كانت تساوي ٣٠٠ فرنك..!!

ويأكل المؤمنون في النعيم من لحم زوجة الحوت المملحة كما مر معنا سابقاً.

ويقدم للمؤمنين على المائدة لحم ثور بري كبير جداً كان يتغذى بالعشب الذي ينبت في الجبل ويأكلون لحم طير كبير لذيذ الطعم جداً، ولحم أوز سمين للغاية.

أما الشراب فهو من النبيذ اللذيذ القديم المعصور ثاني يوم خليقة العالم.

ولا يدخل الجنة إلا اليهود، أما الجحيم فهو مأوى الكفار، ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين.

ويوجد في كل محل منه زيادة على ذلك: ستة آلاف صندوق في كل صندوق منها ستة آلاف برميل ملآى بالصبر.

والجحيم أوسع من النعيم ستين مرة، لأن الذين لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم كالمسلمين، والذين لا يختتنون كالمسيحيين الذين يحركون أصابعهم (أي يفعلون إشارة الصليب)، يبقون هناك خالدين أبداً.

المسيح وسلطان اليهود:

ينتظر اليهود بصبر فارغ الزمن الذي يظهر فيه المسيح، ولكن من هو هذا المسيح الذي ينتظرونه؟...

جاء في التلمود: لما يأتي المسيح تطرح الأرض فطيراً، وملابس من الصوف، وقمحاً بقدر كلى الثيران الكبيرة، وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود، وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له. وفي ذلك الزمن يكون

لكل يهودي ٢٨٠٠ عبد يخدمونه وثلاثمئة وعشرة أكوان تحت سلطته.

ولكن لا يأتي المسيح إلا بعد أن ينقضي حكم الأشرار الخارجين عن دين بني إسرائيل. فيجب على كل يهودي أن يبذل جهده، لمنع استملاك باقي الأمم في الأرض حتى تبقى السلطة لليهود وحدهم، لأنهم يجب أن تكون لهم السلطة أينما حلوا، وإذا لم يتيسر لهم ذلك اعتبروا بمثابة منفيين وأسارى.

وإذا تسلط غير يهودي على أوطان اليهود يحق لهؤلاء أن يندبوا سوء حالهم ويقولوا: يا للعار ويا للخراب.

ويستمر ضرب الذل والمسكنة على بني إسرائيل حتى ينتهي حكم الأجانب. وقبل أن يحكم اليهود على باقي الأمم نهائياً، يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق، ويهلك ثلث العالم. ويبقى اليهود، سبع سنين متواليات يحرقون الأسلحة التي كسبوها بعد النصر، ويعيش اليهود في حرب عوان مع باقي شعوب الأرض منتظرين ذلك اليوم، وسيأتي المسيح الحقيقي، ويحصل النصر المنتظر، ويقبل المسيح حينئذ هدايا جميع الشعوب، ويرفض هدايا المسيحيين.

ويكون اليهود في ذلك اليوم في غاية الثراء لأنهم يكونون قد جمعوا جميع أموال العالم.

وفي ذلك اليوم يقبل الناس على الدخول في دين اليهود أفواجاً، ما عدا المسيحيين فإنهم سيهلكون لأنهم من نسل الشيطان.

ويتحقق يومها نصر الأمة اليهودية بمجيء إسرائيل ، وتكون تلك الأمة هي المتسلطة على باقي الأمم عند مجيئه.

وعلق الكاتب على هذه الأقوال بقوله: (من الغريب أن تسمح شعوب البلاد المسيحية أن يسب اليهود في بلادهم المسيح وأمه، ويقولوا عنه إنه صنم، وإنه ولد من سفاح، وإن أمه زانية).

من هم أقرباء اليهود من بني البشر:

قريب اليهودي هو اليهودي فقط، أما باقي الناس فهم حيوانات في صورة بشر، وهم حمر وكلاب وخنازير، ويجب أن يبغضهم اليهودي سراً. والنفاق في هذا الباب جائز.

جاء في التلمود: إن الإسرائيلي معتبر عند الله أفضل من الملائكة، فإذا ضرب أمي (غير يهودي) إسرائيلياً فكأنه ضرب القدرة الإلٓهية.

ويعتقد اليهود بصحة ما سطره لهم حاخاماتهم، من أن اليهودي جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه.

وقد جاء في التلمود: إذا ضرب أمي إسرائيلياً فالأمي يستحق الموت.

وإن الله لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما وجدت الأمطار، ولا الشمس، ولما كانت بقية المخلوقات قادرة على أن تعيش.

وجاء في تلمود أورشليم (ص٩٤): إن النطفة التي خلق منها غير اليهود هي نطفة حصان.

وقال الرابي (كرونير): لا فرق بين الأجنبي والخارج عن دين اليهود بموجب أحكام التلمود.

والغريب هو الذي لا يختتن ولا فرق بينه وبين الوثني.

وجاء في التلمود: إن اليهودي يتنجس إذا لمس القبور وفقاً لما جاء في التوراة، ما خلا قبور الأمم من غير اليهود، لأنهم يعدون كالبهائم وليس من البشر.

ويعتبر التلمود الأجانب في سوية الكلاب، لأنه ذكر في سفر الخروج: إن الأعياد المقدسة لم تجعل للأجانب ولا للكلاب.

وذكر في كتب أخرى أن الكلب أفضل من الأجنبي لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجانب، ولم يصرح لليهودي أن يعطي الأجانب لحماً، وإنما يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم.

وقال الحاخام (اباربانيل): إن الشعب المختار ـ أي اليهود ـ وحده الذي

يستحق الحياة الأبدية، أما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير.

ولا قرابة بين اليهود وبين الأمم الخارجة عن دين اليهود لأنهم أشبه بالحمير، ويعتبر اليهودي بيوت أبناء الأمم الأخرى نظير زرائب الحيوانات.

وقال الرابي مناحم: أيها اليهود إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك، لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة.

وكان الحاخام (أريل) يعتبر الخارجين عن الدين اليهودي خنازير نجسة تسكن الغابات، ويلزم المرأة أن تعيد غسلها إذا رأت عند خروجها من الحمام شيئاً نجساً ككلب أو حمار أو أممي أو مجنون أو جمل أو خنزير أو حصان أو مجذوم. والخارج عن دين اليهود هو حيوان على العموم، فسمه كلباً أو حماراً أو خنزيراً، والنطفة التي هو منها هي نطفة حصان. وقال الحاخام (أباربانيل): المرأة غير اليهودية من الحيوانات. وقد خلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون صالحاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليل نهار حيوان على صورته الحيوانية. وعلى اليهودي أن لا يبالغ في مدح المسيحيين، وأن لا يصفهم بالحسن والجمال إلا إذا قصد أن يمدحهم كما يمدح الإنسان حيواناً، لأن الخارج عن ملة اليهود يشبه الحيوان. ولهذا كله فإن اليهود لا يعتبرون باقي الأمم أقارب لهم.

ويعتبر اليهود أن يسوع المسيح ارتد عن الدين اليهودي وعبد الأوثان. ويعتبر اليهود أن الوثني الذي لا يتهود، والمسيحي الذي يبقى على دين المسيح، عدو لله وعدو لهم. ويعتبر اليهود كل إنسان خارج عن دينهم غير إنسان، ولا يجوز أن تستعمل معه الرأفة. ويعتقدون أن غضب الله موجه إليه، ويجب أن لا تأخذ اليهود شفقة به.

وذكر في التلمود: لا يجوز أن تشفقوا على ذي جنة.

وقال الحاخام (اباربانيل): ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم. ويجوز لليهودي، بحسب أحكام التلمود، أن يغشوا

الكفار لأنه مكتوب فيه: يجب أن تكون طاهراً مع الطاهرين ونجساً مع النجسين.

وبحسب أحكام التلمود فإنه محظور على اليهود أن يحيوا الكفار بالسلام مالم يخشوا أضرارهم وعدوانهم، وقد استنتج من ذلك الحاخام بشاي: أن النفاق جائز، وأن الإنسان (أي اليهودي) يمكنه أن يكون مؤدباً مع الكافر، ويدعي محبته كاذباً إذا خاف وصول الأذى منه إليه.

ويعتبر التلمود كل من لا يختتن من الوثنيين الأشرار الذين ليس لهم عقيدة دينية، وأما اختتان المسلمين فلا يمنعهم من أن يكونوا كالباقين لأنه ليس الختان الحقيقي.

ويجيز التلمود لليهودي إذا قابل أجنبياً أن يوجه السلام إليه ويقول له: الله يساعدك أو يباركك، على شرط أن يستهزئ به سراً، ويعتقد أنه لا يمكنه أن يفعل خيراً ولا شراً.

التملك والتسلط ـ وسرقة أولاد نوح:

بما أن اليهود يعتبرون أنفسهم مساوين للعزة الإلهية لذلك كان من حقهم أن تكون الدنيا ملكاً لهم، وأن يكون لهم عليها حق التسلط، لذلك جاء في التلمود صراحة: إذا نطح ثور يهودي ثور أمي فلا يلتزم اليهودي بشيء من الأضرار، ولكن إذا كان الأمر بالعكس يلتزم الأمي بجميع الأضرار التي لحقت باليهودي (جماراه ص٣٦) . وذلك لأن الله ذكر في التوراة أن الله سلط اليهود على الأجانب لما نظر أن أولاد نوح لم يحافظوا على الوصايا السبع المعطاة لهم فأخذ أموالهم وسلمها إلى اليهود.

وأولاد نوح بحسب تعبير التلمود هم الخارجون عن الدين اليهودي، أما اليهود فهم أولاد إبراهيم.

وقال الرابي (البو): سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم وعلى دمائهم.

وجاء شرح ذلك في التلمود على الشكل التالي:

(إذا سرق أولاد نوح ـ أي غير اليهود ـ ولو كان المسروق طفيف القيمة ـ يستحقون الموت لأنهم خالفوا الوصايا التي أعطاها الرب لهم. وأما اليهود فمصرح لهم أن يضروا بالأمي لأنه جاء في الوصايا: لا تسرق مال القريب).

وقال علماء التلمود في تفسير هذه الوصية: إن الأمي ليس بقريب، وإن موسى لم يكتب في الوصية (لا تسرق مال الأمي)، لذلك لا يعتبر سلب الأمي مخالفاً للوصايا.

وجاء في الوصايا: لا تظلم الشخص الذي تستأجره لعمل ما إذا كان من أخوتك، أما الأجنبي فمستثنى من ذلك.

وضرب الرابي (عشى) مثلاً لذلك فقال: إذا نظرت كرماً حاملاً عنباً، فأمرت خادمي بأن يحضر لي منه عنباً فذلك جائز لي إذا كان يخص أجنبياً، وإذا كان يخص يهودياً فلا يجوز لي ذلك.

وقال (ميماند) مفسراً قول الله (لا تسرق): إن السرقة غير جائزة من الإنسان أي من اليهودي.

أما الخارجون عن دين اليهود فسرقتهم جائزة.

وهذه القاعدة مطابقة لما قيل من أن الدنيا هي ملك اليهود ، ولهم عليها حق التسلط. فالسرقة من الأجانب ليست سرقة عند اليهود، بل هي استرداد لأموالهم.

وجاء في كتاب (الروسيا اليهودية ص١١٩) ما يلي:

إن الحكام اليهود يبيعون للأفراد الحق في سلب أموال أشخاص معينين من المسيحيين، وبعد حصول البيع يكون المشتري، دون غيره من اليهود، صاحب الحق في اتخاذ التدابير اللازمة لوضع يده على أموال ذلك المسيحي. فأموال ذلك المسيحي التي كانت مباحة تصبح ملكاً لذلك المشتري من وقت عقد البيع. ويجوز أن يتدخل يهودي آخر مع المشتري الأول بصفة شريك ليتفقا معاً على العمل معاً لاسترداد ذلك المال، لأن أموال الأميين مباحة

لليهود، ولكل يهودي الحق في وضع يده عليها. ومتى تم الحصول على تلك الأموال اقتسمها اليهوديان، لأنه إذا اشترك يهوديان في سرقة أو غش أو نهب مال أحد الأجانب كانت القسمة واجبة بينهما.

وقال العالم (فنكرون): أموال المسيحيين مباحة عند اليهود كالأموال المتروكة، أو كرمال البحر، فأول من يضع يده عليها يمتلكها.

وجاء في التلمود (إن مثل بني إسرائيل مثل سيدة في منزلها: يستحضر لها زوجها النقود فتأخذها بدون أن تشترك معه في الشغل والتعب).

الغش:

جاء في التلمود: يسمح لليهودي أن يغش الأمي ويأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش، ولكن إذا باع اليهود ي أو اشترى من أخيه اليهودي شيئاً، فعليه ألاَّ يخدعه، ولا يغشه.

وجاء أيضاً: إذا جاء أجنبي وإسرائيلي أمامك بدعوى، فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلي رابحاً فافعل وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتنا (إذا حصل هذا الحكم في بلد يحكمه اليهود). وإذا أمكنك ذلك وفقاً لشريعة الأجنبي فاجعل الإسرائيلي رابحاً، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتك، فإذا لم تتمكن من كلا الحالين (بأن كان اليهود لا يحكمون البلد، والشريعة الأجنبية لا تعطي الحق لليهودي)، فاستعمل الغش والخداع بحق هذا الأجنبي حتى تجعل الحق لليهودي.

وقال الرابي (إسماعيل): على اليهودي، أن لا يجاهر بقصده الحقيقي حتى لا يضيع اعتبار الدين أمام أعين باقي الأمم.

وقال الحاخامات: من ضبط متلبساً بجرم السرقة أو الكذب يضر بالدين ضرراً بليغاً.

وقال الحاخام (رشي): مصرح لك أن تغش موظف الجمارك الخارج

عن الديانة اليهودية وتحلف له يميناً كاذبة على شرط أن تنجح فيما لفقته من الأكاذيب.

وفسر بعض الحاخامات غرض الحاخام (اكيبا): أن يجتهد اليهودي في أن يغش الأجنبي بدون أن يكتشف هذا الأخير أنه وقع ضحية غش.

وجاء في التلمود: إن الرابي (صمويل) - وهو أحد الحاخامات المهمِّين - كان من رأيه أن سرقة الأجانب مباحة، وقد اشترى هو نفسه من أجنبي آنية من الذهب كان يظنها الأجنبي نحاساً، ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط، وهو ثمن بخس، ثم سرق فوق ذلك درهماً من البائع.

واشترى الرابي كهانا مئة وعشرين برميلاً من النبيذ ولم يدفع للأجنبي إلا ثمن مئة منها.

وباع الرابي شجراً لأجنبي معداً للتكسير، ثم نادى خادمه وأمره أن يكسر بعضها ويسرقه لأن المشتري وإن كان يعرف عددها لكنه كان يجهل حجم كل قطعة منها.

وقال الرابي موسى: إذا غلط الأجنبي في حسابه مع اليهودي، فعلى اليهودي أن لا يغشه بل يقول له (لا أعرف) لأنه من الجائز أن يكون الأجنبي فعل ذلك عمداً لامتحان اليهودي وتجربته.

وقال الرابي (برنز) في كتابه المسمى (بودنيلج) يجتمع اليهود كل أسبوع بعد ما يغشون المسيحيين، ويتفاخر بعضهم على بعض بما فعل كل منهم من أساليب الغش ثم يفضون الجلسة بقولهم: علينا أن ننزع أرواح المسيحيين من أجسامهم، وعلينا أن نقتل أفضلهم.

حكم الأشياء المفقودة:

جاء في التلمود إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأمي ماله المفقود، وإنه من غير الجائز لليهودي أن يرد مالا فقده أجنبي ووجده اليهودي.

وقال الرابي (موسى) لا يجوز رد الأشياء المفقودة إلى الكفرة والوثنيين، وكل من اشتغل يوم السبت.

إذا دل يهودي على محل وجود يهودي آخر هارب بسبب عدم دفع دين يطالبه به الأجنبي فلا يحكم عليه بالإعدام كالمبلغ بأمر كاذب، لأن اليهودي مدين في الحقيقة، غير أن هذا البلاغ يعتبر كفراً من المبلغ، ومثله مثل من يرد الأشياء المفقودة للأجنبي، وعلى اليهودي المبلغ أن يدفع إلى اليهودي المبلغ عنه قيمة الضرر الذي لحقه من ذلك البلاغ.

وقال الرابي (جريكام) إذا فقد أجنبي سنداً محرراً على يهودي ما ووجده يهودي فيجب عليه أن لا يرده لصاحبه، لأن الدين يسقط عن اليهودي المدين بوجود السند تحت يد اليهودي وإذا قال من وجده إني أرده لصاحبه احتراماً لاسم الله، وتأدية للحق فيجب الرد عليه بما يأتي: إذا أردت أن تحترم اسم الله فادفع الدين من مالك.

ومعنى احترام اسم الله عند اليهودي وتمجيده: السعي في علو شأن الديانة اليهودية بواسطة إصلاح الظواهر، ولو كانوا أشراراً في الباطن.

وقال الحاخام (رشي) من رد شيئاً لأجنبي فقد اعتبره في درجة الإسرائيلي.

وقال (ميمانود): يذنب اليهودي ذنباً عظيماً إذا رَدَّ للأمي ماله المفقود، لأنه بفعله هذا يقوي الكفرة، ويظهر اليهودي بفعله هذا (رد الأشياء إلى الأجنبي)، أنه يحب الوثنيين، ومن أحبهم فقد أبغض الله تعالى.

الربا وعارية الاستعمال:

تلزم شريعة موسى الغني من اليهود بأن يساعد الفقير بإعطائه شيئاً من أمواله على سبيل الهبة، وعلى سبيل عارية الاستهلاك، وليس من العدل أن يرد المستعير إلى المعير أكثر مما قبض منه، لأن الشيء المعار لم يزد في أموال المستعير باستعماله، وليس للمعير أن يطلب زيادة عما أعطى لأنه إذا حصل ذلك منه يكون من قبيل الربا. ولكن المعير قد يحرم من الكسب بسبب إعارة ماله، وقد يتعرض هذا المال إلى مخاطر بيد المستعير، أو يكون للشيء المعار

ثمرة ففي كل هذه الأحوال يجوز للمعير أن يطلب زيادة على قيمة ما أعطاه لأنه في الحقيقة أعطى زيادة عن الشيء المعطى. فإذا أعطى المستعير قيمة الضرر أو الحرمان الذي حصل من العارية، تكون الفوائد قانونية، وإذا زادت عن ذلك فهي ربا. ولكن النقود لا تنتج ثماراً إلا إنه إذا حصل للمعير ضرر بسبب حرمانه من ماله موقتاً جاز له أن يأخذ فوائد مقابل ذلك. ولكن يلزم أن تكون الفوائد في الأحوال المذكورة قانونية ومناسبة.

(وفي أصل الديانة اليهودية يلزم اليهودي معاملة اليهودي وغيره في حال الاقتراض بالسوية).

ويقولون إن الله صرح لليهود حين دخولهم أرض كنعان أن يأخذوا من أهلها الأجانب زيادة عن قيمة الأشياء المعارة، ولو كانت العارية مجرد عارية استعمال. ولكن الله صرح بذلك في أحوال معينة، وأمر بأن تكون الفوائد المطلوبة مناسبة لحال الأجنبي، ولقيمة الشيء المعطى إليه، وإلا كان الأمر من قبيل انتهاز فرصة فقر القريب لسلب أمواله بدون وجه حق.

ولكن الحاخامات حولوا هذا الجواز إلى الأمر. وعوضاً عن قولهم إن موسى سمح بأخذ الفائدة إذا أقرض اليهودي أمياً مالاً قالوا: يجب أخذ تلك الفائدة.

وكتب ميمانود: أمرنا الله بأن نأخذ الربا من الذمي، وأن لا نقرض شيئاً إلا تحت هذا الشرط أي بالربا. وبدون ذلك نكون قد ساعدناه مع أنه من الواجب علينا الإضرار به، ولو أنه قد ساعدنا في هذه الحالة، بأخذنا منه الفوائد والربا.

أما الربا بين الإسرائيليين بعضهم مع بعض فهو محرم. ويقول أحد الحاخامات إن أقوال موسى في موضوع الربا إنما صدرت بصيغة الأمر.

وجاء في التلمود: غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا. وقال بذلك عدد من الحاخامات مع أنهم يعلمون يقيناً أن موسى لم

يصرح إلا بالفوائد القانونية المناسبة للأحوال فقد حرفوا أقواله وبدلوها.

وقال العالم بشاي: إن الحاخامات لا يصرحون بأخذ فوائد غير قانونية من اليهودي حتى يتمكن من تأمين معيشته.

وقال هذا العالم موجهاً أقواله لليهود فيما يتعلق بالأمي: حياته بين أيديكم فكيف بأمواله، أي إنهم مصرح لهم بزيادة الفوائد واستعمال الربا وارتكاب السرقة والنهب... كل ذلك جائز فعله مع الأمي لأن أمواله وحياته مباحة لليهود.

وجاء في التلمود: إن (صموئيل) أجاز للحاخامات أن يطلبوا الربا بعضهم من بعض وفي هذه الحالة يعتبر كهدية يريد أحدهم إهداءها للآخر ويتمسكون بإعارة (ابن أصي) لصموئيل مئة رطل من الفلفل على شرط أن يردها إليه مئة وعشرين رطلاً.

وقال الرابي (يهودا): إنه مصرح لليهودي أن يعير أولاده وأهل بيته بالربا ليذوقوا حلاوته ويقدروه حق قدره.. مع أن النبي حرم الربا بين اليهود سواء بطريقة ظاهرة أو خفية، لأنه حرم الخطية من حيث هي، ولم يحللها إذا كانت خفية.

وقال الحاخام (اباربانيل): إن الشريعة تجيز ارتفاع الفوائد على حسب إرادة المقرض (واستثنى المسيحيين من الأجانب؛ ولكنه فسر ذلك فيما بعد بقوله: إنه لم يستثن المسيحيين كما فعل إلا لحفظ السلام، وليتمكن اليهود من العيش بين المسيحيين بسلام. وهذا نفاق واضح).

وكتب حاخام آخر: لقد أصاب عقلاؤنا عندما صرحوا باستعمال الربا مع المسيحيين والأجانب.

وقال الحاخام (شواب)الذي ارتد عن الدين اليهودي: إنه إذا احتاج مسيحي لبعض النقود فعلى اليهودي أن يستعمل معه الربا المرة بعد المرة، حتى يصبح غير قادر على دفع ما عليه إلا بتنازله عن جمع أمواله، فإن تنازل عنها فبها، وإلا طلب منه الحق أمام المحاكم، ووضع يده على أملاكه بواسطتها.

حياة الأجانب وأشخاصهم:

لا يجوز للكاهن لأن يبارك الشعب باليد التي قتل بها شخصاً، ولو حصل القتل خطأ، أو ندم الكاهن بعد ذلك. ولكن الحاخام (شارل) قال: إن الكاهن يستطيع أن يبارك الشعب بتلك اليد إذا كان المقتول غير يهودي، ولو حصل القتل عن عمد وسبق إصرار. وينتج من ذلك أن قتل غير اليهودي لا يعد جريمة عندهم، بل يعتبر فعلاً يرضي الله.

وجاء في كتاب (بوليميك): إن لحم الأميين هو لحم حمير، ونطفتهم نطفة حيوانات غير ناطقة. أما اليهود فإنهم تطهروا على جبل طور سيناء، والأجانب تلازمهم النجاسة لثالث درجة من نسلهم، لذلك أمرنا بإهلاك من كان غير يهودي.

ويقول التلمود: اقتل الصالح من غير الإسرائيليين. ويحرم على اليهودي أن ينقذ أحداً من الأمميين من الهلاك، أو أن يخرجه من حفرة يقع فيها، لأنه بذلك يكون قد حفظ حياة أحد الوثنيين.

وجاء في صفحة أخرى من التلمود: إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة فعليك أن تسدها عليه بحجر، وزاد الحاخام (رشي): إن على اليهودي أن يعمل ما لزم ليجعل الوثني غير قادر على التخلص من وقعته.

وقال (ميمانود) الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثني، فإذا رايته واقعاً في نهر أو مهدداً بخطر فيحرم عليك أن تنقذه منه، لأن الشعوب السبعة الذين كانوا في أرض كنعان، الذين أمر اليهود بقتلهم، لم يقتلوا عن آخرهم، واختلط بواقيهم بشعوب الأرض الأخرى، ولذلك قال ميمانود:

إنه يجب قتل الأجنبي لأنه من المحتمل أن يكون من نسل تلك الشعوب السبعة، وعلى اليهودي أن يقتل من يستطيع قتله، فإن لم يفعل ذلك يكن قد خالف بذلك شريعته. ومن ينكر شيئا من المعتقدات اليهودية اعتبر كافراً، ومن تلامذة الفيلسوف (ابيقور)، ويجب على اليهود بغضه واحتقاره وأهلاكه، لأنه جاء في الكتب: كيف لا أبغض يا إلهي من أبغضك؟..

إذا أراد يهودي قتل حيوان فقتل شخصاً، أو أراد أن يقتل وثنياً أو أجنبياً فقتل يهوديا، فخطيئته مغفورة بسبب سلامة قصده.

أما قتل اليهودي فيعتبر من الجرائم التي لا تغتفر، في حين أن قتل الأجنبي يعتبر مندوباً ومستحباً.

وقال التلمود: إنه من الجائز قتل من ينكر وجود الله. وإذا وجد يهودي كافراً في حفرة فعليه أن لا يخرجه منها، وإذا كان في الحفرة سلم يستطيع الكافر بواسطته أن يخرج منها وجب على اليهودي رفعه مع الادعاء بأنه رفعه لكيلا ينزل عليه قطيعه إلى الحفرة. وإذا كان بجانب البئر حجر فعليه أن يسده بها، ويقول إني أصنع ذلك، واضع الحجر على البئر لكيلا يمر عليه قطيعي فيقع في البئر.

وقال التلمود: إنه من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر لأن من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً إلى الله.

وجاء في التلمود أيضا: إن الكفار ـ كما قال الحاخام اليعازر ـ هم يسوع المسيح ومن اتبعه.

وقال الرابي (يهوذليا): إن هذه اللفظة تشمل الوثنيين على العموم.

أما ما جاء في قوله تعالى: (لا تقتل) فقال ميمانود: إن الله تعالى نهى عن قتل شخص من بني إسرائيل.

من المفروض في اليهود أن يقتلوا كل شخص خارج عن دينهم، وخصوصاً المسيحيين لأن قتلهم من الأعمال التي يكافئ الله عليها. وإذا لم يتمكن اليهودي من قتلهم فمن المفروض فيه أن يتسبب في هلاكهم في أي وقت، وعلى أي وجه، ويعتبر ذلك من العدالة، لأن التسلط على بني إسرائيل سيدوم ما دام واحد من هؤلاء الكفار حياً ولذلك جاء: إن من يقتل مسيحياً أو وثنياً أو أجنبياً يكافأ بالخلود في الفردوس، والجلوس هناك في السراي الرابعة. أما من قتل يهودياً فكأنه قتل العالم أجمع، ومن تسبب في خلاص يهودي فكأنما خلص الدنيا كلها. وقال (ميمانود): يصفح عن

الأمـي إذا جـدف علـى الله، أو قتــل شــخصاً غــير إســرائيلي، أو زنــا بـامرأة غـير يهوديـة، ثـم تهـود، لكنـه لا يصفــح عنـه إذا قتـل يهوديـاً أو زنـا بـامرأة يهوديـة ثـم صـار بعـد ذلك يهوديـاً.

الذي يرتد عن الديـن اليهـودي يعـامل معاملـة الأجنبي، لكنـه إذا فعـل ذلك لغش الأجانب فلا تثريب عليه في ذلك، لأن اليهودي إذا تمكن من أن يغش الأجنبي ويوهمه أنه غير يهودي فذلك جائز له.

أمـا الذيـن تعمـدوا واختلطـوا بالنصـارى، وعبـدوا الأصنـام مثلهـم، فيعتبرون كأنهم منهم، ويلقون في حفرة ولا يستخرجون منها.

وحب سفك الدم البريء عند الحاخامات ثابت في التاريخ العام، لأنـه جاء فيه:

إن شاؤول خـرج لمحاربـة المسيحيين، وهـو لا يقصـد إلا القتـل والفتـك بهـم فتكـاً ذريعـاً. ومذكـور في رسـائل الرسـل: إن اليهـود كـانوا يثـيرون سكان المدن التي يسكنونها ضد المسيحيين.

وقـال اليهـود في كتـابهم المسـمى (سـدر حـاد وروت): إن الحاخامـات تسـببوا في رومـا بقتـل جملـة مــن النصــارى. وجـاء في ذات الكتـاب: إن الإمبراطور (مارك أوريل) قتـل جميـع النـاصريين في رومـا بنـاء علـى إيعـاز اليهود. وجاء في الصفحة ١٢٥ منه أنه في عام ٢١٤م = (٣٩٧٤) عـبري قتل اليهود مئتي ألف مسيحي في روما وكل نصارى قبرص.

وذكـر في كتـاب (سـفر يوكاسين) المطبـوع في مدينـة امسـتردام عـام ١٧١٧م في الملزمة ١٠٨ منه:

إنه في زمن البابا كليمان قتل اليهود في رومـا وخارجـاً عنهـا جملـة مـن النصـارى كرمـال البحـر، وإنـه بنـاء علـى رغبـة اليهـود قتـل الإمـبراطور (ديموكليسـين) جملـة مــن المسـيحيين ومـن ضمنهـم البابـاوات (كـاييس ومرسيليوس، واخا كاييس المذكور واخته).

وكان اليهود من المحبوبين عند الإمبراطور نيرون الذي أحرق روما.

المرأة:

قال موسى: لا تشته امرأة قريبك فمن يزني بامرأة قريبة يستحق الموت. ولكن التلمود لا يعتبر القريب إلا اليهودي فقط، فاتيان زوجات الأجانب جائز. واستنتج من ذلك الحاخام - (رشي): أن اليهودي لا يخطئ إذا تعدى على عرض الأجنبي، لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد، لأن المرأة إذا لم تكن من بني إسرائيل فهي كالبهيمة، والعقد لا يوجد في البهائم وما شابهها.

وقد أجمع الحاخامات على هذا الرأي (بشاي وليفي وجرسون)، فلا يعتبر اليهودي قد ارتكب محرماً إذا زنا بامرأة مسيحية.

وقال (ميمانود) إن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات (أي غير اليهوديات) وقال الحاخام (نام) (من القرن ١٣ من فرنسا): إن الزنا بغير اليهود ذكوراً وإناثاً لا عقاب عليه، لأن الأجانب من نسل الحيوانات. ولذلك صرح هذا الحاخام ليهودية أن تتزوج بمسيحي تهود مع أنها رفيقة غير شرعية له قبل الزواج، لأن الحاخام اعتبر العلاقات السابقة على تهود الزوج كأنها لم تكن، لأنها أشبه بنكاح الحيوانات.

وقال الراب (كرونر): إن التلمود يصرح للإنسان (أي اليهودي) أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يتمكن من مقاومتها، ولكن عليه أن يفعل ذلك سراً لعدم الإساءة إلى الديانة...!؟

وذكر في التلمود عن كثير من الحاخامات كالرابي (راب ونحمان): أنهم كانوا ينادون في المدن التي يدخلونها عما إذا كان يوجد فيها امرأة تريد أن تسلم نفسها إليهم مدة أيام.

وجاء في التلمود عن الرابي (اليعازر): أنه فتك بكل نساء الدنيا.

وجاء في القصة: أن هذا الحاخام لما توفي صرخ الله من السماء قائلاً: الرابي العازر تحصل على الحياة الأبدية.

وجاء في التلمود: أن المرأة اليهودية ليس لها التذمر والشكوى إذا زنا زوجها في المسكن الذي يقيم فيه معها.

وقال أحد الحاخامات إن اتيان النساء في الأدبار غير جائز، فعارضه الآخرون قائلين:

إن الشرع لم يحرم هذا الأمر، وإنما قال إن اليهودي لا يرتكب خطيئة مهما فعل مع زوجته، وأية طريقة اتبعها معها بموجب الزواج، فهي بالنسبة للاستمتاع كقطعة لحم اشتراها من الجزار يمكنه أكلها مسلوقة أو مشوية على حسب رغبته...

وجاءت امرأة إلى أحد الحاخامات تشكو إليه أن زوجها يأتيها على خلاف الطبيعة فأجابها لا يمكنني أن أمنعه من هذه المسألة، لأن الشرع قدمك قوتا لزوجك (وهذه القاعدة مذكورة في كتب التلمود الحديثة أيضاً).

وتحسب المرأة عند اليهود صفراً، فإذا كان في الكنيس تسعة رجال ومئة امرأة لم يكف ذلك للقيام بالواجب، إذا كان الأمر يحتاج إلى عشرة رجال.

وعند اليهود أن كل ذنب يغفر للإنسان إذا مات محافظاً على دين اليهود.

حكم اليمين:

لا تعتبر اليمين التي يقسمها اليهودي في معاملاته مع الأمميين يميناً، لأنه يعتبر وكأنه أقسم لحيوان. والقسم لحيوان لا يعد يميناً، لأن اليمين في عرفهم إنما وجدت لحسم النزاع بين الناس ليس إلا. فإذا اضطر يهودي أن يحلف يميناً لمسيحي، فله أن يعتبر ذلك الحلف لاغياً، على أنه لا معنى للنزاع القائم بين يهودي ومسيحي بخصوص الملكية لأنه من المقرر أن أموال المسيحي ودمه ملك لليهودي، وله التصرف المطلق فيها، وله الحق، بموجب قواعد التلمود، في استرجاع تلك الأموال، فإذا دعي يهودي لحلف يمين مختصة بشيء فعليه أن يرفض ذلك لأنه لا محل لليمين في هذه الحالة. وإذا اضطر اليهودي أن يحلف فله أن يحلف بما يريد ولا إثم عليه، ما دام

يعتقد ضمناً أن الأموال التي حصل عليها النزاع هي ملكه الحقيقي، وله الحق في استرجاعها في أول فرصة. ويجوز لليهودي أن يحلف زوراً، ولا يعتبر مخطئاً إذا حول اليمين لوجهة أخرى.

وحلف حاخام لامرأة أن لا يبوح بسرها أمام الله، ولكنه حول اليمين (فقال ولكن سافشيه لبني إسرائيل).

وقال الحاخامات: إذا استشهد أمير غير يهودي يهودياً لأجل أن يعرف منه إن كان فلان اليهودي زنا بامرأة، وحلفه اليمين ليعلم منه الحقيقة، ويحكم عليه بالإعدام في الأحوال الجائز فيها ذلك قانوناً، فعلى الشاهد أن يعتبر تأدية اليمين جبرية وأن يؤولها في سره بكيفية أخرى.

وعند اليهود يجوز لليهودي أن يؤدي يميناً كاذبة أمام حكام البلد كلما سئل عن شيء لا يجوز له أن يقوله طبقاً للشريعة اليهودية، وذلك وفقاً للقاعدة العامة التي مؤداها أن الإنسان مهما كان شريراً في الباطن وأصلح ظاهرة يخلص.

وإذا سرق يهودي أجنبياً، وكلفت المحكمة اليهودي بحلف اليمين، فعلى باقي اليهود أن يسعوا في صالح أخيهم اليهودي عند الأجنبي لكيلا يحلفه اليمين، ولكن إذا صمم الحاكم على تحليفه وأمكن المتهم أن يحلف زوراً، بدون معرفة حقيقة الأمر لدى الأجانب، فعليه أن يحلف.

ويوجد لدى اليهود يوم للغفران العام في كل مجتمع يهودي، يغفر فيه لليهود كل ما ارتكبوه من ذنوب، ومن ضمنها الأيمان الكاذبة التي حلفوها زوراً وبهتاناً. وليس لليهودي أن يرد للأجانب ما سرقه من مال ليحصل على الغفران (ويوم الغفران هو يوم واحد في السنة).

ومن القواعد لدى اليهود: احلف عشرين يميناً كاذبة، ولا تعرض أخاك اليهودي لضرر ما. ومن عرف شيئاً يضر بيهودي وينفع أمياً فعليه أن لا يعلم السلطة الحاكمة به وإن فعل يعتبر وكأنه ارتكب ذنباً عظيماً.

المسيحيون بنظر التلمود:

يدعي اليهود أن اللعنات الموجودة في التلمود والكتب الأخرى لا تشمل النصارى، وإنما تتعلق بالأمم الأخرى غير اليهودية كالصادوقيين. ويعترفون بأنه مصرح لهم التصرف بأموال الكفرة والوثنيين والأجانب، ولكن المسيحيين لا يدخلون تحت هذه الأسماء ـ حسب زعمهم ـ ..

ولكن اليهود مخول لهم أن يحلفوا زوراً على أن كتبهم لا تحوي ما يطعن في المسيحيين خوفاً من الضرر والعداوة، وهم محافظون على هذه القاعدة. ويعتبر اليهود المسيحيين بصفة وثنيين لأنهم يعبدون مخلوقاً، ولا عبرة باختلاف كيفية عبادتهم عن شكل عبادة بقية عباد الأوثان ولهذا فإن اللعنات الموجودة في التلمود موجهة إلى جميع الأمم الخارجين عن الدين اليهودي، بما فيهم المسيحيون، لكن اليهود يستعملون أسماء الشعوب التي بادت واندثرت لاخفاء مقاصدهم، خوفاً من عداوة المسيحيين وانتقامهم..

وقد اضطر اليهود في طبعة التلمود في فرسوفيا لعام ١٨٦٢م إلى استبدال كلمة (كَويم) بكلمة أخرى.

وقال ميماوند: إنه لا فرق بين المسيحيين وباقي الوثنيين، ويجب أن يعاملوا معاملتهم.

وجاء في التلمود أنه من ضمن أيام أعياد الوثنيين أول أيام الأسبوع (الأحد) المسمى بيوم الناصريين ـ وهو يوم الأحد عند المسيحيين ـ.

ويسمي التلمود المسيح الناصري بابن النجار، وهذا يطابق ما كان يقوله اليهود للسيد المسيح أيام حياته على الأرض (انجيل متى١٣ و ٥٥).

ويسمي التلمود المسيح تمثالاً، وهكذا يكون المسيحي عندهم وثنياً لأنه يعبد تمثالاً وصنماً. وجاء في التلمود أن المسيح كان ساحراً وثنياً، وأنه كان مجنوناً كافراً لا يعرف الله، وهكذا يكون المسيحيون كفرة مثله.

ويعتقد اليهود ـ وفقاً لما جاء في التلمود ـ أن جميع البشر ـ عدا اليهود ـ هم وثنيون، وتعاليم الحاخامات تطابق هذا القول.

وكتب مبمانود: المسيحيون الذين يتبعون أضاليل يسوع هم وثنيون، ويجب معاملتهم كباقي الوثنيين، ولو كان يوجد فرق بين تعاليم هؤلاء وهؤلاء.

وجاء في التلمود أن تعاليم يسوع كفر، وتلميذه يعقوب كافر، وأن الأناجيل هي كتب الكافرين.

وقال الحاخام اباربانيل: المسيحيون كفرة لأنهم يعتقدون أن الله لحم ودم.

وقال ميمانود: الكافر هو الذي يعتقد أن الله تجسد.

وقد جاء في التلمود أيضاً:

- إذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامين فإنه يعاقب أشد العقاب، لأن الذي يخالف شرعة موسى يمكن أن تغفر له خطيئته، أما من يخالف التلمود فيحكم عليه بالموت.

- يجب على اليهودي أن يلعن النصارى ثلاث مرات في اليوم، وأن يطلب من الله أن يبيدهم، ويهلك ملوكهم وحكامهم. وعلى الكهنة اليهود أن يصلوا في اليوم ثلاث مرات في كنيستهم بغضاً للمسيح الناصري.

- وعلى اليهود أن لا يفعلوا مع الوثنيين لا خيراً ولا شراً، أما مع المسيحيين فعليهم أن يسفكوا دماءهم، ويطهروا الأرض منهم.

ثانياً - ما جاء في كتاب شارل لوران عن بعض أحكام التلمود:

الطوريورود - وهو كتاب ألفه العالم الرباني يعقوب، من أئمة اليهود، وتعتبر آراؤه من المسائل الدينية، وقد جاء في البند ١٥٨ منه ما يلي:

(يحرم على اليهودي أن ينقذ أحداً من بقية الأمم من البئر التي وقع فيها).

(وعلى الطبيب اليهودي أن لا يداوي أمياً مطلقاً ولو بالأجر إلا إذا أراد ضرره، أو الانتفاع بأمواله).

(فإذا كان مبتدئاً في هذا الفن فليتعلم بمداواة باقي الأمم، ويجوز له إجراء العملية مجاناً في هذه الحالة).

وجاء في صفحة ٥٨ من التلمود: (يقتل الوثني إذا ضرب إسرائيلياً لأنه يكون قد ضرب القدرة الإلهية، ولذلك قتل موسى مصرياً لأنه ضرب يهودياً).

(يقتل الأمي الذي يستريح في يوم من أيام الأسبوع، لقوله تعالى (لا يستريحوا الليل ولا النهار) وكذلك يعاقب بهذا العقاب لو استراح يوماً غير يوم السبت، والوثني الذي يقرأ التوراة يستحق القتل، لأن التوراة مختصة باليهود فمن أخذها سراً قتل).

(سنهدرين ص٨٣ ـ حرم التلمود اشتراك اليهودي مع الوثني لأنه يعرض نفسه في هذه الحالة للحلف بالأصنام).

(سنهدرين ص٥٧ ـ كل من كان خارجاً عن الديانة اليهودية يسمى (ولد نوح)، لأن بني إسرائيل انفصلوا عن هذه الأقوام وآمنوا بالله منذ ظهور إبراهيم حتى جاء إسرائيل ويقتل الأمي من ولد نوح على يد قاضٍ واحد (ديان)، وشهادة شاهد واحد، ولو كان قريباً له.

ويقتل إذا ضرب امرأة حاملاً وقتل جنينها، وأما الإسرائيلي فلا يقتل لذلك بل يدفع دية الجنين.

ولا يقتل في الأحوال التي توجب القتل إلا عن يد عشرين ديانا وشاهدين.

سنهدرين ص٧١ ـ إذا سب أحد أولاد نوح اسم الجلالة، ثم دخل في دين اليهود يعفى من القتل، كذلك الحال بالنسبة لمن قتل آخر، أو زنا بامرأة من أبناء طائفته، وأما من قتل يهودياً، أو زنا بامرأة يهودية فيستحق الموت بدون رحمة.

ـ كومارت كوماه ص٣٩ ـ إن الله أحل أموال باقي الأمم لبني إسرائيل لما رآهم قد خالفوا الوصايا السبع المختصة بعبادة الأوثان والزنا والقتل

والسرقة وأكل لحم الحيوانات غير المذبوحة، وخصاء الإنسان، وايلاد الحيوان من غير جنسه.

عابورة زادة ص ٤ ـ إن ثبت في الآخرة أن اليهود أتموا الوصايا في هذه الدنيا يصير عرض أفعالهم أمام الأميين لعلهم يخجلون.

عابورة زادة ص٨ ـ حرم التلمود على اليهود أن يسكنوا خلاف البلاد المقدسة وهي أورشليم والجليل وصفد وطبريا، لأنهم يعدون كعابدي الأصنام، ويحرم عليهم قبول دعوة باقي الأمم، والأكل من مأكولاتهم، ولو كان صانعها يهودياً. فإذا دعى أجنبي يهودياً في فرح، وأكل هذا الأخير من طعامه فيعتبر كأنه أكل من الميتة. ويأثم اليهودي أيضاً إذا ذهب عند الأجنبي في فرح ولو قبل الاحتفال بثلاثين يوماً، سواء حصل ذلك في فرح زواجه أو في دعوة أخرى.

عابورة زادة ص٢٠ ـ يجب على اليهودي أن يبذل مجهوده لمنع تملك باقي الأمم للعقارات، وعليه ألا يمدحهم، ولا يصفهم بالحسنات والجمال، وأن لا يهبهم شيئاً بدون ثمن.

ـ وحرم على اليهود تزوج نساء باقي الأمم، لأنهن يعتبرن وكأنهن في حالة حيض دائم.

ـ يقتل أبناء نوح إذا سرقوا شيئاً، ولو كان فلساً واحداً أو ما يساويه، لأنهم يكونون قد خالفوا بذلك الوصايا التي أمرهم بها الله، ولا يعفى منهم من القتل من رد الأشياء المسروقة لأن الله لا يغفر بالرد إلا ذنب الإسرائيليين؟!!.

ـ يقتل من يفشي سراً للحاكم، ويكاشفه به لأنه يكون قد باح بسر من أسرار الديانة.

ـ بياموت البند ٦ ـ يتنجس اليهودي إذا لمس القبور طبقاً لأحكام التوراة، ولكن الغرض من ذلك قبور اليهود، أما من عداهم من الأمم فليست قبورهم نجسة لأنهم يعتبرون من البهائم لا من أبناء آدم.

الفصل الثامن

اليهود اليوم كما يصورهم أستاذ جامعي يهودي

قد يقول قائل إنكم تحدثتم عن اليهود كما كان عليه حالهم في العصور الخوالي، ولكنهم اليوم شيء آخر فقد اصبحوا مؤمنين بعد كفر واصبحوا رؤفاء رحماء بعد قسوة وخسة ولؤم، وأصبحوا اقرب إلى من حولهم من الناس مما كان عليه أسلافهم، واصبحوا لا يكرهون خلق الله ولا ينظرون إليهم نظرة استعلاء واستكبار كما كان يفعل من سبقوهم عبر القرون الخوالي.

ونحن عملاً بخطتنا في هذا البحث لن ننطلق مع الأهواء، ولا نريد أن نُتهم بالتحيز والكراهية لليهود ولذلك فإننا سننقل في هذا الفصل صورة لليهود الموجودين في إسرائيل اليوم كما رسمها أستاذ جامعي يهودي هو (إسرائيل شاحاك) في كتابه (التاريخ اليهودي ـ الديانة اليهودية ـ وطأة ثلاثة آلاف سنة) وبذلك نكون قد أنصفنا اليهود، ولم نترك مجالاً للتقول والإدعاء بأن ما نكتبه عنهم إنما يمليه علينا الكره والحقد العنصري والديني.

الديانة اليهودية بعيدة عن التوحيد:

من الأوهام الشائعة جداً هو أن الديانة اليهودية هي ديانة توحيدية، وقد كانت دائماً كذلك. ولكن العلماء التوراتيين الآن، وما تكشفه قراءة العهد القديم بعناية يوضحان أن هذا الرأي اللا تاريخي خاطئ تماماً. ففي معظم أسفار العهد القديم (إن لم يكن فيها جميعاً) يظهر وجود آلهة أخرى كأمر معترف به بكل وضوح. ولكن يهوه هو أقوى الآلهة، وهو إلـه

غيور جداً من منافسيه، ويمنع شعبه من عبادتهم، ولم ينكر وجود آلهة أخرى غير يهوه إلا في الكتب المتأخرة جداً، قبل الأنبياء المتأخرين.

إن ما يهمنا تناوله بالبحث هو اليهودية الكلاسيكية (وليس اليهودية التوراتية) وهذه اليهودية كما هو واضح تماماً ـ وإن لم يعترف بذلك على نطاق واسع – كانت خلال مئات سنواتها الأخيرة بعيدة كل البعد عن التوحيدية الصافية. ويمكن إيراد القول نفسه عن العقائد الحقيقة السائدة حالياً لدى اليهودية الارثوذكسية (المتشددة) التي تشكل استمراراً مباشراً لليهودية الكلاسيكية.

وقد جاء فساد التوحيدية عبر انتشار الصوفية اليهودية (القبَّالية) التي تطورت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وأحرزت انتصارها الكامل في معظم المراكز اليهودية في أواخر القرن السادس عشر. وقد ظل تأثير القبَّالية سائداً في اليهودية الأرثوذكسية لا سيما بين الحاخامات. فحركة غوش إيمونيم مثلاً متأثرة بالأفكار القبّالية إلى حد بعيد. ومعرفة هذه الآراء هام لسببين:

الأول ـ لأنه بدون ذلك لا يستطيع المرء أن يفهم المعتقدات الحقيقة لليهود في نهاية الحقبة الكلاسيكية.

والثاني ـ هذه الأفكار تلعب دوراً سياسياً هاماً في العصر الحالي لأنها تشكل جزءاً من المعتقدات التي يؤمن بها العديد من السياسيين المتدينين صراحة، ومنهم معظم القادة الصهاينة في جميع الأحزاب وحتى لدى اليسار الصهيوني.

الكون يحكمه آلهة متعددون

وفق المعتقدات القبالية فإن الكون ليس محكوماً من إلّه واحد وإنما يحكمه آلهة متعددون، وهم مختلفو الصفات والقدرات، وقد انبثقت هذه الآلهة عن سبب قديم غامض.

فقد انبثق أولاً عن السبب الأول إلّه ذكر يدعى الحكمة (أو الأب). ثم

انبثقت إلـهة أُنثى هي (المعرفة) أو (الأم).. ومن زواج هذين الإلـهين ولـد إلـهان صغيران (الابن) و(الابنة)، وتدعى (الملكـة).ويجب أن يتحد هـذان الإلـهان الصغيران، ولكن مكائد الشيطان تمنع اتحادهما. والشيطان ضمـن هذا الترتيب شخصية مستقلة وهامة جداً.

وقد قام السبب الأول بعملية الخلـق كـي يتيـح الفرصـة لاتحاد الإلـهين الصغيرين، ولكن السقوط جعلهما منفصلين ومتباعدين أكثر مما كانا عليه أولاً.

وتمكن الشيطان من الاقتراب من الابنة واغتصبها، وجاء خلق الشـعب اليهودي لإصلاح الخرق الذي سببه عصيان آدم وحواء ربهما في الجنة.

وتحت جبل سيناء تم للحظة اتحاد الآلـه الابن متجسداً بموسـى مـع الإلـهة الملكـة، ولكـن خطيئة العجل الذهبي الـذي صنعـه بنـو إسـرائيل وعبدوه تسببت في انفصام في رأس الإلـه.

ويعتقد اليهود أن كل حادث في التاريخ اليهودي التوراتي ترتبط باتحاد الزواج المقدس أو بانفصامه. فانتزاع أرض فلسطين مـن أيـدي الكنعـانين وبناء المعبد، الأول والثاني ملائم لاتحاد الآلهين. وهدم المعبد ونفي اليهـود من فلسطين هما علامتان على الانفصال الإلـهي، وعلى بغاء الإلـهة الملكـة مع آلهة غرباء. وتخضع الابنة تماماً لسيطرة الشيطان، والإلـه الذكر يذهـب بنساء من الشياطين ليزني بهن.

وواجب اليهود الأتقياء هو أن يعيدوا عبر صلواتهم وتصرفاتهم الوحدة المقدسة الكاملة على شكل اتحاد جنسي بين الآلهين الذكر والأنثى.

والصلوات والتصرفات الأخرى ـ كما تؤل قبَّاليا ـ يقصـد بهـا خـداع الملائكة (الذين هم آلهة من درجة أدنى) أو استرضاء الشيطان.

وفي جزء محدد من صلاة الصبح تتلى بعض الآيات بالآرامية (بدلا مـن العبرية) لخداع الملائكة الذين يحرسون البوابات التي تدخـل منهـا صلـوات الأتقياء إلى السماء، لأنهم يستطيعون منعها من الدخول. وبما أن الملائكـة لا تعرف غير العبرية فإن الآيات التي تتلى بالآراميـة تربكهـا لأنهـا بليـدة،

ولذلك تفتح البوابات، وفي هذه اللحظة تدخل الصلوات كلها بما في ذلك الآرامية والعبرية.

ويعتقد القبَّاليون أن المتدين الحق يتلو في بعض المناسبات أدعية يمجد بها الله لاتمام الاتحاد المقدس، وفي مناسبات أخرى يتلو أدعية يمجد بها الشيطان الذي يحب الصلوات والطقوس اليهودية فينشغل لفترة ما من الوقت عن مضايقة الابنة المقدسة. ويعتقد القبَّاليون أن بعض الأضاحي التي تحرق في المعبد كان قرباناً للشيطان باعتباره حاكم غير اليهود.

ولا بد من إيضاح بعض النقاط لأهميتها في مجال الفهم السليم لليهودية في حقبتها الكلاسيكية نظراً لأثرها السياسي على الممارسات الصهيونية في الوقت الحاضر:

١- لا يمكن اعتبار النظام القبَّالي توحيدياً.

٢ - الطبيعة الحقيقية لليهودية الكلاسيكية توضحها السهولة التي تم بها تبني هذا النظام. فالإيمان والمعتقدات (عدا المعتقدات القومية) تلعب دوراً ضئيلاً جداً في اليهودية الكلاسيكية، والأهمية الكبرى هي للطقس بحد ذاته لا للمعتقد المرتبط به الطقس كما هو المفترض أن يكون.

وعلى هذا يمكن القول إن جميع الصيغ اليهودية المقدسة يأتي معناها في الدرجة الثانية ما دام الشكل باقيا على حاله. فمثلاً إن أكثر العبارات اليهودية قداسة هو (اسمعي يا إسرائيل الرب إلـهنا. الرب واحد) وهو تعبير يردده كل يهودي متدين مرات عدة في اليوم، وهذه العبارة يمكن أن تعني في الوقت الحاضر معنيين متناقضين:

- يمكن أن تعني أن الرب فعلاً واحد.

- ويمكن أن تعني أيضاً أنه تم في مرحلة معينة اتحاد الإلـه الذكر بالإلـهة الأنثى، أو يدعى لاتمامه بتلاوة هذه العبارة بصورة صحيحة.

والأهمية الكبرى مرتبطة بالصيغ المجردة (مثل قانون القدس) وأفكار غوش إيمونيم ودوافعها التي تهدف إلى كره غير اليهود الذين يعيشون في فلسطين حالياً. والموقف القدري تجاه مبادرة سلام تقوم به الدول

العربيـة.. وجميع هـذه وغيرهـا مـن سمـات السياسية الصهيونيـة الـتي تحير الكثـيرين مــن ذوي النوايـا الحسـنة والآراء الزائفــة حــول اليهوديــة الكلاسيكية، تصبح قابلة للفهم في ضوء هذه الخلفية الدينية الباطنة.

أطماع اليهود وحدود دولتهم:

الخطر الأساسي الـذي تشكله إسرائيل (كدولـة يهوديـة) علـى شـعبها وعلى اليهود الآخرين وعلى جيرانها هو سعيها المحكوم بدوافع إيديولوجية إلى التوسع الإقليمي. وسلسلة الحروب التي خاضتها هي نتيجة لهذا السعي إلى التوسع.

وكلمـا أصبحـت إسـرائيل دولـة (أكـثر يهوديـة) كلمـا أصبحـت الاعتبارات العقائدية اليهوديـة لا العقلانيـة هـي الـتي تحكـم سياسـتها. والدفوع الإيديولوجية عـن سياسـات تسـتند عـادة إلى معتقـدات دينيـة يهودية أو إلى (الحقوق التاريخية لليهود).

قال ابن غوريون في ثالث يوم من أيام حرب ١٩٥٦ في الكنيست رغم إلحاده، وتفـاخره بتجاهل تعـاليم الديانـة اليهوديـة: (إن السبب الحقيقـي للحرب هو إعادة مملكة داود وسليمان إلى حدودها التوراتية).

وتقـول مبـادئ الإيديولوجيـا اليهوديـة: إن الأرض الـتي حكمهـا أي حـاكم يهـودي في العصـور القديمـة، أو وعـدالله بهـا اليهـود، سـواء كـان ذلـك في التـوراة أو وفـق التفسـير الديـني للتـوراة والتلمـود، يجـب أن تعـود إلى إسـرائيل مـا دامـت دولـة يهوديـة. وساسـة اليهـود جميعـاً يؤمنـون بهـذا القـول ولكـن الكثـيرين مـن حمـائم اليهـود يفضلـون تـأجيل الغـزو حتـى تصبـح إسـرائيل أقـوى ممـا هـي عليـه الآن أو أن يحصـل (غـزو سـلمي) أي أن يقتنـع الحكـام العـرب والشـعوب العربيـة بالتنـازل عـن الأرض مقـابل الفوائـد الـتي توفرهـا لهـم الدولـة اليهوديـة...

ويتداولـون في إسرائيل خرائط تبين الحـدود التوراتيـة لأرض إسـرائيل

التي تعتبرها المراجع الدينية (أرض الدولة اليهودية). وبعض هذه الخرائط يجعل الدولة اليهودية تشمل:

- جنوباً - كل سيناء وجزءاً كبيراً من شمالي مصر حتى ضواحي القاهرة.

- وتشمل شرقاً كل الأراضي وقطعة كبيرة من المملكة العربية السعودية وكل الكويت وجزءاً من العراق جنوبي نهر الفرات.

- وتشمل شمالاً جميع سوريا ولبنان وجزءاً كبيراً من تركيا حتى بحيرة وان.

- وتشمل غرباً جزيرة قبرص.

والمتطرفون من جماعة كاهانا وغوش إيمونيم يعتبرون غزو هذه المناطق وضمها إلى الدولة اليهودية أمراً دينياً مقدساً لابد أن ينجح ما دام الله يؤيده.

وتعتبر شخصيات هامة يهودية رفض إسرائيل القيام بهذه الحرب المقدسة خطيئة كبرى، كما تعتبر أن إعادة سيناء إلى مصر أيضاً خطيئة كبرى عاقب الله اليهود عليها.

وقال الحاخام دون ليور أحد حاخامات غوش إيمونيم إن فشل إسرائيل في احتلال لبنان عامي ١٩٨٢ و ١٩٨٥ عقوبة إلهية وقعت على إسرائيل لأنها تخلت عن أرض سيناء التي تعتبر جزءاً من أرض إسرائيل.

وفي ١ أيار ١٩٩٣ اقترح آرييل شارون في مؤتمر حزب الليكود أن تتبنى إسرائيل الحدود التوراتية كسياسة رسمية، وقد أثيرت اعتراضات داخل الليكود وخارجه وكلها على أساس الاعتبارات العملية..؟

ومنذ قيام دولة إسرائيل فقد اعتمدت استراتجية إسرائيلية كبرى لا تستند إلى مفاهيم الإيديولوجيا اليهودية بل إلى الاعتبارات الإمبريالية والاستراتيجية البحتة.

وقدم الجنرال (شلومو غازيت) ـ وهو مدير سابق للمخابرات

العسكرية ـ وصفاً رسمياً واضحاً للمبادئ التي تحكم هذه الإستراتيجية فقال:

«إن مهمة إسرائيل الأساسية لم تتغير أبداً منذ انهيار الاتحاد السوفياتي، وما زالت ذات أهمية بالغة. والموقع الجغرافي لإسرائيل في مركز الشرق الأوسط العربي المسلم، يجعل قدر إسرائيل أن تكون حارساً مخلصاً للاستقرار في جميع البلاد المحيطة بها. ودورها الهام هو حماية الأنظمة القائمة، ومنع أو وقف التوجهات الجذرية، ومنع انتشار الأصولية المتطرفة. ولهذه الاعتبارات فإن إسرائيل ستمنع التغيرات الحاصلة خارج حدودها إذا اعتبرتها لا تطاق لدرجة الشعور بأنها مضطرة لاستعمال قوتها العسكرية لمنعها أو استئصالها».

وبكلمة أخرى فإن إسرائيل ترمي إلى فرض هيمنتها على دول الشرق الأوسط الأخرى. وهكذا يكون من رأى غازيت أن لإسرائيل مصلحة في المحافظة على استقرار الأنظمة العربية القائمة حالياً.

وفي رأي غازيت فإن إسرائيل تقدم بمحافظتها على الأنظمة العربية القائمة خدمة هامة للدول الصناعية التي تحرص كلها على ضمان الاستقرار في الشرق الأوسط.

فكرة مسيحية خاطئة عن اليهودية:

هناك فكرة خاطئة عن اليهودية، وهي شائعة بين المسيحيين والمتأثرين بالثقافة والتراث المسيحي وهي الفكرة المضللة القائلة إن اليهودية (هي ديانة توراتية). وإن العهد القديم يحتل نفس المكانة لدى اليهودية ونفس السلطة الشرعية التي للتوراة لدى البروتستانتية وحتى الكاثوليكية.

تأويل التوراة: وهذا بلا شك يرتبط بمسألة التأويل، فهناك كثير من التساهل في مسائل المعتقدات ولكن لا تساهل بالنسبة للتأويل الشرعي للنصوص المقدسة، فالتأويل جامد تماماً، ويجري على أساس التلمود وليس على أساس التوراة نفسها. أو بمعنى آخر إن النصوص التوراتية لها

تأويلات في التلمود توضح معانيها والمقصود منها على وجه الحقيقة، وليست معانيها هي الظاهرة في النصوص كما يفهمها جميع الناس.

ومعظم الآيات التي تصف التصرفات والالتزامات الدينية تفهم لدى اليهودية الكلاسيكية، (ولدى ارثوذكسية الوقت الحاضر) بمعنى يختلف تماماً، وقد يتناقض مع معناها الحرفي الذي يفهمه المسيحيون أو غيرهم ممن يقرؤون العهد القديم الذين ينظرون إلى صريح النص.

ويوجد نفس الانقسام في إسرائيل بين الذين يتعلمون في المدارس الدينية اليهودية، وبين الذين يتعلمون في مدارس علمانية عبرية حيث يدرس المعني الواضح للعهد القديم.

وتوضيحاً لهذا القول يضرب شاحاك بعض الأمثلة، ومن ذلك المثل التالي:

«تقول الوصايا العشر (لا تسرق)، فقد فسرت على أنها أمر بأن لا يخطف اليهودي رجلاً يهودياً (لا يسرقه). وذلك لأن جميع الأعمال الممنوعة في الوصايا العشر هي جرائم كبرى في نظر التلمود،

وسرقة الممتلكات ليس جريمة كبرى. وخطف اليهودي لإنسان غير يهودي مصرح به لليهود حسبما ورد في التلمود، ولذلك اعتمد هذا التأويل.

٢- وفي حالات كثيرة أولت التعابير العامة مثل (رفيقك) و(غريب) وحتى (إنسان) تأويلاً شوفينياً حصرياً، فعبارة (احب رفيقك) فهمتها اليهودية الكلاسيكية (وأورثوذكسية الوقت الحاضر) كأمر بحب الرفيق اليهودي، وليس أي رفيق آخر.

٣- ومثل ذلك عبارة (لا تقف حيال دم رفيقك) فإنه من المفترض أن تعني أن لا يقف المرء غير مبال عندما تتعرض حياة (دم) رفيقه اليهودي للخطر.

ولكن اليهودي لا يجوز له أن ينقذ حياة شخص غير يهودي لأنه ليس رفيقه.

وموقف اليهود اللا إنساني من الفلسطينيين نابع من أن لهم فهماً مختلفاً عن مفهوم النص التوراتي كما يفهمه أي شخص آخر.

وإذا كانت هذه الفجوة في التواصل موجودة في إسرائيل حيث يقرأ الناس بالعبرية، أو بإمكانهم الحصول على المعلومات إذا رغبوا، فإن ذلك يدل على عمق الأفكار الخاطئة في الخارج بين الناس الذين تربوا على التقاليد المسيحية وفهموا من النصوص التوراتية معناها الواضح.

ولذلك فإن قراءة إنسان التوراة لا يمكن أن تعرفه باليهودية الأرثوذكسية لأن هذه تعتبر العهد القديم صيغاً غير قابلة للتغيير، أما معناها فمحدد في مكان آخر هو التلمود.

تحريف الكلم عن مواضعه:

للكلمات والتعابير مدلولات بحسب اللغة يستطيع أن يفهمها جميع الناس في المجتمع، على سواء، فهماً واحداً، ولكن اليهود لا يؤمنون بشريعة الله، ولا بأنها واجبة التطبيق كما جاءت أوامرها من عند الله، ومع طول الوقت أصبح الكثير من أوامر الشريعة ثقيلاً على الرؤساء والزعماء الدينيين فبدؤوا منذ زمن بعيد بمحاولة التحرر من الالتزامات التي تفرضها الشريعة. وبالإضافة إلى ما أدخلوه على النصوص من تحريف واضح وإضافات وحذف وفقاً لأهوائهم، فإنهم عمدوا إلى مالا يمكن تحريفه من أصول الشريعة بالحذف فابتدعوا له مدلولات من عند أنفسهم لا تتفق وصراحة النص، ولا تلتقي معه في شيء. وقد ادرجوا هذه المدلولات الجديدة، التي رآها رجال الدين، في كتابهم التلمود (الذي أعطينا لمحة عنه في فصل سابق) فالإنسان العادي يقرأ كتب اليهود، ولكنه لا يستطيع فهم معناها ومدلولاتها التي يأخذ بها اليهود اليوم، لأن هذه المعاني مدرجة في كتاب آخر هو التلمود.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر الخطير إشارة واضحة فقال عن بني إسرائيل إنهم (يحرفون الكلم عن مواضعه)، أي

يعطون الكلمات فيما بينهم معاني لا تتفق ومعناها اللغوي كما يفهمه كل الناس.

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء الآية ٤٦).

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة ١٣).

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ (المائدة ٤١).

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ (البقرة ٧٥).

وقد أشار إلى ذلك إسرائيل شاحاك إشارة صريحة، وقد نقلنا عنه مثلاً فاضحاً على هذا التحريف:

تقول الوصايا العشر (لا تسرق) وهي عبارة يفهمها جميع خلق الله على أنه لا ينبغي للمرء أن يسرق ويأخذ مال غيره بالسرقة والاختلاس... وللسرقة في الشريعة اليهودية حكم قاسٍ رادع وهو أن يسترق المسروق منه السارق. ولكن اليهود ضاقوا ذرعاً بهذا الحكم الثقيل، فأرادوا التخلص منه وبصورة خاصة حينما يتعلق الأمر بسرقة أموال غير اليهود، فأخذوا في الاحتيال عليه حتى استقر رأيهم على أن يعطوا السرقة معنى آخر لإبطال مفعول حكم التوراة، فارتأى رجال الدين أن يجعلوا لفظ السرقة الوارد في التوراة يعني (خطف إنسان يهودي) وأدرجوا هذا المعنى في التلمود.

كما جعلوا الحكم قاصراً على التعامل بين اليهود فقط، أما خطف اليهودي إنساناً غير يهودي فليس محرماً، بل هو أمر مصرح به ومحضوض عليه. ولا إثم على من يفعله من اليهود.

وقد أورد إسرائيل شاحاك أمثلة أخرى على هذا النمط من التحريف في معنى النصوص التوراتية والدينية الأخرى نقتبس منه الأمثلة التالية:

١ - تقول التوراة (لا تقف حيال دم أخيك) التي تعني صراحة أن لا يقف الإنسان غير مبال وهو يرى إنساناً تتعرض حياته للخطر. والمعنى

صريح وواضح لا لبس فيه، فأراد الزعماء الدينييون أن يعطوا اللفظ معنى آخر لم يرده صاحب الشريعة فقالوا يجب أن لا يقف الإنسان غير مبال إذا ما رأى حياة شخص يهودي تتعرض للخطر. وهكذا استبعد التفسير من المعنى العام حياة غير اليهودي من واجب الانقاذ، بل قال التلمود ما هو أدهى من هذا وأمر: إنه لا يجوز لليهودي أن ينقذ حياة إنسان غير يهودي لأنه ليس رفيقك المقصود بالنص..؟؟

٢- أمرت التوراة بترك لقاطات الحقل والكرم للفقير والغريب، فحور الزعماء الدينيون في المعنى، فقالوا في التلمود، المقصود بالفقير هو الفقير اليهودي دون غيره من الفقراء، أما بالنسبة (للفظة الغريب) التي لا يسهل تجاوزها فقد قالوا إنها تعني الشخص غير اليهودي الذي تحول إلى اليهودية فهو الغريب المقصود بالنص دون غيره من الغرباء، وهكذا حرفوا في المعنى وضيقوا معنى النص ولم يعطوه معناه الشمولي كما يقتضي فهم النصوص بحسب مدلولاتها اللغوية.

٣- جاء في الشريعة (هذا هو الشرع ـ عندما يموت رجل في خيمة فكل ما يدخل الخيمة يكون نجساً لمدة سبعة أيام) (العدد ١٩/١٦) ـ

ولكن كلمة رجل اعتبرت أنها تعني فقط (اليهودي) وبذلك تكون الجثة اليهودية فقط محرمة (أي أنها مقدسة ونجسة في آن واحد).

وعلى أساس هذا التفسير يبدي المتدينون اليهود احتراماً بالغاً للجثث والمقابر اليهودية، ولكنهم لا يحترمون جثث غير اليهود ومقابرهم.

٤ - يمنع التلمود إعطاء اليهودي هدية لغير اليهودي منعاً باتاً، ولكن هذا النص أصبح يضايق بعض رجال الأعمال فخففت المراجع الدينية الكلاسيكية من قسوة هذه القاعدة لأن الهدايا مألوفة بين رجال الأعمال، ومصادر المعلومات التجارية، لذلك تقرر أنه يمكن لليهودي أن يعطي هدية لغير يهودي من معارفه، لأنها لا تعتبر هدية بل استثماراً يتوقع منه بعض الفائدة، بينما تبقى الهدايا لغير اليهودي ممن لا يرجى منهم نفع لليهودي محظورة (ص١٣٧).

٥ – الأشياء المفقودة: إذا وجد يهودي شيئاً يحتمل أن يكون صاحبه يهودياً فمن واجبه أن يعلن عنه علناً، وأن يبذل جهده لإعادته. ولكن التلمود وجميع المراجع الحاخامية القديمة تسمح لمن وجد شيئاً فقده غير يهودي بأن يحتفظ به، وحتى تمنعه من إعادته.

وفي العصور اللاحقة عندما أصدرت معظم البلدان قوانين تلزم من يجد شيئاً بإعادته، أمرت المراجع الحاخامية اليهود بالتقيد بهذه القوانين كتعبير عن طاعتهم للدولة وليس كواجب ديني (ص١٣٨).

٦ – جاء في الموسوعة التلمودية أنه من عرف زوجة غير يهودي لا يعاقب بالإعدام لأنه مكتوب (زوجة رفيقك) لا زوجة الغريب. ورغم أن المرأة المتزوجة غير اليهودية محرمة على غير اليهود، فاليهودي مستثنى.

ولكن العقوبة الرئيسية توقع على المرأة غير اليهودية إذ يجب أن تعدم ولو كان اليهودي قد اغتصبها. (ص١٣٦).

التحايل على نصوص الشريعة:

أشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى أن اليهود كانوا يتحايلون على نصوص الشريعة ويعملون على عدم تطبيقها، وعدَّ ذلك خروجاً عن الدين ومستوجباً اللعن والطرد من رحمة الله. وضرب على ذلك مثلاً في الآية ١٣٦ من سورة الأعراف التي جاء نصها كالآتي:

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف ١٦٣)

وقد فسرت هذه الآية على الوجه التالي:

حرم الله العمل على بني إسرائيل يوم السبت، ولكن بعض الفاسقين الخارجين عن حدود ما أمر الله به في شريعته، ثقل عليهم هذا الحكم فأرادوا التحايل عليه، فكانوا ينصبون شباكهم للحيتان قبل دخول يوم

السبت فتقع الحيتان في الشباك فيأتون بعد انقضاء السبت فيجمعون ما وقع في الشباك من الحيتان.

وقد عد الله تعالى هذا العمل تحايلاً على شريعة الله لا يقبله، ولا يرضى به، وعاقب القائمين عليه بالمسخ، وأسمى القائمين بهذا العمل بالفاسقين، وعملهم بالفسوق، أي الخروج على طاعة الله وعدم الالتزام بالوقوف عند أوامره ونواهيه.

وقد ضرب إسرائيل شاحاك أمثلة على هذا التحايل على نصوص الشريعة مما يستعمل في إسرائيل اليوم على وجه شائع، ويقدم عليه المتدينون وغير المتدينين على سواء. وسنسوق على ذلك أمثلة مما تخيره شاحاك لنبقى في حدود الالتزام بالواقع.

الاعفاءات الشرعية:

التلمود نظام دوغماتي متشدد لا يسمح بأي تساهل في تطبيق أحكامه، حتى ولو أصبحت سخيفة نتيجة لتطور الظروف فالمعنى الحرفي للنص ملزم، ولا يسمح للمرء بأن يفسره خلافاً لذلك، وهذا على خلاف التوراة التي يمكن التساهل فيها.

ولكنٍ الذي وقع هو أنه خلال فترة اليهودية الكلاسيكية أن أحكاماً تلمودية أصبحت مزعجة للطبقات الحاكمة اليهودية (الحاخامين والأغنياء)، فابتدع لمصلحة هذه الطبقات نظام مخادع يتمسك بحرفية الحكم الشرعي ويخالف روحه ومقاصده، وقد سمي هذا النظام المرائي (الاعفاءات الشرعية)، وقد كان هذا النظام في رأي شاحاك العامل الأهم في انحطاط اليهودية في حقبتها الكلاسيكية. أما العامل الثاني لانحطاط هذه اليهودية فهو الصوفية اليهودية. ويضرب شاحاك أمثلة على هذا التحايل على الشريعة نقتطف منها ما يلي:

١- تقاضي الربا (الفائدة) محظور في التلمود بشكل قاطع تحت طائلة

العقاب الشديد إذا كان الدائن والمدين من اليهود. ولكن الواجب الديني يقضي بتقاضي أعلى فائدة ممكنة من غير اليهود.

ولكن الوضع اختلف تماماً في أوربا الشرقية بحلول القرن السادس عشر. في هذه الظروف ابتدع رجال الدين ترتيباً سمي (بالإعفاء التجاري). يسمح بفرض فوائد على القروض بين اليهود التي لا تعتبر قروضاً من الناحية الرسمية ولذلك فإنها لا تخالف حرفية الحكم الشرعي. وفي هذا الإعفاء التجاري يستثمر المقرض أمواله في تجارة المقترض مشترطاً شرطين:

أ ـ أن يدفع المقترض للمقرض في تاريخ محدد مبلغاً من المال، هو في الحقيقة فائدة على القرض، باعتباره حصة المقرض من الأرباح.

ب ـ اعتبار المقترض قد حقق أرباحاً كافية كي يعطي المقرض حصته، مالم يزعم خلاف ذلك. ويؤيد زعمه هذا حاخام المدينة أو قاضيها الديني، ولكن نظام الإعفاء التجاري يقضي بأن يمتنع الحاخام أو القاضي الديني عن الشهادة في هذه القضايا.

وعملياً فإن كل ما يلزم هو أخذ نص الإعفاء المكتوب بالآرامية (ولا يستطيع الأكثرون فهم معناه) ووضعه على جدار الغرفة التي عقد فيها القرض. وتعرض نسخة من هذا النص في جميع فروع المصارف الإسرائيلية أو حتى حفظها في صندوق ليصبح القرض بين اليهود وفوائده مشروعاً تماماً ولا تثريب عليه (ص٦٦).

السنة السبتية:

تقضي التوراة (وأكد أمرها التلمود) بأنه يجب أن تترك الأرض التي يملكها اليهود في فلسطين من دون زراعة كل سنة سابعة (سبتية)، وهكذا يحظر كل عمل زراعي (حتى الحصاد) على هذه الأرض.

وكان هذا القانون مطبقاً بدقة خلال ألف سنة اعتباراً من القرن الخامس قبل الميلاد.

ولكن في بداية عام ١٨٨٠، ومع بداية تأسيس المستوطنات الزراعية الأولى في فلسطين فقد أصبحت المسألة ذات أهمية عملية، فابتدع الحاخامات المتعاطفون مع المستوطنين إعفاء، وقام خلفاؤهم في الأحزاب الدينية الصهيونية بتحسينه حتى أصبح جزءاً من التقاليد الإسرائيلية الراسخة.

ويقضي النظام الجديد بأنه قبل كل سنة سبتية بوقت قصير يعطي وزير الداخلية الإسرائيلية لكبير الحاخامات سنداً يجعله المالك القانوني لجميع الأراضي الإسرائيلية الخاصة والعامة. واستناداً لهذا الصك يبيع الحاخام الأكبر كل أراضي إسرائيل (والأراضي المحتلة عام ١٩٦٧) لشخص غير يهودي مقابل مبلغ رمزي، ويوقع معه وثيقة مستقلة تقضي بإلزام المشتري بأن يعيد بيع الأرض عند انتهاء السنة.

وتتكرر هذه العملية مرة كل سبع سنوات. ولكن الحاخامين غير الصهيونيين لا يعترفون بهذا الإعفاء. ويرون - وبحق - أنه ما دام القانون الديني اليهودي يمنع بيع الأرض في فلسطين لغير اليهود فالصفقة كلها تشكل خطيئة وتعتبر لاغية. ويجيب الحاخامون الصهاينة بأن الممنوع هو البيع الحقيقي وليس البيع الصوري (ص٦٧).

الحلب يوم السبت

حرم الحلب خلال الفترات اللاحقة للتلمودية عن طريق أساليب التشدد الديني. وهذا يمكن التقيد به في الشتات، لأن اليهود الذين يملكون الأبقار هم عادة من الأغنياء القادرين على استئجار خدم من غير اليهود ويمكنهم باستخدام أحدى الحيل أن يأمروهم بحلبها.

وقد استأجرت المستوطنات اليهودية الأولى في فلسطين عمالاً من العرب لهذه الغاية ولأغراض أخرى.

ولكن سياسة تطبيق العمل العبري الصهيونية جعل ابتداع إعفاء

ضرورياً (وكان هذا قبل استخدام آلات الحلب) وهنا أيضاً اختلف الحاخامات الصهاينة مع الحاخامات غير الصهاينة:

فقد رأى الحاخامات الصهاينة أن الحلب الممنوع يصبح مباحاً إذا لم يكن الحليب أبيض ناصعاً وصبغ باللون الأزرق، وهذا الحليب السبتي الأزرق يخصص لصناعة الجبن حصراً، ويغسل الصباغ الأزرق بالمصل.

وابتدع الخامات غير الصهاينة حيلة أكثر مكراً، فقد اكتشفوا حكماً قديماً يسمح بإفراغ ضروع البقرة يوم السبت بقصد تخفيف معاناة البقرة من امتلاء ضروعها بالحليب، بشرط أن يسيل الحليب على الأرض ويهمل، وقد أصبح التعامل الآن يجري على الشكل التالي:

صباح السبت يذهب أحد المتدينين في الكيبوتز إلى حظيرة الأبقار ويضع الدلاء تحت البقرة، وهذا العمل ليس ممنوعاً بموجب التلمود. ثم يذهب إلى الكنيس ليصلي.

فيأتي زميل له معتزماً ـ بحسن نية ـ تخفيف معاناة الأبقار بجعل حليبها يسيل على الأرض، فإذا وجد بالصدفة دلاء تحت البقرة فهو غير ملزم بإزاحتها، ولذلك فإنه يتجاهل وجود الدلاء ويؤدي مهمته الرحيمة ويذهب إلى الكنيس ليصلي.

ثم يأتي ثالث من زملائه المتدينين إلى حظيرة الأبقار ويكتشف مندهشاً أن الدلاء ملآى بالحليب فيأخذها ويضعها في براد. ويلتحق برفاقه في الكنيس..؟؟ وهكذا يتم حلب الأبقار يوم السبت ويستفاد من حليبها عن طريق هذه الحيل غير المقبولة عند الله.. والتي مسخ الله اليهود لا مثالها ولعنهم وغضب عليهم.

هذه نماذج مما يطبقه الحاخامات اليهود في المجتمع اليهودي الإسرائيلي اليوم من حيل يقصدون بها تجاوز أوامر الشريعة ونواهيها عن طريق ما ابتدعوه من حيل هي في الحقيقة تحريف وتزييف لشرع الله.

ويبقى أن نقول إن كل هذه الحيل للتجاوز على نصوص الشريعة هو مما لا يقبله الله ولا يرضى به وسيعاقب القائمين به،

والآخذين به، عقاباً أليما يوم القيامة. وقد أخبر الله تعالى في القرآن أنه مسخ الذين اعتدوا في السبت، وتجاوزوا حرمته الدينية عن طريق الاحتيال في صيد الحيتان وعاقبهم عقاباً أليماً في الدنيا هو المسخ إلى قردة وخنازير، والطرد من رحمة الله:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (الآية ٦٥ البقرة).

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة ٦٠).

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (الأعراف١٦٦).

وهؤلاء هم الذين فرض الله عليهم احترام السبت، والالتزام به، فخالفوا عن أمر ربهم، وتجاوزوا هذه الحرمة بأساليب من الخداع والشطارة ففرض الله عليهم عقاباً أليماً في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أشد وأدهى.

رفض التعايش مع الآخرين:

يقول إسرائيل شاحاك إن إسرائيل تعود لأشخاص تعرفهم السلطات الإسرائيلية بأنهم (يهود)، وهي لهم وحدهم، بصرف النظر عن مكان وجودهم. (ص١٢).

ومن جهة أخرى فإنها لا تعود لمواطنيها غير اليهود الذين يعتبر مركزهم متدنياً حتى من الجهة الرسمية. وجميع غير اليهود ممنوعون من الانتفاع بتلك الأرض (ويشمل الحظر عرب إسرائيل الذين خدموا في الجيش الإسرائيلي ووصلوا إلى مراتب عليا فيه).

وفق القانون الإسرائيلي يعتبر الشخص (يهوديا) إذا كانت أمه أو جدته لأمه أو جدة أمه يهودية الديانة. وكذلك يعتبر يهودياً الشخص غير اليهودي إذا تحول إلى اليهودية بأسلوب ترضى عنه السلطات الإسرائيلية،

وبشرط أن لا يكون هذا الشخص قد تحول عن الديانة اليهودية إلى ديانة أخرى (ص١٣).

والسلطات الإسرائيلية تميز رسمياً لمصلحة اليهود، وضد غير اليهود، في مجالات منها:

- حق الإقامة
- حق العمل
- حق المساواة أمام القانون.

١ - التمييز في الإقامة

يقوم التمييز في الإقامة على أساس أن دولة إسرائيل تملك ٩٢٪ من الأراضي تديرها سلطة أرض إسرائيل وفق أنظمة الصندوق القومي اليهودي، وأنظمة الصندوق القومي اليهودي تنكر على غير اليهود حق الإقامة والتجارة والعمل على شيء من الأراضي التي يديرها الصندوق.

ويعقب إسرائيل شاحاك على هذا التمييز بأن هذا الإجراء إذا طبق على اليهود في دولة أخرى لوصف العمل بأنه معاداة للسامية، أما عندما تطبقه إسرائيل كجزء من إيديولوجيتها اليهودية، فإنه غالباً ما يبذل جهد كبير لتجاهله أو تبريره إذا ذكر. (ص١٤).

٢ - التمييز في حق العمل:

غير اليهود ممنوعون من العمل في أراض تديرها سلطة أرض إسرائيل وفق أنظمة الصندوق القومي اليهودي. وكثيراً ما أمرت وزارة الزراعة، بمنع العمال العرب - حتى ولو كانوا من عرب إسرائيل - من جني ثمار البيارات القائمة على أرض تملكها الدولة.

كما تمنع إسرائيل منعاً باتاً تأجير اليهود المقيمين على أرض تملكها الدولة أرضاً للعرب ولو لمدة قصيرة وتفرض على الذين يفعلون ذلك غرامات باهظة. وتقوم الدولة بحملات تفتيش لضمان تطبيق هذا المنع (ص١٥)

٣ – التمييز أمام القانون:

لا يتمتع المواطنون غير اليهود بحق المساواة أمام القانون، والوسيلة التقليدية لممارسة التمييز في الحياة اليومية هي بطاقة الهوية التي يتوجب على كل فرد حملها. فهذه البطاقة تذكر قومية الشخص (يهودي - عربي - درزي ... الخ) من دون ذكر كلمة (إسرائيلي).

وهناك قوانين وأنظمة عديدة في إسرائيل تتضمن تمييزاً لمصلحة الشخص المعرف بأنه الذي يستطيع الهجرة وفق أحكام قانون العودة (أي اليهود حصرا). (ص١٥).

عقيدة الأرض المستردة وطرد غير اليهود:

تغرس إسرائيل في ذهن طلاب المدارس اليهودية في إسرائيل عقيدة تمييزية من شأنها السعي لاسترداد الأرض. وبموجب هذه العقيدة فإن الأرض المستردة هي التي انتقلت ملكيتها من غير اليهود إلى اليهود. أما الأرض التي يملكها غير اليهود فهي أرض غير مستردة.

والنتيجة المنطقية لهذه العقيدة هي طرد غير اليهود جميعاً من الأرض المستردة. وبذلك تكون يوتوبيا (العقيدة اليهودية) التي تعتمدها دولة إسرائيل هي جعل جميع الأراضي في الدولة اليهودية أرضاً مستردة بكاملها لا يملك غير اليهود شيئاً منها، ولا يعملون فيها. (ص١٦ و١٧)

نظرة اليهود المتعصبة:

كثير من اليهود الذين انضموا إلى الحركات التقدمية واليسارية كانوا في الحقيقة عنصريين يهودا وشوفينيين متنكرين في ثياب التقدمية والاشتراكية والشيوعية انضموا إلى الأحزاب لمجرد خدمة المصالح اليهودية، وهم اليوم في إسرائيل يؤيدون التمييز ضد غير اليهود (ص٣٢)

وينبغي الاعتراف بأن التلمود (والأدب التلمودي) معادٍ للشعوب جميعاً، وهو يحوي تعابير عدائية، ومفاهيم وشتائم موجهة إلى المسيحيين تحديداً. ويقضي التلمود بوجوب إحراق كتب المسيحيين (العهد الجديد)

التي تصل أيدي اليهود إليها، وعلنا إن أمكن، وتنفيذ هذا الأمر واجب ويمارس حتى يومنا هذا. وقد أقيمت في القدس في ١٩٨٠/٣/٣٠ حفلة ضخمة لحرق الأناجيل برعاية منظمة دينية ترعاها وزارة الأديان أحرق فيها مئات من نسخ العهد الجديد.

التلمود يغرس في النفوس كره البشر

كره الناس في الغرب التلمود لما يغرسه في النفوس من كره، وما يحويه من شتائم وكلمات مقذعة بحق المسيح والمسيحيين والناس جميعاً، ومنذ القرن السادس عشر خضع كل الأدب التلمودي للرقابة المسيحية ودامت هذه الرقابة في روسيا حتى عام ١٩١٧. وقد اضطر اليهود إلى تعديل أو حذف بعض الفقرات التلمودية المتضمنة هجوماً على المسيحية والمسيحيين وغير اليهود، فقد تم حذف عدد قليل من الفقرات المؤذية من جميع الطبعات التي نشرت في أوربا بعد القرن السادس عشر. كما استبدلت فقرات أخرى بتعابير أخرى مثل (أممي) و (غير يهودي) و (غريب).. التي تظهر في كل المخطوطات والمطبوعات السابقة في أوربا. أما الطبعات التي ظهرت في بلاد إسلامية فقد استبدلت فيها الكلمات النابية بتعابير أخرى مثل (وثني).. و (همجي) و (كنعاني) و (سامري) وهي تعابير يمكن تبريرها. والقارئ اليهودي يعرف أنها تلطيف للعبارات القديمة.

وخلال فترات معينة في روسيا القيصرية كانت الرقابة أشد، وقد أدركت حقيقة المقصود بالتعابير الملطفة فمنعتها هي أيضاً. وعندها استبدلت السلطات الحاخامية بهذه التعابير عبارات أخرى مثل (عربي) و(مسلم) (بالعبرية إسماعيلي) وأحياناً يستعملون كلمة (مصري) ظناً منهم أن السلطات القيصرية لن تعترض على هذا النوع من الإساءات. وعمدت هذه السلطات في الوقت نفسه إلى تعميم قوائم مخطوطة بالمحذوفات التلمودية تتضمن شرحاً لكل التعابير الجديدة ومدلولاتها، وأشارت إلى المحذوفات. وكانت بعض هذه المطبوعات تصدَّر بكلمة يشار

فيها إلى التأكيد على أن التعابير الواردة فيها إنما يقصد بها الوثنيين في الماضي.

ولكن الذي حدث أنه بعد زوال الخوف أعيدت إلى المطبوعات الجديدة في إسرائيل جميع التعابير النابية التي تتعلق بالأمم الأخرى وأصبح التلامذة اليهود يتعلمون في المدارس أشياء مؤذية كالتي تأمر كل يهودي بأن يتلو دعاء الرحمة إذا مر بالقرب من مقبرة يهودية، وأن يلعن أمهات الموتى إذا كانوا من غير اليهود.. (ص٣٩).

وعلماء اليهود الحديثون زادوا في الخداع، وزادوا الأساليب الحاخامية وقاحة وافتراء. وقد نشر في القدس عام ١٩٦٢ جزء من القانون الميموني (كتاب المعرفة) الذي يحوي معظم القواعد الأساسية للإيمان اليهودي والعبادات فأعيد النص العبري إلى اصله، وظهر فيه الأمر لليهود (بإبادة الكفرة - غير اليهود) وجاء في الأمر (الواجب يقضي بأن يبيدهم المرء بيديه) (ص٤٠).

وتنتشر لدى يهود الولايات المتحدة عقيدة كره السود ومعاداتهم، حتى قيل إن الحاخامات الذي أيدوا (مارتن لوثر كينغ) إنما كانوا منافقين يظهرون غير ما يبطنون فقد كانوا يريدون الفوز بتأييد السود لخدمة قضايا اليهود. (ص٤٢).

الحركة الحسيدية وتعاليمها الحاقدة:

تضم هذه الحركة اليوم في إسرائيل آلافاً من المتطرفين في إخلاصهم للحاخامات الذين يملكون نفوذاً سياسياً كبيراً في إسرائيل بين قادة الأحزاب والرتب العليا في الجيش؛ وترى هذه الحركة أن (جميع من هم من غير اليهود هم مخلوقات شيطانية تماماً، لا يوجد فيهم شيء طيب على الإطلاق. حتى الجنين غير اليهودي يختلف نوعيا عن الجنين اليهودي. ومجرد وجود غير يهود على الأرض ليس أمراً هاماً لأن جميع المخلوقات الأخرى وجدت

من أجل خدمة اليهود). وقد طبع الكتاب الذي يحوي تعاليم الحسيدية مرات كثيرة.

وتقول شولوميت الوني (عضو الكنيست الإسرائيلي) إن الدعاية الحسيدية قد تزايدت كثيراً قبل غزو لبنان عام ١٩٨٢ وهي موجهة إلى الأطباء والممرضين العسكريين تطلب إليهم عدم إسعاف الجرحى العرب.

والرئيس السابق لدولة إسرائيل (زلمان شازار) كان نصيراً متحمساً لحاباد (نبي الحسيدية). (ص٤٣) وتنشر الصحافة الإسرائيلية أكثر التصريحات دموية ضد العرب جميعاً وهي التصريحات التي يتفوه بها الحاخام الحسيدي (اللوبافيتشي) وغيره من القادة الحسيديين..

وقد ترجمت كتابات الحسيدي المتطرف (مارتن بوبر) في مدح الحركة الحسيدية، وأصبحت عنصراً أساسياً في ظهور الشوفينية الإسرائيلية، وكراهة جميع من هم من غير اليهود (ص٤٤)

ونصح حاخام أحد مريديه من المجندين إبان الحرب مع العرب بأنه يحسن قتل جميع من يقع في أيدي اليهود من العرب رجالاً ونساءاً وأطفالاً، مدنيين وعسكريين، جرحى أو أسرى، لأنه يخشى منهم على حياة اليهود.. (ص١٢٢ و١٢٤).

وهناك قوانين تأمر اليهود بلعن غير اليهود، والإحجام عن مدحهم أو مدح تقاليدهم (ص٨٦) والأطباء ممنوعون بصورة عامة من إنقاذ حياة غير اليهود يوم السبت. (ص٨٦).

والذي نضيفه إلى ما قاله إسرائيل شاحاك هو أنه اكتشفت مقابر جماعية كثيرة في صحراء سيناء تبين أنها ضمت جثث آلاف من الجنود العرب المصريين الذين قتلهم اليهود من الأسرى والمدنيين.

وقد أثير الموضوع على نطاق واسع في الصحافة العربية التي طالبت بفتح تحقيق يكشف حقيقة المأساة وأبعادها، ويفضح العنصرية اليهودية والوحشية المفرطة، ولكن هذه الحملة سرعان ما خبت، وحل محلها صمت مطبق.

الخاتمة

فتحت نجاحات اليهود التي حققوها في الانتصار على العرب باب المطامع أمامهم واسعاً جداً فأخذوا يحلمون في تحقيق دولتهم الكبرى التي يقول المغالون إنها يجب أن تشمل مساحات واسعة جداً من الوطن العربي، ولذلك فإن الصلح بين العرب واليهود لن يضع حداً لهذه المطامع بل إنه سيحفزها، وسيمضي اليهود متابعين مخططاتهم الرامية إلى السيطرة على المنطقة، ولن يوقف مطامعهم سوى الاصطدام بتصميم العرب على الارتفاع فوق الخلافات التافهة التي تفرق بين حكامهم، وتضعفهم، وتترك اقتصادهم دون ما يستحقه هذا الشعب ذو التاريخ الحافل بالإنجازات في خدمة الحضارة الإنسانية.

فاليهود يجعلون في مقدمة برامجهم التوسعية امتلاك الأرض، وإفراغ ما يملكونه من الأرض من سكانه العرب لأن تلمودهم يحرم عليهم التعايش مع أحد من الغرباء فوق الأراضي التي يملكونها، ولذلك فإننا نراهم اليوم يضيِّقون على عرب إسرائيل، ويسلبونهم أراضيهم بحجج وذرائع مختلفة، ويهدمون بيوتهم ليجعلوا حياتهم صعبة أو مستحيلة في نطاق الدولة اليهودية. وهذا شيء لا ينكره اليهود، ولا يخجلون منه بل يباهون بسعيهم لتحقيقه. وفي مثل هذه الحال فإن الصلح والسماح لليهود بتملك الأراضي في البلاد التي صالحهم حكامها سيكون بمثابة انتحار محقق.

ويجد اليهود اليوم عوناً كبيراً من العالم الغربي ومن الدول المسيحية ومن زعامات الكنائس بصورة أخص. وقد نشطت هذه الكنائس في التسابق إلى الاستحواذ على عطف اليهود والفوز برضاهم، فأخذت

القرارات الكنسية تصدر تترى في خدمة قضية اليهود في صراعهم مع العرب حول أرض فلسطين، وما حول فلسطين.

فيوماً يبرؤون اليهود من دم المسيح، ويوماً يقررون رفع اللعنة التي صبها الله على اليهود منذ فجر تاريخهم، ويوماً يعلنون قناعتهم بحق اليهود في امتلاك أرض فلسطين وإقامة دولتهم عليها وفقاً لما قضاه الله.

ويوماً يعلنون أن كتب اليهود هي كتبهم وأن زعماء الكنيسة الأوائل ممن كانوا مع السيد المسيح وبعده إنما كانوا من الشعب اليهودي.

ونسي هؤلاء الكنسيون أن اليهود لا يقابلون هذا النفاق المتطوع به إلا بالسخرية والازدراء لأنهم:

- من جهة لا يعتقدون أنهم قتلوا نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام، وإنما قتلوا إنساناً مخرقاً دجالاً لا علاقة له برسالات الله.

- من جهة أخرى فإن اليهود لا يعتقدون أن رجال الدين المسيحيين يملكون شيئاً من الكرامة والزلفى عند الله تخولهم حق التجاوز على إرادة الله، وفرض إرادتهم عليه.

وفي مثل هذه الحال فإن من واجب العرب أن يفتحوا أعينهم واسعة على حقائق الخطر الذي يشكله اليهود على العرب وأرضهم ومستقبلهم. ولا نريد أن نعود إلى بسط ما يجب على العرب الإقدام عليه من خطوات في سبيل تحقيق وحدتهم، ورميهم أعداءهم عن قوس واحدة، فقد أسرف المفكرون العرب و المسلمون ورجال السياسة منهم في بحث هذه الموضوعات حتى أصبح كل واحد منهم يعرف ما يجب عليه أن يقوم به أهل الحل والعقد.

يقول اليهود إن الله وعد أباهم إبراهيم بأن يجعل له أرض فلسطين ملكاً خالصاً وأبدياً. فإذا جعل الله أرض فلسطين ملكاً أبدياً خالصاً لإبراهيم فإن كتب بني إسرائيل تقول إن قانون الوراثة الذي كان يعمل به إبراهيم وبنوه يجعل الميراث الأكبر للولد البكر، والولد البكر لإبراهيم هو إسماعيل جد العرب. ولكن اليهود يضربون صفحاً عن وجود إسماعيل، ويتحدثون

في كتبهم عن انتقال الميراث إلى ابنه الثاني إسحاق ثم من بعده إلى ابنه الثاني يعقوب، وذلك ليصلوا إلى غايتهم في جعل ميراث أرض فلسطين خاصاً بهم.

إن وعد الله لا يخلف أبداً فإذا وعد الله أحداً بتمليكه شيئاً فإنه تعالى يوصله إليه ولو اجتمعت قوى الأرض كلها لتحول دون وصول ذلك الشيء إليه. وبالفعل فإن العرب أحفاد إسماعيل ملكوا أرض فلسطين منذ أقدم العصور، وأقاموا فيها الحضارات المرموقة، وجاء العرب ـ أحفاد إسماعيل ـ مرة أخرى مع جيوش الفتح الإسلامي لينشروا في الأرض دعوة الإيمان التي أنزلها الله إلى أهل الأرض مع كل نبي أرسله إليهم. وما زال العرب والمسلمون من أحفاد إبراهيم وإسماعيل يقيمون في أرض فلسطين دون انقطاع منذ أن ورثها أبوهم إسماعيل لأول مرة، بينما انقطعت علاقة اليهود ـ أحفاد إسحاق ـ بأرض فلسطين منذ أن شردهم لآخر مرة الإمبراطور الروماني فسبسيان وابنه تيطوس عام ٧٠ للميلاد أي منذ قرابة ألفي سنة.

ولو كان وعد الله قد خص به حقاً اليهود أحفاد إسحاق ويعقوب لما وقع انقطاع في علاقتهم بأرض فلسطين يقارب الألفي سنة.

وقال القرآن إن الله غضب على اليهود منذ فجر تاريخهم، ولعنهم، وأنذرهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة لكفرهم بربهم، وتحريفهم كتبه التي أنزلها الله على أنبيائه، وقتلهم أنبياء الله والصالحين من أبناء قومهم الذين كانوا يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، وقال القرآن أيضاً إن الله تعالى تأذن بأن يبعث على اليهود ـ إلى يوم القيامة ـ من يسومهم سوء العذاب، وإنه تعالى قرر بأنه سيمزقهم في الأرض شر ممزق. وهذا الذي يقوله القرآن تقول قريباً منه كتب بني إسرائيل (وقد نقلنا بعض ما جاء فيها منه).

والذي يلفت النظر في هذا الموضوع هو أن الله تعالى لم يكشف للخلق

مستقبل أحد من شعوب الأرض خلال مسيرة حياتها، والشعب الوحيد الذي كشف الله مصيره ومستقبله هو اليهود، أبناء يعقوب.

وهذا يدل على مبلغ كره الله لهذا الشعب العنيد الصلب الرقبة الذي يعاند الرب، كما تصفهم به كتبهم. والكفرة أعداء الله لا شيء لهم من ميراث الأنبياء وهو ما يقوله القرآن وتقوله كتب بني إسرائيل.

ولكن الله قال إنه سيرفع العذاب والضر والبلاء عن اليهود خلال فترات من حياتهم-(بحبل (عون) من الله وحبل (عون) من الناس - (وهم دول الغرب اليوم) - لينظر هل بقي القوم مقيمين على كفرهم وعنادهم وفسادهم وإفسادهم في الأرض أم أنهم قرروا العودة إلى الله بالتوبة النصوح والإيمان الخالص، والعمل الصالح.

ولكن الله سيجد الأبناء من اليهود ما زالوا مقيمين على كفر الآباء، بل إنهم اليوم أصبحوا أكثر كفراً وفساداً وطغياناً في الأرض، فيعيد ضرب الذلة عليهم، ويخضعهم لأقوام من خلقه يتابعون إذاقتهم مرَّ العذاب.

ويبدو أن الفترة التي نعيشها هي من الفترات التي أشار القرآن إلى أن الله سيرفع فيها عن اليهود البلاء والعذاب، وربما كانت هذه آخر فترة لهم يفسدون فيها في الأرض، لأن الله أشار في الآيات الأولى من سورة الإسراء (كما أشارت أحاديث الرسول الكريم إلى شيء من ذلك) إلى أنه سيجعل أناساً من عباده المؤمنين يتصدون لليهود بالحرب والمقاومة، ويدمرون ما أنشأه اليهود في أرض فلسطين، ويذيقونهم بأس الله الشديد، ويقضون عليهم قضاء تاماً جزاء ما اقترفته أيديهم من شرور وآثام وإيذاء لخلق الله وتحريف لكلماته.

يجد اليهود اليوم عوناً واضحاً من الدول الغربية ومن الكنائس المسيحية على وجه أخص، ويبرر هؤلاء مسلكهم هذا بأنهم يتصرفون وفق مشيئة الله التي أعرب عنها في كتب بني إسرائيل.

ولا بد لنا نحن العرب والمسلمين من القيام بجهد عقلاني لنفك

التلاحم المنظور بين اليهود والقوى المسيحية التي تندفع مع اليهود بغرائزها المعادية للإسلام وأهله. وهذا الجهد هو مارمينا إليه في دراستنا هذه.

ونرجو أن نكون قد وفقنا إلى تحقيق شيء من ذلك.

وعلى كل حال فإننا ندعو المفكرين العرب والمسلمين ليتبعوا هذه الخطوات بخطوات جادة لنصل إلى ما رمينا إليه، وهو شيء لا بد من الوصول إليه ما دامت إرادة الله تنير سبيلنا للوصول باليهود إلى المقام الذي جعله الله خاصاً بهم.

وكلمة أخيرة نحب أن نقولها وهي إن اليهود ومن والاهم سيسارعون إلى وصف الكتاب ومؤلفه بأنهما معاديان لليهود وللسامية و .. و.. إلى آخر المقولات التي يقولونها والنعوت التي ينعتون بها كل من تصدى لهم بالمقاومة، ولمخططاتهم بالفضح، وحاول كشف حقائقهم للناس.

ونسارع لنقول إن مؤلف الكتاب ليس عدواً لأحد من خلق الله، لا بسبب الدين ولا بسبب العنصر، ولا بسبب اللون وإنما هو عربي يحب خلق الله جميعاً، ويعتقد بقول الرسول إن الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله. وقول كلمة الحق لا يمكن أن يكون فيه اعتداء على أحد، ولا انتقاص من قدر أحد وإنما هو الحق الذي يجب على كل واحد أن يلزم نفسه به، ولو فعل كل واحد ما أوجبه الله عليه لما صارت المجتمعات الإنسانية اليوم إلى ما صارت إليه من التردي والتجاوز على محارم الله.

ولكن هل يستطيع اليهود أن ينكروا أنهم يعدون التلمود لديهم مقدماً على التوراة؟ وهل يستطيعون أن ينكروا أنهم يتعلمون التلمود وبعلمونه أطفالهم منذ حداثة سنهم؟ وهل يستطيعون أن ينكروا أن التلمود يفرض عليهم كره بني البشر جميعاً، كما يفرض عليهم معاداتهم ومباشرة إيذائهم وقتلهم وأخذ أموالهم بأية وسيلة تمكنهم من الوصول إلى غايتهم؟

وفي مثل هذه الحال فمن هو في الحقيقة والواقع العنصري المتطرف الذي يعادي خلق الله، ويحرض على الكراهية والتمييز العنصري؟؟

وفي الختام أسال الله تعالى السداد والرشاد، وأن يوفقنا جميعاً إلى الخير وقوله وأن يعيننا على إلزام النفس بالحق إنه سميع مجيب.

دمشق في الأول من شهر تموز (يوليو) ١٩٩٩

الثامن عشر من ربيع الأول ١٤٢٠

اسعد محمود حومد

مراجع الكتاب

- تفسير ابن كثير
- في ظلال القرآن ـ سيد قطب
- أيسر التفاسير ـ أسعد محمود حومد
- صحيح مسلم
- صحيح البخاري
- التوراة والإنجيل والقرآن ومعطيات العلم ـ موريس بوكاي
- محمد في الكتاب المقدس ـ عبد الأحد داود
- الدين والدولة ـ ابن ربن الطبري
- قواعد التلمود
- الكتاب المقدس
- تاريخ بني إسرائيل
- إنجيل برنابا ـ ترجمة خليل سعادة
- الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير
- كتاب الاعتبار ـ أسامة بن منقذ
- وثيقة الصهيونية الجديدة ـ جورجي كنعان
- الديانة اليهودية ـ التاريخ اليهودي ـ إسرائيل شاحاك ترجمة صالح علي سرداح
- دعوة الإيمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب ـ أسعد محمود حومد
- سيرة ابن هشام
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ ابن تيمة
- المفسدون في الأرض ـ سليمان ناجي
- تاريخ الحروب الصليبية ـ ستيفن روتسمان ـ ترجمة السيد الباز الصريني
- تاريخ الحروب الصليبية ـ رنيه غروسيه

الفهارس

(٨٤ شارع زنوبيا دمشق)
الطبعة الأولى ١٩٩٩

رقم الايداع ٤٥٨١٤
تاريخ ١٩٩٩/٩/٢٩

تنضيد وإخراج: محمد السعد
هاتف: ٦٣٤٢٤١٥



هذا الكتاب

تتسابق السلطات الكنسية العليا إلى إسترضاء اليهود ، و كل يوم تصدر قراراً في هذا الاتجاه . و مما أصدرته قرار بتبرئة يهود العصر من دم المسيح ، وآخر برفع اللعنة التي صبها الله عليهم لكفرهم و فسادهم و إفسادهم في الأرض ، و قتلهم الأنبياء و الصالحين ، و تحريفهم كلمات الله عن معانيها التي أرادها منزّل التوراة . و آخر بتشجيع اليهود على متابعة اغتصابهم للأرض العربية لأن الله وعد اليهود بذلك ، وهذه إرادته ..

و اليهود يقابلون هذا النفاق المتطوع به بهزء و سخرية لأنهم من جهة لا يعتقدون أنهم قتلوا عيسى رسول الله ، و من جهة أخرى لأنهم لا يعتقدون أن لزعماء الكنائس المسيحية من المكانة و الزلفى عند الله ما يخولهم حق فرض إرادتهم عليه . و إبطال ما قضاه .

و دعوة الإيمان تقول إن الكفرة الفجرة من أنسال الأنبياء ليس لهم شيء من الميراث الذي يخلفه الأنبياء فأرض فلسطين أعطيت لإبراهيم – حسبما يقولون – و من الواجب أن تؤول من بعده إلى ابنه البكر إسماعيل (حسب قانون الوراثة المسطور في كتب اليهود) ثم تؤول من بعده للصالحين المؤمنين من أنساله و هم العرب و المسلمون الذين نشروا و ينشرون دعوة الإيمان الخالص في الأرض ، أما اليهود فليس لهم شيء من هذا الميراث لأنه أسقطوا بكفرهم و فسادهم حقهم في شيء من الميراث ، و هم اليو أشد كفراً و فساداً من أسلافهم و أشد تحريفاً لكلمات ربهم ، و هـ شيء لا ينكرونه .

المؤلف

